المسائل العقدية المتعلقة بذات النبي ﷺ الشريفة

تأليف

الدكتور / فهد بن عابد بن حامد المرواني الجهني





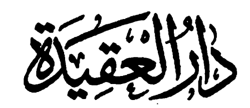
تأليف

الدكتور/ فهد بن عايد بن حامد المرواني الجهني

حاز هذا الكتاب على

درجة العالمية العالية (الدكتوراه)

بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى





بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين



الرقم:............
التاريخ:............
المرفقات:............
الموضوع:............

(إفادة بنتيجة مناقشة رسالة)

تفيد كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأن الطالب / فهد بن عايد الجهني (سعودي) الجنسية قد تمت مناقشة رسالته المقدمة لنيل درجة: (العالمية العالية - الدكتوراه) من قسم (العقيدة) بعنوان :(المسائل العقدية المتعلقة بذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة) في يوم الخميس بتاريخ : ١٤٣٥/١١/١٦هـ ، وأوصت لجنة المناقشة بمنحه درجة : (العالمية العالية - الدكتوراه) ، بتقدير (ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى) وسوف يمنح الشهادة بعد اعتماد النتيجة من المجالس المختصة في الجامعة - إن شاء الله تعالى - ، ولطلبه أعطي هذه الإفادة.

وفق الله الجميع لكل خير



عميد كلية الدعوة وأصول الدين

أ.د/ سعود بن عبد العزيز الخلف

المدينة المنورة ص ب : ١٧٠ ؛ فاكس : ٨٤٧٠٣٥٤ البريد الالكتروني :iu@iu.edu.sa هاتف : ٨٤٧٤٠٤٥

فهد عايد حامد الجهني، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني، فهد عايد حامد

المسائل العقدية المتعلقة بذات النبي ﷺ الشريفة

فهد عايد حامد الجهني - جدة، ١٤٣٦هـ

..ص؛..سم

ردمك: ٢-٧٤٩٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية - دفع مطاعن أ. العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٦/٣١٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣١٤٠

ردمك: ٢-٧٤٩٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨



الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ - ٠٣/٥٧٤٧٠٧٦ - م/ ٠١٠٢٢٤٢٢٥٥٨

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٢/٢٥١٤٣١٧٤ - ٠٢/٢٥١٠٩٩٦٨ م/ ٠١١٢٢٩١١٦٣٤

E-mail:dar_alakida@yahoo.com

رقم الإيداع: ١٤٩٢٢ / ٢٠١٥ الترقيم الدولي: 978-977-347-207-8

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعله خاتم النبيين وجعل رسالته خاتمة الرسالات، فلا يتحقق الإيمان برسالته إلا بالإيمان به، وذلك لعظيم منـزلته عند الله عز وجل، فقد خاطبه الله عز وجل بخطابه الإلهي بالنبوة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ...﴾ [الأنفال: ٦٤]، وخاطبه برسالته فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ...﴾ [المائدة: ٦٧]، وخاطبه بعبوديته له فقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وذكر بعض أعضاء جسده الشريفة فقال تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وبسط كفه ﷺ مبايعةً عن الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الإنشراح: ١]، ووصفه بأنه أذن خير فلا يسمع بأذنيه إلا خيراً، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ [التوبة: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ

﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، وغير ذلك من الآيات المتعلقة بذاته الشريفة وأعضاء جسده الشريف، وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (**اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**)[١].

وقال ﷺ: (**إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**)[٢].

وقال ﷺ: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)[٣].

وقال ﷺ: (**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**)[٤].

وقال ﷺ: (**إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**)[٥].

وغير ذلك من النصوص الشرعية المتعلقة بذاته الشريفة وأعضاء جسده الشريف.

وقد تعلق بهذه الذات والأعضاء الشريفة كثير من المسائل العقدية والخصائص النبوية، وكثر الكلام حولها، مرة بالحق، ومرات بالباطل، فكانت هذه الرسالة تبياناً لمذهب أهل السنة والجماعة، وردًّا على المخالفين في جملة من المسائل المتعلقة بذاته الشريفة عليه الصلاة والسلام، وأعضاء جسده عليه الصلاة والسلام.

---

(١) رواه أبو داود: كتاب العلم، باب في كتاب العلم: (٣١٨/٣)، برقم: (٣٦٤٦)، وأحمد (١٦٢/٢)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام: (٥٩/٣) برقم: (٢٦٨٣)، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد: (١٠٥/٧) برقم: (٤٠٦٧)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٤٨/٤ رقم ٢١٤٠)، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن، وأحمد (١١٢/٣ رقم ١٢١٢٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٧٠٦/١ رقم ١٩٢٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥/٦ رقم ٣٠٤٠٥)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز: ٤٤ باب قول النبي ﷺ: (**إنا بك لمحزونون**): (٤٣٩/١) برقم: (١٢٤١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال...: (١٨٠٧/٤) برقم: (٢٣١٥).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة: (٢٧٥/١) برقم: (١٠٤٧)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة: (٩١/٣) برقم: (١٣٧٤)، وأحمد في المسند: (٨/٤) برقم: (١٦٢٠٧)، وصححه الحاكم: (٢٧٨/١). ووافقه الذهبي. وصححه النووي في الأذكار، ط٤، مصطفى الحلبي، مصر: (١٠٦).

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١- عظمة جناب النبي عليه الصلاة والسلام ومنـــزلته الرفيعة.

٢- كثرة المخالفين، خصوصاً من أصحاب الطرق الصوفية فيما يتعلق بذات النبي ﷺ.

٣- الحاجة لدراسة المسائل المتعلقة بذات النبي ﷺ وفق منهج أهل السنة والجماعة.

٤- تعلق الموضوع بجوانب عقدية متعددة، أهمها: توحيد العبادة.

٥- ما يرد من أهل البدع من اتهام لأهل السنة والجماعة بالجفاء فيما يتعلق بـــذات النبي ﷺ.

٦- الفوائد العلمية المرجوة من البحث في المسائل المتعلقة بذات النبي ﷺ.

٧- الرغبة الأكيدة في الكتابة في مثل هذا الموضوع.

٨- عدم وجود دراسة علمية سابقة تجمع شتات هذا الموضوع في رسالة علمية.

الدراسات السابقة:

١- كتاب: "الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء الرسول ﷺ مـــن المعجـــزات"، تأليف: أبي الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية الكلبي -المتوفى سنة ٦٣٣هـــــ- تحقيق: جمال عزون.

ومؤلف الكتاب لم يتطرق إلى مسائل عقدية في ذات النبي ﷺ، ولا أعضائه على النحو الذي سأبحثه بإذن الله.

٢- "التبرك أنواعه وأحكامه"، تأليف: الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بـــن محمـــد الجديع، جامعة الإمام محمد بن سعود، ركز الباحث في رسالته على عموم مـــسائل التبرك المتعلقة بالذوات والأماكن والأزمنة، وأشار إشارة مقتضبة إلى البركة الحسية أو الشخصية المتعلقة بالنبي ﷺ ضمن الفصل الثاني -المباركين من الأشـــخاص- حيث لم تشمل دراسته جميع المسائل المتعلقة بذات النبي ﷺ.

٣- "خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء" للباحث: الصادق بن محمـــد بـــن إبراهيم علي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، بين فيها خصائص الـــنبي ﷺ عند أمته، وخصائص النبي ﷺ عند الغلاة قبل وجوده، وفي حياتـــه البرزخيـــة، وكذلك عند الجفاة. وهذه الرسالة لم تتطرق لجميع المسائل العقدية المتعلقة بذاته الشريفة وأعضاء جسده عليه الصلاة والسلام.

خطة البحث:

تشتمل هذه الخطة على مقدمة وبابين وخاتمة وفهارس علمية:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج البحث.

البـاب الأول: المسائل العقدية العامة المتعلقة ببشرية النبي ﷺ وبذاته الشريفة، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بشرية النبي ﷺ، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النصوص الدالة على أنه بشر، وليس له من خصائص الله شيء.

المبحث الثاني: الكلام في مادة خَلْقه ﷺ وأقوال المخالفين في ذلك، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بطلان القول إن رسول الله ﷺ أول المخلوقات.

المطلب الثاني: بطلان القول بما يسمى بالحقيقة المحمدية.

المطلب الثالث: هل له ظل عليه الصلاة والسلام أم لا؟.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بذاته عليه الصلاة والسلام في الحياة الدنيا، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بكماله وسلامة ذاته من الآفات وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة أسمائه عليه الصلاة والسلام على ذاته.

المطلب الثاني: الكلام في وصف ذاته عليه الصلاة والسلام بالمقدسة.

المطلب الثالث: الكلام في وصف ذاته عليه الصلاة والسلام بالكاملة.

المطلب الرابع: سلامة ذاته عليه الصلاة والسلام من العيوب المنفرة.

المطلب الخامس: سلامة ذاته وأعضائه من بعض الأمراض كذات الجنب وغيرها.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بعينه وبصره عليه الصلاة والسلام، وفيه تسعة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج بعينه؟.

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ودلالة ذلك العقدية.

المبحث الثالث: رؤيته عليه الصلاة والسلام ما لا يرى غيره وحدود رؤيته.

المبحث الرابع: هل يرى في الظلمة كما يرى في الضوء؟.

المبحث الخامس: رؤيته عليه الصلاة والسلام ما وراء ظهره.

المبحث السادس: رؤيته عليه الصلاة والسلام للجنة والنار.

المبحث السابع: هل يُستثنى عليه الصلاة والسلام من قوله تعـــالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾؟

المبحث الثامن: رؤيته عليه الصلاة والسلام لأناس في النار وأناس في الجنة.

المبحث التاسع: رؤيته عليه الصلاة والسلام للملائكة.

المبحث العاشر: رؤيته عليه الصلاة والسلام للشياطين والجن في صورهم.

المبحث الحادي عشر: رؤيته عليه الصلاة والسلام لملكوت الأرض والسماء.

المبحث الثاني عشر: رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو بمكة بيت المقدس.

المبحث الثالث عشر: رؤيته عليه الصلاة والسلام أماكن مصارع المشركين يوم بدر قبل مصرعهم.

المبحث الرابع عشر: رؤيته عليه الصلاة والسلام مشارق الأرض ومغاربها حين زوى الله له الأرض.

المبحث الخامس عشر: نفي خائنة الأعين عنه عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس عشر: مسألة ذرف عينه عليه الصلاة والسلام في وفاة بعـــض أولاده ودلالة ذلك على الرحمة، والرد على من زعم أن ذلـــك ينافي الصبر.

المبحث السابع عشر: نوم عينيه دون قلبه.

المبحث الثامن عشر: إشارته إلى عينه وأذنه عند قراءته لقوله تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾.

المبحث التاسع عشر: أوصاف عينيه.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بلسانه وفمه عليه الصلاة والسلام، وفيه اثنـــا عشر مبحثاً:

-**المبحث الأول**: لا يخرج من فيه عليه الصلاة والسلام إلا حقٌّ سواء في المزاح وغيره.

المبحث الثاني: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: لم يكتم ﷺ شيئاً مما أُمر بإبلاغه.

المبحث الرابع: فصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام وبلاغته وحمل معنى ما نطق به على الحقيقة.

المبحث الخامس: لم ينطق عليه الصلاة والسلام بقول يعارض العقل الصريح.

المبحث السادس: الرد على من قال: إن ظاهر كلامه عليه الصلاة والسلام هو التشبيه أو أنه غير مراد.

المبحث السابع: إعطاء الله عز وجل له جوامع الكلم ودلالة ذلك على نبوته.

المبحث الثامن: نزول القرآن الكريم بلسانه عليه الصلاة والسلام ودلالة ذلـــك على نبوته.

المبحث التاسع: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ودلالة أوصاف فمه ولسانه.

المبحث العاشر: لا يتثاءب وهل ذلك من علامات النبوة؟.

المبحث الحادي عشر: فهم الصحابة للمعنى المراد مـــن قولـــه كمـــا أراد الله ورسوله.

المبحث الثاني عشر: عناية السلف بتتبع أقواله وألفاظه عليه الصلاة والسلام.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بأذنه وسمعه عليه الصلاة والسلام، وفيه ســـتة مباحث:

المبحث الأول: طرق سماعه عليه الصلاة والسلام الوحي.

المبحث الثاني: الرد على الزنادقة القائلين: كيف يكون صوت مسموع لسامع في محل لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحواس والإدراك.

المبحث الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ وهو وصف لأذن النبي ﷺ بأنها أذن تسمع الخير.

المبحث الرابع: هل يتأذى بما يقع عند قبره من رفع الأصوات ونحوها.

المبحث الخامس: سماعه عليه الصلاة والسلام ما لا يسمع غيره.

المبحث السادس: حدود سمعه ونهايته وأنه لا يسمع كل شيء.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بوجهه الشريف ﷺ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حسن وجهه وضيائه، ودلالة صفة وجهه على نفي الكذب عنه.

المبحث الثاني: كسر رَباعيته وشج جبينه ودخول حلقة المغفر في وجنتيه ﷺ ودلالته على البشرية.

المبحث الثالث: الجمع بين ما ورد من إعطاء الله النبي ﷺ الحسن كله وبين ما جاء أن أهل الجنة يدخلون على صورة يوسف عليه السلام.

الفصل السادس: المسائل العقدية المتعلقة بيده عليه الصلاة والسلام، وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: مبايعته عليه الصلاة والسلام بيده عن الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

المبحث الثاني: بسط يده عليه الصلاة والسلام عن عثمان في بيعة الرضوان ودلالة ذلك على فضل عثمان رضي الله عنه.

المبحث الثالث: خروج الماء من بين أصابع يده عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: خنقه عليه الصلاة والسلام للعفريت الذي أراد أن يربطه بسارية من سواري المسجد.

المبحث الخامس: الاستشفاء بالمسح بيده عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: وصف يده الكريمة عليه الصلاة والسلام بالعطاء والإنفاق.

المبحث السابع: لا يخط ولا يكتب بيده، ودلالة ذلك العقدية.

المبحث الثامن: رفع يديه وسبابته ﷺ عند الدعاء إشارة إلى علو الله تعالى.

المبحث التاسع: القبض والبسط في حديث ابن عمر.

المبحث العاشر: إشاراته بيده ودلالاتها العقدية.

الفصل السابع: المسائل العقدية المتعلقة بظهره عليه الصلاة والسلام، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ودلالته العقدية.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بختم النبوة الذي على ظهره.

الفصل الثامن: المسائل العقدية المتعلقة بقدميه، وفيه مبحث واحد.

المبحث الأول: قيامه ﷺ حتى تتفطر قدماه، ودلالته العقدية.

الفصل التاسع: المسائل العقدية المتعلقة بما انفصل من جسده الشريف عليه الصلاة والسلام، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بشعره عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك ببصاقه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بدمه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بعرقه ﷺ.

المبحث الخامس: الكلام في طهارة ما انفصل منه عليه الصلاة والسلام.

الخاتمة: وتشمل على أهم نتائج البحث والمقترحات والتوصيات

الفهارس العامة:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سيكون منهجي في هذا البحث بإذن الله تعالى على النحو التالي:

١- جمع النصوص والأقوال الثابتة فيما يتعلق بذات النبي ﷺ الشريفة.

٢- الاعتماد على النصوص الشرعية الصحيحة في دراسة الموضوع وفق فهم أهـــل السنة والجماعة.

٣- الرد على المخالفين في جميع مسائل البحث وفق المنهج العلمي.

٤- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها في القرآن الكريم مع كتابتها بالرسم العثماني.

٥- عزو الأحاديث النبوية الشريفة إلى مظانها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة إليهما، وإن كان في غيرهما ذكرت من أخرجه، مـــع بيان حكم أهل العلم المتخصصين عليه صحة وضعفاً.

٦- نسبة الأقوال إلى أصحابها وتوثيقها من مصادرها الأصلية.

٧- الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين.

٨- التعريف الموجز بالأماكن غير المعروفة، والبلدان، والفرق، والطوائف والأديان وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٩- شرح الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية.

١٠- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١١- عمل الفهارس اللازمة على النحو المبين في الخطة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الأول

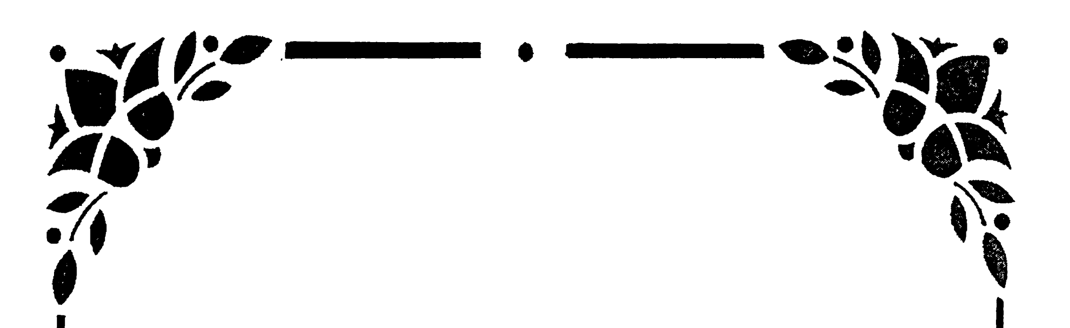
المسائل العقدية العامة المتعلقة ببشرية النبي ﷺ وبذاته الشريفة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: بشرية النبي ﷺ.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بذاته ﷺ في الحياة الدنيا.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بذاته ﷺ في حياته البرزخية.



الفصل الأول

بشرية النبي ﷺ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النصوص الدالة على أنه ﷺ بشر، وليس له من خصائص الله شيء.

المبحث الثاني: الكلام في مادة خَلْقه ﷺ، وأقوال المخالفين في ذلك.





المبحث الأول

النصوص الدَّالَّة على بشريَّته ﷺ

إنّ البشرية بصفة عامّة ليست أمرًا غامضًا يحتاج لإثبات ماهيتها جهد وعناء بقدر ما هي أمر بديهي معروف، والمعروف لا يعرّف.

فالبشر: .. يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنين، والجمع، يقال: هي بشرٌ، وهو بشرٌ، وهما بشرٌ، وهم بشرٌ[1].

وقيل: البشر -محرَّكة-: الإنسان، ذكرًا أو أنثى، واحدًا أو جمعًا نحو: قوله تعالى: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾[3]، وقد يثنى، كقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾[4][5].

قال ابن سِيدَه: "البَشَرُ: الإِنسان، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء"[6].

وجاء في لسان العرب: "الإنسان معروف"[7].

وأما الصفة الخاصة المتعلقة بالنبي ﷺ التي هي مجال هذا البحث، فقد جاءت نصوص الكتاب والسنة دالّة بدلائل متنوعة على بشريته ﷺ، وأنه ﷺ فرد من أفرادها، إلا أنّ الله

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١١/٢٤٤).

(٢) سورة مريم؛ الآية: (١٧).

(٣) سورة مريم؛ الآية: (٢٦).

(٤) سورة المؤمنون؛ الآية: (٤٧).

(٥) انظر: الكليات (١/٣٥٥).

(٦) لسان العرب (٤/٦٠)

(٧) المصدر السابق (٦/١٠).

خصَّه بخصائص، واصطفاه بالرسالة، وجعله خاتم النبيين، وليس له من خصائص الألوهية والربوبية شيء.

وفيما يلي بيان تنوع دلالات تلك النصوص:

أولاً: التصريح ببشريته ﷺ:

ولتقرير هذا الأصل فقد جاء النص الشرعي بأقوى الدلائل على بشريته ﷺ، حيث أمره بالتصريح بها، وقرن ذلك بأمر زائد مؤكد على المثلية المتعلقة بالمخاطبين واصطفائه عليهم بالرسالة.

فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1].

أي: "قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، معبود واحد، لا ثاني له، ولا شريك"[2].

وكقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[3].

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بملك ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ يوحي الله إليّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد"[4].

---

(١) سورة الكهف؛ الآية: (١١٠).

(٢) تفسير الطبري: (١٨/١٣٥).

(٣) سورة فصلت؛ الآية: (٦).

(٤) تفسير الطبري: (٢١/٤٣٠).

وقال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ "أي لست بملك بل أنا من بني آدم"[(١)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[(٢)].

"يَقُولُ: هَلْ أَنَا إِلاَّ عَبْدٌ مِن عَبِيدِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ"[(٣)].

وهذا التصريح منه ﷺ بالبشرية لم يك بدعًا من الأمور بل سبقه بهذا التصريح الرسل قبله، كما حكى الله عنهم في معرض مجادلتهم مع أقوامهم بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٤)].

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: قالت الأمم[(٥)] التي أتتهم رُسُلهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾، صدقتم في قولكم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾، فما نحنُ إلا بشر من بني آدم، إنسٌ مثلكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾، يقُول: ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه، فيهديه ويوفقه للحقّ، ويفضّله على كثير من خلقه"[(٦)].

وأخبر سبحانه عن المشركين أنهم أقروا ببشريتهم وجعلوها ذريعة لعدم الإيمان بما جاءوا به.

---

(١) المصدر السابق: (١٥/٣٤٠).

(٢) سورة الإسراء؛ الآية: (٩٣).

(٣) تفسير الطبري: (١٥/٨٧)

(٤) سورة إبراهيم؛ الآيتان: (١٠-١١).

(٥) كذا في المطبوع، والذي يظهر أن الصواب: "للأمم" وبه يستقيم السياق كما نبه عليه الشيخ محمود شاكر رحمه الله.

(٦) تفسير الطبري: (١٦/٥٣٨).

فقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا... ﴾ الآية[2]، وقال تعالى: ﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ.... ﴾ الآية[3]، وقال تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُ..... ﴾ الآية[4]، وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[5].

وصرح النبي ﷺ ببشريته بعدة أحاديث؛ **منها:** ما جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسًا. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: (**وَمَا ذَاكَ؟**). قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا. قَالَ: (**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَذْكُرُ كَمَا تَذْكُرُونَ، وَأَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ**) ثم سجد سجدتي السهو"[6].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (**اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً**)[7].

وفي الصحيح من حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**)[8].

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: (٩٤).

(٢) سورة المؤمنون؛ الآية: (٤٧).

(٣) سورة القمر؛ الآية: (٢٤).

(٤) سورة التغابن؛ الآية: (٦).

(٥) سورة إبراهيم الآية: (١٠).

(٦) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة: (١/١٥٦)، برقم: (٣٩٢)، ومسلم: كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة والسجود له: (١/٤٠٢)، برقم: (٥٧٢ و٩٣).

(٧) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ: (٤/٢٠٠٧)، برقم: (٢٦٠١).

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الحيل، باب إذا غصب جارية ... (٦/٢٥٥٥)، برقم: (٦٥٦٦)، =

ثانيًا: مولده ونشأته:

وُلد ﷺ من أبوين قرشيين؛ معروفين مثل سائر البشر؛ فأبوه: عبد الله بن عبد المطلب، وأمه: آمنة بنت وهب، يلتقي نسبهما في كلاب بن مرة بن كعب(١).

فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: **(هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ!(٢))**(٣).

ثالثًا: بيان أن الرسول ﷺ بعث في قوم علموا نسبه وحاله:

في تلك الدلالات إشارة إلى سنة من سنن الله ﷻ في إرسال الرسل، وهي أهم من جنس أقوامهم، يعرفون صدقهم وحسن سيرهم، والنبي ﷺ نال من ذلك المقام الأكمل في الحسب والنسب والسيرة الحسنة، وقد جاءت النصوص القرآنية بالإشارة إلى هذه السنة من سنن الله في حق النبي ﷺ في عدة آيات:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

قال القرطبي رحمه الله: «بين الله تعالى عظيم منته عليهم ببعثه محمدًا ﷺ».

= ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة (٣/١٣٣٧)، برقم: (١٧١٣).

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (١/١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/٩٤)، والطبقات لابن خياط: (٣).

(٢) القديدُ: ما قُطِعَ من اللحم وشُرِّرَ، وقيل: القديد من اللحم: ما قطع طولاً وملّح وجفف في الهواء والشمس. انظر: المعجم الوسيط: (٢/٧١٨)، والمخصص لابن سيده: (١/٤١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب القديد: (٤/٤٣٠)، برقم: (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٣/٥٠)، برقم: (٤٣٦٦)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٥/٦٧)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٨٧٦).

(٤) سورة آل عمران؛ الآية: (١٦٤).

ثم بين -رحمه الله- بعض الأقوال الواردة في معنى هذه المنة: فقال رحمه الله: "منها أن يكون معنى ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي بشر مثلهم. فلما أظهر البراهين وهو بشر مثلهم علم أن ذلك من عند الله.

وقيل: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: منهم. فشرفوا به ﷺ، فكانت تلك المنة.

وقيل: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ليعرفوا حاله ولا تخفى عليهم طريقته....

وقال آخرون:.... ومعنى ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أنه واحد منهم وبشر ومثلهم، وإنما امتاز عنهم بالوحي"[(١)].

قال السعدي رحمه الله في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: "أي يعرفون نسبه، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحًا لهم، مشفقًا عليهم، يتلو عليهم آياته: يعلمهم ألفاظها ومعانيها"[(٢)].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)].

يقول تعالى ممتنًا على المؤمنين بأن أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم، أي: من جنسهم وعلى لغتهم، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم وبلغتكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولاً منّا، نعرف نسبه

(١) تفسير القرطبي (٤/٢٦٣).

(٢) تفسير السعدي (ص ١٥٥).

(٣) سورة التوبة؛ الآية: (١٢٨).

(٤) سورة البقرة؛ الآية: (١٢٩).

(٥) سورة آل عمران؛ الآية: (١٦٤).

وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته[1].

وقال محمد بن علي الباقر[2] في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: "لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية"[3].

وقال ﷺ: (**خرجت من نكاح، ولم أخرج من سِفاح**)[4].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء**)[5].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[6].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٢/٤٠٤).

(٢) هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر، كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال، توفي ١٢٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤/٣٨٦)، والأعلام للزركلي: (٦/٢٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٦/١٩١٧)، والطبري: (١٤/٥٨٥)، وهو عند الطبري من كلام جعفر بن محمد وكذا في بعض المصادر، وقال الألباني في إرواء الغليل: (٦/٣٣٠): "وهذا مرسل صحيح الإسناد".

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة: (١١/٤٣١)، برقم: (٣٢٢٩٨)، والبيهقي في سننه: (٧/١٩٠)، برقم: (١٤٤٥٧)، والطبري: (١٤/٥٨٥) عن محمد بن علي الباقر مرسلاً. قال الألباني في إرواء الغليل: (٦/٣٣٠): "هذا مرسل صحيح الإسناد".

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة: (٣/١٤١٨)، برقم: (٩٥٧)، والرامهرمزي: في المحدث الفاصل: (٤٧٠)، والطبراني في المعجم الأوسط: (٥/٨٠)، برقم: (٤٧٢٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/٢١٤): "فيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي صحح له الحاكم في المستدرك، وقد تُكلم فيه وبقية رجاله ثقات".

(٦) سورة الجمعة؛ الآية: (٢).

عن مجاهد أنه قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾: "العرب"[1].

وعن قتادة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ قال: "كان هذا الحيّ من العرب أمة أمِّيَّة، ليس فيها كتاب يقرءونه، فبعث الله نبيه محمدًا ﷺ رحمة وهُدى يهديهم به"[2].

وقال ابن زيد، في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ قال: "إنما سميت أمة محمد ﷺ: الأميين؛ لأنه لم ينزل عليهم كتابًا"[3].

وقال الطبري: "وقال جلّ ثناؤه: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني من الأميين وإنما قال: ﴿مِّنْهُمْ﴾، لأن محمدًا ﷺ كان أمِّيًّا، وظهر من العرب"[4].

وقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[5].

قال ابن كثير -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾: "أي: بشر مثلهم"[6].

قال صاحب أضواء البيان: "وبيّن أَنَّ سَبَبَ عَجَبِهِمْ مَنْ كَوْنِ الْمُنْذِرِ مِنْهُمْ أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، زَاعِمِينَ أَنَّ اللَّهَ لا يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَحَدًا مَنْ جِنْسِهِمْ. وَأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أَحَدًا لأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا؛ لأَنَّهُ لَيْسَ بَشَرًا مِثْلَهُمْ، وَأَنَّهُ لا يَأْكُلُ وَلا يَشْرَبُ وَلا يَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ"[7].

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٣/٢٧٣)، وابن أبي حاتم: (١٠/٣٣٥٥).

(٢) أخرجه الطبري: (٢٣/٢٧٣).

(٣) المرجع السابق: (٢٣/٢٧٣).

(٤) المرجع السابق: (٢٣/٢٧٣).

(٥) سورة ص؛ الآية: (٤).

(٦) تفسير ابن كثير: (٧/٥٧).

(٧) تفسير أضواء البيان: (٦/٣٣٥).

رابعًا: ما جاء في تأكيد بشريته عليه السلام بذكر أنه رجل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد إلى أمة من الأمم، للدعاء إلى توحيدنا، والانتهاء إلى أمرنا ونهينا، ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ من بني آدم ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ وحينا، لا ملائكة، يقول: فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قَبلهم من الأمم من جنسهم، وعلى منهاجهم ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يقول لمشركي قريش: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد ﷺ وقلتم: هم ملائكة: أي ظننتم أن الله كلّمهم قُبلاً ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده"[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بعث الله محمدًا رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد، قال: فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ[3]﴾[4].

قال الطبري: "﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: يعني أهل الكتب الماضية، أبشرًا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرًا فلا

(١) سورة النحل؛ الآية: (٤٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠٨/١٧)

(٣) سورة يونس؛ الآية: (٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٠٨/١٧)، وابن أبي حاتم (١٩٢٢/٦).

(٥) سورة النحل؛ الآيتان: (٤٣-٤٤).

تنكروا أن يكون محمد رسولاً. ثم قال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾[1]: أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم"[2].

قال ابن كثير رحمه الله: "...ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشرًا، إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا: هل كان أنبياؤهم بشرًا أو ملائكة"[3] .

خامسًا: مشابهة النبي ﷺ لجميع الأنبياء في بشريتهم:

لقد جاء قبل نبيّنا ﷺ رسل مبشّرين ومنذرين من بني آدم، فلا وجه لإخراجه من جنسهم.

قال تعالى حكاية عن نبيه ﷺ:

﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[4] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: "يقول: لست بأوّل الرسل"[5].

وعنه أيضاً أنه قال: "ما كنت أوّل رسول أُرسل"[6].

وعن مجاهد في قوله: ﴿مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال: "ما كنت أولهم"[7].

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: (١٠٩).

(٢) تفسير الطبري: (١٧/٢٠٨)

(٣) تفسير ابن كثير: (٤/٥٧٤)

(٤) سورة الأحقاف؛ الآية: (٩).

(٥) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحقاف: (٤/١٨٢٦)، والطبري: (٢٢/٩٨)، وابن أبي حاتم: (١٠/٣٢٩٣).

(٦) أخرجه الطبري: (٢٢/٩٨)، وانظر: تفسير السمعاني: (٥/١٥٠).

(٧) أخرجه الطبري: (٢٢/٩٨) وانظر: تفسير السمرقندي: (٣/٢٧١).

عن قتادة: قال: "أي أن الرسل قد كانت قبلي"[١].

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ أي: لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم"[٢].

قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقًا على الآية السابقة: "فبين أن هذا الجنس من الناس معروف قد تقدم له نظراء وأمثال، فهو معتاد في الآدميين وإن كان قليلاً فيهم، وأما من جاءهم رسول ما يعرفون قبله رسولاً كقوم نوح فهذا بمنزلة ما يبتدئه الله من الأمور"[٤].

وقال أيضًا: "النبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام فإنه كان نبيًّا..."[٥].

سادسًا: وصفه ﷺ بما هو من خصائص البشرية، من أكل الطعام، والمشي في الأسواق، والزواج، والذرية، والحزن، والنسيان ونحو ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾[٦]

---

(١) أخرجه الطبري: (٢٢/٩٨) وانظر: فتح الباري (٨/٥٧٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٧/٢٦٧).

(٣) سورة آل عمران؛ الآية: (١٤٤).

(٤) النبوات: (٤٢).

(٥) شرح الأصفهانية: (٩٣).

(٦) سورة الفرقان؛ الآيتان: (٧-٨).

قال البغوي رحمه الله: "﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ يعنــون محمــدًا ﷺ، ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما نأكل نحن، ﴿وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ يلتمس المعاش كما نمشي، فلا يجوز أن يمتاز عنّا بالنبوة، وكانوا يقولون له: لست أنت بمَلَك ولا بملِك، لأنك تأكل، والمَلَك لا يأكل، ولست بملِك لأن الملك لا يتسوق، وأنت تتسوق وتتبذّل. وما قالوه فاسد؛ لأن أكله الطعام لكونه آدميًّا، ومشيه في الأسواق لتواضعه، وكان ذلك صفة له، وشيءٌ من ذلك لا ينافي النبوة"[١].

وقال صاحب أضواء البيان: "ذَكَرَ جَلَّ وَعَلا فِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا فِي نَبِيِّنَا ﷺ: مَا لِهَذَا الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولٌ،..... أَيْ: مَا لَهُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ كَمَا نَأْكُلُهُ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الأَكْلِ كَاحْتِيَاجِنَا إِلَيْهِ، وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ، أَيْ لاحْتِيَاجِهِ إِلَى الْبَيْــعِ وَالشِّرَاءِ، لِيُحَصِّلَ بِذَلِكَ قُوتَهُ، يَعْنُونَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ رَسُولاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَكَانَ مَلَكًا مِــنَ الْمَلائِكَةِ لا يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ، وَلا إِلَى الْمَشْيِ فِي الأَسْوَاقِ، وَادِّعَاءُ الْكُفَّارِ أَنَّ الَّــذِي يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الْمَشْيِ فِي الأَسْوَاقِ، لِقَضَاءِ حَاجَتِــهِ مِنْهَــا، لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ رسولاً، وَأَنَّ اللَّهَ لا يُرْسِلُ إِلاَّ مَلَكًا لا يَحْتَاجُ لِلطَّعَامِ وَلا لِلْمَشْيِ فِــي الأَسْوَاقِ، جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَجَاءَ فِي آيَاتٍ أيضاً تَكْذِيبُ الْكُفَّــارِ فِــي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ الْبَاطِلَــةِ".

ثم قال[٢] رحمه الله: «فَمِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قَوْلِهِمْ مِثْلَ مَا ذُكِرَ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الآيَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[٣].

وَمِنَ الآيَاتِ الَّتِي كَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِهَا فِي دَعْوَاهُمْ هَذِهِ الْبَاطِلَةِ، وَبَيَّنَ فِيهَــا أَنَّ الرُّسُــلَ

(١) تفسير البغوي: (٦/٧٣).

(٢) المصدر السابق: (٦/١٨).

(٣) سورة المؤمنون؛ الآية: (٣٣-٣٤).

يَأْكُلُونَ، وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ، وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُولَدُ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الْبَشَرِ، إلاَّ أَنَّهُ فَضَّلَهُمْ بِوَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ أَرْسَلَ لِلْبَشَرِ مَلَكًا لَجَعَلَهُ رَجُلاً، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ، لَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مَلَكًا رَسُولاً، لأَنَّ الْمُرْسَلَ مِنْ جِنْسِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، قَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ...﴾ الآية[3]، أَيْ وَلَمْ نَجْعَلْهُمْ مَلائِكَة، لأَنَّ كَوْنَهُمْ رِجَالاً وَكَوْنَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، صَرِيحٌ فِي أَنَّهُمْ لَيْسُوا مَلائِكَةً، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[4] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾[5]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ..﴾[6]))[7].

كما أشار الله عز وجل إلى حزنه ﷺ في آيات عدة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[8].

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[9].

---

(١) سورة الفرقان؛ الآية: (٢٠).

(٢) سورة الرعد؛ الآية: (٣٨).

(٣) سورة يوسف؛ الآية: (١٠٩).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٩).

(٥) سورة الإسراء الآية: (٩٥).

(٦) سورة الفرقان؛ الآية: (٧).

(٧) تفسير أضواء البيان: (١٧/٦).

(٨) سورة الحجر؛ الآية: (٨٨).

(٩) سورة الأنعام، الآية: (٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[5].

وكذا دلالة زواجه ورزقه بالولد على بشريته -كما في السير-، وبيّن أن ذلك من سنته، كما جاء من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)[6].

---

(١) سورة النحل؛ الآية: (١٢٧).

(٢) سورة الحجر؛ الآية: (٩٧).

(٣) سورة فاطر؛ الآية: (٨).

(٤) سورة الشعراء، الآية: (٣).

(٥) سورة الكهف؛ الآية: (٦).

(٦) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥/١٩٤٩)، برقم: (٤٧٧٦)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه: (٢/١٠٢٠)، برقم: (١٤٠١).

بل إن الله عز وجل زوج رسوله ﷺ من فوق سبع سموات كما كانت تفتخر بذلك زينب بنت جحش الأسدية -رضي الله عنها وأرضاها[1] إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2].

وأصابه عليه الصلاة والسلام الجوع:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: (**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**). قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا). فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**أَيْنَ فُلاَنٌ؟**). قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ. فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ؟**)، فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**)[3].

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُكْنَى أَبَا شُعَيْبٍ، فَقَالَ لِغُلاَمٍ لَهُ

---

(١) رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ من حديث أنس بن مالك ﷺ، (٢٦٩٩/٦ رقم ٦٩٨٤).

(٢) سورة الأحزاب؛ الآية: (٣٧).

(٣) رواه مسلم: كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، (١٦٠٩/٣ رقم ٢٠٣٨).

قَصَّاب: اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَدَعَاهُمْ فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**إِنَّ هَذَا قَدْ تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ فَأْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعَ**) فَقَالَ: لاَ، بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ[1].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ: قَالَتْ: نَعَمْ. فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي، وَلاَثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: (**بِطَعَامٍ؟**) فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: (**قُومُوا**) فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ**) فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ. ثُمَّ قَالَ: (**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**) فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: (**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**) فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: (**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**) فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: (**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**) فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً[2].

---

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب ما قيل في اللحام والجزار: (٧٣٢/٢ رقم ١٩٧٥)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب ما يفعل إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام، (١٦٠٨/٣ رقم ٢٠٣٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (١٣١١/٣ رقم ٣٣٨٥)، ومسلم (١٦١٢/٣ رقم ٢٠٤٠)، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه.

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أنه قال: جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِه يُحَدِّثُهُمْ وَقَدْ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ -قَالَ أُسَامَةُ: وَأَنَا أَشُكُّ- عَلَى حَجَرٍ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِه: لِمَ عَصَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ. فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِه فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ. فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ذَكَرَ سَائِرَ الْحَدِيثِ بِقِصَّتِه[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعًا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[3].

دلالة مرضه ﷺ على بشريته:

فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهْوَ يُوعَكُ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لتوعك وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**) فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**أَجَلْ**) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى: مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللَّهُ**

(١) هو نفس الحديث السابق لكن بلفظ آخر.

(٢) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق: (٢٢٨٤/٤ رقم ٢٩٧٦).

(٣) رواه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله: (٥٨٠/٤ رقم ٢٣٦٠)، وابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب خبز الشعير: (٤٤٧/٤ رقم ٣٣٤٧)، وأحمد: (٢٥٥/١)، برقم (٢٣٠٣)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢١١٩).

بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا)[1].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال: سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَرَسٍ، فَجُحِشَ[2] شِقُّهُ الأَيْمَنُ فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ، فَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَصَلَّى بِنَا قَاعِدًا، فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ قُعُودًا، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ: **(إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعُونَ)**[3].

وتداوى ﷺ من جراحه:

فقد سئل سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ ﷺ، بِأَيِّ شَيْءٍ دُووِيَ جُرْحُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِالْمَاءِ فِي تُرْسِهِ، وَكَانَتْ -يَعْنِي فَاطِمَةَ- تَغْسِلُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَأُخِذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ ثُمَّ حُشِيَ بِهِ جُرْحُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[4].

ومات ﷺ بعد ما اشتد عليه مرضه، كما في الصحيحين من حديث

---

(١) رواه البخاري: كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع...: (٢١٤٥/٥ رقم ٥٣٤٣)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن: (١٩٩١/٤ رقم ٢٥٧١)،

(٢) هو أن يُصِيبَه شيء فَيَنْسَحج منه جلدُه وهو كالخَدْش أو أكْبَر من ذلك. يقال: جُحِش يُجْحَشُ فهو مَجْحُوش وقيل: الجَحْشُ، كالمَنْعِ: سَحْجُ الجِلْدِ وقَشْرُهُ من شَيْءٍ يُصِيبُه. انظر: تهذيب اللغة (٧٣/٤) وتاج العروس (٩٤/١٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب تقصير الصلاة، باب صلاة القاعد: (٣٧٥/١ رقم ١٠٦٣)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام: (٣٠٨/١ رقم ٤١١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دواء الجرح بإحراق الحصير: (١١٠٤/٣ رقم ٢٨٧٢)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد: (١٤١٦/٣ رقم ١٧٩٠).

أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[١].

دلالة وقوع النسيان منه على بشريته فيما لا يتعلق بالرسالة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: (**يَرْحَمُهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**)[٢].

وعَنِ ابْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فَتَرَكَ آيَةً فَقَالَ: (**أَفِي الْقَوْمِ أُبَيٌّ**)؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَعَمْ. أَنُسِخَتْ آيَةُ كَذَا وَكَذَا أَمْ نَسِيتَهَا؟ فَضَحِكَ، فَقَالَ: (**بَلْ نُسِّيتُهَا**)[٣].

دلالة موته ﷺ على بشريته:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٤].

قال البغوي رحمه الله: "﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ أي: ستموت، ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ أي: سيموتون"[٥].

وقال قتادة: "نعيت إلى النبي ﷺ نفسه، ونعيت إليكم أنفسكم"[٦].

ووجه هذه الأخبار: الإعلام للصحابة بأنه يموت[٧].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة: (١/٢٤٠ رقم ٦٤٦)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر: (١/٣١٦ رقم ٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن: (٤/١٩٢٢) برقم: (٤٧٥١)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن: (١/٥٤٣) برقم: (٧٨٨).

(٣) أخرجه أحمد: (٣/٤٠٧) برقم: (١٥٤٠٢)، والنسائي في الكبرى: (٥/٦٧) برقم: (٨٢٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٧٩).

(٤) سورة الزمر، الآية: (٣٠).

(٥) تفسير البغوي: (٧/١٢٨).

(٦) تفسير القرطبي: (١٥/٢٥٤).

(٧) تفسير فتح القدير: (٦/٢٨٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله: "يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه، داعيًا إلى الله وإلى طاعته، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه. يقول جل ثناؤه: فمحمد ﷺ إنما هو -فيما الله به صانعٌ من قبضه إليه عند انقضاء مدة أجله- كسائر رسله إلى خلقه الذين مضوْا قبله، وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم"[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[3].

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما خلّدنا أحدًا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك من رسلنا"[4].

"فلا يبقى أحدٌ من ذوات الأنفس المخلوقة كائنًا ما كان"[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مات النبي ﷺ قام أبو بكر، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ. وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾، وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ

(١) سورة آل عمران؛ الآية: (١٤٤).

(٢) تفسير الطبري: (٧/٢٥١).

(٣) سورة الأنبياء؛ الآيتان: (٣٤-٣٥).

(٤) تفسير الطبري: (٨/٤٤٠)

(٥) تفسير فتح القدير: (٥/٥٣).

ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1]"[2].

تصريحه بعبوديته لله عز وجل:

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه**)[3].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلاَ تَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيَاطِينُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ**)[4].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ الْتَقَى هَوَازِنُ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلاَفٍ وَالطُّلَقَاءُ فَأَدْبَرُوا. قَالَ: (**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**) قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (**أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**) فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَقَالُوا، فَدَعَاهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: (**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟**) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لاَخْتَرْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ**)[5].

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: (١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلاً): (١٣٤١/٣ رقم ٣٤٦٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، (١٢٧١/٣ رقم ٣٢٦١).

(٤) رواه أحمد: (٢٤٩/٣ رقم ١٣٦٢١)، والنسائي في السنن الكبرى: (٧٠/٦ رقم ١٠٠٧٧)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة: (٢٥/٥ رقم ١٦٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (رقم ١٠٩٧).

(٥) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال....: (١٥٧٥/٤ رقم ٤٠٧٨)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام....: (٧٣٥/٢ رقم ١٠٥٩).

دلالة عبوديته لله تعالى بأنه ﷺ لا يملك من صفات الربوبية شيئاً:

وأما عبادته لله عز وجل، وقيامه بما كُلّف به فقد بلغ المقام الأكمل؛ كيف لا وقد أمره الله بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[1].

ومتابعة شرعه بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: (**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟**) فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ[3].

فهو ﷺ أكمل الخلق عبوديةً وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه ﷺ: (**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من الناس**)[4]، وكان يكثر أن يقول: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**)[5].

كما تضمنت هذه الدلائل الشرعية على أنه ﷺ بشر لا يملك من خصائص الربوبية والألوهية شيء.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: (٩٩).

(٢)سورة الجاثية؛ الآية: (١٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل: (١/٣٨٠) برقم: (١٠٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال: (٤/٢١٧٢) برقم: (٢٨١٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١/٢٧١ رقم ٤٤٤)، وورد بألفاظ أخرى في مسند أحمد (٥/٤٢ رقم ٢٠٤٤٧)، والنسائي في الكبرى (٩/٢١٢ رقم ١٠٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (١/٧٣٠ رقم ٢٠٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٧).

(٥) سبق تخريجه (ص ٤).

أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي: لست أملكها ولا أتصرف فيها، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ أي: ولا أقول: إني أعلم الغيب، إنما ذاك من علم الله عَزَّ وجل، لا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ أي: ولا أدعي أني ملك، إنما أنا بشر من البشر، يُوحى إليَّ من الله عَزَّ وجل، شرّفني بذلك، وأنعم عليّ به؛ ولهذا قال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ أي: لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه[2].

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله: «أمره الله تعالى أن يفوّض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾»[4][5].

قال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾: «أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما

---

(١) سورة الأنعام؛ الآية: (٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٨-٢٥٩).

(٣) سورة الأعراف؛ الآية (١٨٨).

(٤) سورة الجن؛ الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٥) تفسير ابن كثير: (٣/٥٢٣).

تفضي إليه، ولكني -لعدم علمي- قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، فهذا أدل دليل على أني لا علم لي بالغيب»[1].

وقد تقدم حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِه مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ)**[2].

«أَيْ كَوَاحِدٍ مِنْ الْبَشَرِ فِي عَدَمِ عِلْمِ الْغَيْب»[3].

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «مَعْنَاهُ: التَّنْبِيهُ عَلَى حَالَةِ الْبَشَرِيَّة. وَأَنَّ الْبَشَرَ لا يَعْلَمُونَ عَنْ الْغَيْبِ وَبَوَاطِنِ الأُمُورِ شَيْئًا، إِلاَّ أَنْ يُطْلِعَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَأَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِ الأَحْكَامِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالظَّاهِرِ، والله يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ، فَيَحْكُمُ بِالْبَيِّنَةِ وَبِالْيَمِينِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الظَّاهِرِ، مَعَ إِمْكَانِ كَوْنِهِ فِي الْبَاطِنِ خِلافَ ذَلِكَ.... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَطْلَعَهُ عَلَى بَاطِنِ أَمْرِ الْخَصْمَيْنِ فَحَكَمَ بِيَقِينِ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى شَهَادَةٍ أَوْ يَمِينٍ. لَكِنْ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّتَهُ بِاتِّبَاعِه، وَالاقْتِدَاء بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ، أَجْرَى لَهُ حُكْمَهُمْ فِي عَدَمِ الاطِّلاعِ عَلَى بَاطِنِ الأُمُورِ، لِيَكُونَ حُكْمُ الأُمَّةِ فِي ذَلِكَ حُكْمَهُ، فَأَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ عَلَى الظَّاهِرِ الَّذِي يَسْتَوِي فِيهِ هُوَ وَغَيْرُهُ لِيَصِحَّ الاقْتِدَاءُ بِهِ»[4].

قَالَ الْحَافظ: «الْمُرَاد أَنَّهُ مُشَارِك لِلْبَشَرِ فِي أَصْل الْخِلْقَة، وَلَوْ زَادَ عَلَيْهِمْ بِالْمَزَايَا الَّتِي اُخْتُصَّ بِهَا فِي ذَاته وَصِفَاته، وَالْحَصْر هُنَا مَجَازِيّ، لأَنَّهُ يَخْتَصّ بِالْعِلْمِ الْبَاطِن،

---

(١) تفسير السعدي: (٣١١/١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٩).

(٣) فتح الباري (٣٣٩/١٢).

(٤) شرح النووي: (٥/١٢).

وَيُسَمَّى قَصْرَ قَلْبٍ؛ لأَنَّهُ أَتَى بِهِ رَدًّا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَنْ كَانَ رَسُولاً فَإِنَّهُ يَعْلَم كُلّ غَيْب حَتَّى لا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمَظْلُوم»[1].

وهذا ما فهمه أصحابه رضوان الله عليهم فلم يكن أحدٌ منهم يخرج عن هذه النصوص الشرعية، لا في حياته ﷺ، ولا بعد وفاته، فهم يعلمون أنه منهم، من جنسهم أرسله الله للناس كافة، فقد قال جعفر بن أبي طالب ﷺ في محاورته للنجاشي -وقد تقدم-:... حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه...[2].

وتعلموا منه ﷺ أن لا يبتغوا مرضاة أحد غير الله؛ قالت عائشة رضي الله عنها -في قصة الإفك-: فَسُرِّيَ عَنْ رَسُول الله ﷺ وَهْوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَة تَكَلَّمَ بهَا أَنْ قَالَ: (**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**) قَالَتْ: فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[3].

وقال كعب بن مالك ﷺ في قصة توبته: فلما سلّمت على رَسُول الله ﷺ قال -وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور-: (**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**)، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قَالَ: (**لا، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله**)[4].

وهذه المسألة المتعلقة بكونه ﷺ ليس له من خصائص الربوبية والألوهية شيء سيأتي لها مزيد بيان في مناقشة قول الغلاة في الحقيقة المحمدية[5]. وكذلك في الرد على تقديسهم للنبي ﷺ[6].

---

(١) فتح الباري: (١٣/١٧٣).

(٢) أخرجه أحمد: (١/٢٠٢) برقم: (١٧٤٠)، وابن خزيمة: (٤/١٣) برقم: (٢٢٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/٩٣) برقم: (٨٢)، وصححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة.

(٣) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب حديث الإفك: (٤/١٥١٧) برقم: (٣٩١٠)، ومسلم (٤/٢١٢٩) برقم: (٢٧٧٠)، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

(٤) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك: (٤/١٦٠٧ رقم ٤١٥٣)، ومسلم (٤/٢١٢٠ رقم ٢٧٦٩)، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(٥) انظر: (ص ٧٠).

(٦) انظر: (ص ١٣٤).



المبحث الثاني

الكلام في مادة خَلْقه ﷺ وأقوال المخالفين في ذلك

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بطلان القول أن رسول الله ﷺ أول المخلوقات.

المطلب الثاني : بطلان القول بما يسمى بالحقيقة المحمدية.

المطلب الثالث: هل له ظل عليه الصلاة والسلام أم لا؟.

المطلب الأول
بطلان القول أنّ رسول الله ﷺ أوّل المخلوقات

تقدم في المبحث السابق ما ورد من نصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دالة على بشريته ﷺ، ومع وضوح هذا الأمر إلا أنه ضل فيه فئام من الناس!، فوقعوا فيما حذر منه رسول الله ﷺ من الغلو في الإطراء واتباع سَنَن من كان قبلهم من الأمم السابقة.

فزعم غلاة من الصوفية خاصة أن النبي ﷺ هو أول مخلوق خلقه الله تعالى، ثم بنوا على هذا الأساس الباطل الكثير من اللوازم الباطلة كما سيأتي بيانه إن شاء الله في المطلب التالي(١).

ولما كان بيان بطلان هذا القول يهدم جميع تلك اللوازم الباطلة فقد قدمته نظرًا لأهميته، وقبل بيان بطلان القول بأن رسول الله ﷺ هو أول المخلوقات يجدر ذكر أقوال القائلين بهذا القول وذكر أدلتهم على ذلك.

أولاً: يعتقد الصوفية وخاصة الغلاة منهم بأن محمداً ﷺ هو أول مخلوق خلقه الله ﷻ(٢).

وفيما يلي بعض النصوص من كتبهم ودلالتها على ذلك:

يقول الحلاج(٣): "...كان مشهورًا قبل الحوادث والكوائن والأكوان و لم يزل، كان

(١) انظر: المطلب التالي بعنوان: الحقيقة المحمدية.

(٢) انظر: الفتوحات المكية: (١/١٩٦)، والخصائص الكبرى للسيوطي: (١/٩)، وشرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للأهدل: (١٨).

(٣) هو الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث نُسب إلى الحلول والزندقة وإلى الشعوذة، وكان مرتكباً للعظائم، يدعي عند أصحابه الإلهية، ويقول بالحلول، ويظهر التشيع للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، وفي تضاعيف ذلك يدعي أن الإلهية حلت فيه، تعالى الله وتقدس عما يقول. وفي سنة إحدى وثلاث مئة أدخل الحلاج بغداد مشهوراً على جمل، قبض عليه بالسوس، وحمل إلى الرائشي فبعث به إلى بغداد، فصلب حيًّا، ونودي عليه: هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه. وفي قول أنه صلب وحرِّق، وكان هلاكه سنة ٣٠٩هـ.
=

قبل القبل، وبعد البعد، والجواهر والألوان،...هو الأول في الوصلة، وهو الآخر في النبوة، والباطن في الحقيقة، والظاهر بالمعرفة،.."[1].

وذهب ابن عربي[2]: إلى أن النبي ﷺ وُجد -أي خُلق- من نور الله، وأنه أول موجود، حيث يقول: "فلما أراد وجود العالَم، وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضربِ تَجَلٍ من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية، انفعل عنها حقيقة تسمى: الهباء، هي بمنزلة طرح البنَّاء الجصَّ ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور، وهذا هو أول موجود في العالم، وقد ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهل بن عبد الله رحمه الله[3] وغيرهما من أهل التحقيق أهل الكشف والوجود، ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء ويسمونه أصحاب الأفكار: الهيولي[4] الكل، والعالم

=

انظر: سير أعلام النبلاء: (٣١٣/١٤)، وصلة تاريخ الطبري: (ص٧٩)، وطبقات الصوفية: (ص٣٠٧-٣١١).

(١) أخبار الحلاج؛ طاسين السراج: (ص٨٢)، وانظر: الحلاج الأعمال الكاملة (ص ١٦٢).

(٢) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد سنة ٥٦٠هـ، أحد مشاهير الصوفية، وعرف بالشيخ الأكبر، كان يقول بالاتحاد وكتبه مليئة بالزندقة، والراجح في أمره هو الكفر والزندقة، توفي سنة ٦٣٧هـ. انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٩٠/٥)، وتنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، للبقاعي (ص١٧٨)، وتاريخ التصوف (ص٤١).

(٣) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال. له كتاب في تفسير القرآن مختصر، وكتاب "رقائق المحبين" وغير ذلك، مات سنة ١٧٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٠/١٣)، وحلية الأولياء (١٨٩/١٠)، والأعلام للزركلي (١٤٣/٣).

(٤) الهيولي: من اصطلاحات الفلاسفة، ويعنون بها: الجسم مجردًا من الأعراض، وهو مجرد خيال لا حقيقة له، يقول ابن حزم في الفصل: ((وأما الهيولي فهو الجسم نفسه الحامل لأعراضه كلها، وإنما أفردته الأوائل بهذا الاسم إذ تكلموا عليه مفرداً في الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولاً في الكلام عليه خاصة عن أعراضه، وإن كان لا سبيل إلى أن يوجد

=

كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء، على حسب قوته واستعداده، كما تقبل زوايا البيت نور السراج، وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوؤه وقبوله، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1] فشبه نوره بالمصباح، فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي، ومن الهباء، ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وُجد عينه، وعين العالم من تجلّيه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب، وأسرار الأنبياء أجمعين.."[2].

ويقول الدباغ[3] وهو يصف النبي ﷺ: "وإنّه أوّل ما خلق الله تعالى وسقى المخلوقات والأنبياء والأولياء والمؤمنين من نوره عليه الصلاة والسلام، كلٌّ على قدره"[4].

ويقول صاحب منهاج الراغبين: "والحقيقة المحمدية والروح المحمدي أول موجود

= خالياً عن أعراضه ولا متعرياً منها أصلاً، ولا يتوهم وجوده كذلك، ولا يتشكل في النفس، ولا يتمثل ذلك أصلاً، بل هو محال ممتنع جملة، كما أن الإنسان الكلي وجميع الأجناس والأنواع ليس شيء منها غير أشخاصه فقط، فهي الأجسام بأعيانها إن كان النوع نوع أجسام، وهي أشخاص الأعراض إن كان النوع نوع أعراض ولا مزيد؛ لأن قولنا: الإنسان الكلي يزيد النوع إنما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء أخر)).

انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٥/٤٦).

(١) سورة النور، جزء من الآية: (٣٥).

(٢) الفتوحات المكية: (١/١٦٩).

(٣) هو عبد العزيز بن مسعود، المعروف بالدباغ، صوفي من أهل القرن الثاني عشر (١٠٩٠-١١٣٢هـ) وليس من أهل العلم ويُزعم أنه من العباد، وقد نسب له أحمد بن مبارك اللَمَطي من العلماء (ت١١٥٦هـ) كان معاصراً له في الإبريز كثيراً من الأقوال المنحرفة. انظر: فهرس التيمورية: (٣/٩٧)، ومعجم المؤلفين: (٥/٢٦٣).

(٤) الإبريز للدباغ: (ص ٢٥٣).

أبدعه الله تعالى وأوجده، وهو الخليفة الأكبر والسر الأعظم..."[1].

أدلتـــهم:

يستدل الصوفية على مزاعمهم السابقة بأحاديث موضوعة مكذوبة، لا تجوز نسبتها إلى رسول الله ﷺ، منها:

١- ما يرويه سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة ﷺ أن نـــبي الله ﷺ قال: (كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث)[2].

وبلفظ: **(كنت أول الناس في الخلق وآخرهم في البعث)**[3].

فهذا الحديث لا تصح نسبته إلى رسول الله ﷺ سندًا ولا متنًا.

أما من حيث السند:

فقد ضعفه الحافظ ابن كثير في تفسيره وقال: "وقد رواه سعيد بن أبي عرِوبة، عـــن قتادة، به مرسلاً، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم))[4].

قال صاحب الكامل في الضعفاء: "يرويه عن قتادة: سعيد بن بـــشير وخليـــد بـــن دعلـــج"[5].

فأما خليد بن دعلج[6] فقد ضعفه غير واحد.

فقد سئل عنه الإمام أحمد فقال: "ضعيف الحديث"[7].

---

(١) منهاج الراغبين لمحمد نور: (ص٤١).

(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين: (٣٤/٤) بـــرقم: (٢٦٦٢)، وابـــن عـــدي في الكامـــل: (٣٧٣/٣)، وتمام في فوائده (١٥/٢) برقم: (١٠٠٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (١٤٩/١)، وابـــن عـــدي في الكامـــل في الـــضعفاء: (٤٩/٣).

(٤) تفسير ابن كثير: (٤٧٠/٣).

(٥) الكامل في الضعفاء: (٣٧٣/٣).

(٦) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال: (٣٠٧/٨)، والجرح والتعديل: (٣٨٤/٣).

(٧) العلل ومعرفة الرجال: (٥٦/٣) برقم: (٤١٥٠)، والجرح والتعديل: (٣٨٤/٣).

وقال عنه يحي بن معين: "ضعيف الحديث"[1]. وقال مرة: "ليس بشيء"[2].

وقال النسائي: "ليس بثقة"[3].

وقال أبو حاتم الرازي: "صالح، ليس بالمتين في الحديث، حدّث عن قتادة أحاديث بعضها منكرة"[4].

وذكره الدارقطني في جماعة من المتروكين[5].

وضعفه الذهبي[6].

ورجح ابن حجر ضعفه[7].

أما سعيد بن بشير[8]: فقد ضعفه غير واحد.

فقد قال عنه ابن نمير: "منكر الحديث، ليس بشيء، ليس بقوي الحديث، يروي عن قتادة المنكرات"[9].

وكان عبد الرحمن بن مهدي يحدّث عنه، ثم تركه[10].

وضعفه أحمد بن حنبل[11].

وقال يحيى بن معين: "سعيد بن بشير ليس بشيء"[12].

---

(١) كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/٣٨٤).

(٢) تاريخ ابن معين برواية الدوري: (٤/٤٣٢) برقم: (٥١٥٠)، والجرح والتعديل: (٣/٣٨٤).

(٣) الضعفاء والمتروكين للنسائي: (ص ٣٦) برقم: (١٧٥).

(٤) الجرح والتعديل: (٣/٣٨٤).

(٥) الضعفاء والمتروكين للدارقطني: (ص ١٨) برقم: (٢٠١).

(٦) ميزان الاعتدال: (٥/١٤٧).

(٧) تقريب التهذيب: (ص ١٩٥) برقم: (١٧٤٠).

(٨) انظر ترجمته في تهذيب الكمال: (١٠/٣٤٨)، والمجروحين لابن حبان: (١/٣١٩).

(٩) الجرح والتعديل: (٤/٦).

(١٠) الضعفاء الكبير للعقيلي: (٢/١٠٠).

(١١) الجرح والتعديل: (٤/٦).

(١٢) تاريخ ابن معين برواية الدوري: (٤/٩٤) برقم: (٣٣١٩).

وقال أبو زرعة الدمشقي: "رأيت أبا مسهر يحدثنا عن سعيد بن بشير، ورأيته عنده موضعاً للحديث"[١].

وقال النسائي: "ضعيف"[٢].

وقال ابن حبان: "كان رديء الحفظ، فاحش الخطأ، يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه"[٣].

وقَال البخاريّ: "يتكلمون في حفظه، وهو يحتمل"[٤].

وقال الحافظ: "ضعيف"[٥].

قال الألباني رحمه الله: "قلت :وهذا سند ضعيف، وله علتان:

الأولى: عنعنة الحسن.

الثانية: سعيد بن بشير، قال الحافظ: ضعيف.

وخالفه أبو هلال فقال: عن قتادة، مرسلاً، فلم يذكر فيه الحسن عن أبي هريرة"[٦].

ومما تقدم يتضح أنه لا يجوز نسبة هذا الحديث إلى النبي ﷺ؛ لعدم ثبوته من حيث السند.

وأما عدم صحته من حيث المتن.

فإن الشطر الأول من الحديث وهو قوله: **(أول النبيين في الخلق)** وفي رواية **(أول الناس في الخلق)** مخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية، وهو ضرب من التخمين، وقولٌ على الله بغير علم، وقد وبَّخ الله مَنْ هذا سبيله بقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٤/٧).

(٢) الضعفاء والمتروكين للنسائي: (ص ٥٢) برقم: (٢٦٧).

(٣) المجروحين: (١/٣١٩) برقم: (٣٩٢).

(٤) الضعفاء للبخاري: (ص ٤٩) برقم: (١٣١)، وانظر: الكاشف للذهبي: (١/٤٣٢) برقم: (١٨٥٨).

(٥) تقريب التهذيب: (ص ٢٣٤).

(٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/١١٥).

وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[1].

فالذي ثبت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ خلاف ذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأوّل: أنّ النبيّ ﷺ ليس أوّل المخلوقات، بل إنّ أوّل المخلوقات لم يكن بشرًا ويدلّ على ذلك:

ما ثبت في تقرير أوّل ما خلق الله؛ ففي: حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنّ أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: ربّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلّ شيء حتى تقوم السّاعة**)[2].

يقول ابن أبي العز[3] في شرح الطحاوية: "واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمذاني[4]، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**)، قال: (**وعرشه على الماء**)[5].

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا. ولا يخلو قوله: (**أول ما خلق الله القلم**)، إلخ - إما أن يكون جملة أو

---

(١) سورة الكهف؛ الآية: (٥١).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الإيمان، باب القدر: (٤/٢٢٥)، برقم: (٤٧٠٠)، والترمذي، كتاب القدر، بابٌ: (٤/٤٥٧)، برقم: (٢١٥٥)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٥/٤٢٤).

(٣) هو العلامة صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، توفي سنة ٧٩٢هـ.

انظر: شذرات الذهب: (٦/٣٢٦)، والأعلام للزركلي: (٧/٢٩٠).

(٤) هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن سهل العطار، شيخ همذان، وإمام العراقيين في القراءات، توفي سنة ٥٦٩هـ.

انظر: غاية النهاية في طبقات القراء: (١/٢٠٤)، والأعلام للزركلي: (٢/١٨١).

(٥) رواه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: (٤/٢٠٤٤) برقم: (٢٦٥٣).

جملتين. فإن كان جملة -وهو الصحيح- كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: (**اكتب**). كما في اللفظ: (**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**) بنصب (**أوّلَ**) و(**القلمَ**). وإن كان جملتين، وهو مروي برفع (**أولُ**) و(**القلمُ**)، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم. وفي اللفظ الآخر: (**لما خلق الله القلم قال له: اكتب**)"[١].

وفي الصحيح من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**)[٢].

الوجه الثاني: ما جاء في كتاب الله مصرّحًا بوجود الملائكة وأبي الجن قبل خلق أبي البشر آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٣].

فثبت بهذا بطلان دعوى كون النبيّ ﷺ أوّل المخلوقات على الإطلاق، وبقي دعواهم الآخر في أنّه ﷺ أوّل من خلق من البشر، وأنّه خلق من مادة خاصة، وبيان بطلان ذلك في:

الوجه الثالث: وذلك بما ثبت أنّ أوّل من خُلق من البشر هو آدم عليه السلام، وأن مادة خلقه من طين لازب، ونفخ فيه من روحه ثمّ جعله بشرًا سويًّا، وجعل ذريته من سلالة من ماء مهين.

---

(١) شرح الطحاوية؛ لابن أبي العز الحنفي: (١/٢٤١-٢٤٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ "الروم: ٢٧": (٤/١٠٥) برقم: (٣١٩١).

(٣) سورة البقرة؛ الآية: (٣٤).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(4).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(5).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾(6).

---

(1) سورة البقرة؛ الآيات: (٣٠-٣٤).

(2) سورة ص؛ الآيتان: (٧١-٧٢).

(3) سورة ص؛ الآية: (٧٥).

(4) سورة الفرقان؛ الآية: (٥٤).

(5) سورة المؤمنون؛ الآيات: (١٢-١٤).

(6) سورة الطارق؛ الآيات: (٥-٧).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾[(١)].

فثبت بهذه الآيات أنّه لا استثناء في وحدة أبوة آدم لجميع البشر، كما قررت الآيات كذلك أنّه لا استثناء في مادة الخلق للبشر، فإنّ هذه الآيات وردت مورد الامتنان وذكر نعمة الله على البشر، وبيان قدرته على إعادتهم بعد هذه الحياة، فلو كان هناك استثناء لذكر ذلك إمّا في موارد الامتنان، وإمّا في بيان قدرته على الخلق.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "والنبي ﷺ خلق مما يخلق منه البشر، و لم يخلق أحد من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**)[(٢)]، وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط، بل قد يخلق المؤمن من كافر، والكافر من مؤمن، كابن نوح منه، وكإبراهيم من آزر.

وآدم خلقه الله من طين، فلما سواه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وفضله عليهم بتعليمه أسماء كل شيء، وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك، فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور"[(٣)].

ثم بين رحمه الله أن لكل آدمي أحوالاً تخصه، وهو ما حصل لرسول الله ﷺ. والآدمي خلق من نطفة، ثم من مضغة، ثم من علقة، ثم انتقل من صغر إلى كبر، ثم من دار إلى دار، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله[(٤)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود،**

---

(١) سورة السجدة؛ الآية: (٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة: (٤/٢٢٩٤)، برقم: (٢٩٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى: (١١/٩٤-٩٥).

(٤) انظر: المرجع السابق: (١١/٩٥).

وبين ذلك، والسهل والحزْن، والخبيث والطيب، وبين ذلك)[1].

وفي حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده...**)[2].

وفي رواية عند مسلم: (... **فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده...**)[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع إلى ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه: ورحمة الله، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**)[4].

وعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/٤٠٠) برقم: (١٩٥٩٧)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر: (٤/٢٢٢) برقم: (٤٦٩٣)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة: (٥/٢٠٤) برقم: (٢٩٥٥)، وابن حبان: (١٤/٢٩) برقم: (٦١٦٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع: (١٧٥٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله عز وجل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (٤/١٦٢٤) برقم: (٤٢٠٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ...﴾: (٣/١٢١) برقم: (٣١٦٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: (١/١٨٤) برقم: (١٩٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام: (٥/٢٢٩٩) برقم: (٥٨٧٣)، ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير: (٤/٢١٨٣) برقم: (٢٨٤١) وهذا لفظ مسلم.

إلاّ في يوم الجمعة)[1].

ولا يتصور صحة نسبة القول بأنّ النبي ﷺ أوّل الأنبياء في الخلق، فإنّ أول الأنبياء بلا مرية هو آدم ؈، وهو أبو البشر مطلقاً، فكيف يتصور أن يكون حفيده بعد مئات الأجيال: محمد بن عبد الله قد خلق قبل جده الأول.

٢- من الأحاديث التي يستدلون بها:

حديث أبي هريرة ﭬ قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: **(وآدم بين الرّوحِ والجسد)**[2].

وحديث ميسرة الفجر[3] ﭬ قال: قلت: يا رسول الله متى كُتبت نبيًّا؟ قال: **(وآدم عليه السلام بين الروح والجسد)**[4].

وحديث العرباض بن سارية ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إني عند اللّه لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته...)** الحديث[5].

وفي رواية: **(إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته)**[6].

وفي رواية: **(إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته)**[7].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة: (٢/٥٨٥) برقم: (٨٥٤).

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ: (٥/٥٨٥) برقم: (٣٦٠٩)، والحاكم في المستدرك: (٢/٦٦٥) برقم: (٢١١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٨٥٦).

(٣) ميسرة الفجر أبو بُديل العُقَيلي، له صحبة، اسمه: عبد الله بن أبي الجدعاء، وميسرة لقب له. انظر: أسد الغابة: (٣/٥٢).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٧/٦٠)، وأحمد في المسند: (٥/٥٩) برقم: (٢٠١٦٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/٢٢٣): «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٤٥٨١)، والسلسلة الصحيحة برقم: (١٨٥٦).

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (١/١٤٩)، وأحمد في المسند: (٤/١٢٧) برقم: (١٧١٩٠)، والبزار في مسنده: (١٠/١٣٥) برقم: (٤١٩٩).

(٦) رواه أحمد في المسند: (٤/١٢٨) برقم: (١٧٢٠٣)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٢/٦٥٦) برقم: (٤١٧٥)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (٢٠٨٥).

(٧) رواه ابن حبان: (١٤/٣١٢) برقم: (٦٤٠٤)، وصححه الألباني في المشكاة: (٣/٢٥١) برقم: =

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الحكم على هذا الحديث[1]، وعلى القول بصحته فقد بين العلماء معاني هذه الأحاديث بما يقرر أنّه ليس فيها شيء من مزاعم الصوفية، بل إنّها تنص على بطلانها، وممّن بيّن معاني هذه الأحاديث: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عدة مواضع، ومن أهمّ تلك المعاني:

أن ثبوت الشيء في العلم والتقدير غير ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلاً، وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**)[2].

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: (**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**)[3].

وقال ابن عباس: "إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون، ثم قال لعلمه: كن كتاباً فكان كتاباً"[4].

=

(٥٧٥٩) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره». انظر: صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط: (٣١٢/١٤) برقم: (٦٤٠٤).

(١) قلت: قد أطلق الألباني تضعيفه في موضع وقواه في مواضع أخرى:

حيث ضعفه: في السلسلة الضعيفة برقم: (٢٠٨٥)، وضعيف الجامع برقم: (٢٠٩١)، وقواه في موضع آخر ففي المشكاة: (١٦٠٤/٣) قال: «حديث صحيح» ولم يذكر: (**وكذلك أمهات النبيين يرين**) وحسنه في صحيح الجامع: (١٢٣/١) برقم: (٢٢٢/٨٠)، وتقدم تصحيح الأرناؤوط له.

(٢) تقدم تخريجه: (ص ٤٨).

(٣) تقدم تخريجه: (ص ٤٨).

(٤) رواه الصنعاني في تفسيره: (٣٣٨/٢)، والطبري في تفسيره: (١٧١/١٣) عن ابن عباس عن كعب الأحبار.

ثم أنزل تصديق ذلك في كتابه فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(١)].

والمقصود هنا: أن الله سبحانه وتعالى كتبه نبيًّا بعد خلق آدم قبل نفخ الروح فيه[(٢)].

وقال أيضاً[(٣)]: "وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المَصدوق قال: (**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وعلمه وأجله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**)"[(٤)].

فلما أخبر الصادق المصدوق أن الملك يكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح، وآدم هو أبو البشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه، ومحمد ﷺ سيد ولد آدم، فهو أعظم الذرية قدرًا وأرفعهم ذكرًا.

فأخبر ﷺ أنه كُتب نبيًّا حينئذ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته؛ فإنه كون في التقدير الكتابي ليس كونًا في الوجود العيني، إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره، كما قال تعالى له: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا

---

(١) سورة الحج؛ الآية: (٧٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٤٦/٢).

(٣) في مجموع الفتاوى: (١٤٨/٢) بتصرف يسير.

(٤) رواه البخاري: (١١٧٤/٣)، برقم: (٣٠٣٦)، ومسلم: (٢٠٣٦/٤)، برقم: (٢٦٣٤).

كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1].

وقال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[2].

ولذلك جاء هذا المعنى مفسّرًا في حديث العرباض بن سارية ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته...**)[3].

كذلك استدلوا بكون النبي ﷺ أول الخلق، برواية لا أصل لها -ذكرها ابن عربي- وهي قوله: (**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**)[4].

قال ابن تيمية عن هذه الرواية: "وأما ما يرويه هؤلاء الجهال كابن عربي في الفصوص وغيره من جهال العامة: (**كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين**) (**كنت نبيًّا وآدم لا ماء ولا طين**) فهذا لا أصل له، ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ، بل هو باطل، فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طينًا، وأيبس الطين حتى صار صلصالاً كالفخار، فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والطين، ولو قيل: بين الماء والتراب لكان أبعد عن المحال، مع أن هذه الحال لا اختصاص لها وإنما قال: (**بين الروح والجسد**) وقال: (**وإن آدم لمنجدل في طينته**)؛ لأن جسد آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[5]، الآيتين.

---

(١) سورة الشورى؛ الآية: (٥٢).

(٢) سورة يوسف؛ الآية: (٣).

(٣) تقدم تخريجه: (ص ٥٣).

(٤) ذكره الصغاني في: الدر الملتقط: (ص ٤٣)، وقال: «ليس بحديث، وهذا كلام عطاء بن أبي رباح». وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (١٤٧/٢): «لا أصل له ... بل هو باطل».

(٥) سورة الإنسان، الآية: (١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ﴾[1]، الآية.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[2] الآية"[3].

وقال أيضاً: "... لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ، وهو باطل، فإنه لم يكن بين الماء والطين، إذ الطين ماء وتراب، ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدَّرها"[4].

وقال أيضاً: "فهذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل، فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً، وأن ذاته خلقت قبل الذوات"[5].

ثانياً: يعتقد الصوفية الغلاة أن مادة خلق النبي ﷺ هي نور من نور الله تعالى[6].

أدلتهم:

استدل الصوفية على أنه ﷺ خلق من نور الله تعالى بما يلي:

١- ما في مصنف عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: **(يا جابر، إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله**

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: (٢٨).

(٢) سورة السجدة؛ الآية: (٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (١٤٧/٢).

(٤) مجموع الفتاوى: (٢٣٨/٢).

(٥) تلخيص كتاب الاستغاثة: (٦٥/١).

(٦) انظر: الفتوحات المكية: (١١٩/١)، والإنسان الكامل للجيلي: (٤٦/٢)، والأنوار ومصباح السرور والأفكار للبكري: (ص٤)، ورسالة صلاة الصفا للبريلوي: (٣٣/١).

تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قَسّم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسم الجزء الرابع: أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول: حملة العرش، ومن الثاني: الكرسي، ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول: السموات، ومن الجزء الثاني: الأرضين، ومن الثالث: الجنة والنار، ثم قسم الجزء الرابع إلى أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله، ومن الثالث: نور أنسهم، وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً، فتقطرت منه مائة ألف قطرة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي رسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله آدم من الأرض وركّب فيه النور وهو الجزء الرابع، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله، ومنه إلى وجه أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا، فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين. هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر)[1].

---

(١) أورده الدياربكري في "تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس": (ص ٢٠)، والعجلوني في كشف الخفاء: (٣١١/١). وجزم عدد من المتأخرين بوضعه ولم يكن معروفاً عند المتقدمين، وهو قد نسب زورًا لمصنف عبد الرزاق وليس فيه. انظر: الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين: =

٢- ما رواه علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: **(كنت نورًا بين يدي ربي قبل أن يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عام)**[١].

وكذلك أضافوا إلى هذين الدليلين عدة أدلة، منها:

١- قالوا: مما يثبت هذه النورانية: قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[٢]. فقد قال المالكي: أن المراد بالنور هو محمد ﷺ، وكذا في تفسير

=

(ص ٣٤٣)، ورسالة النور المحمدي: (ص ٤٦-٥٣).

وقد حكم بوضعه وعدم صحة نسبته لمصنف عبد الرزاق عدد من العلماء على اختلاف مشاربهم، منهم:

- أحمد الصديق الغماري في كتابه "المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير" انظر: (ص٤) و"در الغمام الرقيق": (ص٩٩).

- عبد الله بن الصديق االغماري "مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر". انظر: (ص ٣).

ومن علماء أهل السنة والجماعة:

- محمد بن أحمد بن محمد الشقيري في كتابه "السنن والمبتدعات". انظر: (ص ٩٣).

- محمد بن أحمد بن عبد القادر الشنقيطي في كتابه "تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق". انظر: (ص ٨).

- سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في تقديمه لرسالة الشنقيطي: (ص ٣)، و"مجموع فتاويه": (١٢٩/٢٥).

- العلامة ناصر الدين الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٨٢٠/١) عند الكلام على حديث: (خلقت الملائكة من نور).

(١) أورده الدياربكري في "تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس": (ص ٢١)، والعجلوني في "كشف الخفاء": (٢٦٦/١). ولم أجده في كتب السنة عامة لا الصحيحة ولا الضعيفة ولا الموضوعة، فلا أصل كما قال الزركشي. انظر: هامش "إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال...": (١١٩/٣)، وقال عنه صاحب كتاب "مرشد الحائر": "هو كذب". انظر: "مرشد الحائر": (ص ٤).

(٢) سورة المائدة؛ الآية: (١٥).

الطبري، والقرطبي[1].

وقالوا أيضاً: "مما يدل على هذه النورانية: ما ثبت بالطرق المستفيضة من أنه ﷺ لما وُلد رأت أمه نورًا وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام"[2].

وقالوا أيضاً: ومما يثبت هذه النورانية: ما جاء في حديث الطبراني[3]: ورأينا كأن النور يخرج من فيه[4].

وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه[5].

وكذا استدلوا بما جاء عن هند بن أبي هالة[6] عند الترمذي في الشمائل[7] في وصفه ﷺ إذ قال: "له نور يعلوه[8]"[9].

---

(١) الإنسان الكامل للمالكي: (ص ٢٠-٢٢).

(٢) أخرجه أحمد: (٥/٢٦٢) برقم: (٢٢٣١٥)، والحاكم في المستدرك: (٢/٦٠٠)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٢٠٩٣)، والطيالسي في مسنده برقم (١١٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (١٥٤٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٨/٣) برقم: (٢٠١٨) من حديث أبي قرصافة ﷺ وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/٢٨٠): "فيه من لم أعرفهم".

(٤) انظر: الإنسان الكامل للمالكي: (ص ٢٠-٢٢)

(٥) أخرجه الدارمي: (١/٤٤) برقم: (٥٨)، والطبراني في المعجم الأوسط: (١/٢٣٥) برقم: (٧٦٧)، والبيهقي في الدلائل (١/٢١٥)، قال الهيثمي في الزوائد (٨/٢٧٩): "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت، وهو ضعيف".

(٦) هو هند بن أبي هالة التميمي ربيب النبي ﷺ، أمه خديجة زوج النبي ﷺ، روى عن النبي ﷺ، يقال: إن له صحبة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/٥٥٧).

(٧) (ص ٣٦).

(٨) أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث: (١/٥٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/١٥٥) برقم: (٤١٤)، والبيهقي في دلائل النبوة: (١/٢١٥)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: (٤٤٧٠).

(٩) الإنسان الكامل للمالكي: (ص٢٠-٢٢)

هذه مجمل أدلة القوم في استدلالهم أن مادة خلق النبي ﷺ هي نور من نور الله.

أما عن الحديثين الأولين فهما موضوعان على رسول الله ﷺ، لا تصح نسبتهما إليه ﷺ.

فالحديث الأول: موضوع مكذوب عليه ﷺ، وعزْوه إلى مصنف عبد الرزاق خطأ، لأنه لا يوجد في مصنفه، ولا في جامعه، ولا في تفسيره، وروي بلا إسناد، وقد جزم عدد من المتأخرين بوضعه مع اختلاف مشاربهم لأن الحديث وضع متأخرًا لم يعرفه المتقدمون[1].

وكذا الحديث الثاني: مكذوب موضوع[2].

وأما ما استدل به بعض هؤلاء الغلاة من أدلة جعلوها بمثابة التأييد لحديث جابر رضي الله عنه:

فالجواب عنها: أن هذه الأدلة في حقيقتها هي خارجة عن موضع الاستدلال، فليس فيها ما يدل على أن النبي ﷺ كان خلق من نور.

فالآية لم يفسرها أحد من أئمة التفسير بما ذهبوا إليه، فقد قال الطبري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[3]:

"يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: ﴿قَدْ جَآءَكُم﴾، يا أهل التوراة والإنجيل ﴿مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾، يعني بالنور: محمدًا الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق: تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب"[4].

---

(١) انظر: مرشد الحائر: (ص ٣)، وموضوعات الصغاني: (ص ٢٥)، ووافقه العجلوني في كشف الخفاء: (٢/٢٣٢).

(٢) انظر: مرشد الحائر: (ص ٩).

(٣) سورة المائدة؛ جزء من الآية: (١٥).

(٤) تفسير الطبري: (٦/١٦١).

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم، فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[1]، أي طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة"[2].

وقال القرطبي: "أي ضياء، قيل: الإسلام. وقيل: محمد عليه السلام. عن الزجاج: ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾. أي القرآن، فإنه يبين الأحكام.."[3].

وقال الشوكاني: "قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ جملة مستأنفة مشتملة على بيان أن محمدًا ﷺ قد تضمنت بعثته فوائد غير ما تقدم من مجرد البيان، قال الزجاج: النور: محمد ﷺ، وقيل: الإسلام، والكتاب المبين: القرآن، فإنه المبين.."[4].

قلت: ثم إن وصفه ﷺ بالنور لم يختص به، بل شاركه غيره بهذا الوصف، وهي في الحقيقة قد دل العقل والحس على أن ذواتها ليست نور حقيقة، فدل على أن المراد هو المعنى المعنوي،ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن

(١) سورة المائدة؛ الآيتان: (١٥-١٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/٦٨).

(٣) تفسير القرطبي: (٦/١١٨).

(٤) فتح القدير: (٢/٢٣).

(٥) سورة الصف؛ الآية: (٨).

ذِكْرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(٤)].

ويؤكد أن المراد بالنور الموصوف به النور المعنوي أنه ﷺ كان يقول في دعائه: (**اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً**)[(٥)].

كما أن الأحاديث التي استدلوا بها منها ما يدل على التشبيه وليس على الحقيقة كقول ابن عباس رضي الله عنهما: (**إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه**)[(٦)].

وأما قصة ولادته فقد قال ابن رجب: "وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما

---

(١) سورة الزمر؛ الآية: (٢٢).

(٢) سورة المائدة؛ الآية: (٤٤).

(٣) سورة المائدة؛ الآية: (٤٦).

(٤) سورة الحديد؛ الآية: (١٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل: (٥/٢٣٢٧) برقم: (٥٩٥٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: (١/٥٣٠) برقم: (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) سبق تخريجه (ص ٦٤)، وهو ضعيف.

يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها،كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2]"[3].

وقال ابن كثير: "وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته بـــبلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينـــزل عيسى بـــن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها"...الخ[4].

وكون الله أظهر نوراً عند ولادته لا يدل بحال على أنه خلق من نور، بل دلالتـــه: تكريم الله لهذا المولود الذي يتحقق به نشر الهداية والرشاد لجميع العالمين.

---

(١) سورة المائدة؛ الآيتان: (١٥-١٦).

(٢) سورة الأعراف؛ الآية: (١٥٧).

(٣) لطائف المعارف: (ص ٨٩).

(٤) تفسير ابن كثير: (١/٤٤٤).

المطلب الثاني
بطلان القول بالحقيقة المحمدية

تعريفها: عُرفت الحقيقة المحمدية بعدة تعاريف، وفيما يلي مجمل هذه التعاريف.

يقول القاشاني[1]: الحقيقة المحمدية: هي: "الذات مع التعين الأول، فله الأسماء الحسنى كلها، وهو الاسم الأعظم"[2].

وقيل: "هي ما استودعه الإنسان من لطيفة زائدة على الروح والحيوني، وهي نور سار في الذات، تعرفها السبل وتعلمها ما لم تكن تعلم، والحقيقة المحمدية ضامة لجميع الذوات، هادية بأمر الله، لا تحدث أمراً إلا بإذنه، وهي قديمة قدم الخالق دون إيجاد، إذ هي الوجه المتعين للنور الأول"[3].

وقيل: "مصطلح الحقيقة المحمدية يقوم على اعتقاد مفاده: هي أنه ﷺ هو مبدأ خلق العالم؛ إذ هو النور الذي خلقه الله عز وجل قبل كل شيء، وخلق منه كل شيء"[4].

ويرجع هذا التنوع في التعاريف لاختلاف زاوية الناظر إليها، فعرفت تارة على أساس أنها أول الموجودات وأول التجليات، وتارة على أساس أن لها حقيقتين ظاهرة وباطنة، أو مادية وروحية، وتارة على أساس أزليتها وقدمها، وتارة على أنها جامعة لحقائق الوجود، إلى غير ذلك مما هو مسطّر في كتبهم.

كما يلاحظ أن هذه التعاريف لم تكن جامعة لكل ما عند القوم من غلوٌ في ذات

---

(١) هو عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (أو الكاشاني أو القاشاني) صوفي مفسر، توفي سنة ٧٣٠هـ. انظر: الأعلام: (٣/٣٥٠).

(٢) اصطلاحات الصوفية: (ص ٨٠)، والتعريفات للجرجاني: (ص ٩٠).

(٣) النصوص في مصطلحات التصوف الفلسفي لمحمد غازي عرابي: (ص ٩٩).

(٤) معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، محمد العدلوني: (ص ٨٧).

النبي ﷺ، فقد مُلئت كتبهم بالكثير من المعاني والأوصاف المنسوبة للحقيقة المحمدية.

والسؤال الأهم هنا: ماذا يقصدون بهذه الحقيقة المحمدية؟

الجواب: إن من أبرز مقاصدهم بهذه الحقيقة المزعومة: قولهم: إنّ النبي ﷺ خُلق من الذات الإلهية، أو أنه يعتبر جزءًا أو مساويًا للذات الإلهية، على اختلاف عباراتهم في ذلك.

وهو على صورة الله من جميع الوجوه -تعالى الله عما يقولون- وأن الخلق خُلقوا من ذاته ﷺ، وأنه حقيقة الحقائق، وجامع سائر الكمالات الإلهية، وهو واسطة بين الخلق والحق، وخليفة له، وأن الأنبياء والأولياء يأخذون منه ﷺ.

وهذه المعاني في الحقيقة المحمدية تظهر في كتب التصوف من خلال أمرين:

- عبارات ونصوص تدل عليها.
- أدعية وصلوات تعبدية.

وفيما يلي سأورد الرد التفصيلي على قولهم بالحقيقة المحمدية، من خلال الرد على أبرز المعاني التي ذكروها لهذه الحقيقة:

١- القول بأنه حقيقة الحقائق وأنه عين الله وصورته[1].

إن القول بأن النبي ﷺ حقيقة الحقائق، أو الجامع لها، المراد به: أنه ﷺ قد جمع الصفات الإلهية والكونية، القديمة والحادثة منها.

يقول ابن قضيب البان[2] "... وهو الجامع لأحكام الوجوب والإمكان... وهو سر

---

(١) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: (ص١٤٩-١٥٨).

(٢) هو عبد القادر بن محمد بن أبي الفيض أبو محمد المعروف بابن قضيب البان الموصلي، يتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، ولد سنة ٩٧١هـ، وتوفي سنة ١٠٤٠هـ، من مشاهير الصوفية في زمنه، له مؤلفات منها: المواقف الإلهية، عقيدة أرباب الخواص، وغيرها.

انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي: (٢/٤٦٤)، ونفحة الريحانة: (٢/٣١٨)، وإيضاح المكنون: (٤/٦٠٠).

الاَسم، الأول من حيث المعنى، والآخر من حيث الصورة"(1).

بل منهم من يجعل عين الرسول هي عين الله وذاته.

قال ابن عربي في إحدى صلواته: "اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني، وآخر التنزيلات المضافة إلى النوع الإنساني، المهاجر من مكة، كان الله ولم يكن معه شيء ثان، إلى مدينة وهو الآن على ما عليه، كان، محصي عوالم الحضرات الإلهية الخمس في وجوده، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(2)"(3).

بل شبه ابن عربي الحقيقة المحمدية بالذات الإلهية، بالجسم والطول والعرض، حيث قال: "وأنشأ جسده ذا أبعاد ثلاثة، من طول وعرض وعمق، فأشبه الحضرة الإلهية ذاتاً وصفات وأفعالاً"(4).

ويقول عبد الكريم الجيلي: "واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته،... ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية، والصفات الإلهية، استحقاق الأصالة والملك، بحكم المقتضي الذاتي..."(5).

ويقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية: "فشأن محمد في جميع تصرفاته، هو شأن الله تعالى، فليس لمحمد ﷺ من محمد شيء، ولذلك كان نورًا ذاتيًا من عين ذات الله"(6).

بل قالوا: "إن جبريل عجب حين رأى محمداً ﷺ يتلو القرآن قبل أن يعلمه إياه، فسأله جبريل فأجابه قائلاً: ارفع الستر مرة حين يلقى إليك الوحي.

---

(1) انظر: الإنسان الكامل في الإسلام: (ص ٢٠٢).

(2) سورة يس؛ الآية: (١٢).

(3) انظر: أفضل الصلوات للنبهاني: (ص ٨٦).

(4) الفتوحات المكية: (٤٤٦/٢).

(5) الإنسان الكامل للجيلي: (٧٣/٢) وما بعدها.

(6) النفحات الأقدسية: (ص٩).

ففعل جبريل ذلك، فرأى محمدًا ﷺ هو الذي يوحي إليه، فصاح مسبحاً: منك وإليك يا محمد؟"[1].

وهذا القول ليس قول المتقدمين منهم، بل هو قول المتأخرين حيث جعلوه الصورة الكاملة لذات الإله[2].

ويقول غازي عرابي: "الإنسان الكامل يصل إلى درجة ترقى بحيث يصير وجهه وجه الله، ويطابق قوس وجهه قوس وجه الله"[3].

فهذا القول أعظم من قول النصارى، فإن النصارى زعموا أن عيسى عليه السلام ابن الله وليس هو ذات الله وصورته، كما قال تعالى عنهم ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝١٥٤﴾[5].

وهؤلاء من إفكهم يقولون: هو صورة من الذات الإلهية، فتعالى الله عما يقولون من هذا الإفك الذي لم يفرق القائل به بين خالق ومخلوق، ورب ومربوب، وعبد ومعبود.

٢- القول بأنه جامع الحقائق الكونية والمقصود به من الوجود:

يقصدون بهذا الوصف أنّ النبي ﷺ بالنسبة للعالم هو مجمع وخزانة حقائق كل الموجودات، فهو بمثابة مركز الدائرة لها بحيث يكون للعالم كالروح بالنسبة للجسد، وهو

---

(١) هذه هي الصوفية: (ص٨٩).

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: (ص٢١٢).

(٣) الإنسان الكامل محاورات في الفلسفة الصوفية: (ص١٢٣).

(٤) سورة النساء؛ الآية: (١٧١).

(٥) سورة الصافات؛ الآيات: (١٥١-١٥٤).

منتشر في الموجودات ولو امتنع سريانه بها لانتهى هذا العالم.

ويذكر أحمد الرفاعي[١] هذه الحقيقة بقوله: ".. نقطة مركز الباء الدائرة الأولية، وسر أسرار الألف القطبانية، الذي فتقت به رتق الوجود،.. فهو سرك القديم الساري، وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات... روح جسد الكونين"[٢].

ويصفه الشيخ محمد بن أبي المواهب الشاذلي[٣] بأنه المقصود من الوجود فيقول: "...يا سيدنا يا رسول الله، أنت المقصود من الوجود،... وأنت الجوهرة اليتيمة التي دارت على أصناف المكونات..."[٤].

يقول محمد بن سليمان الجزولي[٥]. في كتابه ذائع الصيت: "دلائل الخيرات":

"اللهم صل على سيدنا محمد بحرِ أنوارك،...إنسانِ عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك، المتقدم من نور ضيائك"[٦].

---

(١) هو أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي. قدم أبوه من المغرب، وسكن البطائح، بقرية أم عبيدة، وتنسب إليه طائفة الرفاعية ولأتباعه أحوال عجيبة، من أكل الحيات وهي حية، والنزول في التنانير وهي تضرم بالنار فيطفئونها، ويقال: إنهم في بلادهم يركبون الأسود، ومثل هذا وأشباهه، ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يعد ولا يحصى، ويقومون بكفاية الكل، توفي ٥٧٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: (٢١/٧٨)، وفيات الأعيان: (١/١٧١)، وطبقات الأولياء لابن الملقن: (ص ٩٣).

(٢) أفضل الصلوات على سيد السادات، ليوسف بن إسماعيل النبهاني: (ص ٨٤).

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) المرجع نفسه: (ص ١١٣).

(٥) هو محمد بن سليمان بن داود بن بشر أبو عبد الله الجزولي السملالي الشاذلي، من أهل سوس المراكشية. تفقه بفاس، وحفظ "المدونة" في فقه مالك، وغيرها. وحج وقام بسياحة طويلة. ثم استقر بفاس، وبها ألف كتابه "دلائل الخيرات". وله أيضاً "حزب الفلاح" و"حزب الجزولي" بالعامية. وكان له أتباع يسمون (الجزولية) من الشاذلية. ومات سنة ٨٧٠هـ.
انظر: هدية العارفين: (٦/٢٠٤).

(٦) دلائل الخيرات: (ص ١٠٠).

ويقول ابن الفارض[1]:

وَرُوحِيَ للأَرْوَاحِ رَوْحٌ وَكُلُّ مَا ... تَرَى حَسَنًا فِي الكَوْنِ مِنْ فَيْضِ طِيْنَتِي

وَلَوْلايَ لَمْ يُوجدْ وُجُودٌ وَلَمْ يَكُنْ ... شُهُوْدٌ وَلَمْ تُعْهَدْ عُهُودٌ بِذِمَّتِي

فَلاَ حَيَّ إلاَّ مِنْ حَيَاتِي حَيَاتُهُ ... وَطَوْعُ مُرَادِي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيدَةٍ[2]

ويقول البوصيري[3] في البردة:

وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ ... لَوْلاَهُ لَمْ تُخرجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ ... وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ[4]

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ[5]

أي أن النبي ﷺ هو الذي أوجد الدنيا والآخرة.

فهذه الخصائص المزعومة للنبي ﷺ دلت على أمرين:

الأمر الأول: حلول النبي ﷺ في الكائنات كحلول الروح في الجسد، وهذه الفرية

---

(١) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري المعروف بابن الفارض، أكثر الصوفية شعراً، ومن أشهر شعره: تائية السلوك التي جمع فيها فنون الإلحاد والاتحاد والكفر برب العالمين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى "وحدة الوجود" قال الذهبي عنه في تائيته: "إن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى، وأعذنا من الهوى فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله".

انظر: سير أعلام النبلاء: (٣٦٨/٢٢)، وشذرات الذهب: (١٤٩/٥)، والأعلام: (٥٥/٥).

(٢) ديوان ابن الفارض: (ص ٣٦، ٦٣، ٩٧)، وانظر: الشعر الصوفي بين التوحد والانفصال: (ص١٥).

(٣) هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، ولد سنة ٦٠٨هـ، وشاع له ديوان شعر، ومن أشهر شعره: بردة المديح والهمزية، توفي سنة ٦٩٦هـ.

انظر: الوافي بالوفيات: (٨٨/٣)، وشذرات الذهب: (٧٥٣/٧)، وحسن المحاضرة: (٥٧٠/١).

(٤) ديوان البوصيري: (ص ٢٤١).

(٥) ديوان البوصيري: (ص ٢٥٢).

نرجئ الرد عليها عند ذكر مصادر الحقيقة المحمدية.

الأمر الثاني: زعمهم أن جميع ما في الوجود انبثق منه ﷺ، وأن الخلائق مخلوقة من نوره ﷺ.

أقول: القول بأن الموجودات من أكوان وكائنات مخلوقة من نور النبي ﷺ قول باطل، لأن هذا القول ليس عليه دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، ولا قال به أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا قال به أحد من أئمة الدين الذين شهد لهم القاصي والداني بعظيم حبهم لنبي الهدى عليه الصلاة والسلام.

كما أن الله تعالى بين في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ تبيانًا لا ريب فيه مراحل خلق المخلوقات، وأصل خلقها، ولم يذكر أن النبي ﷺ هو أصل لها، أو جزء منها، وهو قول مستقى من أصول غير إسلامية كما سوف يأتي بيانه.

٣- كونه واسطة بين الله وبين خلقه في تدبير أمورهم !:

يقول فخر الدين الرازي يصف النبي ﷺ بواسطيته بين الحق والخلق والعكس: "...الذي جعلته لك ظلاً ولحوائج خلقك قبلة ومحلاً... وواسطة بينك وبين مكوناتك"(١).

وقال ابن عربي في كتاب الفكوك: "إن الإنسان الكامل الحقيقي، هو البرزخ بين الوجوب والإمكان، والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه، وبين صفات الحدثان، وهو الواسطة بين الحق والخلق، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد الذي سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوًّا وسفلاً، ولولاه... لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي الوحداني، لعدم المناسبة والارتباط، ولم يصل إليه"(٢).

المقصود من هذه المزاعم والتنظيرات الباطلة إشراك النبي ﷺ في الربوبية، والألوهية، وهو ظاهر من أقوالهم.

فإذا كان لله ظلٌّ، ولحوائج الخلق قبلة ومحلٌّ وواسطة بين الله ومكوناته، فماذا أبقى

---

(١) أفضل الصلوات: (ص ٩٧).

(٢) نقله التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون: (٢٨١/١)، وانظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: (ص١٥١).

لله تعالى، وهل يوجد دليل لهم على هذا الغلو الذي ما أنزل الله به من سلطان، بل إن الكفار وهم في جاهليتهم الجهلاء لم ينسبوا الربوبية لغير الله تعالى، قال تعالى عنهم: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(3).

وهل هناك آية جعلت بين الله وبين عباده واسطة تكون لهم بمثابة قبلة لقضاء الحوائج، حتى ولو كان النبي ﷺ، بل الأمر على خلافه، فلم يجعل الله تعالى بينه وبين عباده وسطاء في قضاء حوائجهم، بل قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(4).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(5). بل ذم الذين فعلوا ذلك، فقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(6).

---

(1) سورة المؤمنون؛ الآيات: (٨٤-٨٩).

(2) سورة لقمان؛ الآية: (٢٥).

(3) سورة يونس؛ الآية: (٣١).

(4) سورة البقرة؛ الآية: (١٨٦).

(5) سورة غافر، الآية: (٦٠).

(6) سورة الزمر؛ الآية: (٣).

٤- زعمهم أن الأنبياء والأولياء يأخذون منه ﷺ.

قال ابن عربي: "فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي، ما منهم من أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود ... وغيره من الأنبياء ما كان نبيًّا إلا حين بُعث"[(١)].

وذكر بعضهم أنه ﷺ ظهر بصورة نوح وأغرق الدنيا بدعاء منه، أما هو فنجا بسفينته، وظهر بصورة إبراهيم في قلب النار التي تحولت برداً من أجله، ثم هام على وجهه في الأرض زمناً[(٢)].

وإنّ بطلان هذه المزاعم بغاية الوضوح، فكيف يوفق بين شخص النبي ﷺ الذي ولد متأخرًا وبين هذه المزاعم وغيرها، وقد زعموا أن المقصود بذلك ليس شخص النبي ﷺ بل المقصود منه الحقيقة المحمدية الأزلية القديمة التي تعتبر الروح التي ظهرت في الأنبياء والأولياء، أو التي كان الأنبياء والأولياء صورًا لها، ولذلك يسميها بالروح المحمدي أو روح الخاتم (خاتم الرسل)[(٣)].

كما زعموا أن الأنبياء يستمدون من شريعته ﷺ:

فيقول ابن الفارض:

وكُلُّهُمُ عَنْ سَبْقِ مَعْنَاى دَائِرٌ ... بدائرتي أو وَارِدُ مِنْ شَرِيعَتِي[(٤)]

وقال أيضاً:

وَلاَ فَلَكٌ إلاَّ وَمِنْ نُورِ بَاطِنِي ... بِهِ مَلَكٌ يُهْدَى الهُدَى بِمَشِيئَتِي

وَلاَ قُطْرَ إلاَّ حَلَّ مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي ... بِهِ قَطْرَةٌ عَنْهَا السَّحَائِبُ سَحَّتِ[(٥)]

---

(١) الفصوص: (ص ٦٣-٦٤).

(٢) انظر: التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير: (ص ٢٢٣)، والكشف عن حقيقة الصوفية: (ص ١٤٧).

(٣) انظر: نظريات الإسلاميين في الكلمة: (ص٣٣-٧٥).

(٤) ديوان ابن الفارض (ص ٥٤).

(٥) ديوان ابن الفارض: (ص ٧٩).

وهذا محض كذب على الله وعلى رسوله ﷺ، فالله تعالى جعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً، فقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2].

بل قال تعالى في حق نبيه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

فكيف علَّم الأنبياءَ والأولياءَ وهو ﷺ لم يكن يعلم الكتاب ولا الإيمان على الوجه التفصيلي حتى أوحى إليه جبريل عليه السلام، فعلَّمه ما أوحاه الله إليه.

الرد الإجمالي على قولهم بالحقيقة المحمدية:

ما ذهب إليه هؤلاء الغلاة من أقوال ليس لهم عليها مستند من القرآن الكريم والسنة النبوية، بل ليس من المنهج الإسلامي في شيء، ولم يتلفظ به أحد من أصحاب النبي ﷺ الكرام، ولم يذهب إليه أي إمام من أئمة الإسلام.

إن هذه الأقوال المزعومة في حق النبي ﷺ مخالفة لما جاء في الكتاب والسنة، وذلك من عدة وجوه:

الوجه الأوّل: أن فيها تشبيه الخالق بالمخلوق، والمخلوق بالخالق، وقد نفى الله مشابهته لخلقه، ونهى عن ضرب الأمثال الموجبة للتشبيه واتخاذ الأنداد، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[5].

---

(١) سورة الحج؛ الآية: (٦٧).

(٢) سورة المائدة؛ الآية: (٤٨).

(٣) سورة الشورى؛ الآية: (٥٢).

(٤) سورة الشورى؛ الآية: (١١).

(٥) سورة مريم؛ الآية: (٦٥).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾[2].

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: (**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار**)[3].

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله**)[4].

قال ابن القيم[5] رحمه الله: "هذا حال من تشبه به في صنعة صورة، فكيف حال من تشبه به في خواص ربوبيته وإلهيته؟ وكذلك من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا لله وحده، كملك الملوك وحاكم الحكام ونحوه"[6].

فهولاء الغلاة خالفوا هذه النصوص الشرعية، فأعطوا النبي ﷺ ما هو حق لازم لله عز وجل لا يشاركه فيه أحد كائن من كان، تحت مظلة تشبيه الخالق بالمخلوق أو العكس، تعالى الله عما يقولون.

---

(١) سورة النحل؛ الآية: (٧٤).

(٢) سورة الإخلاص؛ الآية: (١-٤).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر: (٤/٥٩) برقم: (٤٠٩٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأصله عند مسلم برقم: (٢٦٢٠)، وهو عند ابن ماجه برقم: (٤١٧٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٥٤١).

(٤) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود في الصبغ: (٢/١٦٦٧) برقم: (٢١٠٧)، وهو عند البخاري بنحوه (٢/٧٤٢) برقم: (١٩٩٩).

(٥) هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، تلميذ شيخ الإسلام، العلامة الحجة، المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة. مات سنة ٧٥١هـ، من تصانيفه: "زاد المعاد" و"جلاء الأفهام"، و"إغاثة اللهفان".

انظر: الدرر الكامنة: (٥/١٣٧)، والبداية والنهاية: (١٤/٢٠٢).

(٦) الجواب الكافي (ص ٩٥).

فعدم تفريقهم بين الخالق والمخلوق، يتضح جليّاً من أقوالهم حيث أسبغوا على النبي ﷺ صفات الخالق.

ففي إفراده بالعبادة قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[3].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: " ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً"[4].

وفي إثبات الأسماء والصفات لله تعالى يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[5].

وفي إفراده بالخلق والربوبية والنفع والضر يقول تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: (١٣٣).

(٢) سورة المائدة؛ الآية: (٧٣).

(٣) سزرة النحل؛ الآية: (٥١).

(٤) تفسير الطبري (١/٥٦٢).

(٥) سورة الإخلاص؛ الآيات: (١-٤).

(٦) سورة البقرة؛ الآية: (١٦٣).

(٧) سورة الرعد؛ الآية: (١٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝﴾[1].

يقول الإمام الطحاوي: "هذا بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي[2]، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري[3]، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني[4]، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين: نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديّاً"[5].

فهؤلاء الغلاة أعطوا صفات الخالق لنبيه محمد ﷺ، الذي هو مخلوق من مخلوقات الله، بشراً من بني آدم كما تقدم، فصرفوا له الألوهية، التي هي حق لله عز وجل، لا يجوز صرفها لغيره، ووصفوه ﷺ بالربوبية، وبالتصرف، وبتدبير الخلق، ونحو ذلك، مخالفين ما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الصافات؛ الآيتان: (٤-٥).

(٢) هو النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي سنة ١٥٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: (٦/٣٩٠)، والأعلام للزركلي: (٨/٣٦).

(٣) هو أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيهاً علامة من حفاظ الأحاديث، توفي سنة ١٨٢هـ.
انظر: تاريخ بغداد: (١٦/٣٥٩)، والأعلام للزركلي: (٨/١٩٣).

(٤) هو محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي شيبان، أبو عبد الله: إمام الفقه والأصول، هو الذي نشر علم أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه، توفي سنة ١٨٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: (٩/١٣٤)، والأعلام للزركلي: (٦/٨٠).

(٥) العقيدة الطحاوية: (ص ١).

الوجه الثاني: أن أحداً من الرسل لم يدَّع الربوبيةَ، أو الألوهيةَ لنفسه، ولا ينبغي لهم ذلك، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾[5].

وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ

(١) سورة آل عمران؛ الآيتان: (٧٩-٨٠).

(٢) سورة النساء؛ الآية: (١٧٢).

(٣) سورة الزخرف؛ الآية: (٥٩).

(٤) سورة المائدة؛ الآية: (١٧).

(٥) سورة الأنعام؛ الآية: (٥٠).

ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[3].

الوجه الثالث: أن هؤلاء وقعوا فيما حذرت منه النصوص الشرعية من الغلو والإطراء بما لم يأذن به الله ورسوله.

فقد حكم الله تعالى بكفر من جعل عيسى عليه السلام بمنزلة الله، أو اعتقد أنه جزء من الله، أو أعطاه ما لله من خصائص الربوبية أو الإلهية، فقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[4].

ويبين سبحانه وتعالى حكاية عن نبيه عيسى عليه السلام، أن هذا القول منزه ومعظم عن الله، ولا يمكن ممن نوَّر الله قلبه بالإيمان أن يصدر عنه هذا الانحراف الذي تتفطر منه السموات وتنشق الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: (١٨٨).

(٢) سورة آل عمران؛ الآية: (١٢٨).

(٣) سورة النساء؛ الآية: (٦٩).

(٤) سورة المائدة؛ الآيتان: (٧٢-٧٣).

(٥) سورة المائدة؛ الآية: (١١٦).

وقد حذر النبي ﷺ أمته عن إطرائه، والغلو فيه، فقال ﷺ: (**لا تطروني كما أطـرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**)(١).

وقال ﷺ: (**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**)(٢).

وبيَّن ﷺ أن الإطراء والمبالغة في المدح من نفث الشيطان؛ فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا محمد، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا. فقال: (**قولوا بقولكم ولا يستجركم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**)(٣).

ولكن هؤلاء الغلاة أعموا أبصارهم وصموا أذانهم عن هذه النصوص، فجعلوا لرسول الله ﷺ من المنزلة ما قد سبق بيانه، فكانوا بهذه الأقوال المزعومة في حق النبي ﷺ أشد غلوًّا من الأمم السابقة.

فقد غلوا في رسول الله ﷺ حتى جعلوه عين الذات الإلهية، تعالى الله عما يقول الظالمون.

الوجه الرابع: أن مصادر الحقيقة المحمدية مصادر غير إسلامية.

إن الباحث عن مصادر الحقيقة المحمدية، يجد أنها لم تكن يومًا من الأيام وليدة من التراث الإسلامي ومصادره الإسلامية المعتبرة، بل هي أفكار قديمة، في ديانات قديمة قبل الإسلام، استطاع بعض الداخلين في الإسلام أن يدسَّها في عقائد المسلمين بقصد أو بغير قصد، وفيما يلي أذكر بعض هذه النصوص من تلك الديانات مع ذكر مدى ارتباطها بهذه الحقيقة المحمدية المزعومة.

وقبل بيان أوجه تأثر مصطلح الحقيقة المحمدية بمأثورات الأمم السابقة أؤكد على أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾: (١٢٧١/٣) برقم (٣٢٦١) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي: (١٠٠٨/٢) برقم (٣٢٠٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد (٢٤٩/٣)، والنسائي في الكبرى (٧٠/٦) برقم (١٠٠٧٧).

هذا التشابه يكون تبعاً لتفاوت عناصر بنية الأفكار، مع التسليم بخصوص كل ثقافة، فعلى هذا تكون الفكرة واحدة وتختلف باختلاف كل ثقافة، ففكرة الحقيقة المحمدية تشابه الأفكار القديمة في الديانات القديمة من حيث أصل الفكرة وإن اختلفت معها في بنيتها، وهذا ما توضحه الأمثلة التالية من تأثر الفكر الصوفي بمؤثرات خارجية فيما يتعلق بما يسمى الحقيقة المحمدية[1]

فمن الديانة الهندية القديمة وغيرها:

يقول الأوبانيشاد[2]: "في الحق يا صديقي إن جميع الكائنات ولو أنها صدرت عن الموجود المطلق لا تعرف أنها تصدر عن الموجود المطلق، وفي الحق يا صديقي أنك لا تشعر بهذا الموجود وهو مع ذلك موجود بوساطة هذا الجوهر الأساسي تدب الحياة في كل شيء وهو وحده الحق... بل إنك أنت نفسك هو ذلك"[3].

إذن حلول النبي ﷺ في الكائنات، إنما جاء من قبيل هذه الأفكار القديمة المستوردة.

ويقول الأفستا[4]: "إن إله الخير لم يخلق الكون بما فيه من كائنات روحية ومادية خلقًا مباشرًا، بل خلقه عن طريق الكلمة الإلهية المشتركة"[5].

ويقول أيضًا: "إن الصفي أو المولي أو الكلمة الذكية.. كل أولئك كان قبل أن تكون السماء والماء والأرض والأنعام والأشجار والنار"[6].

---

(١) انظر: تصور الإنسان الكامل من عالم الأساطير إلى عصر الجينوم: (ص٢٧).

(٢) الأوبانيشاد: قيل هو جزء من الكتاب المقدس المسمى الفيدا في الديانات الهندية القديمة، بينما يرى المستشرقون أنه كتاب مستقل كتب فيما بعد شرحاً للفيد.

انظر: التصوف المقارن الهامش: (ص ١٣٩).

(٣) التصوف المقارن: (ص٣١).

(٤) هي مجموعة من الكتب المقدسة المنسوبة لزرادشت والتي تقوم عليها الديانة الزرادشتية عند قدماء الفرس.

انظر: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل: (٥/١٥١).

(٥) الصوفية معتقداً ومسلكاً: (ص ١٣٠).

(٦) المصدر نفسه: (ص ١٣١).

قال صاحب كتاب الصوفية معتقدًا ومسلكاً: "هذا معناه أن إله الخير لم يخلق الأشياء الروحية والمادية التي يتألف منها الكون خلقًا مباشرًا، وإنما خلقهـا بوسـاطة الكلمـة الإلهيـة"(١).

وهي التي عند الصوفية تسمى الحقيقة المحمدية، أو الإنسان الكامل، ونحو ذلك ممـا يطلق مرادفًا للحقيقة المحمدية.

وأما الفلسفات اليونانية فقد انتهت في صورتها النهائية عند الأفلاطونية المحدثة الـتي بينت فيها حقيقة الوجود من منطلق عقلي بحت، حيث يقول الدكتور محمد مـصطفى حلمي في الأفلاطونية المحدثة وأثرها في الفلسفة الصوفية:

"فالله، والعقل الأول، والنفس الكلية، والمادة غير المصورة، والنفوس الجزئية، كـل أولئك عبارة عن مراتب الوجود في مذهب الأفلاطونية الجديدة وأول فيض من الله هـو العقل الأول الذي تستمد منه كل الموجودات وجودها، ويصدر عنه كل ماسـواه مـن الفيوضات الأخرى"(٢).

ثم قال: "وهذا كلام نجد له نظيرًا عند محيي الدين بن عربي في وحدته الوجودية، وفي نظريته في الحقيقة المحمدية التي يعدها أول فيض من الذات الإلهية، ويعد بقية الموجودات مجرد فيوضات لها"(٣).

وكذلك شابه قول هؤلاء الغلاة قول النصارى، حيـث جـاء نـص في إنجيـل يوحنا ما يضاهي قولهم في الحقيقـة المحمديـة، وفيـه: "في البـدء كـان الكلمـة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، هذا كان في البـدء عنـد الله، كـل شـيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانـت الحيـاة، والحيـاة كانـت نـور الناس، والنور يضئ في الظلمة، والظلمة لم تدركـه، كـان إنـسان مرسـل مـن الله اسمه يوحنا، هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يـؤمن الكـل بواسـطته، لم يكـن

---

(١) المصدر نفسه: (ص ١٣١).

(٢) الحياة الروحية في الإسلام: (ص ٦٩).

(٣) المصدر نفسه: (ص ٦٩).

هو النور بل ليشهد للنور، كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيًا الي العالم، كان في العالم وكون العالم به و لم يعرفه العالم"[1].

وبهذا يظهر جليًّا أن الأفكار والمعتقدات المتعلقة بما يسمى بالحقيقة المحمدية وما تحويه من حلول في الكائنات، إنما هي دخيلة على الإسلام، لا تتصل به البتة، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح: (١-١٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١١٧).

المطلب الثالث

هل له ظل عليه الصلاة والسلام أم لا؟

وهذا يعد باباً من أبواب الغلو في وصف النبي ﷺ بما لم يدل عليه نص من سنته ﷺ، فهم يزعمون أنه لا يقع للنبي ﷺ ظل، وكأن النبي ﷺ خالف الصفة البشرية في ذلك، ونسبوا إليه الباطل من باب الغلو والإطراء في مدحه، واستدلوا على هذا القول بأحاديث متعددة:

الحديث الأول:

وهو ما تفرد به الحكيم الترمذي، من طريق عبد الرحمن بن قيس الزعفراني، عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد، عن ذكوان، أنه قال: "إنّ رسول الله لم يكن يُرى له ظل في شمس ولا قمر"(١).

وأمّا الحديث الثاني:

فهو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لم يكن لرسول الله ﷺ ظل، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوءَ الشمس، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه السراجَ"(٢).

الرد على هذه الشبهة:

أولاً: الحديث الأول من حيث الإسناد فيه مَن هو مُتَّهمٌ بالكذب والوضع، وهو **عبدالرحمن بن قيس، أبو معاوية الزعفراني البصري.**

---

(١) ذكر ذلك القاضي عياض في الشفاء: (١/٣٦٨)، وانظر: الخصائص الكبرى: (١/٦٨)، ومناهل الصفا: (ص ١٧٣)، وذكروا أن الحكيم الترمذي أخرجه في النوادر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في الوفا بأحوال المصطفى: (ص ٤١٢) بدون إسناد.

قال أحمد عنه: لم يكن حديثه بشيء متروك الحديث[1].

وقال أبو زرعة وابن مهدي: كذاب[2].

وقال البخاري ومسلم: ذهب حديثه[3].

وأما الحديث الثاني: فيكفي في رده أنه لا زمام له فقد روي بلا إسناد.

فهذه الأحاديث موضوعة لا يصح سندها، ولو كان الأمر كما قيل لنقل إلينا بالتواتر، لأن هذا أمر عظيم يتعلق بدلالة من دلالات النبوة، كما أن النبي ﷺ ليس بحاجه لإثبات نبوته بالمزاعم الكاذبة التي هي وسيلة إلى الغلو والإطراء الذي حذّر منه ﷺ.

وقد أشار العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- إلى هذا بقوله: "أمّا من زعم أن الرسول ﷺ نورَاني، ليس له ظل فهذا كذب بلا شك، فإن الرسول ﷺ كغيره من البشر له ظل ويستظل أيضاً، ولو كان الرسول ﷺ ليس له ظل، لنقل هذا نقلاً متواتراً؛ لأنه من آيات الله، إذاً الرسول ﷺ بشر مثل الناس"[4].

وقال في موضع آخر: "ومن قال: إن الرسول ﷺ ليس له ظل، أو أن نوره يطفئ ظله إذا مشى في الشمس، فكله كذب باطل، ولهذا جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجليَّ، فإذا قام بسطتُهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح"[5].

فلو كان النبي ﷺ له نور، لم تعتذر رضي الله عنها، ولكنه الغلو الذي أفسد الدين والدنيا، والعياذ بالله"[6].

---

(١) العلل ومعرفة الرجال: (٣٨٤/١).

(٢) الجرح والتعديل: (٢٧٨/٥)، وتهذيب الكمال: (٣٦٦/١٧).

(٣) رواه عن البخاري ابن عدي في الكامل: (٢٩١/٤)، وقول مسلم ذكره ابن الجوزي في الموضوعات: (٢٢٧/٣)، والمزي في تهذيب الكمال: (٣٦٦/١٧).

(٤) تفسير ابن عثيمين، سورة الكهف: (ص ١٥١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الفراش: (١٥٠/١) برقم: (٣٧٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي: (٣٦٧/١)، برقم: (٥١٢).

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد (٦٨/١).

- إذْ ليس كل ما لا ظلّ له قد حاز الصفاء والكمال. فالرياح، والهواء، والجن، والشياطين لا ظلّ له.

- لو كان النبيّ ﷺ لا ظلّ له، لذكره الله عزَّ وجلَّ في محكم كتابه آية على صدق نبوته، ولا حتج به عليه الصلاة والسلام.

فالقول بأن النبي ﷺ ليس له ظل معارض بأحاديث صحيحة صريحة متنوعة الدلالات منها ما هو دال بدلالة فعلية؛ وذلك بكونه ﷺ يستظل بالظل كغيره من الناس، وبدلالة تقريرية وذلك بما ورد من حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تهيئة ذلك له ﷺ دون إنكار منه ﷺ، مما يدل على بشريته عليه الصلاة والسلام.

ومنها ما هو وصف حكاية حال عام يدخل فيه النبي ﷺ وغيره.

أولاً: دلت السنة الفعلية أنه ﷺ كان يستظل كغيره من البشر؛ فهذا أَنس ﷺ يذكر حديقة بيرحاء - فيقول: "كان رسول اللّه ﷺ يدخلها ويستظل بها ويشرب من مائها..."[(١)].

وكذا ما رواه خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة...الحديث[(٢)].

وكذا حديث يعلى بن أمية ﷺ - حين وصف حال النبي ﷺ عندما أوحي إليه فقال: "... وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به، فأدخل رأسه فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه وهو يغط..." الحديث[(٣)].

ثانياً: ما ثبت من معاملة الصحابة رضوان الله عليهم له معاملة تقرر خلاف مزاعم وأباطيل الصوفية الغلاة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب من تصدق إلى وكيله ثم رد الوكيل إليه: (٣/١٠١٤) برقم: (٢٦٠٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (٣/١٣٢٢) برقم: (٣٤١٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب: (٢/٥٥٧) برقم: (١٤٦٣)، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة: (٢/٨٣٧) برقم: (١١٨٠).

فقد كان أصحابه رضوان الله عليهم يهيئون له من الأسباب ما يدل على أنــه ﷺ كغيره من البشر، يتأثر بحرارة الشمس، وشدة وهجها، وقد ثبت ذلك بــأحوال عــدة، فتارة بتظليله، وتارة باختيار المكان المناسب له، وتارة بضرب قبة تقيه حر الشمس، و لم يمنعهم ﷺ، إذ لو كان الأمر كما يقول هؤلاء الغلاة لكان من دلائل النبوة ومن معجزات الرسالة، التي يجب إظهارها لا إخفاؤها، كما هو الحال في بقية الخصائص النبوية.

فقد أظهر ﷺ خاتم النبوة لسلمان الفارسي رضي الله عنه، وأخذه الهدية، وعدم قبول الصدقة، ونحو ذلك مما أظهره من دلائل نبوته، وهذا الإقرار منه ﷺ يدل على عدم صحة ما نسب إليه من كونه ليس له ظل يقع على الأرض.

وفيما يلي دلالات ذلك:

فقد جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: جاء أبو بكــر رضي الله عنه إلى أبي في منــــزله فاشترى منه رحلاً، فقال لعازب: ابعث ابنك يحمله معي، قال: فحملته معه، وخرج أبي ينتقد ثمنه، فقال أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت مع رســول الله ﷺ، قال: نعم، أسرينا ليلتنا، ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق لا يمر فيه أحــد، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس فنــزلنا عنده، وسويت للــنبي ﷺ مكاناً بيدي ينام عليه، وبسطت فيه فروة، وقلت: نم يارسول الله، وأنا أنفض لــك مــا حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله... الحديث(1).

وقد ظلّل أبو بكر رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ بردائه على مرأى من الناس(2).

وعن جابر رضي الله عنه قال: "كنّا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ"(3).

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام،: (٣/١٣٢٣) برقم: (٣٤١٩)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له: حديث الرحل: (٤/٢٣٠٩) برقم: (٢٠٠٩).

(٢) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ: (٣/١٤٢١) برقم: (٣٦٩٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع: (٤/١٥١٥) برقم: (٣٩٠٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف: (١/٥٧٦) برقم: (٨٤٣).

وفي حديث جابر بن عبد الله في الحج: "وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة"[(١)].

فهذا الفعل من الصحابة فيه دلالة واضحة أيضاً على عدم اعتقادهم بما ذهب إليه هؤلاء الغلاة من كونه ﷺ ليس له ظل، فلو كان الأمر كذلك لسأل الصحابةُ رضوان الله عنهم رسولَ الله ﷺ عن سبب اتخاذه وابتغائه الظل مع كونه لا ظل له، وكذلك لم ينقل عنهم رضوان الله عنهم القول بأنه ليس له ظل.

وقد نقلوا صفاته ﷺ الخلْقية، والخُلُقية، ودلائل نبوته ومعجزاته، ولم يذكروا هذا الأمر المكذوب على رسول الله ﷺ.

وهو ليس بحاجة له؛ فقد زكاه ربه، ورفع قدره، وأنزله منزلة لم يصل إليها أحد قبله، ولن يصل إليها أحد بعده.

أحاديث إثبات الظل:

جاءت أحاديث بإثبات الظل له ﷺ، وهي وإن كانت ضعيفة إلا أنها أقوى إسنادًا من أحاديث نفي الظل عنه، منها.

أ - عن عبد الله بن جبير الخزاعي[(٢)] أن رسول الله ﷺ كان يمشي في أناس من أصحابه فسُتر بثوب، فلما رأى ظله رفع رأسه فإذا هو بمُلأٍ قد ستر بها، فقال له: **(مه)**[(٣)] وأخذ الثوب فوضعه فقال: **(إنما أنا بشر مثلكم)**[(٤)].

ب- عن عائشة رضي الله عنها أن بعيرًا لصفية اعتل، وعند زينب فضلٌ من الإبل،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب في حجة النبي ﷺ: (٨٨٩/٢) برقم: (١٢١٨).

(٢) هو عبد الله بن جبير الخزاعي بن النعمان الأنصاري: صحابي، شهد العقبة وبدراً، وكان أمير الرماة يوم أحد واستشهد فيها.

انظر: تهذيب الكمال: (٣٥٨/١٤)، والأعلام للزركلي: (٧٦/٤).

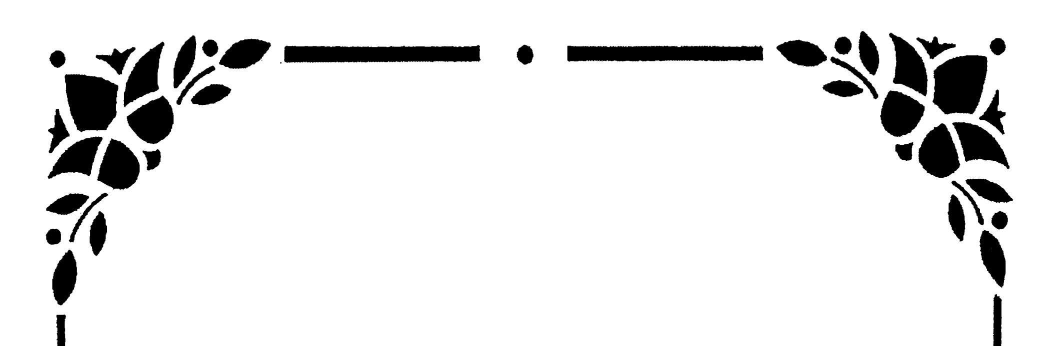
(٣) هي كلمة بنيت على السكون، وهو اسم سمي به الفعل، ومعناه: اكفف؛ لأنه زجر. انظر: الصحاح: (١٨٤/٢).

(٤) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة: (١٣٤/٩) برقم: (١١٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥٧٦/٨): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وقد أُعل بالإرسال. انظر: الإصابة لابن حجر: (١٢٩/٣).

فقال رسول الله ﷺ لزينب: (**إن بعير صفية قد اعتل، فلو أنك أعطيتها بعيرًا**)، قالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟، فتركها، وغضب رسول الله ﷺ شهرين أو ثلاثاً، حتى رفعت سريرها وظنت أنه لا يرضى عنها، قالت: فإذا أنا بظله يوماً بنصف النهار، فدخل رسول الله ﷺ فأعادت سريرها[1].

---

(١) رواه أحمد: (٢٦١/٦) برقم: (٢٦٢٩٣)، وأبو داود، كتاب السنة، باب ترك السلام على أهل الأهواء: (١٩٩/٤) برقم: (٤٦٠٢)، والطبراني في المعجم الأوسط: (٩٩/٣) برقم: (٢٦٠٩)، وفي المعجم الكبير: (٧١/٢٤) برقم: (١٨٨). والحديث ضعفه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.



الفصل الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بذاته عليه الصلاة والسلام في الحياة الدنيا

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بكماله وسلامة ذاته ﷺ من الآفات.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بنبوته ﷺ مما يتعلق بذاته.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم ذاته ﷺ.





المبحث الأول

المسائل العقدية المتعلقة بكماله وسلامة ذاته ﷺ من الآفات

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: دلالة أسمائه عليه الصلاة والسلام على ذاته.

المطلب الثاني: الكلام في وصف ذاته عليه الصلاة والسلام بالمقدسة.

المطلب الثالث: الكلام في وصف ذاته عليه الصلاة والسلام بالكاملة.

المطلب الرابع: سلامة ذاته عليه الصلاة والسلام من العيوب المنفرة.

المطلب الخامس: سلامة ذاته وأعضائه ﷺ من بعض الأمراض كذات الجنب وغيرها.

المطلب السادس: هل ولد النبي ﷺ مختوناً أم لا؟.

المطلب السابع: قوة مداركه وحواسه.

المطلب الثامن: قوة جسده ﷺ.

المطلب التاسع: توضيح المراد بقوله ﷺ: (إنما يطعمني ربي ويسقيني).

المطلب الأول

دلالة أسمائه عليه الصلاة والسلام على ذاته

إنّ للنبيّ عليه الصلاة والسلام أسماءً كثيرةً من حيث الجملة والتفصيل، وهي متنوعة بعدة اعتبارات:

فباعتبار طرق نقلها إلينا تتنوع إلى:

ما جاء منصوصًا عليه في القرآن الكريم.

ما جاء منصوصًا عليه في السنة النبوية.

ما نُقل إلينا من خلال الكتب السالفة.

ويقابل ذلك ما اشتقه الأئمة والعلماء رحمهم الله من صفاته ﷺ محتجين بأن ما ورد من أسمائه المنصوص عليها ما هي إلا اشتقاق من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال اللائق به ﷺ.

فأسماء النبي ﷺ توقيفية، لا يسمى باسم إلا إذا قام الدليل عليه، وكثير منها ذُكرت على سبيل التسمية له ﷺ، والحال أنها أوصاف كريمة لهذا النبي الكريم ﷺ، فالذي له أصل في النصوص إما اسم، وهو القليل، أو وصف، وهو الأكثر، وما سوى ذلك فلا أصل له، فلا يطلق على النبي ﷺ، حماية من الإفراط والغلو، ويشتد النهي إذا كانت هذه الأسماء والصفات التي لا أصل لها فيها غلو، وإطراء[1].

يقول الإمام النووي رحمه الله: "وبعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز"[2].

فقد أوصلها بعضهم إلى ألف اسم وغير ذلك، قال ابن دحية[3]- في

---

(١) انظر: معجم المناهي اللفظية: (ص٣٥٢).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: (٢٢/١).

(٣) هو عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسي المحدث، يلقب بذي النسبين، نسبة إلى دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ، وإلى الحسين بن علي رضي الله عنه. كان بصيراً بالحديث، معتنياً به، =

تصنيف له مفرد في الأسماء النبوية-: "قال بعضهم: أسماء النبي ﷺ عدد أسماء الله الحسنى، تسعة وتسعون اسماً.

قال: ولو بحث عنها باحث لبلغت ثلاثمائة اسم، وغالب الأسماء التي ذكرها وصف بها النبي ﷺ ولم يَرد الكثير منها على سبيل التسمية، مثل عدّه اللَّبِنَة[1] في أسمائه، للحديث المذكور في القصر الذي من ذهب وفضة: إلا موضع لبنة قال: (**فكنت أنا اللبنة**)، كذا وقع في حديث أبي هريرة[2]، وفي حديث جابر: (**موضع اللبنة**)[3]"[4].

وصنف الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي المعروف بالحرالي[5]

=

معروفاً بالضبط، له حظ وافر من اللغة. من مصنفاته: "الابتهاج فى أحاديث المعراج"، و"العلم المشهور فى فضائل الأيام والشهور". وغير ذلك، مات سنة ٦٣٣هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ: (١٤٢٠/٤)، وطبقات الحفاظ للسيوطي: (ص ٥٠١)، ووفيات الأعيان: (٤٤٨/٣).

(١) بفتح اللام وكسر الموحدة ثم النون، هي اللَّبِنَة واللِّبْنة التي يُبْنَى بها، وهي مُرَبَّعة من طِين، والجمع: لَبِن...وهي المضروب من الطين مربعاً للبناء.

انظر: المخصص: (٥٠٦/١)، وتاج العروس: (٨٧/٣٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب خاتم النبيين ﷺ: (١٣٠٠/٣) برقم: (٣٣٤٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين: (١٧٩٠/٤) برقم: (٢٢٨٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب خاتم النبيين ﷺ: (١٣٠٠/٣) برقم: (٣٣٤١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين: (١٧٩٠/٤) برقم: (٢٢٨٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر: (٥٥٨/٦).

(٥) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي الحرالي، وحرالة: قرية من عمل مرسية ولد في مراكش، ورحل إلى المشرق، وسكن حماة، وتوفي فيها سنة ٦٣٧هـ. مفسّر من علماء المغرب. قال عنه الذهبي: "كان فلسفيّ التصوف، ملأ تفسيره بحقائقه ونتائج فكره، وزعم أنّه يستخرج من علم الحروف وقتَ خروج الدجال، ووقتَ طلوع الشمس من مغربها".

انظر: سير أعلام النبلاء: (٤٧/٢٣)، وشذرات الذهب: (٣٣٠/٧)، والأعلام: (٢٥٦/٤).

كتاب أسماء النبي ﷺ، وذكرها تسعة وتسعين اسمًا(1).

وذكر أبو الحسين بن فارس(2) اللغوي أن للنبي ﷺ ثلاثة وعشرين اسماً(3). واختاره أبو الفرج ابن الجوزي(4)(5).

وذكر أبو عبد الله محمد بن علي بن عساكر(6) لنبي الله ﷺ عشرين اسمًا(7).

---

(1) تلقيح فهوم أهل الأثر: (ص15)، وانظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (1/18).

(2) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها سنة 395هـ، وإليها نسبته. من تصانيفه "مقاييس اللغة" و"المجمل"، و"أوجز السير لخير البشر".
انظر: سير أعلام النبلاء: (17/103)، والأعلام: (1/193).

(3) تلقيح فهوم أهل الأثر (ص 15).

(4) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيميّ البكري الحنبليّ، الواعظ، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصدّيق، واشتهر بابن الجوزي نسبة إلى شرعة الجوز، إحدى محالّ بغداد بالجانب الغربي، وقيل: نسبة إلى جوزة كانت في دار جدّه السابع جعفر بن عبد الله بواسط، ولد ببغداد سنة 510هـ، ولما ترعرع حفظ القرآن وقرأه على جماعة بالروايات، ثم طلب العلم على جمع كثير من العلماء.
وقد اشتغل بالوعظ وأوتي حظًا عظيمًا وصيتًا بعيدًا فيه، فكان يحضر مجالسه الملوك والوزراء والأئمة الكبار. وكان مجلسه لا ينقص عن ألوف كثيرة حتى قيل في بعض مجالسه: إنه حزر الجمع بمائة ألف، مات سنة 597هـ، من تصانيفه: "كشف المشكل من أحاديث الصحيحين"، و"المدهش".
انظر: العبر للذهبي: (4/297)، ووفيات الأعيان: (3/140).

(5) كشف المشكل: (1/423).

(6) هو علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشقي، الشافعي، أبو القاسم، بن عساكر، الإمام الكبير حافظ الشام، الثقة، الثبت، الحجة، صاحب تاريخ دمشق ولد سنة (499هـ)، ومات سنة (571هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ: (4/1328)، وطبقات الشافعية للسبكي: (7/215)، وذيل للتقييد: (2/188).

(7) انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (1/18).

"وهذا سياق ما ذكره أبو بكر ابن العربي من أسمائه على ما تقدم فقال: الرسول ﷺ - المرسل - النبي - الأمي - الشَّهيد - المصدّق - النور - المسلم - البشير - المبشِّر - النذير - المنْذِر - المبِين - الأمين - العبد - الداعي - السراج - المنير - الإمام - الذِّكْر - المذَكِّر - الهادي - المهاجر - العامل - المبارَك - الرحمة - الآمر - الناهي - الطيِّب - الكريم - المحلّل - المحرّم - الواضع - الرافع - المجير - خاتم النبيين - ثاني اثنين - منصور - أُذن خير - مصطفى - أمين - مأمون - قاسم - نقيب - المزمل - المدثر - العلي - الحكيم - المؤمن - الرؤوف - الرحيم - الصاحب - الشفيع - المشفَّع - المتوكل - محمد - أحمد - الماحي - الحاشر - المقفِّي - العاقب - نبي التوبة - نبي الرحمة - نبي الملحمة - عبد الله"(1).

وزاد ابن الجوزي قال: "والشاهد والضحوك والقتال والفاتح والقيم"(2).

قال ابن الجوزي: "جعلوا هذه كلها أسماء، ومعلوم أن بعضها صفات"(3).

قال ابن القيم رحمه الله: "لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم، لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم، وبين الوصف المشترك فلا يكون له منه اسم يخصه"(4).

ثم بين رحمه الله أن أسماءه ﷺ نوعان:

"أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفي، ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله فهو مختص

(1) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: (١٨/١)، وكلام ابن العربي في أحكام القرآن: (٥٨٠/٣).

(2) الجواهر المضية: (١٨/١).

(3) كشف المشكل: (٤٢٣/١).

(4) زاد المعاد: (٨٧/١).

بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة"(١).

أسماؤه ﷺ في القرآن الكريم:

١- محمد:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أربع مرات، وهي في المواضع التالية:

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٢).

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٤).

قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: "وأما محمد فمنقول من صفة أيضًا، وهي في معنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمد: هو الذي حمد مرة بعد مرة، كما أن المكرم من الكرم مرة بعد مرة، وكذلك الممدح ونحو ذلك.

فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سماه قبل أن يسمى به نفسه، فهذا عَلَم من أعلام نبوته إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو محمود في الدنيا لما هدى إليه ونفع به من العلم

---

(١) زاد المعاد: (١/٨٨).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٤٠).

(٣) سورة محمد، الآية: (٢).

(٤) سورة الفتح؛ الآية: (٢٩).

والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حَمِدَ ربه فنبأه وشرّفه، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى عليه السلام فقال -كما حكاه الله تعالى عنه-: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾"[1].

يقول ابن القيم رحمه الله في هذا الاسم: "هذا الاسم هو أشهر أسمائه ﷺ، وهو اسم منقول من الحمد، وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد، وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته وإجلاله وتعظيمه، هذا هو حقيقة الحمد، وبني على زنة مُفَعَّل مثل مُعظَّم ومحبب ومسود ومبجل ونظائرها لأن هذا البناء موضوع للتكثير، فإن اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة، كمعلم ومفهم ومبين ومخلّص ومفرّج ونحوها، وإن اشتق منه اسم مفعول فمعناه من كثر تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى إما استحقاقًا أو وقوعًا، فهو محمد لكثرة حمد الحامدين له مرة بعد أخرى، أو الذي يستحق أن يحمد مرة بعد أخرى.

ويقال: حمد فهو محمّد،كما يقال: علم فهو معلّم، وهذا عَلَمٌ وصفة اجتمع فيه الأمران في حقه وإن كان عَلَمًا محضًا في حق كثير ممن تسمى به غيره.

وهذا شأن أسماء الرب تعالى، وأسماء كتابه، وأسماء نبيه، هي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين"[2].

٢- أحمد:

ورد هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا

(١) سورة الصف، الآية: (٦)، تفسير القرطبي: (١٨/٨٣-٨٤) بتصرف يسير.

(٢) جلاء الأفهام: (ص ١٧١).

﴿بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

وجاء ذكر هذا الاسم في الصحيحين من حديث جبير بن مطعم[2] قال: أن النبي ﷺ قال: (**وأنا أحمد**)[3].

يقول ابن القيم رحمه الله في بيان معنى هذا الاسم: "وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل، مشتق أيضاً من الحمد.

وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟

فقالت طائفة: هو بمعنى الفاعل، أي حمدُه لله أكثر من حمد غيره له، فمعناه: أحمد الحامدين لربه، ورجحوا هذا القول بأن قياس أفعل التفضيل أن يصاغ من فعل الفاعل، لا من الفعل الواقع على المفعول، قالوا: ولهذا لا يقال: ما أضرب زيداً، ولا زيد أضرب من عمرٍو، باعتبار الضرب الواقع عليه، ولا ما أشربه للماء وآكله للخبز ونحوه، قالوا: لأن أفعل التفضيل وفعل التعجب إنما يصاغان من الفعل اللازم، ولهذا يقدر نقله من فَعَل وفَعِل المفتوح العين ومكسورها إلى فَعُل المضموم العين.

قالوا: ولهذا يعدى بالهمزة إلى المفعول فهمزته للتعدية، كقولك: ما أظرف زيدًا، وأكرم عمرًا، وأصلهما من ظرف وكرم.

قالوا: لأن المتعجب منه فاعل في الأصل، فوجب أن يكون فعله غير متعد، قالوا: وأما نحو: ما أضرب زيدًا لعمرو، فهو منقول من فَعَل المفتوح العين إلى فَعُل المضموم

---

(١) سورة الصف الآية: (٦).

(٢) هو أبو محمد جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي. كنيته: أبو أمية، ويقال: أبو عدي. أسلم قبل الفتح، ونزل المدينة، ومات بها سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة سبع وخمسين، روى عنه ابناه: نافع ومحمد، وسليمان بن صرد، وغيرهم، وكان جبير من أنسب قريش لقريش ويقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر.

انظر: تهذيب الكمال: (١/١٨٥)، وأسد الغابة (١/٣٢٢)، والإصابة (١/٤٦٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الصف: (٤/١٨٥٨) برقم: (٤٦١٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ: (٤/١٨٢٨) برقم: (٢٣٥٤).

العين، ثم عدي والحالة هذه بالهمزة، قالوا: والدليل على ذلك مجيئهم باللام، فيقولون: ما أضرب زيدًا لعمرٍو، ولو كان باقيًا على تعديه لقيل: ما أضرب زيدًا عمرًا، لأنه متعد إلى واحد نفسه، وإلى الآخر بهمزة التعدية، فلما أن عدوه إلى المفعول بهمزة التعدية، عـــدوه إلى الآخر باللام، فهذا هو الذي أوجب لهم أن قالوا: إنهما لا يــصاغان إلا مـــن فعـــل الفاعل، لا من الفعل الواقع على المفعول.

ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: يجوز صوغهما من فعل الفاعل، ومن الواقع على المفعول، وكثرة السماع به من أبين الأدلة على جوازه، تقول العرب: ما أشغله بالشيء، وهو من شغل فهو مشغول، وكذلك يقولون: ما أولعه بكذا، وهو من أولع بالشيء فهو مولع به، مبني للمفعول ليس إلا.

وكذلك قولهم: ما أعجبه بكذا، فهو من أعجب به، ويقولون: ما أحبه إلي، فهـــو تعجب من فعل المفعول، وكونه محبوبًا لك، وكذا ما أبغضه إلي وأمقته إلي"[1].

ثم بين رحمه الله المقصود من كلا القولين وتعلقها بذات النبي ﷺ بقوله: "فلنرجع إلى المقصود فنقول: تقدير أحمد على قول الأولين: أحمد الناس لربه، وعلى قول هؤلاء: أحق الناس وأولاهم بأن يحمد، فيكون كمحمد في المعنى، إلا أن الفرق بينهما أن محمدًا هـــو كثير الخصال التي يحمد عليها، وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره، فمحمـــد في الكثرة والكمية، وأحمد في الصفة والكيفية، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غـــيره، وأفضل مما يستحق غيره، فيحمد أكثر حمد، وأفضل حمد حمده البشر، فالاسمان واقعـــان على المفعول، وهذا أبلغ في مدحه، وأكمل معنى، ولو أريد معنى الفاعل لسمي الحمـــاد، أي كثير الحمد، فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمدًا لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمـــده لربه لكان الأولى به: الحماد، كما سميت بذلك أمته.

وأيضًا فإن هذين الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى محمدًا ﷺ، وأحمد، وهو الذي يحمده أهل السماء، وأهل الأرض، وأهل الـــدنيا،

(١) زاد المعاد: (٨٧/١).

وأهل الآخرة، لكثرة خصائله المحمودة التي تفوق عدّ العادين وإحصاء المحصين"(١).

"وقيل: سمي أحمد لأنه عَلَم منقول من صفة وهي أفعل التفضيل، ومعناه: أحمد الحامدين، وسبب ذلك: ما ثبت في الصحيح: أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله(٢).

وقيل: الأنبياء حمادون وهو أحمدهم، أي أكثرهم حمدًا، أو أعظمهم في صفة الحمد"(٣).

٣- عبد الله:

ورد هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٧).

---

(١) زاد المعاد: (١/٩٠-٩١).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل: (٦/٢٧٢٧) برقم: (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: (١/١٨٣) برقم: (١٩٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) فتح الباري لابن حجر: (٦/٥٥٥).

(٤) سورة الجن، الآية: (١٩).

(٥) سورة البقرة، الآية: (٢٣).

(٦) سورة الأنفال، الآية: (٤١).

(٧) سورة الإسراء؛ الآية: (١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

قوله: "﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني محمدًا ﷺ. والعبد مأخوذ من التعبد، وهو التذلل"[6].

"قال بعضهم: لما كانت العبادة أشرف الخصال، والتسمي بها أشرف الخطط، سمى نبيه عبدًا"[7].

٤- الأُمي:

ورد هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[8].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

(١) سورة الكهف، الآية: (١).

(٢) سورة الفرقان؛ الآية: (١).

(٣) سورة النجم، الآية: (١٠).

(٤) سورة الزمر؛ الآية: (٣٦).

(٥) سورة الحديد، الآية: (٩).

(٦) النكت والعيون للماوردي: (١/٨٤).

(٧) تفسير القرطبي: (١/٢٣٢).

(٨) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾[1].

قال البغوي رحمه الله: "وهو محمد ﷺ"[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هو نبيكم كان أميًّا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب"[3]. وقال النبي ﷺ: (**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**)[4]. وهو منسوب إلى الأم، أي هو على ما ولدته أمه. وقيل: هو منسوب إلى أمته، أصله أمتي فسقطت التاء في النسبة، كما سقطت في المكي والمدني. وقيل: هو منسوب إلى أم القرى، وهي مكة"[5].

وأميته ﷺ دليل واضح على أن ما أخبر به من حقائق ومعارف إنما هي من لطيف خبير.

٥- الرحيم:

مّما ثبت إطلاقه عليه ﷺ صفة الرّحمة، ورحمة رسول الله ﷺ سمة من سمات ذاته، ومَعْلَم من مَعَالم شخصيته الشريفة، فقد تجلت رحمته ﷺ في كل شأن من شؤون حياته ﷺ، وهي وصف لازم لدعوته ومنهجه في التربية، ومعاملته للعدو قبل الصديق، رحمة عامة شاملة لجميع مجالات الحياة، وعامة الناس وخاصتهم.

وجد أثرها المسلم والكافر، والصغير والكبير، والذكر والأنثى، والأحياء والجماد.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية: (١٥٧).

(٢) تفسير البغوي: (٢/٢٣٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٥٨١) من قول قتادة.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: (لا نكتب ولا نحسب): (٢/٦٧٥) برقم: (١٨١٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال: (٢/٧٦١) برقم: (١٠٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) تفسير البغوي: (٢/٢٣٨).

(٦) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

فهو ﷺ رحمة عامة للناس جميعًا في الدنيا والآخرة، ورحمة خاصة للمؤمنين في الآخرة.

موارد من رحمة النبيّ ﷺ في حياته:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: **(لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**[1]**، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)**[2]. فقال النبي ﷺ: **(بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)**[3].

ففي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه، كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[4].

---

(١) موضع يقال له أيضاً: قرن المنازل، بينه وبين مكة يوم وليلة. وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير. انظر: معجم البلدان: (٣٣٢/٤).

(٢) الأخشبان: هما الجبلان المطيفان بمكة: أبو قبيس والأحمر، وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٣٢/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين...: (١١٨٠/٣) برقم: (٣٠٥٩)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين: (١٤٢٠/٣) برقم: (١٧٩٥).

(٤) سورة آل عمران؛ الآية: (١٥٩).

وقد أدمَوْا وجهه، وهو ﷺ يقول: (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)[1].

قال القاضي عياض[2] رحمه الله: "انظر ما في هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم، بل عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم، فقال: (اغفر) أو (اهد). ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: (لقومي)، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: (فإنهم لا يعلمون)"[3].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قَفَل[4] رسول الله ﷺ قَفَل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضَاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: (**إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله**)، "ثلاثًا" ولم يعاقبه وجلس[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ...﴾: (١٢٨٢/٣) برقم: (٣٢٩٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد: (١٤١٧/٣) برقم: (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، ولد في سنة ست وسبعين وأربع مئة، أكثر من التأليف، من مؤلفاته كتاب "الشفا"، وكتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك"، توفي في سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

انظر: سير أعلام النبلاء: (٢١٢/٢٠)، والديباج المذهب لابن فرحون: (٢٦٦/٢).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (١٠٦/١).

(٤) القفول: الرُّجوع من السفر. وقيل: القُفُول: رجوع الجُنْد بعد الغَزْوِ. انظر: لسان العرب: (٥٦٠/١١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة: (١٠٦٥/٣) برقم: (٢٧٥٣)، ومسلم، كتاب الصلاة المسافرين، باب صلاة الخوف: (٥٧٦/١) برقم: (٨٤٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، فقال: (**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**)(١).

وأيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**)(٢).

أ - رحمته بالمؤمنين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

"يقول تعالى ذكره للعرب: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ أيها القوم ﴿رَسُولٌ﴾ الله إليكم، من أنفسكم، تعرفونه، لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يقول حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ أي رفيق، ﴿رَّحِيمٌ﴾"(٤).

فقد كان منهجه: الرحمة بالعباد، والتخفيف عليهم، وكان ﷺ يشق عليه ما شق

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها: (٢٠٠٦/٤) برقم: (٥٢٩٩).

(٢) رواه الترمذي في العلل الكبير: (ص ٣٦٩)، والرامهرمزي في أمثال الحديث: (ص ٣٤)، والطبراني في المعجم الصغير: (١٦٨/١) برقم: (٢٦٤)، والحاكم في المستدرك: (٩١/١) برقم: (١٠٠) من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، ورواه جماعة موقوفاً على أبي صالح.
وصوب البخاري والدارقطني أنه مرسل.
انظر: علل الترمذي: (ص ٣٦٩)، وعلل الدارقطني: (١٠٥/١٠).
وقال الألباني: "هذا إسناد صحيح مرسل". انظر: السلسلة الصحيحة برقم (٣٩٠)، والله تعالى أعلم.

(٣) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

(٤) تفسير الطبري: (٧٦/١١).

على أمته، وكان يحب التسهيل دائماً، ولربما كان ﷺ يحب أن يأتي بعض الأعمال ولكنه يتركها رحمة بأمته، خشية أن يشق عليهم، فمن ذلك: صلاة التراويح، فقد صلاها بأصحابه لياليَ من رمضان، ثم تخلف عنهم في الليلة الثالثة أو الرابعة، فلما صلى الفجر بيّن لهم ﷺ أنه لم يتخلف عنهم إلا خوفًا من أن تفرض عليهم صلاة التراويح، ثم يعجزوا عنها[1]. فهذا من رحمته وشفقته بأمته.

وقال ﷺ: (**لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة**)[2].

فلم يمنعه من ذلك إلا خوف المشقة على أمته، وكان يحب تأخير صلاة العشاء إلى ثلث الليل[3]، ولكنه خشي المشقة على أمته، ﷺ. فكان ﷺ أرحم الناس وأرأفهم بأمته.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5]، فرفع يديه وقال: (**اللهم أمتي**) وبكى. فقال الله عز وجل: (**يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم-**

---

(١) الحديث رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله: (٥/٢٢٦٦) برقم: (٥٧٦٢)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد: (١/٥٣٩) برقم: (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. وانظر: المدخل لابن الحاج: (٢/٢٩٠)، وحاشية الروض المربع: (٢/١٩٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة: (١/٣٠٣) برقم: (٨٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب النوم قبل العشاء لمن غلب: (١/٢٠٨) برقم: (٥٤٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها (١/٤٤٢) برقم: (٦٣٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) سورة إبراهيم؛ الآية: (٣٦).

(٥) سورة المائدة، الآية: (١١٨).

فسله ما يبكيك ؟). فأتاه جبريل الطَّيْلاً، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: (**يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك**)[1].

قال النووي رحمه الله: "هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد، منها: بيان شفقة النبي ﷺ على أمته، واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم"[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**وددت أنا قد رأينا إخواننا**). **قالوا**: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (**أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد**)[3].

ب- رحمته ﷺ بالنساء:

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ: قالت النساء: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان فيما قال لهن: (**ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار**)، فقالت امرأة: واثنين؟ قال: (**واثنين**)[4].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ: (**رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير**).

قال أبو قلابة: "يعني النساء"[5].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم: (١/١٩١) برقم: (٢٠٢).

(٢) شرح النووي على مسلم: (٣/٧٨).

(٣) البخاري، كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحق أو القربة أحق بمائة: (٢/٨٣٤) برقم: (٢٢٣٨)، ومسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: (١/٢١٨) برقم: (٢٤٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم: (١/٥٠) برقم: (١٠١) واللفظ له، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه: (٤/٢٠٢٨) برقم: (٢٦٣٣).

(٥) البخاري، كتاب الأدب، باب المعاريض مندوحة عن الكذب: (٥/٢٢٩٣) برقم: (٥٨٥٧)، =

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواهن، فلما استأذن عمر، قمن يبتدرن الحجاب، ورسول الله ﷺ يضحك، فأذن له رسول الله ﷺ، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. قال: (**عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**). قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أقمبنني ولا قمبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: (**والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجًّا غير فجك**)[1].

وعن أَنَسٍ ﷺ: أنَّ النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه، فقيل له. فقال: (**إني أرحمها، قتل أخوها معي**)[2].

وعنه أيضاً ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبيّ، فأتجوّز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**)[3].

ج- رحمته ﷺ بالصبيان:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، قال: كان إبراهيم مسترضعًا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت

=

ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء، وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن: (١٨١١/٤) برقم: (٢٣٢٣).

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: (١١٩٩/٣) برقم: (٣١٢٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عمر ﷺ: (١٨٦٣/٤) برقم: (٢٣٩٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير: (١٠٤٦/٣) برقم: (٢٦٨٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ: (٩٠٨/٤) برقم: (٢٤٥٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي: (٢٥٠/١) برقم: (٦٧٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام: (٣٤٣/١) برقم: (٤٧٠).

وإنه ليدَّخَنُ، وكان ظئره[1] قينًا[2]، فيأخذه فيقبله ثم يرجع، قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: (**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة**)[3].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ[4] إليه: إن ابنًا لي قُبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: (**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر، ولتحتسب**)، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع[5] -قال: حسبته أنه قال: كأنها شَنّ[6]- ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، **ما هذا**؟ فقال: (**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**)[7].

وعن عبد الله بن شداد رحمه الله، عن أبيه ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في

---

(١) الظئر بكسر الظاء مهموزة وهي المرضعة ولد غيرها، وزوجها ظئر لذلك الرضيع، ولفظة الظئر تقع على الأنثى والذكر، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر: من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يشاركها في تربيته غالبًا. انظر: لسان العرب: (٤/٥١٥)، وفتح الباري لابن حجر: (٣/١٧٣). ومعنى تكملان رضاعه أي تتمانه سنتين.

(٢) القَيْنُ: الحدَّاد، وقيل: كل صانع: قَيْنٌ، وقيل: كل عامل بالحديد عند العرب: قَيْنٌ. انظر: لسان العرب: (١٣/٣٥٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيات والعيال وتواضعه وفضل ذلك: (٤/١٨٠٨) برقم: (٢٣١٦).

(٤) هي زينب رضي الله عنها. انظر: فتح الباري: (٣/١٥٦).

(٥) يقال للجلد اليابس، والتِّرسَةِ إذا تخشخشت فحكيت صوت حركاتها: قد قعقعت قعقعة، وقيل: القعقعة: حكاية صوت السلاح. انظر: تهذيب اللغة: (١/٥٢).

(٦) هو الوعاء المعمول من الأدَم، فإذا يبس فهو شَنٌّ. انظر: تهذيب اللغة: (٩/٣٠).

(٧) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (**يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه**): (١/٤٣١) برقم: (١٢٢٤)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت: (٢/٦٣٥) برقم: (٩٢٣).

إحدى صلاتي العشي، وهو حامل حسنًا -أو حسينًا- فتقدم النبي ﷺ فوضعه، ثم كبر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي، فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: (**كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته**)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً! فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: (**من لا يرحم لا يُرحم**)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تُقبِّلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: (**أوَأَمْلك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**)[3].

وعن أبي قتادة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب ابنته، فكان إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها[4].

---

(١) رواه النسائي، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة: (٢/٢٢٩) برقم: (١١٤١)، وأحمد: (٣/٤٩٣)، والحاكم: (٣/١٨١)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: (٥/٢٢٣٥) برقم: (٥٦٥١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك: (٤/١٨٠٨) برقم: (٢٣١٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته: (٥/٢٢٣٥) برقم: (٥٦٥٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه، وفضل ذلك: (٤/١٨٠٨) برقم: (٢٣١٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة: (١/١٩٣) برقم: (٤٩٤)، ومسلم، كتاب المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة: (١/٣٨٥) برقم: (٥٤٣).

ج- رحمته ﷺ بالحيوان:

فعن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمَّرة[1] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرة فجعلت تَفْرِش[2]، فجاء النبي ﷺ فقال: **(من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها)**[3].

وعن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرَّ إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا، أو حائش نخل. فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت فقال: **(من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟)** فجاءه فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: **(أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه)**[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش،**

---

(١) نوع من العصافير. انظر: تاج العروس: (٨١/١)، وجمهرة اللغة: (٢٦٦/١).

(٢) يقال: تَفَرَّشَ الطائر، إذا قرُب من الأرض ورفرف بجناحِه. انظر: مقاييس اللغة: (٣٨٧/٤)، وتاج العروس: (٣٠٨/١٧).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار: (٥٥/٣) برقم: (٢٦٧٥)، والحاكم في المستدرك: (٢٦٧/٤)، والطبراني في الكبير: (١٧٧/١٠) برقم: (١٠٣٧٥)، والطيالسي في مسنده: (٣٣٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم: (٢٣/٣) برقم: (٢٥٤٩)، وأحمد: (٢٠٤/١) (١٧٤٥)، والحاكم: (١٠٩/٢). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد"، وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج: (٤٣٨/٢): "سنده في مسلم"، وقال ابن كثير في إرشاد الفقيه: (٢٤٧/٢): "وأصل الحديث في مسلم".

قلت: أصله في صحيح مسلم برقم: (٣٤٢).

فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثل الذي كان بلغ مني، فنـزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له)، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: (**في كل كبد رطبة أجر**)[1].

هـ- رحمته ﷺ بالجماد:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار -أو رجل-: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: (**إن شئتم**) فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه، تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها[2].

وفي رواية فأتاه فاحتضنه فسكن، فقال: (**لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة**)[3].

٦- داعي إلى الله:

وتسميته ﷺ بالداعي إلى الله راجع إلى ما ورد في كتاب الله والسنة النبوية من نصوص تصفه بذلك باعتبارات عدة، وفيما يلي أبرز هذه النصوص بتلك الاعتبارات:

- وصفه أنه داعي إلى الله ووصف طريقة دعوته:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب الآبار التي على الطرق إذا لم يتأذ بها: (٢/٨٧٠) برقم: (٢٣٣٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها: (٤/١٧٦١) برقم: (٢٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (٣/١٣١٤) برقم: (٣٣٩١).

(٣) انظر: الحديث في: سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في بدء شأن المنبر: (١/٤٥٤) برقم: (١٤١٥)، ومسند أحمد بن حنبل: (١/٢٤٩، ٢٦٧، ٣٦٣)، وسنن الدارمي: (١/١٩)، والمعجم الكبير للطبراني: (١٢/١٨٧)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته. ﴿سَبِيلِيٓ﴾ وطريقتي ودعوتي. ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحده لا شريك له. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك، ويقين علم منّي به ﴿أَنَا۠﴾، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ وصدقني وآمن بي، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل، تنزيهًا لله، وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منّي"[2].

- ووصفه الله ووصف دعوته بالهدى والطريق المستقيم، وأنه داعي الله إلى الثقلين:

وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾[4].

-ووصفه بكونه داعيًا إلى الله بإذنه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[5]. جاء عن قتادة قال: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله[6].

---

(١) سورة يوسف؛ الآية: (١٠٨).

(٢) تفسير الطبري: (١٦/٢٩١).

(٣) سورة الحج؛ الآية: (٦٧).

(٤) سورة الأحقاف؛ الآيتان: (٣١-٣٢).

(٥) سورة الأحزاب؛ الآيتان: (٤٥-٤٦).

(٦) تفسير الطبري: (٢٠/٢٨١).

قال الطبري رحمه الله: "وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وداعيًا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان"[1].

وقد ثبت في السنة ما دلّ على وصف النبيّ ﷺ بالدّاعي، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: "جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارًا، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، و لم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس[2].

٧- الشهيد والشاهد:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

أي ويكونَ رسولي محمدٌ ﷺ شهيدًا عليكم، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عند الله.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب. فتُسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون**)، ثم قرأ رسول الله ﷺ: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ **قال: عدلاً** ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠/٢٨١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: (٦/٢٦٥٥)، برقم: (٦٨٥٢).

(٣) سورة البقرة؛ جزء من الآية: (١٤٣).

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

"يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: وجئنا بك يا محمد شاهدًا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم"[3].

قال صاحب أضواء البيان: "ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يوم القيامة يبعث في كل أمة شهيدًا عليهم من أنفسهم، يشهد عليهم بما أجابوا به رسولهم، وأنه يأتي بنبينا ﷺ شاهدًا علينا"[4].

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[5].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول اللّه ﷺ: **(اقرأ علي)**. قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: **(إني أشتهي أن أسمعه من غيري)**. قال: فقرأت النساء، حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾. قال لي: **(كف)** أو **(أمسك)**، فرأيت عينيه تذرفان[6].

قال الطبري رحمه الله: "﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾، يقول: ﴿وَجِئْنَا بِكَ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: (٢٦٧٥/٦) برقم: (٦٩١٧).

(٢) سورة النحل؛ الآية: (٩٨).

(٣) تفسير الطبري: (٢٠ /٢٨٢).

(٤) تفسير أضواء البيان: (٤٢٦/٢).

(٥) سورة النساء؛ الآية: (٤١).

(٦) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن: (١٩٢٧/٤) برقم: (٤٧٦٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن ...: (٥٥١/١) برقم: (٨٠٠).

يا محمد، ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، أي: على أمتك ﴿شَهِيدًا﴾"[1].

قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2].

قال الطبري رحمه الله: "ليكون محمد رسول الله شهيدًا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلّغكم ما أُرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين، أنهم قد بلّغوا أممهم ما أرسلوا به إليهم"[3].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[4].

عن قتادة: ﴿شَٰهِدٗا﴾ "على أمته بالتبليغ إليهم، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم"[5].

قال الشوكاني رحمه الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾: "أي على أمته، يشهد لمن صدقه وآمن به، وعلى من كذبه وكفر به. قال مجاهد: شاهداً على أمته بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم إليهم"[6].

قال السعدي رحمه الله: "كونه شاهدًا" أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾. فهو ﷺ شاهد عدل مقبول"[7].

---

(١) تفسير الطبري: (٨/٣٦٨).

(٢) سورة الحج؛ الآية: (٧٨).

(٣) تفسير الطبري: (١٨/٦٩٣).

(٤) سورة الأحزاب؛ الآية: (٤٥).

(٥) تفسير القرطبي: (١٤/٢٠٠).

(٦) تفسير فتح القدير: (٦/٥٥).

(٧) تفسير السعدي: (ص ٦٦٧).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾[1].

٨- البشير النذير:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (**أنزلت علي** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ **قال: بشيرًا بالجنة، ونذيرًا من النار**)[3].

قال البغوي رحمه الله: "قوله عز وجل: ﴿بَشِيرًا﴾ أي مبشرًا لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي منذرًا مخوفًا لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم"[4].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: "ذكر تعالى بعض آية موجزة مختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه ﷺ وصحة ما جاء به فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: في نفس إرساله.

والثاني: في سيرته وهديه ودله.

والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

فالأول والثاني؛ قد دخلا في قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾، والثالث دخل في قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

وبيان الأمر الأول وهو -نفس إرساله- أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته ﷺ

---

(١) سورة المزمل؛ الآيتان: (١٥-١٦).

(٢) سورة البقرة؛ الآية: (١١٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم: (٢١٦/١)، وانظر: تفسير ابن كثير: (١٦٣/١).

(٤) تفسير البغوي: (١٤٣/١).

وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقرضوا قبيل البعثة.

وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملاً؛ لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله.

وأما الثاني: فمن عرف النبي ﷺ معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك، قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم.

وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به ﷺ من الشرع العظيم، والقرآن الكريم، المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة.

قوله: ﴿بَشِيرًا﴾ أي لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الدنيوي والأخروي"[١].

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٣].

قال الطبري رحمه الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد إلى من أرسلناك إليه ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ بالثواب الجزيل، من آمن بك وصدّقك، وآمن بالذي جئتهم به من عندي، وعملوا به ﴿وَنَذِيرٗا﴾ من

---

(١) تفسير السعدي: (ص ٦١).

(٢) سورة الأعراف؛ الآية: (١٨٨).

(٣) سورة الفرقان؛ الآية: (٥٦).

كذّبك وكذّب ما جئتهم به من عندي، فلم يصدّقوا به، و لم يعملوا"[١].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣].

عن قتادة قال: "﴿شَاهِدًا﴾ على أمتك بالبلاغ. ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة. ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار"[٤].

قال القرطبي رحمه الله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ معناه: للمؤمنين برحمة الله وبالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ معناه: للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد"[٥].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٦].

٩- النور:

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[٧].

قال الطبري رحمه الله: "... يعني بالنور: محمدًا ﷺ الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق..."[٨]. وقد تقدم أقوال المفسّرين بالمراد بالنور[٩].

---

(١) تفسير الطبري: (١٩/٢٦٨).

(٢) سورة البقرة؛ الآية: (٨٩).

(٣) سورة الأحزاب؛ الآية: (٤٥).

(٤) تفسير الطبري: (٢٠/٢٨١)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٩/٣١٤٠).

(٥) تفسير القرطبي (١٤/٢٠٠)،

(٦) سورة سبأ؛ الآية: (٢٨).

(٧) سورة المائدة؛ الآية: (١٥).

(٨) تفسير الطبري: (١٠/١٤٣).

(٩) انظره ص ٦٥ وما بعدها.

١٠- المصطفى:

لقد تظاهرت موارد هذا الاسم في نصوص الوحيين:

أما من القرآن الكريم:

فمنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[١].

قال القرطبي رحمه الله: "ختم السورة بأن الله اصطفى محمدًا ﷺ لتبليغ الرسالة، أي ليس بعثه محمدًا أمرًا بدعيًّا"[٢].

قال البغوي رحمه الله: "﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾ يعني يختار. ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وغيرهم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ"[٣].

أما السنة:

فقد جاءت أحاديث صحيحة مصرحة بإثبات هذا الاسم للنبي ﷺ فيها بأسمائه، ومن ذلك ما يلي:

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: انطلق النبي ﷺ يومًا وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **(يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه)**. قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: **(أبيتم، فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم)**. ثم انصرف وأنا معه، حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال: فأقبل. فقال ذلك

---

(١) سورة الحج؛ الآية: (٧٥).

(٢) تفسير القرطبي: (١٢/٩٨).

(٣) تفسير البغوي: (٥/٤٠٠).

الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شرًّا، قال رسول الله ﷺ: (**كذبتم، لن يقبل قولكم، أما آنفًا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن أكذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم**). قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]"[2].

من فوائد ذكر النبيّ ﷺ لهذين الاسمين: "العاقب والمصطفى" في هذا الموقف بعد أن تحدّى اليهود، فعقب حجته بذكر هذه الاسمين إشارة إلى أنّهما من الأوصاف التي كان يَعرف بها اليهود النبيّ الخاتم وإلاّ لم يكن لتخصيص النبي ﷺ لهما بالذكر دون سائر أسمائه وصفاته فائدة، والله أعلم.

١١- محمد وأحمد والماحي والحاشر والمقفي والعاقب:

دلّ على هذه الأسماء للنبيّ ﷺ ما ثبت في الصحيحين من حديث جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: (**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي لا نبي بعدي**)[3].

فإن قيل: إنه حدد، فقال: (**لي خمسة أسماء**)؟!.

فالجواب: أنّ قوله ﷺ: (**لي خمسة أسماء: محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب**)،

---

(١) سورة الأحقاف؛ الآية: (١٠).

(٢) رواه أحمد في المسند: (٣٩/٤٠٩-٤١١)، برقم: (٢٣٩٨٤). وأخرجه الطبري في التفسير: (٢٦/١١)، وابن حبان: (٧١٦٢)، والطبراني في الكبير: (١٨/٨٣)، وفي الشاميين: (٩٤٨)، والحاكم: (٣/٤١٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٧/١٠٦): "رجاله رجال الصحيح".

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ: (٣/١٢٩٩) برقم: (٣٣٣٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ: (٤/١٨٢٨) برقم: ٢٣٥٤).

لا يدل على الحصر، وإنّما خصت هذه الخمسة بالذكر هنا، لعلم السامع بما سواها، فكأنه قال: لي خمسة فاضلة معظمة. أو لشهرتها،كأنه قال لي خمسة أسماء مشهورة.

أو لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني.

قال أبو العباس القرطبي: "وقد يقال: ما وجه تخصيص هذه الأسماء الخمسة بالذكر مع أن أسماءه أكثر من ذلك؟ فيجاب عنه: بأن هذه الخمسة الأسماء هي الموجودة في الكتب المتقدمة، وأعرف عند الأمم السالفة، ويحتمل أن يقال: إنه في الوقت الذي أخبر بهذه الأسماء الخمسة لم يكن أوحى إليه في غيرها بشيء"[(١)].

وكذا جاء عن أبي موسى ﷺ قال: سمى لنا رسول الله ﷺ لنفسه أسماء، فمنها ما حفظنا، قال: **(أنا محمد وأنا أحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة)**[(٢)].

وعنه أيضاً قال: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظنا، ومنها ما لم نحفظ، فقال: **(أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفي والحاشر ونبي التوبة، ونبي الملحمة)**[(٣)].

من أسمائه في الكتب السابقة:

ما جاء عن عطاء بن يسار[(٤)]. قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل. والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن. يا أيّها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق. ولا يدفع بالسيئة السيئة. ولكن يعفو

---

(١) المفهم للقرطبي: (١٤٩/٦).

(٢) رواه أحمد: (٣٩٥/٤)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢١٧/٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٦٥٩/٢)، وأصله في مسلم برقم: (٢٣٥٥).

(٣) رواه أحمد: (٤٠٤/٤)، وابن حبان: (٢٢٠/٢).

(٤) هو عطاء بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين أخو سليمان وعبدالملك وعبد الله بن يسار، وهو من كبار التابعين، كان ثقة، كثير الحديث، توفي على الأصح سنة ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤٤٩/٤)، والأعلام: (٣٩٤/١).

ويغفر. ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً"[1].

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اسم النبي ﷺ في التوراة: الضحوك القتال[2].

تفسير أسمائه وبيان تعلقها بذاته الشريفة ﷺ.

الماحي:

الماحي: هوالذي محا الله به الكفر، ولم يُمح الكفر بأحد من الخلق كما محي بالنبي ﷺ فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عباد أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين، وصابئة دهرية لا يعرفون ربًّا ولا معادًا، وبين عباد الكواكب، وعباد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء، ولا يقرون بها، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار[3].

الحاشر:

الحاشر: من الحشر، وهو الضم والجمع. فهو الذي يحشر الناس على قدمه، فكأنه بعث ليحشر الناس[4].

قال البيهقي رحمه الله: "وأما الحاشر فتفسيره في الحديث، ومعناه: أول من يبعث من القبر، وكل من عداه فإنما يبعثون بعده، وهو أول من يذهب به إلى المحشر، ثم الناس بعده على أثره"[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق: (٧٤٧/٢) برقم: (٢٠١٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (٥٠٢/١)، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (٣٦٣/٢)، ومختصر تفسير ابن كثير: (١٧٩/٢).

(٣) انظر: زاد المعاد: (٩٤/١).

(٤) انظر: المصدر نفسه: (٩٤/١).

(٥) شعب الإيمان: (١٤٣/٣).

العاقب:

والعاقب: معناه الذي جاء عاقبًا الأنبياء، فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

المقفي:

المقفي: معناه: الذي قفي على آثار من تقدمه، فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل، وهذه اللفظة مشتقة من القفو، يقال: قفاه يقفوه إذا تأخر عنه، ومنه: قافية الرأس وقافية البيت، فالمقفي الذي قفى من قبله من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم[1].

نبي التوبة:

نبي التوبة: هو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله، وكان أكثر الناس استغفارًا وتوبة، حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور.

وكان يقول ﷺ: **(يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة)**[2].

وتوبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم، وأسرع قبولاً، وأسهل تناولاً، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل: قتل أنفسهم، وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها: .لندم والإقلاع [3].

---

(١) انظر: زاد المعاد: (١/٩٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء...، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه: (٤/٢٠٧٥) برقم: (٢٧٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: زاد المعاد: (١/٩٥).

نبي الملحمة:

نبي الملحمة: وهو الذي بُعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم[1].

نبي الرحَمة:

نبي الرحمة: أي الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم، مؤمنهم وكافرهم.

أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله، وتحت حبله، وعهده.

وأما من قتله منهم هو وأمته، فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة[2].

الضحوك القتال:

وأما الضحوك القتال فاسمان مزدوجان، لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين، غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ، قتّال لأعداء الله، لا تأخذه فيهم لومة لائم[3].

المتوكل:

قال ابن القيم رحمه الله في تفسير اسم المتوكل: "وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم، لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلاً لم يشركه فيه غيره"[4].

---

(١) انظر: زاد المعاد: (٩٦/١).

(٢) انظر: المصدر نفسه: (٩٦/١).

(٣) انظر: المصدر نفسه: (٩٦/١).

(٤) المصدر نفسه: (٩٦/١).

قال ابن بطال رحمه الله: "قال المهلب[1]: وقوله: (سميتك المتوكل) لقناعته باليسير من الرزق، واعتماده على الله تعالى بالتوكل عليه في الرزق، والنصر، والصبر على انتظام الفرج، والأخذ بمحاسن الأخلاق"[2].

قال صاحب عمدة القاري رحمه الله: "قوله: (سميتك المتوكل) يعني لقناعته باليسير من الرزق، واليقين بتمام وعد الله، فتوكل عليه، فسمي المتوكل"[3].

---

(١) هو المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله، الأسدي الأندلسي المري، مصنف "شرح صحيح البخاري"، توفي سنة ٤٣٥هـ.

انظر: سيرة أعلام النبلاء: (٥٧٩/١٧)، وشذرات الذهب: (٢٥٥/٣).

(٢) شرح ابن بطال: (٢٥٤/٦).

(٣) عمدة القاري: (٢٤٣/١١).

المطلب الثاني

الكلام في وصف ذات النبي ﷺ بالمقدسة

التقديس في اللغة له معنيان:

أحدهما: التطهير، يقال: "قدَّس يقدِّس تقديساً. والتقديس: التطهير من قولهم: لا قدَّسه الله، أي لا طهّره"(١).

قال الفرَّاء: الأرض المقدسة: الطاهرة وهي: دمشق، وفلسطين، وبعض الأردن(٢).

قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(٣) أي: نطهر أنفسنا لك.

وقيل للسطل: القدس لأنه يتقدس منه: أي يتطهر، ومن هذا: بيت المقدس أي: البيت المطهر الذي يتطهر به من الذنوب(٤).

ويقال: البيت المقدس: هو المطهر من النجاسة: أي الشرك. وكذلك الأرض المقدسة، قال الله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾(٥).

والآخر: البركة: القدس: البركة. والأرض المقدسة: الشام، منه. وبيت المقدس(٦).

وحكى ابن الأعرابي: لا قدسه الله أي لا بارك عليه. قال: والمقدس: المبارك (٧).

ويقال: أرض مقدسة: أي مباركة(٨).

---

(١) جمهرة اللغة: (٦٤٦/٢).

(٢) لسان العرب: (١٦٩/٦)، وتاج العروس: (٣٥٨/١٦).

(٣) سورة المائدة؛ الآية: (٢١).

(٤) تهذيب اللغة: (٣٠٣/٨).

(٥) المفردات في غريب القرآن: (٣٩٦/١).

(٦) جمهرة اللغة: (٦٤٦/٢).

(٧) المحكم والمحيط الأعظم: (٢٢٥/٦)، ولسان العرب: (١٦٩/٦)، وتاج العروس: (٣٥٩/١٦).

(٨) تهذيب اللغة: (٣٠٤/٨).

وقال امرؤ القيس[1]: يصف الثور والكلاب:

فَأَدْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا ... كَمَا شَبْرَقَ الْوِلْدَانُ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِ

وَغَوَّرْنَ فِي ظِلِّ الغَضَا وَتَرَكْنَهُ ... كَقَرْمِ الهِجَانِ الفَادِرِ المَتَشَمِّسِ[2]

"قال شمر[3]: أراد بالمقدّس: الراهب، وصبيانُ النصارى يتبركون به، ويمسحون ثيابه، ويأخذون خيوطه، حتى يتمزق عنه ثوبه"[4].

وللنّاس قولان في الكلام على وصف ذات النبي ﷺ بالمقدسة من حيث تعلق التقديس بالنبي ﷺ:

القول الأول: من يرى أنّ مراد ذلك عند الإطلاق هو التطهير والبركة من المعنى اللغوي والاصطلاحي، في إشارة إلى ما تحقق في حقه من غفران الذنوب قبل وقوعها، والبركة ببعثته ﷺ إلى الثقلين.

القول الثاني: من يرى أنّ مرجع ذلك الأصول المتقدمة من مصطلح الحقيقة المحمدية وما يرادفها من مصطلحات أخرى، كالإنسان الكامل.

---

(١) هو حُنْدُج بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية الكِندى. شاعر عربى من قبيلة كندة. وُلد بأرض نجد في ديار بنى أسد نحو سنة (١٣٠ق. هـ=٤٩٧م). وقد لقب امرؤ القيس بالملك الضليل، وبذي القروح. وقد قيل: إن امرأ القيس هو أول من وضع قواعد للشعر العربى، ومن ثم لُقب بأمير شعراء الجاهلية، ومات بأنقرة قبل الإسلام بقرابة قرن من الزمان. الأغاني: (٩/٧٧)، وتاريخ دمشق: (٩/٢٢٢).

(٢) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي (ص: ١١١).

(٣) هو شمر بن حمدويه العالم النحوي، إمام الغريب وراويته: أبو عمرو الهروي، الشاعر الأديب، أخذ اللغة عن ابن الأعرابي، والأصمعي، والفراء والطبقة. انظر: بغية الوعاة: (٢/٤)، ونزهة الألباء: (١/١٥١)، وإنباه الرواة: (٢/٧٧)، ومعجم الأدباء: (١١/٢٧٤).

(٤) تهذيب اللغة: (٨/٣٠٤).

أما القول الأول:

فقد جاء في بعض كتب الشمائل النبوية وصفه ﷺ بالقدوس، وبعضهم أضاف لهذا الوصف بالمطهَّر، إشارة إلى أن المراد بحقيقة هذا الوصف إنما هو التطهير من الذنوب، والخطايا. وأورد الدليل من القرآن الكريم على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1]، ومن المعاني الشاملة لذلك ما ثبت في السيرة النبوية من حادثة شق صدره ﷺ، وغسله بماء زمزم بعد نزع حظ الشيطان منه[2].

وأما وصف ذات النبي ﷺ بالمقدسة فلم يثبت بذلك نص شرعي من كتاب ولا سنة، ولا دلّ عليه شيء من أقوال السلف فيما وقفت عليه والله أعلم.

وأمّا القول الثاني: فقد ظهر فيه تقديس النبي ﷺ في صورة من الغلو والمبالغة، إلى درجة مساواته بالذات الإلهية، بصرف أخص خصائص الله سبحانه وتعالى إلى النبيّ ﷺ جهلاً أو نفاقًا وزندقة .

وسأذكر في هذا المبحث بعض ما ورد من هذا الغلو في تقديس ذات النبي ﷺ مثل الاستغاثة به، والالتجاء إليه ﷺ، وطلب الحوائج وطلب كشف الكروب منه، والاعتقاد بأنه يعلم الغيب وما في الضمائر.

يقول البوصيري:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْق مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذَا الْكَرِيمُ تَجَلَّى[3] باسمِ مُنْتَقِمِ[4]

فهذه الصورة من التقديس أنزلت النبي ﷺ منزلة لا تكون إلا لله تعالى، بل أفردته ﷺ بما هو من خصائص الله تعالى التي لا يشاركه سبحانه وتعالى فيها أحد، وقد كان

---

(١) سورة الفتح؛ الآية: (٢).

(٢) انظر: الروض الأنف للسهيلي: (١/١٨٩).

(٣) في بعض المصادر: "تحلّى" بالحاء المهملة، ويظهر لي أن المثبت هو الصواب.

(٤) ديوان البوصيري: (ص ٢٥٢)، والعمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري: (ص ٤٧).

المشركون الذين بُعث فيهم النبي ﷺ أحسن حالاً من هولاء الغلاة، وذلك أنهم كانوا إذا نزلت بهم الشدائد وطرقت بابهم النوازل يخلصون لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[2].

يقول البكري[3]:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى رَبِّهِ ... وَخَيْرَ مَنْ فِيهِمْ بِهِ يُسْأَلُ
قَدْ مَسّنِي الْكَرْبُ وَكَمْ مَرَّةً ... فَرّجْتَ كَرْباً بَعضُهُ يُذْهِلُ
عَجِّلْ بِإذْهَابِ الَّذِي أَشْتَكِي ... فَإن تَوقَّفْتَ فَمَنْ ذَا أَسْأَلُ[4]

فبلغ بغلوه في تقديس النبي ﷺ أن جعله الملاذ عند المعضلات، الذي لا حول ولا قوّة لأحد إلاّ عن طريق مَنِّه ﷺ وتفريجه بإجابة سؤال السائلين!. نعوذ بالله من الخذلان.

ولا شكّ أنّ السؤال الأهم هنا هو: أين الدليل من كتاب أو سنة؟

وهل أمر الله تعالى العباد أن يلتجؤا إلى رسوله؟

والجواب الصحيح واضح لمن هداه الله إلى فهم أصول رسالات الأنبياء والرسل، فإنّ الله إنّما بعث الرسل والأنبياء لتحقيق العبودية له وحده لا شريك له، ومنع جميع صور

(١) سورة العنكبوت؛ الآيتان: (٦٥-٦٦).

(٢) سورة لقمان؛ الآية: (٣٢).

(٣) هو (أبو المواهب) محمد بن أبي الحسن محمد بن محمد البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري، مشتغل بالعلم وكان على مذهب المتصوفة، من تصانيفه: "شرح على مختصر أبي شجاع"، و"رسالة في آداب الشيخ والمريد"، مات سنة ٩٩٣هـ. انظر: النور السافر: (ص٣٦٩).

(٤) النور السافر: (ص ٣٧٤)، والذخائر: (ص ١٥٨).

الشرك، والذرائع إليه من الغلو، وتقديس الأشخاص والذوات إلى حد عبادتها بما لم ينزل الله به من سلطان.

٣- يقول محمد الجمالي الحلبي[١] مستغيثاً بالنبي ﷺ:

يَا مَلاَذِي يَا مُنْجِدي يَا مُنَائي ... يَا مَعَاذِي يَا مَقْصَدِي يَا رَجَائِي

يَا نَصِيرِي يَا عُمْدَتِي يَا مُجِيرِي ... يَا خَفِيرِي يَا عُدَّتِي يَا شِفَائِي

أَدْرِكْ أَدْرِكْ أَغِثْ أَغِثْ يَا شَفِيعِي ... عَنْدَ رَبِّي وَاعْطِفْ وَجُدْ بِالرِّضَاءِ

أَنْتَ عَوْنِي وَمَلْجَئِي وَغِيَاثِي ... وَجَلاَ كُرْبَتِي وَأَنْتَ غِنَائِي[٢]

هنا صورة أخرى من صور التقديس لم يترك صاحبها لله تعالى شيئًا من حقوقه الواجبة والمستحبة في العبادة إلا صرفه للنبي ﷺ وجعله من حقه ﷺ الخالص، فجعل النبي ﷺ هو الملاذ والمعاذ والمقصد والمرجّى، والنصير، والعمدة، والمجير، والمغني، والغوث وهكذا في سلسلة تجمع جميع مظاهر العبودية الخالصة لله تعالى وتصرفها إلى النبيّ ﷺ.

وقد قال الله تعالى حكاية عن نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٤] قال: **(يا معشر قريش)**، أو كلمة نحوها **(اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما**

---

(١) هو محمد بن علي بن مصطفى المعروف بالجمالي الحنفي الحلبي، ناظم عقود اللآلي، ولد في حلب سنة ١١٠٨هـ، وهو من أعلام التصوف وأدبائه، مات سنة ١١٧٣هـ. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: (٧١/٤)

(٢) شواهد الحق للنبهاني: (ص ٣٥٥).

(٣) سورة الجن؛ الآية: (٢٢).

(٤) سورة الشعراء؛ الآية: (٢١٤).

شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا)[١].

فموضع الشاهد من هذا التعميم والتخصيص أنه ﷺ قال: (**لا أغني عنكم من الله شيئاً**). أي: لا أنفعكم بدفع شيء عنكم دون الله، ولا أمنعكم من شيء أراده الله لكم، لأن الأمر بيد الله، ولهذا أمر الله نبيه بذلك، فقال: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[٢].

وأيضا: دل هذا الحديث على أنّ النبي ﷺ لا يملك من حق الله تعالى شيئًا، كما يقرره قوله ﷺ: (**يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت**): أي: اطلبيني من مالي ما شئت؛ فلن أمنعك، لأنه ﷺ مالك لماله، ولكن بالنسبة لحق الله تعالى قال: (**لا أغني عنك من الله شيئاً**).

فهذا كلام النبي ﷺ لأقرب الأقربين من أقاربه: عمه، وعمته، وابنته؛ فما بالك بمن هم أبعد؟! فعدم إغنائه عنهم شيئاً من باب أولى؛ فهؤلاء الذين يتعلقون بالرسول ﷺ على غير هُدى من شرع الله ويلوذون به، ويستجيرون به، قد غرَّهم الشيطان واجتالهم عن طريق الحق، لأنهم تعلقوا بما ليس بمتعلق، إذ الذي ينفع بالنسبة للرسول ﷺ هو محبته على ما شرع الله، والإيمان به واتباعه.

أما دعاؤه والتعلق به ورجاؤه فيما يؤمل، وخشيته فيما يُخاف، فهذا شرك بالله، وهو مما يُبعد عن الرسول ﷺ وعن النجاة من عذاب الله[٣].

قال شمس الدين التواجي المصري[٤] وهو يدعو النبيَّ ﷺ أن يشفيه:

يَا رَسُولَ الإِلَهِ إِنِّي ضَعِيفٌ ... فَاشْفِنِي أَنْتَ مَقْصِدٌ لِلشِّفَاءِ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب: (٣/١-١٢ برقم: (٢٦٠٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: (١/١٩٢) برقم: (٢٠٦).

(٢) سورة الجن؛ الآيتان: (٢١-٢٢).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٨٩/٩). والقول المفيد على كتاب التوحيد (٢٩٧/١).

(٤) لم أجد له ترجمة.

يَـا رَسُـولَ اللهِ إن لَـمْ تُغِثْنِـي ... فَإِلَى مَنْ تُرى يَكُـونُ التجَـائِي[1]

قال أحمد رضاء البريلـوي[2]: "إن رسـول الله ﷺ هـو المـبرئ مـن السـقم والآلام، والكاشف عن الأمة كل خطب، وهو المحيـي، وهـو الـدافع للمعـضلات، والنافع للخلق، والرافع للرتب، وهو الحافظ، والناصـر، وهـو دافـع الـبلاء، وهـو الذي برد على الخليل النار، وهو الذي يهب ويعطي، وحكمـه نافـذ، وأمـره جـار في الكونين"[3].

فهذا تقديس للنبي ﷺ فيما قام الشرع والعقل أنه حق لله تعالى، لا يشاركه فيه أحد كائناً من كان.

قال تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[4].
وتوحيد الله تعالى بهذا المعنى جاء مصرّحًا به من قوله ﷺ في الرقية:

فعن أنس بن مالك ﷺ، أنّه قال لثابت: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: **(اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا)**[5].

بعد هذا النص الواضح في إثبات حق الله، يزعم هؤلاء أن النبي ﷺ يبرئ الـسقم، دون أن يستندوا في ذلك على دليل لا من الكتاب ولا من السنة النبوية.

ويقول النبهاني: وهو يصف النبي ﷺ أنه يعلم ما في الضمائر:

---

(١) شواهد الحق للنبهاني: (ص ٣٥٢).

(٢) هو أحمد رضاء خان القادري الأفغاني البريلوي الحنفي، أحد أعلام القبورية الوثنيـة في شـبه القارة الهندية، كان يلقب بعبد المصطفى، مات سنة ١٣٤٠هـ.

انظر: نزهة الخواطر: (٤٢/٨)، والبريلوية لإحسان إلهي ظهير: (ص ١٥) وما بعدها.

(٣) الاستمداد على أجيال الارتداد، للبريلوي: (ص ٣٢-٣٣)، والبريلوية، عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير: (ص ٦٨).

(٤) سورة الشعراء؛ الآية: (٨٠).

(٥) رواه البخاري كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ: (٢١٦٧/٥) برقم: (٥٤١٠).

سَـيِّدي يَـا أَبَـا البَتُـولِ أَغِثْنِـي أَنْتَ أَدْرَى بِمَا حَـوَاهُ الـضَّمِيرُ[1]

وهذه الصورة من التقديس تضمنت الزور والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[3].

كما بين سبحانه وتعالى أنه ﷺ لا يعلم ما في الضمائر: فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[6].

---

(١) شواهد الحق: (ص ٣٦٣).

(٢) سورة الرعد؛ الآيتان: (٨-١٠).

(٣) سورة النمل؛ الآية: (٦٥).

(٤) سورة آل عمران؛ الآية: (١٥٤).

(٥) سورة الأعراف؛ الآية: (١٨٨).

(٦) سورة الأنعام؛ الآية: (٥٩).

وكان النبي ﷺ يأتيه الخصمان يختصمان في أمور تتعلق بالأموال، والأعراض، فلا يعلم ما أسرا من صدق، أو كذب، فيحكم بينهما بنحو ما يسمع ويظهر من حجتهما، كما هو صريح حديث أم سلمة -المتقدّم -أن رسول الله ﷺ قال: (**إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها**)[1].

فلو كان النبي ﷺ يعلم ما في الضمائر لما احتاج لسماع خصومة الخصمين، ولَما قال هذا القول الدال دلالة واضحة على أنه لا يعلم ما في الضمير.

وكذا قصة المتلاعنين وهي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾[2]، وهي مسألة تتعلق بأمر خطير وهو العرض الذي عظّم الإسلام أمره، بل هو أحد الكليات الخمس التي أجمعت شرائع الأنبياء والرسل على حمايته.

فلو كان النبي ﷺ يعلم ما في الضمائر لقضى لأحدهما، ولَما قال ﷺ للمتلاعنين: (**حسابكما على الله، أحدكما كاذب، لا سبيل لك عليها**)، قال: يا رسول الله مالي! قال: (**لا مال لك، إن كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها، وإن كنت كذبت عليها فذاك أبعد لك منها**)[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين: (٩٥٢/٢) برقم: (٢٥٣٤)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة: (١٣٣٧/٣) برقم: (١٧١٣).

(٢) سورة النور؛ الآيات: (٦-٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب قول الإمام للمتلاعنين: (**إن أحدكما كاذب، فهل منكما من تائب**): (٢٠٣٥/٥) برقم: (٥٠٠٦)، ومسلم، كتاب اللعان: (١١٣٢/٢) برقم: (١٤٩٤).

بل سيرته ﷺ تدل دلالة واضحة على أنه ﷺ لا يعلم ما في ضمائر الناس الذين حوله إلا بما أوحى الله له.

يقول عبد المجيد الخاني[1]: وهو يناشد النبي ﷺ:

وَأَنَـــا عَبْـــدٌ ضَـــعِيفٌ مُـــذْنِبٌ	مُـــسْتَجِيرٌ بِحِمَـــاكَ الْمُـــسْتَنِيرْ
وَحِماكَ الْمَلْجَـأُ الْمَقْـصُودُ فِـي	كُلِّ حَـالٍ مِـنْ صَـغِيرٍ وَكَـبِيرْ
فَـأَغِثْنِي يَـا غِيَـاثَ الأَنْبِيَـاءِ	لَـيْسَ لِـي غَـيْرُكَ وَاللهِ نَـصِيرْ[2]

والعجيب في هذا التقديس أنّه جعل النبي ﷺ غياث الأنبياء، وهذا باطل بلا شـك، قال تعـالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]، وقد أخبرنا الله تعالى في قصص متنوعة من كتابه العزيز كيف امتحن أنبياءه في دعـوهم وفي أنفسهم وفي أبنائهم وذويهم وأقوامهم، دون أن يشير في شيء منها إلى أنّهم لجئوا أو استغاثوا بغيره تعالى .

يقول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾[5].

---

(١) هو عبد المجيد بن محمد بن محمد الخاني النقشبندي، ولد سنة ١٢٦٠هـ، أخذ عن عبد القـادر الجزائري ومحمد الطنطاوي، مات في الأستانة سنة ١٣١٥هـ.

انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: (ص١٠٤٠)، والأعلام للزركلي: (١٥٠/٤).

(٢) الحدائق الوردية في حقائق أجلاء الطريقة النقشبندية: (٢٢/٢٠).

(٣) سورة الأنبياء؛ الآية: (٢٥).

(٤) سورة الشعراء؛ الآيتان: (١١٧-١١٨).

(٥) سورة القمر؛ الآيتان: (٩-١٠).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾[1].

وهود عليه السلام ابتلي بقومه، فحكا عنه تعالى قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

وإبراهيم عليه السلام بعد ما برهن لقومه على استحقاق الله تعالى إخلاص العبادة له، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3].

وقال وهو يرجو قبول عمله الصالح في بناء قواعد البيت الحرام، والتثبيت على الدين الحنيف، وبقاء الرسالة في ذريته، ما حكى الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[4].

ودعا الله أن يرزقه الولد كما قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5].

ودعا الله ولم يدع غيره في حفظ ذريته، وأمن بيته الحرام فقال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا

---

(١) سورة المؤمنون؛ الآية: (٢٦).

(٢) سورة المومنون، الآيتان: (٣٩-٤٠).

(٣) سورة الأنعام؛ الآية: (٧٩).

(٤) سورة البقرة؛ الآيات: (١٢٧-١٢٩).

(٥) سورة الصافات؛ الآية: (١٠٠).

نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

إلى غير ذلك وخاصة أدعيته الذي التي ملأها بأصول التوحيد وأسسه و لم يشرك في شيء منها قط، لا بملك مقرب ولا بنبي مرسل.

فقد كان هذا هو شأن الأنبياء جميعاً، لم يستغيثوا بغير الله تعالى قط، بل إنّ رسالتهم تأسست على منع ذلك وبيان بطلانه وتقرير تهافته، كما قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[2].

وهم الذين أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يقتدي بهم، فقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، فثبت بذلك أنّ دعوى استغاثة الأنبياء بالنبيّ عليهم السلام ما هو إلاّ مجرد دعاوى عارية من أيّ دليل إلاّ من دليل اتباع الهوى والتقليد الأعمى والزندقة، وإنّما هو الغلو، أعمى بصائرهم

---

(١) سورة إبراهيم؛ الآيات: (٣٥-٤١).

(٢) سورة الأنبياء؛ الآيات: (٨٣-٩٠).

(٣) سورة الأنعام؛ الآية: (٩٠).

وأضلّهم عن سبيل الأنبياء ومنهج الرسل ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[1].

ومع أنّ هذا الغلو في التقديس والاستغاثة بالنبي ﷺ والالتجاء إليه ظاهر البطلان كلّه، ممّا يتبيّنه المسلم العادي السليم الفطرة، إلاّ أنّ بطلانه كذلك متقرر بدلالة قواعد الدين وأصول الاستدلال في أكثر من وجه، منها:

الوجه الأول: أنّ هذا التقديس هو امتداد للغلو الذي حصل في قوم نوح وكان سببًا للظهور الأوّل للشرك في بني آدم، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[2]، قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[3].

ومن ذلك الحين دب الشرك في البشرية تحت مظلة التقديس الغالي، فعُبدَ غير الله تعالى من الملائكة، والأنبياء، والكواكب، والأحجار، والأوثان، بزعم أنها وسائط تقرب إلى الله تعالى كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[4]. أو شفعاء، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء؛ الآية: (٨٨).

(٢) سورة نوح، الآية: (٢٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾: (٤/١٨٧٣) برقم: (٤٦٣٦).

(٤) سورة الزمر؛ الآية: (٣).

(٥) سورة يونس؛ الآية: (١٨).

يقول ابن تيمية: "وإن أراد بالواسطة: أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار، مثل: أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم؛ يسألونه ذلك ويرجون إليه فيه: فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين؛ حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء؛ يجتلبون بهم المنافع، ويجتنبون المضار. لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حتى قال قال الله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[3]. وَقَالَ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[4].

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة: فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء: لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً، وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[5] فبين سبحانه: أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابًا كفر.

(١) سورة السجدة؛ الآية: (٤).

(٢) سورة الإسراء؛ الآية: (٥٦).

(٣) سورة الإسراء؛ الآيتان: (٥٦-٦٧).

(٤) سورة سبأ؛ الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٥) سورة آل عمران؛ الآيتان: (٧٩-٨٠).

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين"[1].

الوجه الثاني: دلت النصوص على أن الدعاء عبادة لله وذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا يعني أنّه لا يجوز بأي وجه صرفه لغير الله تعالى، سواء كان دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، لأنهما متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، كما دلت النصوص على أن صرفه لغير الله تعالى هو من قبيل الشرك بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[6].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٣/١٢٣).

(٢) سورة غافر؛ الآية: (٦٠).

(٣) سورة الأعراف؛ الآية: (٥٥).

(٤) سورة الأعراف؛ الآية: (٥٦).

(٥) سورة آل عمران؛ الآية: (١٣٥).

(٦) سورة النساء؛ الآية: (٣٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١ ﴾(١).

وقال أيضًا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾(٥).

وقال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾(٧).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ

---

(١) سورة الأنعام؛ الآيتان: (٤٠-٤١).

(٢) سورة النحل؛ الآيتان: (٥٣-٥٤).

(٣) سورة الإسراء؛ الآية: (٥٦).

(٤) سورة الإسراء؛ الآية: (٦٧).

(٥) سورة الإسراء؛ الآية: (١١٠).

(٦) سورة مريم، الآية: (٤).

(٧) سورة القصص؛ الآية: (٦٤).

يُشْرِكُونَ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[3].

وأما السُّنَّة:

فمنها ما رواه أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما رواه عن ربّه تبارك وتعالى أنه قال: **(يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد**

(١) سورة العنكبوت؛ الآية: (٦٥).

(٢) سورة الزمر؛ الآية: (٨).

(٣) سورة فاطر؛ الآية: (١٤).

غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**)[٢].

وعنه رضي الله عنه أيضًا: عن النبي ﷺ قال: (**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**)[٣].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الدعاء هو العبادة**). ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٤].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**ليسأل أحدكم ربه حاجته، أو حوائجه كلها، حتى يسأله شسعه إذا انقطع، وحتى يسأله الملح**)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم: (١٩٩٤/٤) برقم: (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل: (٣٨٤/١) برقم: (١٠٩٤)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه: (٥٢١/١) برقم: (٧٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء: (٤٥٥/٥) برقم: (٣٣٧٠)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء: (١٢٥٨/٢) برقم: (٣٨٢٩)، وأحمد: (٣٦٢/٢) برقم: (٨٧٣٣)، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٤) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة: (٢١١/٥) برقم: (٢٩٦٩)، وأبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء: (٧٦/٢) برقم: (١٤٧٩)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء: (١٢٥٨/٢) برقم: (٢٨٢٨)، وأحمد: (٢٦٧/٤) برقم: (١٨٣٧٨)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في الاستعاذة: (٥٨٣/٥) برقم: (٣٦٠٤/٩)، والبزار: (٢٩٤/١٣) برقم: (٦٨٧٦)، وابن حبان: (١٤٨/٣) برقم: (٨٦٦)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

الوجه الثالث: أمر الله ﷻ عباده بما يقطع عنهم العذر، أن يخلصوا له الدعاء، ونهاهم عن التوجه لغيره بشيء من خصائصه.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2].

الوجه الرابع: ما ورد من النهي الصريح موجهًا إلى النبي ﷺ والأمة له تبع عن دعاء غير الله مهما علت منـزلته، وارتفعت درجته، سواء كان نبيًّا، أو ملكاً مقرباً.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[3].

الوجه الخامس: أن من الأصول المقررة في دين الإسلام بدلالة الكتاب والسّنة أنّ النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ولا ما في الضمائر، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضراً ولا رشداً.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[6].

(١) سورة غافر؛ الآية: (٦٥).

(٢) سورة غافر؛ الآية: (١٤).

(٣) سورة يونس؛ الآيتان: (١٠٥-١٠٦).

(٤) سورة الأعراف؛ الآية: (١٨٨).

(٥) سورة الجن؛ الآيتان: (٢١-٢٢).

(٦) سورة الأنعام؛ الآية: (٥٨).

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

وتقدم أنه ﷺ قال: (**يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**)[2].

الوجه السادس: أن من الأصول المقررة كذلك من دين الإسلام بدلالة الكتاب والسنة هو أنّ الله هو المتفرد بكشف الضر ودفعه، وجلب النفع، فمن دعا غيره سبحانه وتعالى فقد جعله شريكًا مع الله تعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

الوجه السابع: بين الله وبال وخسران من دعا غير الله كائناً من كان، وضرب الأمثال الدالة على استحالة أن ينال ما يرجوه من جلب نفع، أو دفع ضر من ذلك المدعو، سواء دعا النبي ﷺ، أو غيره، فالكل دون الله تعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: (١٢٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣٢).

(٣) يونس؛ الآية: (١٠٧).

(٤) سورة الأنعام؛ الآية: (١٧).

(٥) سورة الأنعام؛ الآية: (٧١).

ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[1].

الوجه الثامن: أنّ دعاء غير الله تعالى يستلزم مساواة المدعو مع الله تعالى وعدله به تعالى، وهذا حال المشركين الذي بعث فيهم النبيّ ﷺ، فبعث الله رسوله يدعو إلى عبادة الله وحده، ويعلمهم أنّ الله ليس له عدل ولا ندّ، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2].

والله أعلم.

(1) سورة الرعد؛ الآية: (١٤).

(2) سورة الأنعام؛ الآية: (١).

المطلب الثالث

الكلام في وصف ذاته عليه الصلاة والسلام بالكاملة

الكمال لغة: من كَمُلَ - كنصر، وكرم، وعلم،- يكمل كمالاً، وكمولاً، فهو كامل، وكميل، وتكامل، وتكمل، وأكمله واستكمله وكمله: أتمه، وجمّله[1].

وله عدة معانٍ، منها:

التمام: يقال: كَمُل الشيء إذا تمت أجزاؤه، وكَمُلت محاسنه، والاسم: الكمال، ويستعمل في الذوات، وفي الصفات، وكَمُل الشهر أي كَمُل دوره، وتكامل تكاملاً واكتمل اكتمالاً[2].

قال النووي رحمه الله: " ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه"[3].

حصول ما فيه الغرض: فكمال الشيء: هو حصول الغرض منه. فقولهم: كمل ذلك؛ فمعناه حصل الغرض منه.

وقيل: "كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كمل، فمعناه حصل ما هو الغرض منه"[4].

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[5]. تنبيهًا

---

(١) القاموس المحيط: (ص ١٣٦٢).

(٢) المصباح المنير: (٢/٥٤١).

(٣) شرح النووي: (١٥/١٩٨).

(٤) التعاريف: (ص ٦٠٩).

(٥) سورة البقرة؛ الآية: (٢٣٣).

أن ذلك غاية ما يتعلق به صلاح الولد.

وقال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[1]. تنبيهاً أنه يحصل لهم كمال العقوبة[2].

الكمال اصطلاحًا: الانتهاء إلى غاية ليس وراءها مزيد، من كل وجه[3].

والكمال نوعان:

أحدهما: الكمال المطلق: وهو الذي لا غاية فوقه في الذات والصفات، ولا يلحقه نقص بأي وجه من الوجوه، وهو لا يكون إلا لله تعالى، ومحال أن يتصف به غيره تعالى، أو يشاركه فيه أحد كائناً من كان[4].

قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5].

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[6].

قال ابن كثير: "﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه"[7].

وقال السعدي: "﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، وهو كل صفة كمال، وكل كمال في الوجود فالله أحق به، من غير أن يستلزم ذلك نقصًا بوجه من الوجوه"[8].

---

(١) سورة النحل، الآية: (٢٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن: (ص ٤٤١).

(٣) التعاريف: (ص ٦٠٩).

(٤) انظر: الصفدية: (ص ١٠٠).

(٥) سورة النحل؛ الآية: (٦٠).

(٦) سورة الروم؛ الآية: (٢٧).

(٧) تفسير ابن كثير: (٥٧٨/٤).

(٨) تفسير السعدي: (ص ٤٤٢).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

قال السعدي: "أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه"[2].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[3] "يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يُطلَق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله"[4].

"ففي اسمه "الصمد" إثباتُ كل الكمال، وفي نفي الكفء التنزيه عن الشبيه والمثال، وفي "الأحد" نفي كل شريك لذى الجلال، وهذه الأُصول الثلاثة هي مجامعُ التوحيد"[5].

فنفى عن نفسه الكفء والمثل لتفرده بصفات الكمال المطلق[6].

النوع الثاني: الكمال النسبي:

وهو الكمال المتعلق بالمخلوق، وقد أشار النّبِي ﷺ إلى بعض أنواعه، كما في الحديث الصحيح: (**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**)[7].

---

(١) سورة الشورى؛ الآية: (١١).

(٢) تفسير السعدي: (ص ٧٥٤).

(٣) سورة الإخلاص؛ الآيات: (١-٤).

(٤) تفسير ابن كثير: (٥٢٧/٨).

(٥) زاد المعاد: (١٨١/٤).

(٦) انظر: الرسالة التدمرية لابن تيمية: (ص ٥٨، ٥٩)، والصواعق المرسلة لابن القيم: (١٠٢١/٣-١٠٢٥).

(٧) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل عائشة رضي الله عنها: (١٣٧٤/٣) برقم: =

قال النووي: "والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل، وخصال البر والتقوى"[1].

وهذا الكمال ليس كمالاً ذاتيًا، وإنّما هو كمال بالنسبة إلى النقص الذي يقابله إمّا في معينين من مخلوقات، وإمّا بالنّظر إلى الضعف والنّقص الفطريين اللازمين للإنسان.

وأما الكمال المتعلق بذات النبي ﷺ فللناس فيه قولان:

القول الأول: أن الكمال المتعلق بذات النبي ﷺ هو من الكمال النسبي الذي يكون للمخلوق فلا يكون من لوازم ذاته وإنّما يستحقه بما يقوم به، فلا بدّ أن يسبقه نقص كما يمكن أن يلحقه نقص كذلك، فالأنبياء والرّسل أكمل البشر، وأكملهم وأفضلهم هو خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ، لقوله ﷺ: (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**)[2]. وهو اعتقاد الأمة قاطبة، إلا من شذ منهم من أهل الزيغ والضلال.

القول الثاني: أن الكمال المتعلق بذات النبي ﷺ، هو كمال يؤول في حقيقته إلى الكمال المطلق -الذي هو حق لله تعالى لايشاركه فيه أحد-، تحت مصطلح الإنسان الكامل، وهذا قول غلاة الصوفية[3]. وهو -كذلك- مرادف للحقيقة المحمدية، فمضمونهما واحد كما تقدّم.

مصطلح الإنسان الكامل:

قالوا في تعريفه: "هو الجامع لجميع العوالم الإلهية، والكونية، الكلية، والجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية، والكونية، فمن حيث روحه وعقله،كتاب عقلي، مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه، كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه، كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من

=

(٣٥٥٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: (١٨٨٦/٤) برقم: (٢٤٣٠).

(١) شرح النووي: (١٩٨/١٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق: (١٧٨٢/٤) برقم: (٢٢٧٨).

(٣) انظر: التعريفات: (ص ٥٦).

الحجب الظلمانية، فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه. وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير،كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير"[(١)].

يقول ابن عربي: "فإن الإنسان الكامل حقيقة واحدة، ولو كان بالشخص ما كان مما زاد على الواحد فهو عين واحدة، وقال فيه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فجعله مثلاً، ونفى أن يماثل، فلما نصبه في الوجود مثلاً، تجارت إليه الأسماء الإلهية بحكم المطابقة من حيث ما هي الأسماء ذات صور وحروف لفظية ورقمية،كما أن الإنسان ذو صورة جسمية، فكانت هذه الأسماء الإلهية على هذا الإنسان الكامل أشد مطابقة منها على المسمى الله"[(٢)].

ويقول في موضع آخر، مقررًا تطابقه بالذات الإلهية: "شرف الإنسان على جميع من في السماء والأرض، وإنه العين المقصودة للحق من الموجودات، لأنه الذي اتخذه الله مجلي، وأعني به الإنسان الكامل، لأنه ما كمل إلا بصورة الحق، كما أن المرآة وإن كانت تامة الخلق، فلا تكمل إلا بتجلي صورة الناظر، فتلك مرتبتها، والمرتبة هي الغاية،كما أن الألوهة تامة بالأسماء التي تطلبها من المألوهين، فإذا كوشف الإنسان على الإنسان الكامل، ورأى الحق في الصورة التي كساها الإنسان الكامل، يبقى في حيرة بين الصورتين، لا يدري لأيتهما يسجد، فيخير في ذلك المقام بأن يتلى عليه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: ففي الإنسان وجه الله من حيث صورته"[(٣)].

ويقول الجيلي عبد الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أن الضمير في "قل" يعود إلى الإنسان الكامل، ويعني به النبي ﷺ و"هو" أيضاً يعود إلى الضمير الذي في "قل" العائد إليه، لأن الضمائر لا تعود إلا على متقدم بناء على زعمه، فيكون المعن: الإنسان الكامل: الله أحد[(٤)].

---

(١) انظر: التعريفات: (ص ٥٦).

(٢) الفتوحات المكية: (٣/٢٦٠).

(٣) المصدر نفسه: (٣/١٤٩، ١٥٥) بتصرف يسير.

(٤) انظر: الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر: (ص ٣٨).

وقد تقدم قوله الآخر -أعني الجيلي-: "اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل، هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس، ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له: محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين... واعلم أن الإنسان الكامل، مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته.. ثم اعلم أن الإنسان الكامل، هو الذي يستحق الأسماء الذاتية، والصفات الإلهية، استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات، والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى نفسه إلا بمرآة الاسم "الله" فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه ألا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل"[1].

وهذا القول تقدم بطلانه في مبحث بطلان الحقيقة المحمدية[2] مما يغني عن الإعادة، إلا أنه يجدر الوقوف على مسألة مهمة، وهي: عدم تفريقهم بين الكمال المطلق الذي هو خاص بالله عز وجل، وبين الكمال النسبي الذي هو خاص بالمخلوقين، فأتوا بمصطلح لا هو لغوي ولا شرعي، وحملوه بما لم يدل عليه نص من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، بل هو مخالف لأصولهما.

وأما بالنسبة لكمال النبي ﷺ البشري، فقد بين العلماء رحمهم الله أن النبي ﷺ وهبه الله عز وجل المنزلة العليا من الكمال الذي لم ينله أحد من الخلق قبله ولا يبلغه أحد بعده، وبينوا كذلك أن النبي ﷺ نال هذا الكمال البشري بما خصه الله به من أعلى الخصائص البشرية من الكمال الخلقي، والخلقي، والتعبدي، فقد جمع الله له كمال الخلقة،

---

(١) انظر: المصدر نفسه: (ص ٢٢٩-٢٣١).

(٢) ص ٧٠ وما بعدها.

وجمال الصورة، وفصاحة اللسان، وشرف النسب، وعزة القوم، وصحة الفهم، وقوة العقل، ومتانة العلم، وجمال الصبر، وعظم الحلم، وحسن التواضع، والعدل، والزهد، والفضل، وعموم الجود والكرم، ووثاقة العهود والذمم، وحسن السمت والأدب، وطهارة الذات، والشجاعة، والنجدة، والحياء، والمروة... فقد كان ﷺ المثل الأعلى للإنسانية كلها[1].

وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم، قال ﷺ: (**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**)[2].

---

(١) انظر: أعلام النبوة للماوردي: (ص ٣٠٩-٣٢٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٩٣).

المطلب الرابع

سلامة ذاته ﷺ من العيوب المنفرة

لقد وهب الله تعالى نبينا ﷺ السلامة في عقله، والحسن والبهاء والخلق الكريم في ذاته الشريفة، مما أوجب له أبلغ الأثر في قبول دعوته، وعدم النفرة منه، ويتضح هذا جليًّا من الأمور التالية:

أوّلاً: سلامته ﷺ في عقله:

لقد بين الله تعالى سلامة عقله ﷺ بقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: لست -ولله الحمد- بمجنون، كما قد يقوله الجهلة من قومك، المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين، فنسبوك فيه إلى الجنون"[2].

وحين نتأمّل هذه الآية نجدها مبالغة في تنـزيه عقل النبيّ ﷺ وتقرير سلامته من الجنون، فإنّه تعالى لم يقل: ما أنت بمجنون؛ لأنّ ذلك يصح في حق الإنسان العادي الذي لم يعط مثل فضل الله على نبيّه في عقله ﷺ، ولهذا جاء التعبير القرآني هكذا ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ فكأنّه تعالى يقول: أنّى تكون مجنونًا مع هذه النعمة الكبيرة التي مننتُ عليك في عقلك ممّا لم أمنّ به على غيرك، فإذا كان من دونك في تلك النعمة ليس بمجنون فكيف تكون أنت مجنونًا؟!.

ثانياً: أوصافه الخِلْقية. فهو ﷺ:

١- **لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير** وإنّما كان مربوعاً وسطًا بين ذلك: ربعة من الرجال.

---

(١) سورة القلم؛ الآيتان: (١-٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٨/١٨٨).

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسـول الله ﷺ، لـيس بالطويل البائن[١]، ولا بالقصير[٢].

وفي رواية: ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير[٣].

وعنه أيضاً من طريق آخر أنه ﷺ قال: كان النبي ﷺ مربوعًا[٤]... لم أر شيئاً قـط أحسن منه[٥].

ووصفه أنس بن مالك ﷺ بقوله: كان ربعـة مـن القـوم لـيس بالطويـل ولا بالقصير...[٦].

وفي رواية عن علي ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل، ولا بالقصير......إذا مشى تكفأ تكفؤاً[٧] كأنما انحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله[٨].

وفي رواية: وهو إلى الطول أقرب[٩].

---

(١) سيأتي بيان معنى هذه الكلمة وغيرها قريباً.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (١٣٠٣/٣) برقم: (٣٣٥٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ: (١٨١٨/٤) برقم: (٢٣٣٧).

(٣) صحيح مسلم، الموضع السابق برقم: (٩٣/٢٣٣٧).

(٤) أي لا قصير ولا طويل. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٤٩١/٢٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (١٣٠٣/٣) بـرقم: (٣٣٥٨)، ومـسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ: (١٨١٨/٤) برقم: (٢٣٣٧).

(٦) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (١٣٠٢/٣) بـرقم: (٣٣٥٤)، ومـسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ: (١٨٢٤/٤) برقم: (٢٣٤٧).

(٧) التكفؤ هو التمايُلُ إلى قُدَّامٍ كما تتكفَّأ السفينة في جريها. انظر: تهذيب اللغـة: (٢١٢/١٠)، وتاج العروس: (٢٠٦/١).

(٨) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب، (٥٩٨/٥) بـرقم: (٣٦٣٧) وأحمـد: (٩٦/١) بـرقم: (٧٤٦)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٩) رواه البزار: (٢٤٤/١٤) برقم: (٧٧٨٩)، والبخاري في الأدب المفـرد: (ص ٣٩٥) بـرقم: (١١٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وكان علي ﷺ، إذا وصف النبي ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط[1]، ولا بالقصير المتردد[2]، وكان ربعة من القوم،..... من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان من صفة رسول الله ﷺ، أنه لم يكن بالطويل البائن، ولا المشذب[4] الذاهب[5][6].

"والمشذب الطويل نفسه، إلا أنه الطويل النحيف، ولم يكن ﷺ بالقصير المتردد[7]، فكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على ذلك يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ، وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة، ويقول ﷺ: **(جعل الخير كله في الربعة)**[8].

"(ليس بالطويل البائن): بالهمز، ووهم من جعله بالياء، وهو اسم فاعل من بان أي ظهر على غيره، أو من بان بمعنى بعد، والمراد أنه لم يكن بعيدًا من التوسط، أو من بان بمعنى فارق من سواه، وسمي فاحش الطول: بائناً، لأن من رآه يتصور أن كل واحد من

---

(١) هو المفرط الطول. انظر: المعجم الوسيط: (٨٧٩/٢).

(٢) هو المتناهي في القصر كأنه تردد بعض خلقه على بعض، وتداخلت أجزاؤه. انظر: النهاية في غريب الحديث: (٢/ ٥١٣).

(٣) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب، (٩٥٩/٥) برقم: (٣٦٣٨)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٤) أصل التشذيب: التفريق، أي لم يكن مفرطاً في الطول، والشذوب: الطويل. انظر: الصحاح: (٣٥٠/١)، والنهاية في غريب الحديث: (١١٢٤/٢).

(٥) هو الذاهب طولاً، وأكثر ما يستعمل في طويل لا عرض له. انظر: النهاية في غريب الحديث: (٦٥٠/١).

(٦) رواه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة: (ص ٦٣٦) برقم: (٥٦٦).

(٧) انظر: جمع الوسائل في شرح الشمائل: (١١/١).

(٨) دلائل النبوة: (ص ٦٣٧).

أعضائه مبان عن الآخر، أو لأنه يباين الاعتدال أو كأن طوله يظهر عند كل أحد.

(ولا بالقصير): أي المتردد الداخل بعضه في بعض كما سيأتي، وهو عطف على: (بالطويل) و(لا) مذكرة للنفي، والمعنى أنه كان متوسطاً بين الطول والقصر لا زائد الطول ولا القصر، وفي نفي أصل القصر ونفي الطول البائن لا أصل الطول إشعار بأنه ﷺ كان مربوعاً مائلاً إلى الطول، وأنه كان إلى الطول أقرب كما رواه البيهقي[1]، ولا ينافيه وصفه الآتي بأنه ربعة لأنها أمر نسبي، ويوافقه خبر البراء كان ربعة وهو إلى الطول أقرب"[2].

وقيل: "جمع بين النفيين لتوجه الأول إلى الوصف، أي ليس طوله مفرطاً، ففيه إثبات الطول فاحتيج للثاني، وذلك صفته الذاتية، فلا يرد أنه كان إذا ماشى الطويل زاد عليه، لأنه معجزة حتى لا يتطاول عليه أحد صورة، كما لا يتطاول عليه معنى"[3].

٢- أحسن الناس وجهاً ووصفاً ولوناً:

ففي الصحيحين من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً[4].

(أحسن الناس وجهًا): فيه إشارة إلى الحسن الحسّي[5].

قال الجريري[6]: "كنت أطوف مع أبي الطفيل، فقال: ما بقي أحد رأى رسول الله

(١) في دلائل النبوة: (١/٢٩٨).

(٢) جمع الوسائل في شرح الشمائل: (١/١١).

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: (٤/٣٢٥)، وانظر: جمع الوسائل في شرح الشمائل: (١/١١).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (٣/١٣٠٣) برقم: (٣٣٥٦)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ: (٤/١٨١٩) برقم: (٩٣/٢٣٣٧).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٦/٥٧١).

(٦) هو سعيد بن إياس أبو مسعود الجريري البصري، من كبار العلماء، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: هو محدث البصرة، وقال عنه ابن معين وجماعة: هو ثقة. قيل: اختلط قبل موته، مات سنة ١٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٦/١٥٤)، والوافي بالوفيات: (٥/٦١).

ﷺ غيري. قال: قلت: ورأيته؟ قال: نعم. قال: كيف كان صفته؟ قال: كان أبيض مليحاً مقصدًا(١)"(٢).

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا ادهن لم يتبين، وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية. فقال رجل: وجهه مثل السيف. قال: بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً(٣).

وسئل البراء ﷺ: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر(٤).

"قوله: (أكان؟) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار.

قوله: (مثل السيف)، يحتمل أنه أراد: مثل السيف في الطول، قال البراء: لا بل مثل القمر في التدوير، ويحتمل أنه أراد مثل السيف في اللمعان والصقال، فقال البراء: لا بل مثل القمر الذي فوق السيف في ذلك، لأن القمر يشمل التدوير واللمعان، بل التشبيه به أبلغ؛ لأن التشبيه بالقمر لوجه الممدوح شائع ذائع، وكذا بالشمس.

وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة: أن رجلاً قال له: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل الشمس والقمر مستديراً(٥).

وقد أشار بقوله: (مستديراً)، إلى أنه جمع التدوير مع كونه مثل الشمس والقمر في الإشراق واللمعان والصقال، فكأنه نبه في حديثه أنه جمع الحسن والاستدارة، وهذا الحديث يؤيد الاحتمالين المذكورين"(٦).

---

(١) هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم، كأن خَلْقَه نُحِيَ به القصد من الأمور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (١١١/٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه: (١٨٢٠/٤) برقم: (٢٣٤٠)، وأحمد: (٤٥٤/٥) برقم: (٢٣٨٤٨) وهذا لفظه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ: (١٨٢٢/٤) برقم: (٢٣٤٤).

(٤) البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (١٣٠٤/٣) برقم: (٣٣٥٩).

(٥) تقدم تخريجه قريباً.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (١٠٨/١٦).

وقال كعب بن مالك ﷺ حين تخلف عن غزوة تبوك: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور: (**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**) قال قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: (**لا، بل من عند الله**)، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث[2] .

قال الطيبي: "شبة جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ، وفيه عكس التشبيه للمبالغة، قال ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مقرّاً ومكاناً للشمس"[3].

وعن أبي إسحاق الهمداني، عن امرأة من همدان سماها قالت: حججت مع النبي ﷺ فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة، بيده محجن، عليه بردان أحمران تكاد تمس منكبه، إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن، ثم يرفعه إليه فيقبله.

قال أبو إسحاق: فقلت لها: شبِّهيه قالت: كالقمر ليلة البدر، لم أر قبله ولا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك...: (١٦٠٧/٤) برقم: (٤١٥٦)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه: (٢١٢٠/٤) برقم: (٢٧٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب في صفة النبي ﷺ: (٦٠٤/٥) برقم: (٣٦٤٨)، وقال: "هذا حديث غريب"، وأخرجه في الشمائل: (٨٥)، وابن حبان: (٢١٥/١٤) برقم: (٦٣٠٩)، وأحمد: (٣٥٠/٢) برقم: (٨٥٨٨)، وابن سعد في الطبقات: (٣٨٠/١). وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٣) فتح الباري لابن حجر: (٥٧٣/٦)، وانظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي: (٩٨٥/٢).

بعده مثله[1].

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي، وكان وصّافاً، عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: "كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر..."[2].

٣- بعيد ما بين المنكبين:

جاء ذلك في حديث البراء بن عازب ﷺ في وصف النبي ﷺ، وقد تقدم[3].

قوله: (بعيد ما بين المنكبين) أي عريض أعلى الظهر[4].

"والبعيد ضد القريب، ويقرأ مضافاً إلى ما بين المنكبين. وقيل: وقع في بعض نسخ البخاري: بعيداً ما بين المنكبين، بدون الإضافة وما موصولة، أو موصوفة. وقيل: زائدة، ولا وجه له. ووصفه بهذا ﷺ، إشارة إلى السعة، إذ هي علامة النجابة، وقيل: كناية عن سعة الصدر وشرحه، الدال على الجود والوقار"[5].

٤- لين كفه:

عن أنس ﷺ قال: ... ولا مسست خزة[6] ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ...[7].

---

(١) أخرجه البيهقي في: دلائل النبوة: (١/١٩٩)، وإسناده ضعيف فيه أبو إسحاق مدلس، وقد عنعنه، ويونس بن أبي يعفور ضعيف الحفظ كما في التقريب: (٧٩٢٠).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل برقم: (٧)، وهو حديث ضعيف. انظر: ضعيف الجامع رقم: (٤٤٧٦)، ولكنه صح مجزءا من أحاديث عدد من الصحابة. انظر: صحيح الجامع الصغير (٤٦٨٩ و٤٦٩٥ و٤٦٩٦ و٤٦٩٧)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٢٠٥٢) للألباني.

(٣) راجع (ص ١٥٦).

(٤) فتح الباري: (٦/٥٧٢).

(٥) جمع الوسائل في شرح الشمائل: (١/١٧) بتصرف يسير.

(٦) الخز من الثياب: ما ينسج من صوف وحرير. انظر: المعجم الوسيط: (١/٢٣١).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره: (٢/٦٩٦) برقم: (١٨٧٢).

وثبت عن أبي جحيفة ﷺ قال: "خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك"[1].

٥- ليس بجعد قطط: وصف شعره:

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ: كان يضرب شعرُه منكبيه[2].

وعن البراء ﷺ: إن جمته[3] لتضرب قريباً من منكبيه[4].

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه[5].

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ له شعر يبلغ شحمة أذنيه...[6].

وعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك ﷺ عن شعر رسول الله ﷺ، فقال: كان شعر رسول الله ﷺ رجِلاً ليس بالسبط ولا الجعد، بين أذنيه وعاتقه[7].

وعن أنس ﷺ قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه[8].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (٤/٢٠٠) برقم: (٣٥٥٣)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي: (١/٣٦٠) برقم: (٥٠٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد: (٥/٢٢١١) برقم: (٥٥٦٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي ﷺ: (٤/١٨١٩) برقم: (٢٣٣٨).

(٣) الجمة بضم الجيم وتشديد الميم هي مجتمع شعر الرأس إذا تدلى إلى قريب المنكبين. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٢١/٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد: (٥/٢٢١١) بعد رقم: (٥٥٦١) معلقاً مجزوماً به، وانظر: تغليق التعليق: (٥/٧٣).

(٥) تقدم تخريجه (ص ١٥٨).

(٦) تقدم تخريجه (ص ١٥٨).

(٧) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد: (٥/٢٢١١) برقم: (٢٢١١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي ﷺ: (٤/١٨١٩) برقم: (٢٣٣٨).

(٨) وهي رواية من حديث أنس السابق عند مسلم برقم: (٢٣٣٨/٩٦).

وعن أنس رضي الله عنه أنه سُئل عن شيب النبي ﷺ فقال: ما شانه الله ببيضاء[1].

وعن قتـــادة قال: سألت أنساً رضي الله عنه: هل خضب النبي ﷺ؟. قال: لا، إنما كان شيء في صدغيه[2].

وعن حريز بن عثمان، قال: كنا غلماناً جلوساً عند عبد الله بن بسر، وكان مـــن أصحاب النبي ﷺ، ولم نكن نحسن نسأله، فقلت: أشيخًا كان النبي ﷺ؟ قال: كـــان في عنفقته شعرات بيض[3].

وفي رواية: عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه.

وفي رواية: ما رأيت من ذي لمة أحسن منه.

وفي رواية: كان يضرب شعره منكبيه.

وفي رواية: إلى أنصاف أذنيه[4].

٦- طيب رائحة جسده ﷺ الشريفة:

عن حميد قال: سألت أنساً رضي الله عنه، عن صيام النبي ﷺ، فقال: ما كنت أحـــب أن أراه من الشهر صائماً إلا رأيته،... ولا مسست خزة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة، ولا عبيرة أطيب رائحة من رائحة رسول الله ﷺ[5].

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه: أنه أخذ بيد النبي ﷺ، فوضعها على وجهه قال: فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب من رائحة المسك[6].

ثالثاً: صفته ﷺ الخُلقية:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[7].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ: (١٨٢٢/٤) برقم: (٢٣٤١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (١٣٠٣/٣) برقم: (٣٣٥٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ: (١٨٢١/٤) برقم: (٢٣٤١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (١٣٠٢/٣) برقم: (٣٣٥٣)، وأحمـــد: (١٨٧/٤) برقم: (١٧٧٠٨) وهذا لفظه.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (٩١/١٥).

(٥) تقدم تخريجه (ص ١٦١).

(٦) تقدم تخريجه (ص ١٦٢).

(٧) سورة القلم؛ الآية: (٤).

وعن سعد بن هشام[1]، أنه سأل عائشة رضي الله عنها، عن خُلق النبي ﷺ: يـا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالـت: فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن[2].

قال ابن كثير رحمه الله: "ومعنى هذا أنه ﷺ، صار امتثالُ القرآن، أمرًا ونهيًا، سجية له، وخلقًا تَطَبَّعَه، وترك طبعه الجِبِلِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلـم، وكل خلق جميل"[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقاً...[4].

وعنه أيضًا قال: لم يكن رسول الله ﷺ، فاحشًا، ولا لعانًا، ولا سباباً، كان يقول عند المعتبة: **(ما له ترب جبينه)**[5].

وقالت خديجة رضي الله عنها، للنبي ﷺ، مستدلة على حسن عاقبته بما كان عليه من مكارم الأخلاق عندما جاء من غار حراء يرجف فؤاد، قالت رضي الله عنها تسلية له ﷺ: كلا، والله ما يخزيك أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ[6]، وتكسب المعدوم، وتقري

(١) هو سعد بن هشام بن عامر الأنصاري ابن عم أنس بن مالك، روى عن أبيـه وعائـشة وأبي هريرة رضي الله عنه، وتوفي في حدود التسعين على أحسن أحواله. انظر: التـاريخ الكـبير للبخـاري: (٢٠٩/٧)، والوافي بالوفيات: (٥٥/٥).

(٢) رواه مسلـم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنـه...: (٥١٢/١) برقم: (٧٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير: (١٨٩/٨).

(٤) رواه البخاري، كتـاب الأدب، باب الكنيـة للصبي، وقبل أن يولـد للرجـل: (٢٢٩١/٥) برقم: (٥٨٥٠)، ومسلم، كتاب الآداب، باب استحبـاب تحنيك المولـود...: (١٦٩٢/٣) برقم: (٥٧٤٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عنه من الـسباب واللعـن: (٢٢٤٧/٥) بـرقم: (٥٦٩٩).

(٦) بالفتح وهو: الثّقل من كل ما يُتَكلّف، والكلُّ: العيال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (٣٥٣/٤).

الضيف، وتعين على نوائب الحق[1].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي، وصفته بأصول مكارم الأخلاق، لأن الإحسان إما إلى الاقارب، أو إلى الأجانب، وإما بالبدن، أو بالمال، وإما على من يستقل بأمره، أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به"[2].

وقال هرقل ملك الروم لأبي سفيان رضي الله عنه حين سأله عن أوصاف النبي ﷺ: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟: (٤/١) برقم: (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (١٣٩/١) برقم: (١٦٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٢٤/١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟: (٧/١) برقم: (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: (١٣٩٤/٣) برقم: (١٧٧٣).

المطلب الخامس

سلامة ذاته وأعضائه من بعض الأمراض، كذات الجنب وغيرها

سلامة ذاته من مرض ذات الجنب، فعن أسماء بنت عميس قالت: إن أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، اشتد مرضه حتى أغمي عليه. قالت: فتشاور نساؤه في لده، فلدُّوه[1]، فلما أفاق قال: (**ما هذا فعل نساء يجئن من ها هنا**) وأشار إلى أرض الحبشة - وكانت أسماء فيهن فقالوا: كنا نتهم بك ذات الجنب[2] يا رسول الله.

قال: (**إن ذلك داء ما كان الله عز وجل ليعذبني به، لا يبقين في البيت أحد إلا لد إلا عم رسول الله ﷺ**) -يعني عباساً-. قالت: فلقد التدت ميمونة وإنها لصائمة، لعزيمة رسول الله ﷺ[3].

وفي رواية: إنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه علي[4].

وفي رواية: (... **وإن كنتم ترون أن الله يسلط عليَّ ذات الجنب؟ ما كان الله ليجعل لها عليَّ سلطانا**)[5].

---

(١) اللدود: هو دواء يصب في أحد جانبي فم المريض، بين اللسان والشدق. ينظر: تهذيب اللغة: (٤٩/١٤)، والفائق في غريب الحديث: (٨٥/٣)، ولسان العرب: (٣٩٠/٣).

(٢) ذات الجنب: هي قرحة تصيب الإنسان داخل جنبه. ينظر: الصحاح: (١٠٣/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر: (٣٠٣/١)، ولسان العرب: (٢٨١/١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: (٤٣٨/٦) برقم: (٢٧٥٠٩)، وعبد الرزاق في مصنفه: (٤٢٨/٥)، رقم (٩٧٥٤)، وابن راهويه في مسنده: (٤٢/٥)، رقم (٢١٤٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: (١٩٥/٥)، رقم (١٩٣٥)، وابن حبان في صحيحه: (٥٥٢/١٤) (٣٧٢)، والحاكم في المستدرك: (٢٢٥/٤)، رقم (٧٤٤٦)، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وهو في الصحيحين مختصراً دون ذكر ذات الجنب.

(٤) أخرجه الحاكم: (٤٤٩/٤، رقم ٨٢٣٥)، وقال: "على شرط مسلم".

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٢٣٥/٢)، وانظر: الروض الأنف: (٥٧٤/٧).

وفي رواية: (**أنا أكرم على الله من أن يقذفني بها**)[1].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لددنا رسول الله ﷺ في مرضه، وجعل يشير إلينا: لا تلدوني، قال: فقلنا: كراهية المريض بالدواء، فلما أفاق، قال: (**ألم أنهكم أن تلدوني؟**) قال: قلنا: كراهية للدواء، فقال رسول الله ﷺ: (**لا يبقى منكم أحد إلا لد وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم**)[2].

قَالَ النووي: "وإنما أمر ﷺ بلدِّهم عقوبة لهم حين خالفوه في إشارته إليهم: لا تلدوني"[3].

وسلامة ذاته من سيئ الأسقام، فعن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ كان يقول: (**اللهم إني أعوذ بك من الجنون والجذام والبرص وسيئ الأسقام**)[4].

ولقد سلمه الله من هذه الأمراض وغيرها، وفي هذا دلالة على نبوته ﷺ، وعصمة الله له.

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٢/٢٣٥)، وانظر: الروض الأنف: (٧/٥٧٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته: (٤/١٦١٨) برقم: (٤١٨٩)، ومسلم، كتاب السلام، باب كراهة التداوي باللدود: (٤/١٧٣٣) برقم: (٢٢١٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤/١٩٩).

(٤) رواه النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجنون: (٨/٢٧٠) برقم: (٥٤٩٣)، والضياء في الأحاديث المختارة: (٦/٣٤١) برقم: (٢٣٦٥)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

المطلب السادس
مسألة ولادة النبي ﷺ مختوناً أم لا

الختان لغة: القطع، يقال: ختنت الصبي ختناً، والاسم: الختان والختانة. يقال: أُطْحِرَتْ ختانته، إذا استقصيتْ في القطع. والختان أيضاً: موضع القطع من الذكر[1].

ويقال: ختن الولد يختنه (بالجر) ويختنه (بالضم) فهو ختن ومختون: قطع غرلته. والاسم: ككتاب وكتابة. والختانة: صناعته. والختان موضعه من الذكر. والختن: القطع[2].

وختن أي ختن الولد، غلاماً أو جارية، يَخْتِنُه ويَخْتُنُه، من حد ضرب ونصر، ختنًا، فهو ختين، الذكر والأنثى فيه سواء، ومختون: قطع غرلته، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن.

وقيل: الختن للرِّجال والخفض للنساء.

والختانة، بالكسر: صناعته، أي الخاتن.

والختان، بالكسر: موضعه، أي الختن بمعنى القطع مِن الذَّكَرِ[3].

قيل: هو موضع القطع من الذكر والأنثى. ومنه الحديث: (**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل**)[4] ومعنى التقائهما: غيوب الحشفة في فرج المرأة حتى يصير ختانه بحذاء ختانها[5].

---

(١) انظر: الصحاح: (١/١٦٣).

(٢) انظر: القاموس المحيط: (ص ١٥٤٠).

(٣) انظر: تاج العروس: (٣٤/٤٧٩).

(٤) رواه أحمد: (٦/٢٣٩) برقم: (٢٦٠٦٧)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في وجوب الغسل إذا التقى الختانان: (١/١٩٩) برقم: (٦٠٨)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٥) انظر: تهذيب اللغة: (٧/١٣٢).

"والخفض: ختـــان الجاريـــة. ورويَ عن النبي ﷺ أنّه قال لأم عطية: (**إذا خفضت فأشمـــي**)[1]. يقول: إذا ختنت جاريـــةً فلا تسحتي نواهـــا ولكن اقطعي مـــن طرفهـــا حزة يسيرة.

وقال الليث: "يقال للجارية: قد خُفضت، وللغلام: خُتن"[2].

"ومختون: إذا قطع غرلته، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن"[3].

قال: الأَصمَعِي: "ختن الخاتن الصبي فأطحر قلفته، إذا استأصلها"[4].

الختان اصطلاحاً: هو موضع قطع جلد القلفة[5].

وقيل: قطع القلفة التي تكون على رأس الذّكر[6].

وقيل: هو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة [7].

وقد جعله النبي ﷺ من خصال الفطرة، قال ﷺ: (**الفطرة خمـــس، أو خمـــس مـــن الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب**)[8].

وكان معروفاً في الأمم السابقة، كما جاء في قصة أبي سفيان ﷺ مع هرقل: ففـــي الحديث: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن مـــن

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: (٢/٣٦٨) برقم: (٢٢٥٣)، قال الهيثمي في مجمـــع الزوائـــد (٥/١٧٢): "إسناده حسن"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٥٠٨).

(٢) تهذيب اللغة: (٧/٥٤).

(٣) تاج العروس: (٣٤/٤٧٩).

(٤) تاج العروس: (١٢/٤١٧).

(٥) الموسوعة الفقهية: (١٧/٢٧٦).

(٦) انظر: فتح الباري: (١/١١٠).

(٧) انظر: فتح الباري: (١٠/٣٤٠).

(٨) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار: (٥/٢٢٠٩) بـــرقم: (٥٥٥٢)، ومـــسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة: (١/٢٢١) برقم: (٢٥٧).

هذه الأمة إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبينا هم على ذلك أُتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب: أيختتنون؟ فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ[1].

وأما المسالة المتعلقه بختان النبي ﷺ؛ فللعلماء فيها أقوال كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله:

القول الأول: أنه ولد مختونًا.

القول الثاني: أنه ختن ﷺ يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة.

القول الثالث: أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه، وصنع له مأدبة، وسمّاه محمّدًا[2].

استدل أصحاب القول الأول بالأحاديث التالية:

الحديث الأول:

عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: وُلد رسول الله مختوناً مسروراً[3]، قال: فأُعجب به جده عبد المطلب وحظي عنده، وقال: ليكونن لابني هذا شأن، فكان له شأن[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (١/٧) برقم: (٧).

(٢) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود: (ص ٢٠١).

(٣) أي مقطوع السُّرة، وهي ما يبْقى بعد القطع مِمَّا تقطعه القَابِلة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢/٣٥٩).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (١/١٠٣)، والحاكم في المستدرك: (٢/٦٥٨) برقم: (٤١٧٧).

الحديث الثاني:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من كرامتي على الله أني ولدت مختونًا ولم ير سوءتي أحد)**[1].

الحديث الثالث:

عن صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها أنها قالت: أردت أن أعرف أذكر هو أم أنثى، فرأيته مختوناً[2].

وقد أجيب عن هذه بعدة أجوبة منها:

١- أن هذه الأحاديث موضوعة منكرة، لا يصح نسبتها لرسول الله ﷺ.

وذكر ابن القيم رحمه الله أن الأحاديث التي وردت في أنه ﷺ ولد مختونًا ضعيفة لا تصح، وتكلم العلماء عنها كلامًا وافيًا[3].

٢- أنها متناقضة في دلالتها، فأن قوله: **(لم ير سوءتي أحد)**. يناقضه قول صفية: فرأيته مختوناً.

قال ابن القيم رحمه الله: "فكل حديث في هذا الباب يناقض الآخر"[4].

٣- ليس في ولادته عليه السلام مختونًا فضيلة، أو خاصية يختص بها عليه السلام؛ إذ قد وجد من الناس من ولد مختونًا، ولو كانت فضيلة أو خصيصة لما شاركه فيها أحد، ثم إن الختان ابتلاء، وقد ابتلي به إبراهيم، وهو لرفع الدرجات، ودرجته ﷺ أعلى من درجات الأنبياء جميعًا، فلا يخص عليه الصلاة والسلام من هذا البلاء، لأنه من قبيل رفع درجاته.

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الأوسط: (٦/١٨٨) برقم: (٦١٤٨)، وأبو نعيم في الحلية: (٣/٢٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١/٣٢٩) من طريق سفيان بن محمد المصيصي، وهو ضعيف سيء الحال. انظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: (٦/١٦٦)، وميزان الاعتدال: (٢/٧٢).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: "هذا الحديث لا يثبت، وليس له إسناد يعرف به". تحفة المودود بأحكام المولود: (ص ٢٠٣)

(٣) انظر: زاد المعاد: (١/٨٠-٨٣).

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود: (ص ٢٠٤).

٤- أن الصبي إذا ولد مختوناً، عدّ ذلك منقصة لا منقبة؛ لأن فيه نقصاً في الخلقة، فقد ذكر ابن القيم أن قيصر ملك الروم الذي ورد عليه امرؤ القيس ولد كذلك، ودخل عليه امرؤ القيس الحمام فرآه كذلك، فقال يهجوه:

إنّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ　　لأَنْتَ أَغْلَفُ إلاَّ مَا جَنَى القَمَرُ

يعيره أنه لم يختتن، وجعل ولادته كذلك نقصًا، وقيل: إن هذا البيت أحد الأسباب الباعثة لقيصر على أن سم امرئ القيس فمات.

وكانت العرب لا تعتد بصورة الختان من غير ختان، وترى الفضيلة في الختان نفسه، وتفخر به.

قال ابن القيم: "وقد بعث الله نبينا من صميم العرب وخصه بصفات الكمال من الخلق والنسب، فكيف يجوز أن يكون ما ذكره من كونه مختوناً مما يميز به النبي ﷺ ويخصص، وقيل: إن الختان من الكلمات التي ابتلى الله بها خليله ﷺ فأتمهن وأكملهن، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد عد النبي ﷺ الختان من الفطرة، ومن المعلوم أن الابتلاء به مع الصبر مما يضاعف ثواب المبتلى به وأجره، والأليق بحال النبي ﷺ أن لا يسلب هذه الفضيلة، وأن يكرمه الله بها كما أكرم خليله، فإن خصائصه أعظم من خصائص غيره من النبيين وأعلى"[(١)].

وأما أصحاب القول الثاني: القائلين أن النبي ﷺ ختنه جبريل عليه السلام حينما شق صدره عند مرضعته حليمة السعدية، فقد استدلوا بما روي موقوفاً على أبي بكرة رضي الله عنه: أن جبريل ختن النبي حين طهر قلبه[(٢)].

وأجيب عن هذا القول بما يلي:

أن هذه الرواية ضعيفة، لا يصح إسنادها إلى النبي ﷺ.

أنها شاذة مخالفة لما هو أوثق منها قال ابن القيم رحمه الله: "وحديث شق الملك قلبه

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود: (ص ٢٠٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: (٦/٧٠) برقم: (٥٨٢١)، وأبو نعيم في الدلائل: (١/١٥٥) برقم: (٩٣).

قد روي من وجوه متعددة مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وليس في شيء منها أن جبريل ختنه، إلا في هذا الحديث، فهو شاذ غريب"[1].

وأما أصحاب القول الثالث:

فقد استدلوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه، وجعل له مأدبة، وسماه محمدًا[2].

وهذا القول يعتبر أقرب الأقوال إلى الصواب، كما ذكره غير واحد من المحققين:

قال ابن العديم: "وقد جاء في بعض الروايات أن جده عبد المطلب ختنه في اليوم السابع، قال: وهو -على ما فيه- أشبه بالصواب، وأقرب إلى الواقع[3].

(١) تحفة المودود بأحكام المولود: (ص ٢٠٦).

(٢) قال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد: (٦١/٢١): "هذا حديث مسند غريب. قال يحيى بن أيوب ﷺ طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممّن لقيته إلاّ عند ابن أبي السّريّ". وقال الذهبي: "إنه خبر منكر". وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٤٤٨/٢)، وتفسير القرطبي (١٠٠/٢)، وطرح التثريب في شرح التقريب: (٢٤/١).

(٣) قال السيوطي: "مال إليه الحافظ الذهبي". تنوير الحوالك شرح موطأ مالك: (١٢٨/١). وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: (٣٤٧/١).

المطلب السابع
قوة مداركه وحواسه

المدارك لغة: من الإدْراك: وهو اللحوق. يقال: مشيت حتى أدركته، وعشت حتى أدركت زمانه. وأدركته ببصري، أي رأيته. وأدرك الغلام وأدرك الثمر، أي بلغ[1].

وقيل: بلغ وقته، والثمر: نضج، والصبي: بلغ الحلم، وفلان بلغ علمه أقصى الشيء، وماء البئر: وصل إلى دركها، والشيء: لحقه وبلغه وناله، والشيء ببصره: رآه، والمعنى بعقله فهمه[2].

الإدراك اصطلاحاً: "الإدراك هو عبارة عن كمال يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر، وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكاً"[3].

وأما الحواس:

فمعروفة، قال ابن الأثير: "وحواس الإنسان: المشاعر الخمس، وهي الطعم، والشم، والبصر، والسمع، واللمس"[4].

والقوة التي يدرك بها ويميز بها هي العقل[5].

والفرق بين قولنا: حس يحس، وبين قولنا: أدرك يدرك: أن الصفة بحس مضمنة بالحاسة، والصفة تدرك مطلقة، والحاسة اسم لما يقع به إدراك شيء مخصوص[6].

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (١٥٨٢/٤).

(٢) المعجم الوسيط: (٢٨١/١).

(٣) الكليات: (ص ٦٦).

(٤) لسان العرب: (٤٩/٦)، وانظر: النهاية في غريب الحديث: (٣٨٤/١).

(٥) انظر: الاستقامة: (١٦٢/٢).

(٦) انظر: الفروق اللغوية: (ص ١٨٦).

كما أنّ الحس يغلب إطلاقه على المدركات المادية، بينما الإدراك يستعمل غالبًا للمدركات المعنوية.

على هذا تكون الحواس بمثابة الآلات التي يدرك بها، فهي وسيلة هامة من وسائل المعرفة، وأداة للفهم والإدرك، والعقل يتمثل في إدراك المعلومات وتحصيلها وتحليلها، وبقدر ما ينتفع الناس بعقولهم تكون منزلته قرباً وبعداً من الله تعالى، لذا يعتبر العقل هو مناط التكليف.

وقد أخبر الله أنّ الإدراك إذا كان بمجرد إدراك الحواس دون إدراك ما بعث الله به رسله من الهداية والنور بالاتباع والانقياد،كان لا يغني عن صاحبه حين يتعرض للعقوبة فهو كالأعمى والأصمّ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[2].

وأعظم الناس قوة في مداركهم وحواسهم هم الأنبياء، فمن أبرز صفاقم الذاتية التي تعلقت بلوازم الرسالة الإلهية، هو ما منحهم الله تعالى به من قوة في المدارك، والحواس التي كان لها الدور الأكبر في معالجة جميع القضايا التي واجهت الرسل، سواء كانت قضايا متعلقة بالرسالة، أو قضايا تربوية، أو اجتماعية، أو عسكرية، أو اقتصادية، أو غير ذلك.

ولقد نال النبي ﷺ المقام الأعلى والأكمل فيما يتعلق بقوة مداركه وحواسه، فكان لها أبلغ الأثر في تبليغ رسالة ربه للعالمين، وعدت من دلائل نبوته ﷺ، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد خير دليل على ما كان يتمتع به عليه الصلاة والسلام من قوة في مداركه،

---

(١) سورة الأحقاف؛ الآية: (٢٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٧٩).

وحواسه، وكمال عقله.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "وأما وفور عقله، وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله، فلا مرية أنه كان أعقل الناس، وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق، وظواهرهم، وسياسة العامة، والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه"[(١)].

فكان قبل البعثة يسمونه: الصادق الأمين، وقد تحاكم إليه أشياخ قريش في سن الخامسة والثلاثين من عمره الشريف، مع وجود كبرائهم، وأهل العقل منهم.

وذلك أن قريشًا في قصة بناء الكعبة اختلفوا في شرف وضع الحجر الأسود، كل قبيلة تريد تلك الرفعة والمنزلة، حتى كادوا يتقاتلون، بل تواعدوا للقتال، فما كان منهم إلا أن تشاوروا بينهم على أن يكون أول داخل عليهم من باب بني شيبة هو من يقضي بينهم، فكان قدر الله أن يكون أول من دخل عليهم من ذلك الباب الذي يرمقونه بأبصارهم هو رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا به حَكَماً، فوضع النبي ﷺ رداءه وبسطه على الأرض، ثم أخذ الحجر فوضعه عليه، ثم قال: (**لتأخذ كل قبيلة بطرف الثوب**)، ثم رفعوا الرداء والحجر فيه، فلما بلغ الحجر موضعه، وضعه عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة[(٢)].

وبهذا زال الخلاف بينهم، ورضوا بهذا الصنيع، وفي هذا دلالة على فطنته، وقوة مداركه عليه الصلاة والسلام، بل هو مقدمات لإعداده للرسالة الخالدة.

ومن أعظم دلائل قوة مداركه وحواسه: حمله ﷺ أعباء الرسالة منذ أن تلقاها، فقام بها قولاً وعملاً حيث وصفها الله تعالى بأنها ثقيلة كما قال تعالى:

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٦٦/١).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: (١٩/١).

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله: "إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه"[2].

فعن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته، وضعت جرانها[3] فلم تستطع أن تتحرك، وتلت قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[4]"[5].

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه، لم يستطع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي[6].

وقد قام بها النبي ﷺ خير قيام.

وأما عن قبولها والانقياد لها، فليس ثَمَّ وصف أعظم مما وصفه الله به من كونه ﷺ عبده كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[8].

---

(١) سورة المزمل؛ الآية: (٥).

(٢) تفسير الطبري: (٢٣/٣٦٦).

(٣) الجران: باطن العنق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: (١/٢٦٣).

(٤) سورة المزمل؛ الآية: (٥).

(٥) رواه أحمد: (٦/١١٨) برقم: (٢٤٩١٢)، والحاكم في المستدرك: (٢/٥٤٩) برقم: (٣٨٦٥)، وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي.

(٦) رواه النسائي في الكبرى: (٦/٣٨٢) برقم: (١١٢٩٨)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٢/٢٤٢) برقم: (٢٨٨٠)، وقال: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي.

(٧) سورة البقرة؛ الآية: (٢٣).

(٨) سورة الإسراء؛ الآية: (١).

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات.

وما ذلك إلا لكمال عبوديته لربه، وقد تقدم بيان بعضها.

ومما يدل على ذلك صبره على إيذاء المنافقين له، وعلى رأسهم أبي بن سلول، فيقول عُمَر رضي الله عنه يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **(دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه)**[2].

فهذا الفهم العميق لعواقب الأمور لا يتأتى إلا لمن كملت مداركه، وقويت حواسه، فقدم سمعة الإسلام على ما يلقاه من الأذى هو وأصحابه، وذلك طمعاً لقبول الناس بهذا الدين القويم، وعدم النفرة منه، ويا ليت الناس في هذا الزمان يدركون هذا المعنى، فيكفوا عن تشويه سمعة الإسلام باسم مزاعم يدعون أنها من الإسلام، ثم هذا الفعل منه ﷺ يبين أن الإسلام ليس المقصود منه إزهاق الأنفس، بقدر ما هو رسالة للعالمين، ولقد جنى رسول الله ﷺ هذه الثمرة، فدخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

ومما يدل على قوة مداركه ﷺ: معالجته لكثير من الوقائع والأحداث بحكمة، وروية، وعمق نظر، يدل على كمال عقليته ﷺ، فيأتيه الخبر: أن الأنصار قد وجدوا في أنفسهم، أن أعطى النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم، من الغنائم وتركهم، فيتدارك النبي ﷺ الأمر بأسلوب رائع لا مثيل له بين المحب وأحبابه، والقائد وجنوده، بين النبي ﷺ واتباعه. وبحوار يبكي العيون، وترق له القلوب.

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١).

(٢) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾: (١٨٦١/٤) برقم: (٤٦٢٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً: (١٩٩٨/٤) برقم: (٢٥٨٤).

ففي الصحيحين عن عبد الله بن زيد قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم رسول الله فقال: (**يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟**) كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أَمَنَّ. قال: (**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**) قال: كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أمن. قال: (**لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة، لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**)[1].

ويأتيه الرجل وقد مُلئ قلبه بالشك والحيرة، فقول: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود؟. قال: (**هل لك من إبل؟**). قال: نعم. قال: (**فما ألوانها؟**) قال: حمر. قال: (**فهل فيها من أورق[2]؟**) قال: إن فيها لورقاً. قال: (**فأنى أتاها ذلك؟**) قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: (**وهذا عسى أن يكون نزعه عرق**)[3].

فيبعد عنه شبهة الزنى، ليطمئن فؤاده، بمثال من بيئته، ليكون أبلغ له في اليقين، وزوال الشك، وهذا يدل على قوة مدارك النبي ﷺ العقلية.

ويأتيه الشاب الذي ملأت الشهوة قلبه، ليستئذنه ﷺ في الزنا، فيعالج النبي ﷺ قلبه

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف: (١٥٧٤/٤) برقم: (٤٠٧٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه: (٧٣٨/٣) برقم: (١٠٦١). ومعنى: عالة: فقراء. والشّعب: الطريق فى الجبل. والشّعار: الثوب الذي يلى الجلد من الجسد. والدّثار: الثوب فوق غيره من الثياب.

(٢) الأورق الذي لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد: أورق. انظر: غريب الحديث لابن سلام: (٩٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرَّض بنفي الولد: (٢٠٣٢/٥) برقم: (٤٩٩٩)، ومسلم، كتاب اللعان: (١١٣٧/٢) برقم: (١٥٠٠).

بأسلوب تربوي مشفق، لا تعنيف فيه، يدل على كمال مداركه ﷺ.

فعن أبي أمامة ﷺ قال: (إن فتى شابًّا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه. فقال: (**اُدنه**) فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: (**أتحبه لأمك؟**) قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: (**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**). قال: (**أفتحبه لابنتك؟**). قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: (**ولا الناس يحبونه لبناتهم**). قال: (**أفتحبه لأختك؟**). قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**). قال: (**أفتحبه لعمتك؟**). قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (**ولا الناس يحبونه لعماتهم**). قال: (**أفتحبه لخالتك؟**). قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**). قال: فوضع يده عليه وقال: (**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**). فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

"وقد نزهه عن ضدِّ ذلك في مثلِ قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

فنزهه عن "الضلالِ" المناقضِ للهدى، وهو النقص في القوة العلمية، وعن "الغي" المناقضِ للرشاد، وهو النقص في القوة العملية.

ثم أخبرَ بكمالِه فيهما بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾. وهو هَوى النفس المُفسِدُ للقوة العملية، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وهو أعلى مراتبِ إعلام اللهِ لعباده، وإن كان أهلُه متفاضلين فيه"[3].

---

(١) رواه أحمد: (٥/٢٥٦) برقم: (٢٢٢٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤/٣٦٢) برقم: (٥٤١٥)، والطبراني في المعجم الكبير: (٨/١٦٢) برقم: (٧٦٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٠).

(٢) سورة النجم، الآيات: (١-٤).

(٣) جامع المسائل لابن تيمية: (٥/٢٨٣).

وأما قوة حواسه ﷺ، فقد جاءت نصوص صريحة أنه ﷺ كان يرى ما لا يرى غيره، ويسمع ما لا يسمع غيره، واعتبرت من دلائل نبوته، وعلاماتها، وسوف يـأتي بيانهـا وذكرها في المسائل المتعلقة بعينه وسمعه.

المطلب الثامن
قوة جسد النبي ﷺ

لقد منّ الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بقوة في جسده الشريف، فقد سجلت الوقائع والأحداث المنقولة لنا من خلال سيرته العطرة وأحاديثه الشريفة ما يدل على ذلك، فقد كان ﷺ أشجع الناس، وأشدّهم بأساً، وأقواهم عزيمة، يتصدر المواقف الحازمة بقلب ثابت، وإيمان راسخ، فكان أصحابه يلوذون به عندما يحمي الوطيس.

فعن علي ﷺ قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً[1].

وفي رواية: كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[2].

وقال البراء ﷺ: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ[3].

وفي رواية عنه قال: لما غشيه المشركون نزل، فجعل يقول:

أنا النبي لا كذب

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٤٢٦/٦) برقم: (٣٢٦١٤)، وأحمد (٨٦/١) برقم: (٦٥٤)، وأبو يعلى (٣٢٩/١) برقم: (٤١٢)، وابن جرير (٢٣/٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (١٥٦/١) برقم: (١٣٤٦) من حديث علي ﷺ وأبو يعلى في مسنده: (٢٥٨/١) برقم: (٣٠٢)، وصحح إسناده الأرناؤوط في تحقيقه مسند الإمام أحمد: (٤٥٣/٢)، برقم (١٣٤٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: : (١٥٦٨/٤) برقم: (٤٠٦٣)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين: (١٤٠١/٣) برقم: (١٧٧٦).

أنــا ابــن عبــد المطلــب

فما رؤي في الناس يومئذ أحد كان أشد من النبي ﷺ[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ علــى فــرس لأبي طلحة عري، وفي عنقه السيف، وهو يقول: (**لن تراعوا، لن تراعوا**). ثم قال: (**وجدناه بحرًا**)، أو قال: (**إنه لبحر**)[2].

وعن جابر رضي الله عنه، قال: مكث رسول الله ﷺ وأصحابه يحفرون الخندق ثلاثاً ما ذاقوا طعاماً، فقالوا: يا رسول الله، إن هذه كدية[3] من الجبل، فقال رسول الله ﷺ: (**رشــوها بالماء**)، فرشوها، ثم جاء النبي ﷺ، فأخذ المعول أو المسحاة، ثم قــال: (**بســم الله**)، ثم ضرب ثلاثاً، فصار كثيباً يهال. قال جابر: فحانت مني التفاتة، فرأيت رسول الله ﷺ وقد شد بطنه بحجر[4].

وأيضاً: مما يدل على قوة جسده ﷺ: أنه كان يطوف على نسائه جميعــاً في الليلــة الواحدة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي اللهِ ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحــدة، وله يومئذ تسع نسوة[5].

---

(١) أخلاق النبي ﷺ وآدابه، لأبي الشيخ: (١/٣٤١) برقم: (١١٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق: (٣/١٠٦٥) برقم: (٢٧٥١)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي ﷺ: (٤/١٨٠٢) برقم: (٢٣٠٧).

(٣) الكدية: قطعة صلبة لا تعمل فيها الفأس. انظر: النهاية في غريب الحديث: (٤/٢٨٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة: (٧/٣٧٧) برقم: (٣٦٨١١)، وأبو الشيخ في أخلاق الــنبي ﷺ: (١/٣٣٧) برقم: (١١٥)، وهذا لفظه، وهو في الصحيحين مطوّلاً.

(٥) رواه البخاري، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غــسل واحــد: (١/١٠٥) برقم: (٢٦٥)، ومسلم، كتاب الحيض، باب جواز نــوم الجنــب...: (١/٢٤٩) برقم: (٣٠٩).

وفي رواية عنه أيضاً أنه كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: وكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين[1].

(١) هي رواية من الحديث السابق في الصحيحين.

المطلب التاسع
توضيح المراد بقوله ﷺ: (إنما يطعمني ربي ويسقيني)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النبي ﷺ قَالَ: **(إيّاكم والوصال)** مرتين، قيل: إنك تواصل يا رسول الله؟ قال: **(إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، فاكلفوا من العمل ما تطيقون)**(١).

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: **(لو مدّ الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم، إنكم لستم مثلي، إني أظل يطعمني ربي ويسقيني)**(٢).

وفي رواية عن أبي هريرة أيضاً: كان رسول الله ﷺ يواصل إلى السحر، ففعل بعض أصحابه فنهاه، فقال: يا رسول الله إنك تفعل ذلك. قال: **(لستم مثلي، إني أظل عند ربي، يطعمني، ويسقيني)**(٣).

اختلف العلماء في توضيح المراد بقوله ﷺ: **(يطعمني ربي ويسقيني)** إلى فريقين:

الفريق الأول: قال: هو على حقيقته، أي أنه طعام وشراب حسِّي للفم، قالوا: وهذه حقيقة اللفظ، ولا موجب للعدول عنها.

واختار بن المنير في الحاشية أنه من طعام الجنة، وكونه من الجنة قال لهم: **(إني لست مثلكم)** أي: إن طعامي وشرابي، على غير طعامكم وشرابكم، صورة ومعنى، فلست كهيئتكم فيما تطعمون.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال: (٦٩٤/٢) برقم: (١٨٦٥)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم: (٧٧٤/٢) برقم: (١١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو: (٢٦٤٥/٦) برقم: (٦٨١٤)، ومسلم، كتاب الصوم، باب النهي عن الوصال في الصوم: (٧٧٤/٢) برقم: (١١٠٤).

(٣) رواه ابن خزيمة: (٢٨٠/٣) برقم: (٢٠٧٢).

الفريق الثاني: قال: ليس هذا الطعام على حقيقته، وهو قول الجمهور، ولهم في معناه أقوال ثلاثة:

الأول: أن الله يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه عن لطعام والشراب، وهو بهذه الحالة كحال النائم الذي يحصل له الشبع والري بالأكل والشرب حتى يستيقظ، ولا يبطل ذلك صومه ولا ينقطع وصاله، وبه قال الزين بن المنير[1][2].

الثاني: أن الله يخلق فيه لازم الطعام والشراب، وهو القوة التي تسد مسد الطعام والشراب. ونسب ابن حجر هذا القول للجمهور[3].

الثالث: أن المراد به ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته، وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه، والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب، ونعيم الأرواح، وقرة العين، وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه، وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان[4].

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والعلامة الشيخ شمس الدين بن الصائغ[5]، وابن عثيمين، وغيرهم رحمهم الله جميعاً[6].

---

(١) عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، أبو محمد، فخر الدين الإسكندري المالكي، مفسر، له شعر ونظم، مات سنة ٧٣٣هـ.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٤/٢٠٧)، ونيل الأوطار (٤/٢٥٨)، وطرح التثريب في شرح التقريب: (٤/١٣٢).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٤/٢٠٧)، ونيل الأوطار (٤/٢٥٨)، وشرح الزرقاني على الموطأ (٢/٢٦٨)، وتحفة الأحوذي: (٣/٤١٠).

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: (٢/٣١).

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن الزمردي المعروف بابن الصائغ الحنفي، مات سنة ٧٧٦هـ، له "شرح مشارق الأنوار"، و"شرح البردة".

انظر: ذيل التقييد: (١/١٥٢)، وحسن المحاضرة: (١/٤٧١) برقم: (٤١).

(٦) انظر: جامع المسائل لابن تيمية: (١/١٢٢)، وزاد المعاد: (٢/٣١)، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين: (٢/٢٥٣).

وأصح الأقوال والعلم عند الله تعالى: القول القائل أن المراد به ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته، وقرة عينه بقربه وتنعمه... وذلك لما يلي:

١- إن قول الفريق الأول أن المراد به طعام وشراب حسي أي على الحقيقة هو قول ضعيف لعدة أمور:

الأمر الأول: أنه لو كان حقيقة لم يكن مواصلاً بهذا، قال النووي وغيره: بل لو كان ذلك طعاماً وشراباً للفم، لما كان صائماً، فضلاً عن كونه مواصلاً، لقوله ﷺ: **(أظل عند ربي يطعمني ويسقيني)**[١]. وقالوا: لو قدر أنه أُتي بطعام من الجنة فأكلَه، لكان آكلاً، لا مُواصِلاً[٢].

الأمر الثاني: لو كان ذلك في الليل لم يكن مواصلاً، ولقال لأصحابه إذ قالوا له إنك تواصل: لست أواصل. و لم يقل: **(لست كهيأتكم)** بل أقرهم على نسبة الوصال إليه، وقطع الإلحاق بينه وبينهم في ذلك بما بيّنه من الفارق.

كذلك قالوا: جاءت النصوص دالة على أنه يوصف بالطعام والذوق والحلاوة ما في القلوب من الإيمان، مما هو غير الطعام المحسوس، مما يدل على أن المراد بقوله ﷺ: **(يطعمني ربي ويسقيني)**. ما في القلوب من المحبة والإيمان.

ففي صحيح مسلم عن العباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً[٣].

فهذا ذائق طعم الإيمان، وهو ذوق بباطن قلبه، يَظهر أثره إلى سائر بدنِه، ليس هو ذوقًا لشيء يدخل من الفم، وإن كان ذوقاً لشيء يدخل من الأذن.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو: (٢٦٤٥/٦) برقم: (٦٨١٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم: (٧٧٦/٢) برقم: (١١٠٤)، ولفظ: **(عند ربي)** عند أحمد: (٢٥٣/٢).

(٢) انظر: جامع المسائل لابن تيمية: (١٢٢/١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر: (٦٢/١) برقم: (٣٤).

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ أيضاً: قال ﷺ: (**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار**)[1].

فأخبر أن من كانت فيه هذه الثلاث وجد حلاوةَ الإيمان، والحلاوة ضد المرارة، وكلاهما من أنواع الطعوم. فبيَن أنّ الإنسان يجد بقلبه حلاوة الإيمان، ويذوق طعم الإيمان، والله سبحانه هو الذي يذيقه طعم الإيمان، وهو الذي يجعله واجداً لهذه الحلاوة. فالمؤمنون يذوقون هذا الطعم، ويجدون هذا الوجد، وفي ذلك من اللذة والسرور والبهجة ما هو أعظم من لذة أكل البدن وشربه........ وكثيرًا ما توصف القلوب بالعطش والجوع، وتوصف بالري والشّبع، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (**رأيت كأنّي أتيت بقدح، فشربت حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري، ثم ناولت فضلي عمر**). قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: (**العلم**)[2]. فجعل العلم بمنزلة الشراب الذي يشرب.

وفي الصحيحين عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء، فشرب الناس وسقوا وزرعوا...**)[3] الحديث.

كما أن التعبيرِ بلفظ القوت والطعام والشراب ونحو ذلك عما يقيت القلوب ويغذيها كثيرٌ جدًّا، كما قال بعضهم: أَطعمهم طعام المعرفة، وسقاهم شراب المحبّة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان: (١/١٤) برقم: (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان: (١/٦٦) برقم: (٤٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب إذا أعطى فضله غيره في النوم: (٦/٢٥٧٧) برقم: (٦٦٢٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ: (٤/١٨٥٩) برقم: (٢٣٩٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم؛ باب فضل من علِم وعلّم: (١/٤٢) برقم: (٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم: (٤/١٧٨٧) برقم: (٢٢٨٢).

وقال آخر:

لَها أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْـرَاكَ يَـشْغَلُهَا عَنِ الشَّرَابِ وَيُغْنِيْهَا عَـنِ الـزَّادِ[1]

قال ابن القيم في هذا المعنى: "ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغـذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني، ولاسيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبـه، الذي قد قرت عينه بمحبوبه، وتنعم بقربه، والرضى عنه، وألطاف محبوبه، وهداياه وتحفه، تصل إليه كل وقت، ومحبوبه حفيّ به، معتز بأمره، مكرم له غاية الإكرام، مع المحبة التامة له، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب؟.

فكيف بالحبيب الذي لا شيء أجل منه، ولا أعظم، ولا أجمـل، ولا أكمـل، ولا أعظم إحساناً، إذا امتلأ قلب المحب بحبه، وملك حبُّه جميعَ أجزاء قلبه وجوارحه، وتمكن حبه منه أعظم تمكن، وهذا حاله مع حبيبه، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويـسقيه ليلا ونهارا"[2].

ورجح هذا القول ابن القيم وغيره كما تقدم.

---

(١) البيت لإدريس بن أبي حفصة بنحوه. انظر: ديوان المعاني: (٦٣/١)، وزهر الآداب للحصري: (٤٥٠/١).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: (٣٢/٢).

المبحث الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بنبوته ﷺ مما يتعلق بذاته

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عصمة جوارحه ﷺ.

المطلب الثاني: مسألة سحر جسده ﷺ.

المطلب الثالث: هل لكل عضو من أعضائه معجزة ﷺ.

المطلب الرابع: البشارات المتعلقة بجسده وأعضائه ﷺ.

المطلب الخامس: لا يتمثل الشيطان بصورته.

المطلب السادس: حكم من أنكر خصائص جسده وأعضائه الشريفة ﷺ.

المطلب الأول

عصمة جوارحه ﷺ

العصمة لغةً: من عَصَمَ يَعْصِمُ: إذا اكتسب، ومنع، ووقى، ومعناه: المنع، ومنه: العصمة الزوجية، لأنّها تعصم الزوجين من الوقوع في زواج آخر مادامت العصمة قائمة، وتمنعهما من تعدّي الآخرين.

وفي التنزيل: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[1]، أي لا مانع. ويقال: قد عصمه الطعام أي منعه من الجوع... والعرب تقول: أعصمت بمعنى اعتصمت[2].

واعتصم فلان بالله إذا امتنع به. واستعصم إذا امتنع وأبى، قال الله تعالى حكاية عن امرأة العزيز في أمر يوسف حين راودته عن نفسه: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[3]، أي تأبّى عليها و لم يجبها إلى ما طَلَبت[4].

العصمة اصطلاحًا:لا يبعد معنى العصمة في الاصطلاح عن معناها اللغوي إلاّ لمقتضى قيد الاصطلاحي الشرعي، فإنّ عِصْمة الله عبدَه: هي أن يمنعه ممَّا يُوبِقه ويسده عن المهالك وأسباب الضلال بلطف منه ورحمة.

وقال أبو طالب يمدح النبي ﷺ[5]:

وَأَبْيضَ يُستَسْقَى الغَمَامُ بوَجْهِهِ ... ثِمالُ اليتامَى عِصْمَةٌ لِلأرَامِلِ

أي: يمنعهم من الضياع والحاجة[6].

---

(١) سورة هود؛ الآية: (٤٣).

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة: (٣٢٤/١).

(٣) سورة يوسف؛ الآية: (٣٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة: (٣٣/٢)، والقاموس المحيط: (ص ١١٣٨).

(٥) انظر: ديوان أبي طالب: (ص ٧٥).

(٦) تهذيب اللغة: (٣٣/٢)، وتاج العروس: (١٠٧/٣٣).

وممّا قالوا في عصمة الله لنبيّه ﷺ أنّها: "لطف من الله تعالى يحمل النبي ﷺ على فعل الخير، ويزجره عن الشر في سائر ما يفعل ويمنعه من الخطأ في تبليغ ما أرسل به مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء "[١].

وقيل: هي " حفظ الله عز وجل للأنبياء بواطنهم وظواهرهم من التلبس بمنهي عنه، ولو نهي كراهة ولو في حال الصغر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء[٢].

وهذه التعريفات قد تضمنت الإشارة إلى أهمّ مسائل العصمة في حقّ النبيّ ﷺ وهي:

أوّلاً: أنّ عصمته ﷺ ليست ذاتية، وإنّما بعصمة الله تعالى له، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[٤].

فقد أشار الله تعالى في هذه الآيات إلى أنّ ما يتمتع به رسوله ﷺ من عصمة إنّما هو بتثبيته له، وتأييده، كما بيّن ما عسى أن يحلّ بالنّبيّ ﷺ لو تقوّل على الله بعض الأقاويل -وحاشاه بأبي هو وأمي ﷺ- بل إنّ الله عليم بأنّ نبيّه لن يقدم على قريب من ذلك، إلاّ أنّ ممّا يستفاد من هذه الآيات هو أنّ عصمته ﷺ ليس لاستحالة الخطأ أو الذنب في حقه ولذاته ﷺ، وإنّما بمنٍّ من الله تعالى وكرم منه.

ثانيًا: وهي مسألة عصمة الأنبياء من الذنوب؛ وذلك بعد تقرر الاتفاق على أنّهم معصومون في تبليغ الرّسالة أن يبلغوا خلاف ما أرسلوا به أو يُقَرُّوا على خطأ في الاجتهاد[٥].

---

(١) انظر: عصمة الرسول ﷺ لعماد الشربيني (ص ١٩)، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: (٢٠٩/١)، والكليات للكَفَوي (ص ٦٤٥).

(٢) عصمة الرسول ﷺ (ص ١٩).

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٧٤).

(٤) سورة الحاقة؛ الآيات: (٤٤-٤٧).

(٥) انظر: منهاج السنة: (٤٠٩/٢-٤١١)، وفيه يقول ابن تيمية: "والعصمة المتفق عليها أنه لا يقر =

أمّا ما دون التبليغ فيما يجتهد فيه الأنبياء والرسل، وصغائر الذنوب، فهو محل خلاف بين العلماء، ومدار هذا الخلاف راجع إلى اعتبار المقصود بالعصمة حين تطلق في حقّ الأنبياء فهل هو عصمة من كلّ وجه، فمن قال بذلك جعل من لوازمه عصمتهم من الخطأ وصغائر الذنوب.

أمّا من لاحظ محلّ القدوة للأمم ومنزلة التوبة وما فيها من رفعة الدرجة وصدق الالتجاء إلى الله تعالى، وتحقيق الأنس بلطفه ورحمته، فضلاً عن صريح نصوص الوحيين رأى أنّ العصمة لا تمنع من الخطأ وصغائر الذنوب وهو القول الراجح في هذه المسألة بتأييد نصوص الكتاب والسنة وقصص الأنبياء والرسل عبر التاريخ.

ولهذا لم يذكر الله تعالى لنبيّ من أنبيائه ذنبًا إلاّ ذكر معه ما أنشأوا من التوبة مع ذلك الذنب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهو سبحانه -وله الحمد- لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنباً إلا ذكر معه توبته لينزهه عن النقص والعيب، ويبين أنه ارتفعت منزلته وعظمت درجته وعظمت حسناته، وقربه إليه بما أنعم الله عليه من التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلك، وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ويقتدي بهم إلى يوم القيامة.

ولهذا لما لم يذكر عن يوسف توبة في قصة امرأة العزيز دل على أن يوسف لم يذنب أصلاً في تلك القصة كما يذكر من يذكر أشياء نزهه الله منها بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]"[2].

ثالثًا: نسبة العصمة إلى غير الأنبياء والرسل من الصالحين: قد ترد نسبة العصمة في ثنايا كلام العلماء لبعض الأئمة والصالحين، ويكون المراد به العصمة المقيدة وهو تعبير

=

على خطأ في التبليغ بالإجماع".

(١) سورة يوسف؛ الآية: (٢٣).

(٢) منهاج السنة: (٢/٤١١).

يراد به الهداية، مثل قولهم: عصمه الله من الوقوع في تلك المعصية، فإنّ هذا الإطلاق ليس له من العصمة المطلقة شيء من معانيها.

وقد غلا بعض الطوائف المبتدعة مثل الرافضة فنسبوا العصمة المطلقة إلى غير الأنبياء والرسل.

يقول المجلسي: "الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً ونسياناً، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه"(١).

وهذا باطل بلا شكّ، بدليل تصرفات الأئمة وأقوالهم ممّا هو مفصل في موضعه ولا يحتمله هذا البحث(٢).

فإذا ثبت هذا فإن عصمة الله لنبيه ﷺ المتعلقة بجوارحه وما في ذلك من تقرير نبوته وصدق رسالته قد اشتملت على ثلاث مسائل هي أمهات هذا الباب:

المسألة الأولى: عصمة الله جوارحه ﷺ من الشيطان.

المسألة الثانية: عصمة الله جوارحه ﷺ في تبليغ الرسالة.

المسألة الثالثة: عصمة الله لجوارحه ﷺ من الكبائر والصغائر وما يخل بالمروءة.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

المسألة الأولى: عصمة الله لجوارحه ﷺ من الشيطان وتسلطه:

إنّ إبليس وجنده هم أوّل عدوّ لرسالة الأنبياء والرّسل مع شدّة الحرص على إيذائهم بجميع طرق الأذى، والسهر على منع دعوتهم أن تجد سبيلها إلى العالمين، ولهذا كان ممّا زوّد الله به الأنبياء والرسل أن منعهم من تسلط الشيطان الرّجيم، وكان أوفرهم نصيبًا من ذلك: خاتمهم وسيد ولد آدم ﷺ.

فقد عصمه الله تعالى من الشيطان الرجيم وجنوده، كما هو مقرّر بدلالة النصوص

---

(١) بحار الأنوار: (١٧/١٠٨) (٢٥/٣٥٠).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للقفاري (٢/١٢٣).

الشرعية ودلالة المعقول، والإجماع.

أمّا النصوص؛ فمنها ما هو بدلالة العموم، ومنها ما هو بدلالة الخصوص، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن**) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**)[3].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إن عفريتاً من الجن تفلّت علي البارحة** -أو كلمة نحوها- **ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان:** ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾[4])، قال روح: «فرده خاسئًا»[5].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: (**أعوذ بالله منك**) ثم قال (**ألعنك بلعنة الله**) ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: (**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات،**

---

(١) سورة الإسراء؛ الآية: (٦٥).

(٢) سورة ص؛ الآيتان: (٨٢-٨٣).

(٣) رواه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً: (٤/٢١٦٧)، برقم: (٢٨١٤).

(٤) سورة ص، الآية: (٣٥).

(٥) رواه البخاري؛ كتاب المساجد: باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد: (١/٩٩)، برقم: (٤٦١)، ومسلم، كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة... (١/٣٨٤) برقم (٥٤١).

ثم أردت أخــذه، والله لولا دعــوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب بــه ولــدان أهــل المدينة)[1].

فقد تقرّر بهذه النصوص ما يدل على عصمة جوارحه ﷺ من صولة إبليس وجنــده أن يركبوها ويتخذوها مطية لأغراضهم الدنيئة، ولا شكّ أنّ النصوص والأدلة في هــذا الباب كثيرة، وقد تقدم بعضها في مورد تقرير سلامة جوارحه من ذات الجنب[2].

وأمّا دلالة المعقول على سلامة جوارحه ﷺ من أن يكون لإبليس وجنده نصيب فيها فمن وجهين:

الأوّل: أنّه لو كانت جوارحه مجالاً للعب إبليس لاختلط بذلك ما هو وحي بما هو من إلقاء إبليس وجنده، لأنّ من أعظم جوارحه ﷺ التي يؤدّي بهــا الــوحي: لــسانه الشريف، وممّا يقرر هذا الأصل العظيم: قصة الغرانيق.

وذلك لأنّ هذه العصمة للأنبياء والرّسل هي مدار وجوب قبول ما جاءوا به مــن رسالات والتسليم له.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة؛ فإن "النبي" هو المنبأ عن الله، و"الرسول" هو الذي أرسله الله تعالى وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين. ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟ هذا فيه قولان. والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك. والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. وقالوا: إن هذا لم يثبت، ومن علم أنه ثبت قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول ﷺ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضاً. وقالوا في قوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ هو حديث النفس.

---

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة (١/٣٨٥)، برقم: (٥٤٢).

(٢) راجع (ص ١٦٦) من هذا البحث.

وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا هذا منقول نقلا ثابتا لا يمكن القدح فيه، والقرآن يدل عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾[(١)] فقالوا: الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك؛ فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها. وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس، لا باطناً في النفس، والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ"[(٢)].

فثبت بذلك أنّ ما حصل من قصة الغرانيق ليس بمنهج عام في الوحي، وإن كانت سنة ماضية يبتلي الله بها عباده فيزيد المؤمنين إيمانًا، ويبعد المنافقين غيّاً وضلالاً، وهذا المعنى واضح على جميع أقوال أهل العلم في تفسير الآية وبيان وجهتها.

الثاني: أنّه قد حصل لبعض أتباع ما جاء به النبيّ ﷺ من الهدي القويم العصمةَ في جوارحهم من إبليس وجنده، حتّى كانوا إذا قابلوهم في فج تحولوا إلى فج آخر كما حصل ذلك لعمر بن الخطاب ﷺ، فلا شكّ أنّ ما يحصل للنبيّ ﷺ من ذلك لا يمكن مقارنته بحال من دونه من أصحابه سواء عمر أو غيره، وهذا هو مقتضى ضرورة العقل؛ فإنّ عمر ﷺ لم يحصل له ذلك إلاّ بعد أن أسلم وصار من أتباع هدي النبيّ ﷺ، فإذا كان هذا من خصائص هديه ﷺ فهو إذًا أحقّ بها وأولى[(٣)].

---

(١) سورة الحج، الآيات: (٥٢-٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/٢٩٠-٢٩٢).

(٣) إشارة إلى قول النبيّ ﷺ لعمر ﷺ: **(والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجًّا إلا** =

وأمّا الإجماع، فمنه ما حكاه القاضي عياض رحمه الله تعالى بقوله: "واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس[1].

المسألة الثانية: عصمة الله لجوارحه ﷺ في تبليغ الرسالة:

إنّ مدار عصمة الأنبياء على عصمتهم في تبليغ الرسالة، وهذا يعني عصمة شمولية أدائهم للرسالة، فلا يتركون منها شيئًا دون أن يبلغوه، وعصمة أمانة الأداء، فلا يفترون على الله الكذب أبدًا، ولا يدعون إلى غير ما أمر الله به.

وقد أوجب الله ﷻ العصمة لجوارح النبي ﷺ المتعلقة في تبليغ رسالة ربه للناس كافة، وذلك بدليل الكتاب والسنة والإجماع.

فقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

= **سلك فجًا غير فجك)** رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: (٤/١٢٦)، برقم: (٣٢٩٤). ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل عمر ﷺ: (٤/١٨٦٣)، برقم: (٢٣٩٦).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٢/٢٧٥).

(٢) سورة النجم؛ الآيتان: (٣-٤).

(٣) سورة الحاقة الآيات: (٤٤-٤٦).

(٤) سورة المائدة؛ الآية: (٦٧).

(٥) سورة النساء؛ الآية: (١٠٥).

بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

فقد تضمنت هذه الآيات ثناء الله تعالى على رسوله ﷺ، ورده عنه طعن مشركي قريش، مع تزكيته سبحانه وتعالى له بما يجعله في غاية المنتهى أن يناله شيء من أذاهم في منع رسالته من تحقيق الهدف منها؛ فزكّاه وبرّأه أن يكون ما يصدر من بين شفتيه من هوى، وإنّما هو الوحي الذي يقوله عن ربه، والحاصل أنّ عصمة الله تعالى لنبيه في جوارحه لا تقف إلى حدّ ما له تعلّق بحفظ الرسالة التي جاء لتبليغها فقط، بل لقد عصمه الله تعالى من عاديات الأعداء أن يتمكنوا من منعه من تبليغ تلك الرسالة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد**)[3].

أمّا أدلة السّنة على عصمة الله تعالى لجوارح نبيّه ﷺ فكثيرة، منها:

ما ثبت في صحيح مسلم عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل**)[4].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه

---

(١) سورة يونس؛ الآية: (١٥).

(٢) سورة المائدة؛ الآية: (٦٧).

(٣) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ: (٤/١٨٥)، برقم: (٣٥٣٣).

(٤) رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي: (٤/١٨٣٥)، برقم: (٢٣٦١).

من رسول الله ﷺ، أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: (**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الأنبياء -صلوات الله عليهم- معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة؛ ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه"[2].

وقال في موضع آخر: "والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[3].

المسألة الثالثة: عصمة الله لجوارحه ﷺ من الكبائر والصغائر وما يخل بالمروءة:

لقد حفظ الله نبيه ﷺ منذ نعومة أظفاره وأحاطه بعنايته في جميع مراحل حياته ﷺ، كانت عناية الله وحفظه لنبيه محمد ﷺ من الكبائر والصغائر وكل أمر يخل بالمروة من أبرز مظاهر سيرته العطرة، فلم يظفر أعداؤه أن يرموه بأمر مشين، ولو وُجد ما ترددوا، وهذا من أعظم الدلائل على حفظ الله لنبيه ﷺ.

فعن علي بن أبي طالب ﷺ: قال: سمعت رسول الله يقول: (**ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله منهما؛ قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهلنا نرعاها: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، قلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة، لرجل من**

---

(١) سبق تخريجه (ص ٤).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/٢٨٩).

(٣) المرجع السابق: (١٠/٢٩٠).

قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك، فخرجت فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال لي: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً) قال رسول الله ﷺ: **(فوالله ما هممت بعدهما بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته)**[1].

وفي الصحيحين عن عمرو بن دينار، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة. قال: فحله فجعله على منكبيه، فسقط مغشيًّا عليه، فما رئي بعد ذلك عرياناً ﷺ[2].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[3]، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: **(يا بني فهر، يا بني عدي)** -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: **(أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟)** قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: **(فإني نذير لكم بين يدي**

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦٩/١٤)، برقم: (٦٢٧٢)، والحاكم: (٢٤٥/٤)، وعنه البيهقي في "الدلائل": (٣٣/٢)، من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، به، وعلقه البخاري في "تاريخه": (١٣٠/١) باختصار، فقال: «قال لي شهاب: حدثنا بكر بن سليمان». عن ابن إسحاق، به. ووصله البزار: (٢٤٠/٢) برقم: (٦٤٠)، وذكره الهيثمي في " المجمع": (٢٢٦/٨)، وقال: «رواه البزار، ورجاله ثقات». وأورده السيوطي في "الخصائص": (٨٨/١-٨٩)، ونقل عن ابن حجر قوله: «إسناده حسن متصل، ورجاله ثقات». انظر: الأرنؤوط صحيح ابن حبان: (١٧٠/١٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها: (٨٢/١)، برقم: (٣٦٤)، ومسلم: كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة: (٢٦٨/١)، برقم: (٣٤٠).

(٣) سورة الشعراء؛ الآية: (٢١٤).

عذاب شديد) فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنـــزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[1].

وعن ناجية بن كعب، عن علي: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به. فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[2]"[3].

وفي حديث أبي سفيان ﷺ مع هرقل أن هرقل قال: .... فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قال؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ... - ثم أشار هرقل إلى المعنى المنطقي المستلزم لصدق النبيّ ﷺ في رسالته -: وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله[4].

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته»[5].

شبهات في تقرير العصمة للنبيّ ﷺ والرد عليها:

إنّ ممّا يستلزمه ضرورة النّظر في هذا الباب معالجة شبهات من غلا في العصمة للنبي ﷺ أو أخرجها عن معناها ومدلولها الشرعي، مستدلين ببعض المعاني على نفي ما هو مقرر في حقّ النبيّ ﷺ بدعوى أنّها تناقض العصمة، وهي في الواقع لا تمت إلى العصمة بصلة، ومن تلك الشبهات:

(١) سورة المسد؛ الآيتان: (١-٢).

(٢) سورة الأنعام؛ الآية: (٣٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: (١١١/٦)، برقم: (٤٧٧٠).

(٤) رواه البخاري؛ كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي...؟: (٨/١)، برقم: (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (١٣٩٣/٣) برقم (١٧٧٣).

(٥) الشفا: (٢٩٣/٢).

الأولى: ما ذهب إليه بعض الأصوليين وبعض المتصوفة إلى أنه لا يقع منه النسيان في شيء أصلاً، وأنّ ما يقع منه من ذلك إنّما هو صورة النسيان، ليَسُنَّ للعباد معالم دينهم[1].

وشبهة هؤلاء أنّهم رأوا أنّ في إثبات النسيان قدحًا في تمام التشريع كما هو مسلك الأصوليين، أو طعنًا في فضائله كما هو نهج الصوفية، والحق خلاف هذا وهذا، وذلك لما بيَّن الإسماعيلي[2] رحمه الله –من أن النسيان من النبي ﷺ على قسمين:

القسم الأول: ما يتذكره النبي ﷺ عن قرب بعد حصول النسيان: وذلك ممّا هو قائم بطباع البشر، وعليه يدل قوله ﷺ: **(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ)**[3].

وهذا القسم لا يزيد عن كونه عارضًا سريع الزوال، لظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

-ثم بيَّن رحمه الله – أن نسيانه بهذا القسم يشمل أمرين:

الأمر الأول: وقوع النسيان منه فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ، مثل الأمور العادية والحياتية فهذا جائز مطلقاً لما جُبل عليه من الطبيعة البشرية.

الأمر الثاني: وقوع النسيان منه فيما هو مأمور فيه بالبلاغ وهذا جائز بشرطين:

الشرط الأول: أن يقع منه النسيان بعد ما يقع منه تبليغه، وأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً.

---

(١) انظر: فتح الباري (٩/٨٦).

(٢) هو الإمام الحافظ الفقيه الحجة شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الشافعي، صنف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، وكان واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء. توفي سنة ٣٧١هـ.

انظر: سيَر أعلام النبلاء (١٦/٢٩٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/٢٩٨)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٨) من هذا البحث، وانظر: فتح الباري (٩/٨٦)، فقد نقل مجمل كلام الإسماعيلي رحمه الله تعالى.

(٤) المرجع السابق: (٩/٨٦).

الشرط الثاني: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكرة، إما بنفسه، وإما بغيره.

القسم الثاني من النسيان: أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته، وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[(١)].

ويقول القاضي عياضٌ -في مورد ردّ قول من ذهب إلى امتناع النسيان في حقه ﷺ: "وهذا تناقض مردودٌ، ولم يقل بهذا أحد مِمَّن يقتدى به، إلا الأستاذ أبو الْمظفر الإسفراييني[(٢)] من شيوخنا، فإنه مال إليه ورجحه، وهو ضعيفٌ متناقض"[(٣)].

وقال في موضع آخر رحمه الله: "جمهور الْمحققين على جواز النسيان عليه ﷺ ابتداءً فيما ليس طريقه البلاغ، واختلفوا فيما طريقه البلاغ والتعليم، ولكن من جوَّز قال: لا يُقَرُّ عليه، بل لا بد أن يتذكره أو يُذَكَّره"[(٤)].

وقال ابن عطية رحمه الله: "والصحيح في هذا أن نسيان النبي ﷺ لما أراد الله أن ينساه، ولم يرد أن يثبت قرآناً جائزٌ. فأما النسيان الذي هو آفة في البشر، فالنبي ﷺ معصوم منه، قبل التبليغ وبعد التبليغ، ما لم يحفظه أحد من أصحابه، وأما بعد أن يحفظ، فجائز عليه ما يجوز على البشر، لأنه قد بلغ وأدى الأمانة، ومنه الحديث حين أسقط آية، فلما فرغ من الصلاة قال: (**أفي القوم أُبي؟**) قال: نعم يا

---

(١) سورة الأعلى؛ الآية: (٧).

(٢) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفر السمعاني، ولد سنة ٤٢٦هـ وبرع في الفقه الحنفي ثم تحول إلى المذهب الشافعي حتى صار إماماً فيه، وأفتى ودرس وألف الكتب الحسان. من تصانيفه: "التفسير"، و"القواطع في أصول الفقه"، و"المنهاج لأهل السنة"، مات سنة ٤٨٩هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٥/٥)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٧٣/١)، وتاريخ الإسلام للذهبي: (٣٢١/٣٣).

(٣) شرح النووي: (٧٧/٦)، وأصل كلام القاضي عياض في إكمال المعلم (٥١٤/٢).

(٤) شرح النووي: (٧٦/٦)، وأصل كلام القاضي عياض في إكمال المعلم (٥١٤/٢).

رسول الله، قال: (**فلم لم تذكرني؟**) قال: حسبت أنها رفعت. فقال النبي ﷺ: (**لم تُرفع ولكني نُسِّيتُهَا**)[1]"[2].

قال النووي رحمه الله: "قوله ﷺ: (**كنت أُنسيتُها**) دليل على جواز النسيان عليه ﷺ فيما قد بلّغه إلى الأمة"[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "نعم، اتفق من جوّز ذلك -أي من جوز النسيان على النبي ﷺ- على أنه لا يُقرّ عليه، بل يقع له بيان ذلك، إما متصلاً بالفعل أو بعده، كما وقع في هذا الحديث من قوله ﷺ: (**لم أنس ولم تقصر**)[4] ثم تبين أنه نسي"[5].

الثانية: الشبهات المتعلقة بقصة الغرانيق:

تقدمت الإشارة إلى قصة الغرانيق، وأنّ تخريج العلماء لها لا تمنع بوجه من عصمة النبيّ ﷺ في تبليغ ما أرسله الله به، وقد بقي في هذه المسألة بعض الشبهات ناسب تناولها هنا لشدّة علاقتها بمسألة النسيان واحتمال خلط الوحي بغيره ممّا ليس منه.

فأقول وبالله التوفيق:

إنّ قصة الغرانيق بتمامها هي ما روي: "أنّ النبي ﷺكان يصلي يوماً بمكة فتمنى بنفسه شيئا من الدنيا، وكان يقرأ سورة النجم ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ

(١) تقدم تخريجه في (ص ٣٣) من هذا البحث.

(٢) المحرر الوجيز: (١/١٩٤).

(٣) شرح النووي: (٦/٧٦).

(٤) يقصد حديث أبي هريرة ﷺ الذي أخرجه البخاري: (١/٤١٢) برقم: (١١٧٢)، كتاب الكسوف، باب من يكبر في سجدتي السهو، ومسلم: (١/٤٠٣) برقم: (٥٧٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له.

(٥) فتح الباري: (٣/١٠١).

ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[1]، فألقى الشيطان على لسانه ﷺ: " **فإنهن عند الله لمن الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى**" -والغرانيق: الملائكة-. فوقعت هاتان الكلمتان في آذان المشركين واستبشروا وقالوا: إنّ محمدًا قد رجع إلى دين قومه، فلما بلغ النبي ﷺ آخر السورة سجد، وسجد معه كل كافر ومسلم إلا الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً، فرفع ملء كفه تراباً وسجد عليه، ففشا ذلك في الناس وأظهرهما الشيطان حتى بلغتا إلى أرض الحبشة، فلما سمع عثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود ومن كان معهما هنالك من الصحابة أقبلوا سراعاً، وعظم ذلك على رسول الله ﷺ، فأتى جبريل فشكا إليه، فقرأ عليه النجم فلما قرأ هاتين الكلمتين قال جبريل: معاذ الله، أما هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: (**أطعت الشيطان وشركني في أمر الله**)، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]"[3].

فقد كانت كلمة "الغرانيق" ممّا تطلقها قريش على أصنامها قبل الإسلام، وفي ذلك كانوا إذا طافوا بالكعبة قالوا: واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى... فإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى[4].

وقد اختلف العلماء في توجيه تلك القصة ولهم في ذلك منهجان:

---

(١) سورة النجم: الآيتان: (١٩-٢٠).

(٢) سورة الحج؛ الآية: (٢٥).

(٣) وهذه الرواية هي المعروفة بقصة الغرانيق، وقد أخرجها الطبري بإسناده عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وأبي العالية وسعيد بن جبير من طرق كلها مرسلة. انظر: تفسير ابن جرير: (١٨٧/١٧)، وأخرجها البزار عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فيما أحسب -أشك في الحديث- أن النبي ﷺ كان بمكة.... فذكره. قال البزار: "لا نعلمه يروى بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، وأمية بن خالد ثقة مشهور، وإنما يعرف هذا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس". انظر: كشف الأستار: (٧٢/٣).

(٤) كتاب الأصنام: (ص ١٩).

أحدهما: منهج الرد والإبطال، وممن ذهب إلى ذلك:

ابن حزم في الفصل حيث قال: "وأما الحديث الذي فيه: وإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى للاشتغال به إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد، وأما قوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ الآية فلا حجة لهم فيها؛ لأن الأماني الواقعة في النفس لا معنى لها، وقد تمنى النبي ﷺ إسلام عمه أبي طالب و لم يرد الله عز وجل كون ذلك، فهذه الأماني التي ذكرها الله عز وجل لا سواها، وحاشا لله أن يتمنى نبي معصية وبالله تعالى التوفيق، وهذا الذي قلنا هو ظاهر الآية دون مزيد تكلف ولا يحل خلاف الظاهر إلا بظاهر آخر، وبالله تعالى التوفيق"[1].

وهو قول ابن كثير حيث قال: "قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنًّا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، و لم أرها مسندة من وجه صحيح"[2].

وقال البغوي: "وأكثر المفسرين قالوا: معنى قوله: تمنى: تلا وقرأ كتاب الله، ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته أي: في تلاوته وقراءته"[3].

وقال ابن جرير: "هذا القول أشبه بتأويل الكلام"[4].

قال الشوكاني: "ويؤيد هذا: ما تقدم في تفسير قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[5]، وقيل: معنى تمنى: حدث، ومعنى ألقى الشيطان في أمنيته: في حديثه، روي هذا عن ابن عباس. فحاصل معنى الآية: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك من

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤ /١٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٣/٢٢٩).

(٣) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: (٤/٢٤٣).

(٤) تفسير الطبري (١٧/١٩٠).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

دون أن يتكلم به رسول الله ﷺ"[1].

ويقول أيضاً رحمه الله: "ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾[2] وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[3] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾[4] فنفى المقاربة للركون فضلاً عن الركون. قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. قال القاضي عياض في «الشفا»[5]: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً. وإذا تقرر لك بطلان ذلك عرفت أن معنى تمنى قرأ وتلا، كما قدمنا من حكاية الواحدي لذلك عن المفسرين"[6].

الثاني: منهج قبول الرواية وتخريج مضمونها بما لا يتعارض مع أصل العصمة وممن ذهب إلى ذلك:

الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث قال -بعد أن أورد من أخرج القصة وبين ضعف الروايات وانقطاعها-: "لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أنّ لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، **أحدهما**: ما أخرجه الطبري عن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، **والثاني**: ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر سليمان

---

(١) فتح القدير (٢/٣٤٢).

(٢) سورة الحاقة، الآيات: (٤٤-٤٦).

(٣) سورة النجم، الآية: (٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٧٤).

(٥) الشفاء: (٢/٢٨٥).

(٦) فتح القدير: (٢/٣٤٢) بتصرف يسير.

وحماد بن سلمة، فرقهما، عن داود بن أبي هند عن أبي العالية، وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها. وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول عياض هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية. قال: وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله، وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم، قال: ولم ينقل ذلك، انتهى، وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد؛ فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به؛ لاعتضاد بعضها ببعض.

وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله: "**ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى**" فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهوًا إذا كان مغايرًا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك، فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم.

وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره، ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾[1] الآية، قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة.

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٢٢).

وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ، فجرى على لسانه لما ذكرهم سهواً، وقد رد ذلك عياض فأجاد.

وقيل: لعله قالها توبيخاً للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً، وإلى هذا نحا الباقلاني.

وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[1]، خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به، فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾[2]، ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان: شيطان الإنس.

وقيل: المراد بالغرانيق العلى: الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله: ويعبدونها: فسيق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾[3]، فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته.

وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته، بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها. قال: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا، وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل، وقال قبله: إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه، قال: ومعنى قوله: ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[4] أي في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله: قال: وقد سبق إلى

---

(١) سورة النجم، الآية: (٢٠).

(٢) سورة فصلت، الآية: (٢٦).

(٣) سورة النجم، الآية: (٢١).

(٤) سورة الحج، الآية: (٥٢).

ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هـذا المعـنى وحوّم عليه"(١).

الجمع بين القولين:

إنّ مدار هذا الخلاف على ثبوت الروايات في المسألة وعدم ثبوتها، مع معارضـتها لظواهر النصوص التي هي أصول في دين المسلمين، وممّن ذهب إلى الجمع بين الأقوال في المسألة: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فقال: "وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتـة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين.

ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟ هذا فيه قولان. والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك. والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: "**تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى**" وقالوا: إن هذا لم يثبت، ومن علم أنه ثبت قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم و لم يلفظ به الرسول ﷺ ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضاً. وقالوا في قوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ هو حديث النفس. وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا: هذا منقول نقلا ثابتا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾(٢)، فقالوا: الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة

---

(١) انظر: فتح الباري: (٨/٤٣٨-٤٤٠) بتصرف يسير.

(٢) سورة الحج؛ الآيات: (٥٢-٥٤).

في كتب التفسير والحديث، والقرآن يوافق ذلك؛ فإن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها. وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس، والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ.

وهذا النوع أدل على صدق الرسول ﷺ وبعده عن الهوى من ذلك النوع؛ فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله، وهو مصدق في ذلك، فإذا قال عن نفسه: إن الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ وإن ذلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك، كان أدل على اعتماده للصدق وقوله الحق، وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها لو كان محمد كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[1]، ألا ترى أن الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ، فبيان الرسول ﷺ أن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريه للصدق وبراءته من الكذب، وهذا هو المقصود بالرسالة فإنه الصادق المصدوق ﷺ تسليماً، ولهذا كان تكذيبه كفراً محضاً بلا ريب"[2]. والله أعلم.

---

(١) سورة الأحزاب؛ الآية: (٣٧)، وقول عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ... (١/١٦٠) برقم: (١٧٧)، وأخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (٩/١٢٤) برقم: (٧٤٢٠) من قول أنس ﷺ.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/٢٩٠-٢٩٢).

المطلب الثاني
مسألة سحر جسده ﷺ

إنّ هذه المسألة من المسائل ذات الصلة بالعصمة في التبليغ، وتبرئة كتاب الله تعالى أن يكون سحرًا، ومجمل الأقوال فيها قولان:

القول الأول: الإقرار بأنّه قد أصاب النبيَّ ﷺ السّحرُ، وأنّ ذلك لا يناقض العصمة، ولا يستلزم أن يمس شيء من ذلك كتابَ الله الذي وعد الله بحفظه.

بل إنّ ما حدث للنبيّ ﷺ من ذلك إنما هو عارض تسلط على ظواهر جسده الشريف، و لم يؤثر في نبوته ورسالته، وعليه اجماع أهل السنة وأئمتهم وهو قول الإمام المازري[1]، والقاضي عياض[2]، والإمام النووي[3] وشيخ الإسلام ابن تيمية[4]، وتلميذه ابن القيم[5] وابن كثير[6] والإمام ابن حجر[7] وغيرهم .

القول الثاني: إنكار حادثة سحر النبي ﷺ والطعن في روايتها، وهو قول بعض المبتدعة وبعض العقلانيين المنتسبين إلى الإسلام[8].

فيعتقد هؤلاء أنّ الإقرار بهذا يشكّل شبهة على عصمة الأنبياء، وأنّ تجويز ذلك يطرح الثقة بالشرائع، وأنّه كذلك يفتح الباب للملاحدة للطعن في الشرع متمسكين بما

---

(١) المعلم بفوائد مسلم: (٣/٩٣).

(٢) الشفا: (٢/١٧٩-١٨٥)

(٣) شرح النووي: (٧/٣٢٨)

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٢٤).

(٥) بدائع الفوائد: (٢/٤٥٠)

(٦) تفسير ابن كثير: (٨/٥٣٨)

(٧) فتح الباري: (٦/٢٧٧)

(٨) انظر: فتح الباري: (١٠/٢٢٦)، تفسير المنار (٥/٢٤٢-٢٤٤).

ورد من أحاديث في هذا الباب .

وممن أنكر أحاديث سحر النبي ﷺ: الشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، حيث أورد أحاديث سحر النبي ﷺ ضمن الأحاديث التي ينبغي أن ترد لعلة في متنها لأنها تمثل شبهة على الدين، ولأن نفس النبي ﷺ أقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها.

أدلة أصحاب القول الأول:

ما روي في الصحيحين من حديث عائشة -رضى الله عنها- قالت: "سحر رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال له: لَبِيدُ بن الأَعصَمِ. قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، دعا رسول الله ﷺ. ثم دعا. ثم دعا. ثم قال: **(يا عائشة! أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ جاءني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لَبِيدُ بن الأَعْصمَ. قال في أي شيء؟ قال في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ. قال: وَجُبِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أَرْوَانَ)**. قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أُناس من أصحابه. ثمَّ قال: **(يا عائشة! والله! لكأنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ ولكَأنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشياطينِ)**!.

قالت: فقلت: يا رسول الله! أفلا أَحْرَقْتَهُ؟ قال: **(لا. أماَ أناَ فقد عافاني الله، وكرهت أن أُثيرَ على النَّاسِ شرّاً. فَأَمَرْتُ بها فَدُفِنَت)**[1].

قالوا: إنّ هذا الحديث صريح وصحيح في أنّ النبيّ ﷺ قد سُحر، بما لا يحتمل غيره، ولا يتعارض ذلك مع كونه معصومًا فإنّه محل التشريع للأمة، كما أنّ السّحر لم يبلغ شيئًا ممّا أرسل به، فلا شكّ أنّ إنكار ذلك راجع إلى تقديم العقل على النقل وردّ النصوص بالهوى.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب السحر: (١٣٦/٧) برقم: (٥٧٦٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب السحر: (١٧١٩/٤) برقم: (٢١٨٩).

أدلة أصحاب القول الثاني:

أما أصحاب القول الثاني فلم يأتوا بنص صريح صحيح أو ضعيف يعارض الدليل القطعي الثابت عنه ﷺ إنما أتوا بأوهام ومفاهيم وشبهات خارجة عن منطوق ومفهوم النص القطعي الدلالة .

يقول الإمام المازري في بيان سبب إنكارهم لهذه الحادثة: "وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث من طريق ثابتة، وزعموا أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وكل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع"[1].

فليس عندهم دليل من كتاب أو سنة إنما هي شبهات عقلية بسبب تقديمهم العقل على النصوص الشرعية، وأبرز هذه الشبهات ما يلي:

١- قالوا: وقوع السحر على الأنبياء ينافي عصمة الله لهم ويحط من مقام النبوة وشرفها ويشكك فيها ويمنع الثقة بالشرع. والقبول به يناقض آيات العصمة ولا يمكن الجمع بينهما[2].

٢- القول بسحر النبي ﷺ يستلزم منه تصديق المشركين وافترائهم في قوله تعالى حكاية عنهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ وكقول فرعون لموسى ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله[3].

٣- أن الحديث الذي ذكر فيه سحر النبي ﷺ حديث آحاد لا يؤخذ به في باب العقائد، فهو لا يفيد اليقين إنما يفيد الظن، لأنه "تفرد بروايته عن رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها، ثم تفرد به عن عائشة: عروة بن الزبير، ثم عن عروة: هشام، وعلى الرغم من تعدد من رواه عن هشام واشتبه عليه الأمر، والحديث ليس بصحيح؛ لأنه

---

(١) المعلم بفوائد مسلم: (٣/٩٣).

(٢) انظر: حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص: (ص ١١٩).

(٣) انظر: تفسير المنار (٥/٥٤٢-٥٤٤).

مرسل، والمراسيل ليست بحجة كما هو مقرر عند أئمة الجرح والتعديل"[1].

٤- أن السحر من تسلط الشياطين والشياطين، ليس لها على أولياء الله المخلصين سبيل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ والنبي ﷺ أعظم الأمة إخلاصاً، فكيف يتسلط عليه الشيطان بالسحر[2].

الرد على هذه الشبهات:

أما قولهم: إن حديث عائشة هو مما تفرد به هشام بن عروة؛ فجوابه:

ما قاله ابن القيم في معرض رده على شبهتم بالطعن بهذا الحديث وفي راويه: "وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفاً مفرداً حمل فيه على هشام..... وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم؛ فإن هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، فما للمتكلمين ولهذا الشأن؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة رضي الله عنها وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين"[3].

إذًا فالحديث صحيح، ودعوى التفرد لا تنهض كذلك، كما قال العلامة الألباني رحمه الله.

كذلك فإن هشاماً لم يتفرد بالحديث، وللحديث شواهد أخرى كما ذكر ذلك غير واحد، فله شاهد من حديث عمرة عن عائشة رضي الله عنها - ذكره الحافظ في الفتح[4].

---

(١) انظر: المصدر السابق، وانظر: حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص: (ص ١١٩).

(٢) انظر: المصدر السابق، وانظر: حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص: (ص ١١٩).

(٣) بدائع الفوائد ابن القيم: (٢/٢٢٣).

(٤) (٢٢٧/١٠).

وله شاهد أيضاً من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه في مسند الإمام أحمد[1].

كما أن الإمام الذهبي رحمه الله رد بقوة على شبهة الطاعنين له بالتدليس فقال: "هشام بن عروة أحد الاعلام، حجة إمام، لكن في الكبر تناقص حفظه، و لم يختلط أبداً، ولا عبرة بما قاله أبو الحسن بن القطان من أنه وسهيل بن أبي صالح اختلطا، وتغيرا.

نعم، الرجل تغير قليلاً، و لم يبق حفظه كهو في حال الشبيبة، فنسي بعض محفوظه أو وهم، فكان ماذا ! أهو معصوم من النسيان؟

ولما قدم العراق في آخر عمره حدث بجملة كثيرة من العلم، في غضون ذلك يسير أحاديث لم يجودها، ومثل هذا يقع لمالك ولشعبة ولوكيع ولكبار الثقات، فدع عنك الخبط وذر خلط الأئمة الأثبات بالضعفاء والمخلطين، فهشام شيخ الاسلام"[2].

فطعنه بالتدليس مردود بالنسبة لهذا الحديث لأنه صرح بالتحديث.

قال الإمام الوادعي رحمه الله في رسالته: ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر: "وهشام بن عروة تكلم بعضهم فيما حدث بالعراق، وأنه حدث عن أبيه بما لم يسمع منه، وهذا منفي هنا؛ فإنه قد صرح بالتحديث عن أبيه".

وإن كان البخاري ذكر رواية مختصرة تحمل على رواية التحديث.

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي: "أما النسيان فلا يلزم منه خلل في الضبط لأن غايته أنه كان أولاً يحفظ أحاديث فحدث بها ثم نسيها فلم يحدث بها، وأما الوهم، فإذا كان يسيراً يقع مثله لمالك وشعبة وكبار الثقات فلا يستحق أن يسمى خللاً في الضبط، ولا ينبغي أن يسمى تغيراً، غاية الأمر أنه رجع عن الكمال الفائق المعروف لمالك وشعبة وكبار الثقات، و لم يذكروا في ترجمته شيئاً نُسب فيه إلى الوهم إلا ما وقع

(١) (٣٦٧/٤)، وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٦١) وقال عنه العلامة مقبل الوادعي: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم". انظر: ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص ٧٣).

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: (٣٠٢/٤).

له مرة في حديث أم زرع"[1].

كما أن هذا الحديث لم يتعرض له بالنقد أحد من الحفاظ الذين استدركوا على الصحيحين بعض روايتهما[2].

٢- أمّا قولهم: إنّ سحر النبي ﷺ ينافي العصمة وحماية الله له ويحط من مقام النبوة وشرفها، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع:

فالجواب عنه: أن العصمة ليست مطلقة بل مخصوصة، فالرسول ﷺ، لم يكن معصوماً من الأمراض وبما حصل عليه من نيل الأعداء فقد شج جبينه وكسرت رباعيته، بل المقصود بالعصمة من القتل، والغواية، والضلال[3].

فاستدلالهم بالآية خارج عن موضع النزاع؛ لأن السحر مرض من الأمراض بدليل قوله ﷺ: **(إن الله شفاني)** فهو مرض عارض لا يقدح في نبوته ورسالته، و لم يؤثر على قلبه وعقله، ولا بما كلفه الله به من تبليغ.

قال المازري: "إن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر، كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه أنه وطىء زوجاته و لم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة"[4].

قال القاضي عياض في كتابه -الشفا-: "السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته. وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يُدْخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا

(١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: (٢/٧٤٠).

(٢) انظر: تفسير ابن القيم: (١/٦٣١).

(٣) الشفا للقاضي عياض: (٢/١٨٩).

(٤) المعلم بفوائد مسلم: (٣/٩٣) بتصرف واختصار.

فيما يجوز طُروّه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان" -إلى أن قال-: "إن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه، ويكون معنى قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أُخذ واعترض. وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يُدخل لَبْسًا ولا يجد به الملحد المعترض أُنْسًا"(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما قولكم أن سحر الأنبياء ينافي حماية الله لهم، فإنه سبحانه كما يحميهم، ويصونهم، ويحفظهم، ويتولاهم، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم، ليستوجبوا كمال كرامته، ويتسلّى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا، ورضوا، وتأسوا بهم"(٢).

٣- قولهم: إن القول بسحر النبي ﷺ يوجب تصديق الكفار بما اتهم به النبي ﷺ وبما اتهم به الأنبياء من قبله مردود، وذلك بأن الكفار لم يقولوا هذا الكلام بما هو مطابق للحديث من كونه سحر بعض الأيام بسحر لم يؤثر برسالته، إنما قالوا ذلك استهزاء وتكذيباً بما جاء به، وأنه لم يوح إليه، ونحن لا نسلم لهم بهذا؛ فمنطوق الحديث ومفهومه شيء وقولهم شيء آخر. وأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض التي يصاب بها الناس؛ فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه، وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان، وإنما قذفوهم بما يُحَذِّرون به سفهاءهم من اتباعهم، وهو أنهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون بمنزلة المجانين، ولهذا قال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾(٣)"(٤).

---

(١) الشفا: (٢/١٧٩-١٨٥) بتصرف يسير

(٢) بدائع الفوائد: (٢/٤٥٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٤٨).

(٤) بدائع الفوائد: (٢/٤٥١).

٤- زعمهم أن السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، أما من تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان، ولا للشريرين عليهم من سلطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(١)... هذا الزعم مردود عليهم بقوله تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾(٢) وأخبر عز وجل عن سيدنا موسى - عليه السلام-أنه لما قتل القبطي قال: ﴿ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾(٣) والاستدلال بقوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ على أن جميع عباد الله الصالحين ناجون من أذى الشيطان، خلاف الإجماع، والمشاهد، والنصوص السالفة، والآية تفيد بلا شك أن العباد الصالحين سالمون من إغوائه وإضلاله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٤).

٥- إن الحجة على جواز السحر للأنبياء ثابتة بقول رب العزة: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾(٥)، فقد صرَّحت الآية بأن سحر أولئك السحرة، قد أوقع نبي الله موسى في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، والساكنات متحركات....

فثبت بذلك أنّ هذا الحديث صحيح الإسناد والمعنى، ولا يعارضه القرآن الكريم ولا

(١) سورة الحجر، الآية: (٤٢).

(٢) سورة ص، الآية: (٤١).

(٣) سورة القصص؛ الآية: (١٥).

(٤) سورة الحجر، الآية: (٣٩).

(٥) سورة طه؛ الآيات: (٦٥-٦٩).

سنة أخرى ولا المعقول، فوجب قبوله والإيمان به[1].

٦- أن يقال: إن السحر الذي أصاب النبي ﷺ نوع من أنواع السحر محدود في أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله، في أمور معينة ليس لها علاقة بالرسالة وتبليغها، و لم يكن أمراً ظاهرًا يلفت النظر لجميع أصحابه[2].

٧- قولهم: إن الحديث حديث آحاد ولا يؤخذ بالآحاد في باب العقائد لأنه يفيد الظن قول مردود، وذلك لما يلي:

١- إن هذا القول وهو التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد قول مبتدع؛ فلم يفرق السلف الصالح من الصحابة والتابعين بينهما؛ لأنهم فهموا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]، فهذا العموم لم يفرق بين أخبار النبي ﷺ، سواء ما كان منها متعلق بالأحكام أو العقائد ورسالته ﷺ جاءت بخبر الواحد، وبعث النبي ﷺ السفراء إلى الملوك والحكام بخبر الواحد، وأرسل الدعاة لتعليم الدين ونشر الإسلام أحكاماً وعقائد بخبر الواحد، ودخل الناس أفواجاً في الإسلام بخبر الواحد.

٢- أن يقال: إن السلف أجمعوا على حجية خبر الواحد؛ فقد قال الشافعي في كتابه الرسالة: "أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته"، وقال قبل ذلك: "و لم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا هذه السبيل"[4].

---

(١) انظر: الشفاء: (٢/١٨٠-١٨٣).

(٢) انظر: شرح النووي: (١٤/١٧٤).

(٣) سورة الحشر؛ الآية: (٧).

(٤) الرسالة: (ص ٤٥٣-٤٥٧). وانظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: (٢/٧٤٠).

المطلب الثالث

هل لكل عضو من أعضائه ﷺ معجزة

العضو في اللغة:

يقال: عضّيتُ الشاةَ وغيرَها تعضيةً، إذا قطعتها أعضاءً وفرّقتها عِضين، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[1]؛ قال أبو عبيدة: فرّقوه أعضاءً[2].

العُضْوُ من أعضاءِ الإنسانِ، كاليَد، والرِّجْل، العين، الأذن، الكتف، الكرش، الفخذ، الورك، العقب، والقلب، والرئة ونَحْوِهما[3].

ويلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين: منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن[4].

ومُعْجِزَةُ النبيّ: ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدّي، والهاءُ للمُبالَغَة[5].

تعريف المعجزة اصطلاحاً:

"أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"[6].

وأما الإجابة عن هذا المطلب فمن حيث الاستقراء لمعجزاته ﷺ المتعلقة بأعضائه الشريفة لم يثبت اختصاص جميع أعضاء جسده الشريف بمعجزة متعلقة بكل عضو من أعضائه الشريفة فقد اختصت بعض أعضائه بمعجزات ثبتت بها السنة النبوية العطرة،

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: (٩١).

(٢) جمهرة اللغة: (٧/٢٠).

(٣) انظر: تاج العروس: (٥٧/٢٦).

(٤) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: (١٢٢/٢).

(٥) تاج العروس: (٢١١/١٥).

(٦) التعريفات: (ص ٢١٩).

كعينه وأذنه ووجهه ولسانه ويده وأصابعه وقلبه، كما سيأتي إن شاء الله بيانه في موضعه.

أقول: -والعلم عند الله تعالى-: إنه قد يحمل تعلق المعجزات في كل عضو من أعضائه الشريفة في معجزة الإسراء والمعراج؛ فإنه قد عرج ببدنه وروحه، فتتعلق هذه المعجزة بكل عضو من أعضائه من باب الاستصحاب في الحكم، وكذا ما ورد من قوة جسده الشريف، وقد تقدم، والله أعلم.

المطلب الرابع
البشارات المتعلقة بجسده وأعضائه ﷺ

البشارة لغة: البُشارَةُ، بالضم والكسر. يقال: بَشَرْتُهُ بمولودٍ فأَبْشَرَ إِبْشاراً، أي سُرَّ[1].

وإذا أُطلقتْ اختصَّتْ بالخَيْرِ، وفي الأَساس[2]: وتَتَابَعَتِ البِشَارَاتُ والبَشَائِرُ، والبَشَارَةُ بالفَتْح: الجَمَالُ والحُسْنُ[3].

قال الأَعْشَى:

وَرَأَتْ بِأَنَّ الشَّيْبَ جَا نَبَهُ البَشَاشَةُ والبَشَارَهْ[4]

قال الليث: البِشَارَةُ: ما بُشِّرتَ به، والبشيرُ: الذي يُبَشِّرُ القوم بأَمرِ خيرٍ أو شَرّ، والبُشَارَةُ: حَقُّ ما يُعطَى من ذلك، والبُشرَى الاسم، ويقال: بشرْتُهُ فأبشرَ، واستَبشر، وتَبشَّر.

والمُبشراتُ: الرِّياحُ التي تَهُبُّ بالسحاب والغَيْث..[5].

وأما المبشرات المتعلقة بالنبي ﷺ **فتعريفها اصطلاحاً:**

هي ما ثبت في الكتاب والسنة من تقرير كون الله تعالى أخبر أهل الكتاب عن هذا النبيّ ﷺ وجاء من أمر أنبيائهم من تبشير الأمم باسم النبي ﷺ وصفاته الخِلْقية والخُلُقية

---

(١) انظر: الصحاح: (١/٤٤).

(٢) انظر: أساس البلاغة: (١/٦١).

(٣) انظر: تاج العروس: (١٠/١٨٦).

(٤) انظر: جمهرة اللغة: (١/٣١١)، وتاج العروس: (١٠/١٨٦)، والبيت في ديوان الأعشى (ص٢٠٥).

(٥) انظر: تهذيب اللغة: (١١/٢٤٦).

وغير ذلك مما يدل دلالة لا شك فيها أنه رسول الله ﷺ وخاتم النبيين والمرسلين[1].

وقد جاءت النصوص الشرعية باعتبار هذه البشارات على كونها دلائل وعلامات على أنه ﷺ هو خاتم النبيين، فذكر الله تعالى أهل الكتاب بهذه البشارات في مواطن كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾[5] وغير ذلك في آيات كثيرة.

ومن السنة: ما رواه أحمد في المسند عن أبي صخر العقيلي قال: "حدثني رجل من الأعراب، قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعتي قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: (**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟**)، فقال برأسه هكذا، أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: (**أقيموا اليهود عن أخيكم**)، ثم ولي كفنه وحنطه وصلى عليه"[6].

وقد جاءت الكتب السابقة بهذه البشارات المتعلقة بالنبي ﷺ في جوانب عدة، منها

---

(١) انظر: دلائل نبوته في ضوء السنة: (ص ٩٥).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (١٩٧).

(٣) سورة الرعد؛ الآية: (٤٣).

(٤) سورة الأنعام؛ الآية: (١١٤).

(٥) سورة البقرة؛ الآية: (١٤٦).

(٦) رواه أحمد في المسند: (٤١١/٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره: (٢٥١/٢)، وقال: "هذا حديث جيّد قوّي له شاهد في الصحيح عن أنس".

ما يتعلق بموطنه ومهجره، ومنها ما يتعلق بأخلاقه وصفاته الخِلْقية والخُلُقية، ومنها ما يتعلق بدعوته، ومنها ما يتعلق بصفات أتباعه مما لا مجال للشك أنه خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام.

وأما ما يتعلق بهذا المطلب وهو البشارات المتعلقة بجسده وأعضائه فأكتفي بإيراد بشارتين تتعلق بهذا الجانب: الأولى عن طريق السنة النبوية. والثانية عن طريق الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب.

فأما ما ورد من البشارة من خلال السنة النبوية المتعلقة بجسده وأعضائه، فمنها ما جاء في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه وفيها: أن حبراً أخبره بمبشرات وعلامات نبوته ﷺ، فقال الحبر لسلمان الفارسي رضي الله عنه: "... لا أعلم في الأرض أحداً أعلم من يتيم خرج في أرض تهامة وإن تنطلق الآن توافقه، وفيه ثلاث: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وعند غضروف كتفه اليمنى خاتم نبوة مثل بيضة، لونها لون جلده، وإن انطلقت الآن وافقته، فانطلقت ترفعني أرض وتخفضني أخرى حتى أصابني قوم من الأعراب فاستعبدوني فباعوني، حتى وقعت إلى المدينة، فسمعتهم يذكرون النبي ﷺ وكان العيش عزيزاً فسألت أهلي أن يهبوا لي يوماً ففعلوا، فانطلقت فاحتطبت فبعته بشيء يسير ثم جئت به فوضعته بين يديه فقال ﷺ: **(ما هو)**؟ فقلت: صدقة، فقال لأصحابه: **(كلوا)** وأبى أن يأكل. قلت: هذه واحدة، ثم مكثت ما شاء الله، ثم استوهبت أهلي يوماً فوهبوا لي يوماً، فانطلقت فاحتطبت، فبعته بأفضل من ذلك، فصنعت طعاماً، فأتيته فوضعته بين يديه، فقال: **(ما هذا)**؟ قلت: هدية، فقال بيده: **(باسم الله خذوا)**، فأكل وأكلوا معه، وقمت إلى خلفه، فوضع رداءه، فإذا خاتم النبوة كأنه بيضة، قلت: أشهد أنك رسول الله قال: **(وما ذاك؟)**. قال: فحدثته...."[1].

---

(١) أخرجه ابن حبان: (١٦-٦٦) برقم: (٧١٢٤). وأحمد: (٥/٤٣٨)، وابن أبي شيبة: (١٤/٣٢١-٣٢٤)، وابن سعد: (٤/٨١)، والطبراني في "الكبير": (٦١٥٥) من طرق عن أبي قرة الكندي، عن سلمان. وأخرجه بنحوه وبأطول منه: أحمد: (٥/٤٤١-٤٤٤)، وابن سعد: (٤/٧٥-٨٠)، وابن هشام في "السيرة النبوية: (١/٢٢٨-٢٣٥)، والذهبي في "السير": =

فهذه البشارات -الثلاث متعلقة جميعًا- بجسده ﷺ، وهي أنّه لا يأكل الصدقة وإنّما يأكل الهدية، ومعلوم أنّ الأكل له علاقة بجزء من الجسد وهو الفم، وما يدخل إلى البطن، ففرح بها النبي ﷺ وأمر سلمان الفارسي أن يحدث بها أصحابه لأنها من المبشرات الدالة على نبوته ﷺ.

وأما ما ورد من البشارات المتعلقة بجسده ﷺ في كتب أهل الكتاب: ما جاء في التوراة من أنه ﷺ لا يتكلم إلا بكلام الله تعالى، موافقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1].

جاء في سفر التثنية النّص التالي: "أقيم لهم نبيّاً من أوسط إخوانهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[2].

وقد اتفق أهل الإسلام على أنّ هذا الإصحاح كالصريح في البشارة بالنبيّ ﷺ:

يقول ابن القيم رحمه الله -بعد أن أورد أقوال اليهود والنصارى في هذه البشارة-: "قال المسلمون: البشارة صريحة في النبي العربي الأمي محمد ﷺ بن عبد الله لا تحتمل على غيره، لأنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال: أقيم لهم نبيّاً من أنفسهم.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[3]، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يقال في لغة أمة من الأمم إن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه"[4].

=

(٥٠٦/١) من طرق عن ابن إسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، عن سلمان، وهذا إسناد قوي، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فانتفت شبهة تدليسه. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: (٥٣٩/١٠).

(١) سورة النجم؛ الآيتان: (٣-٤).

(٢) الكتاب المقدس، الإصحاح: (١٨/١٨).

(٣) سورة آل عمران؛ الآية: (١٦٤).

(٤) هداية الحيارى: (٣١٨/١-٣١٩).

ويقول الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله: "وهذه البشارة ليست بشارة يوشع عليه السلام كما يزعم الآن أحبار اليهود، ولا بشارة عيسى عليه السلام كما زعم علماء البروتستانت، بل هي بشارة سيدنا محمد ﷺ لعشرة أوجه"- ثمّ ذكر تلك الأوجه[1].

وفي كتاب «رسالة خاتم النبيين.. » يقول الدكتور صلاح صالح الرّاشد: "المقصود بهذا النبي الذي يكون كلام الله في فمه هو محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾"[2].

فثبت بهذا تقرير البشارة المتعلقة بهذا العضو من أعضائه الشريفة، كما أنّ فيه تأكيدًا لما هو من بديهيات عقيدة المسلمين في أنّ القرآن كلام تعالى ليس بمخلوق، محفوظ بحفظ الله تعالى، والله أعلم.

---

(١) إظهار الحق: (١١١٦/٤).

(٢) الشارات العجاب في صحف أهل الكتاب: (ص ٤٢).

المطلب الخامس
لا يتمثل الشيطان به ﷺ

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**)[1].

وقد جاء هذا الحديث بألفاظ كثيرة منها: (**فإنّه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي**) ومنها: (**وإنّ الشيطان لا يتزايا بي**) ومنها: (**من رآني فقد رأى الحق**) ومنها: (**فإنّ الشيطان لا يتكونني**)[2].

فقد اشتملت هذه الأحاديث على أمرين:

الأمر الأول: يتعلق برؤيته ﷺ وقد جاءت من خلال الروايات بألفاظ وهي:

الأول: (**من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**).

الثاني: قوله: (**من رآني فقد رأى الحق**).

الثالث: (**فسيراني في اليقظة**).

الرابع: (**فكأنما رآني في اليقظة**). وهذا يقرر البشارة للمؤمن إذا رأى النبيّ ﷺ على صورته التي ثبتت عن الصحابة رضوان الله عليهم في وصفه ﷺ.

الأمر الثاني: يتعلق بعجز الشيطان عن التصور بصورة ذاته ﷺ:

(**فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي**).

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ: (١/٣٨) برقم: (١١٠)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: (**من رآني في المنام فقد رآني**): (٤/٧٧٦) برقم: (٢٢٦٦)

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام: (٦/٢٥٦٨) برقم: (٦٥٩٦).

(الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي).

(لاَ يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي).

(فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُنِي).

(فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَخَيَّلُ بِي).

(وإن الشيطان لا يتزايا بي).

بالنسبة للأمر الأول المتعلق برؤية ذاته ﷺ والمسائل المتعلقة بها فسيأتي الحديث عنه في المبحث الرابع من الفصل الثالث المتعلق برؤيته بذاته بعد موته ﷺ.

وأما الأمر الثاني: وهو ما يتعلق بعجز الشيطان عن التصور بصورة ذاته ﷺ فإنّ في هذا دلالة على معجزة من معجزاته ﷺ وتقرير تأكيدها بجميع هذه الألفاظ ألا وهي عجز الشيطان أن يتمثل بصورة ذاته ﷺ.

فجميع هذه الألفاظ تؤكد على ما من به الله عز وجل على نبيه وخاتم رسله بأن أعجز الشيطان من أن يتصور بصورة النبي ﷺ.

قال ابن حجر في معنى هذه الألفاظ: "فالجميع راجع إلى معنى واحد، وقوله: **(لا يستطيع)** يشير إلى أن الله تعالى وإن أمكنه من التصور في أي صورة أراد فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ"[1].

(١) فتح الباري: (١٢/٣٨٦).

المطلب السادس
حكم من أنكر خصائص جسده وأعضائه الشريفة

إن متعلق هذا المبحث هو إنكار ما وهبه الله عز وجل لنبيه ﷺ من آيات وخصائص دالة على نبوته ﷺ، وهي متعلقة بجسده الشريف كخاتم النبوة الذي على ظهره، ورؤيته لمن خلفه، ورؤيته لجبريل عليه السلام، ونوم عينه ولا ينام قلبه، وسماعه بأذنه ما لا يسمع غيره، وفصاحة لسانه، وإتيانه بجوامع الكلم، وأنه لا ينطق إلا حقّاً، وقوة بدنه، وشق صدره وغسله بماء زمزم وإخراج حظ الشيطان منه، وتحريم الأرض أن تأكل أعضاءه وجسده الشريف، وغير ذلك من معجزات جسده وأعضائه الشريفة.

فعلى هذا يكون هذا المبحث متعلّقاً بمسألة يتناولها العلماء كثيراً تحت مسمى: حكم إنكار دلائل نبوته ﷺ، أو إنكار معجزاته عليه الصلاة والسلام.

قلت: والجواب على هذا المطلب: أن إنكار هذا النوع من الخصائص المتعلقة بجسده وأعضائه الشريفة هو قدح في مقام النبوة، وتكذيب بالأحاديث الصحيحة الصريحة والمتواترة التي أخبرت بهذه المعجزات، وردٌّ لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وإنكار لقدرة الله تعالى

حيث إن الأصل في الآيات التي جاء بها الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء هي من الله تعالى، فالرسول من الله والآية والعلامة من الله،كما قال تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] فالعلامة منه والرسول منه سبحانه وتعالى، وكما قال تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٤٩).

(٢) سورة القصص، الآية: (٣٢)، وانظر: النبوات (ص ٢٥٨).

فعلى هذا تكون المعجزات من فعل الله تعالى وقدرته وليس للعقل إلا أن يسلّم بها، ويقول كما قال أولياء الله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[1] كما أن الله سبحانه وتعالى بين في كتابه أنه ليس المراد بالآيات ما هو كتاب منـــزل فقط، بل آياته سبحانه وتعالى التي أيد بها أنبياءه، منها ما ليس كتاب منـــزل كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[2].

قال ابن تيمية: "فذكر السحرة أنهم آمنوا بآيات ربهم لمّا جاءهم، وهم من أعلم الناس بالسحر، لما علموا أنّ هذه الآيات آيات من الله، كما قال موسى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3]، إلى قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ -إلى قوله-: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[4]، وليس المراد بالآيات هنا: كتاباً منـــزلاً، فإنّ موسى لمّا ذهب إلى فرعون لم تكن التوراة قد نزلت، وإنّما أنزلت التوراة بعد أن غرق فرعون، وخلص ببني إسرائيل، فاحتاجوا إلى شريعة يعملون بها"[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٨٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١١٧-١٢٦).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٠٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٣٣-١٣٦).

(٥) النبوات: (ص ٢٥٩).

ومن هذا المنطلق كان الإيمان بها من أصول الإيمان كما قال صاحب كتاب اللآلـئ البهية: "وأجمعوا على الإيمان بمعجزات الأنبياء ..."[1].

ولكن الحكم على منكري هذه المعجزات لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: منكر هذه المعجزات للنبي ﷺ على سبيل الاستكبار والبغض له ولرسالته وتكذيبه، فهذا حكمه أنه يكفر لأن منطلق إنكاره: تكذيب ما جاء به النبي ﷺ، وقد ارتكب بفعله هذا ناقضاً من نواقض الإسلام[2].

الحالة الثانية: مؤمن برسالته وبمعجزاته، ولكنه أنكر بعضاً منها متأوّلاً لها أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يكفر بذلك، فهو مبتدع كما يفعله بعض الأهواء[3].

---

(١) انظر: اللآلئ البهية شرح العقيدة الواسطية (ص ٩٢).

(٢) انظر: نواقض الإسلام، لمحمد بن عبد الوهاب: (ص ٢).

(٣) انظر: التكفير وضوابطه: (ص ٢٨٨-٣٠٦).

المبحث الثالث

المسائل العقدية المتعلقة بتعظيم ذاته ﷺ

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التوسل بذاته ﷺ.

المطلب الثاني : التبرك بذاته ﷺ.

المطلب الثالث: إقسام الله بذاته ﷺ.

المطلب الرابع: الحلف بذاته ﷺ.

المطلب الأول

التوسل بذاته عليه الصلاة والسلام

التوسل لغة يطلق على معـــان، منهـــا: القربـــة والتقرب، وقـــال الجـــوهري[1]: "الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: الوسيل والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسَّل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل، والواســـل: الراغب إلى الله"[2].

وقال لَبيد[3]:

بَلى كُلُّ ذِي لُبٍّ إِلَى اللهِ وَاسِلُ[4]

والوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها: الوسائل[5].

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[6].

---

(١) هو علامة العربية إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري النحوي اللغوي، إمام في علـــوم العربيـــة جمعاً، من تصانيفه التي سارت بها الركبان: الصحاح في اللغة، وله أيضاً: المقدمـــة في النحـــو، مات سنة (٣٩٣هـ).

انظر: لسان الميزان للذهبي (١/٤٠٠)، والبلغة للفيروز آبادي (ص ٦٦).

(٢) الصحاح (٥/١٨٤١) بتصرف يسير.

(٣) هو لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، صحابي جليل، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، قدم على النبي ﷺ مع وفد قومه فأسلم وحسن إسلامه توفي سنة (٤١هـ).

انظر: المؤتلف والمختلف للآمدي: (ص١٧٤)، وطبقات فحول الشعراء للجمحي: (١/١٣٥).

(٤) صدر البيت:

أرى النَّاسَ لا يدرونَ مَا قَدْرُ أَمْرِهِم

انظر: ديوان لبيد (ص: ٨٥).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور: (١١/٧٢٤-٧٢٤)، مادة (وسل)، والقاموس المحيط للفـــيروز آبادي: (٤/٦٥).

(٦) سورة الإسراء؛ الآية: (٥٧).

ويقال: توسل فلان إلى فلان بوسيلة، أي: تسبب إليه بسبب، وتقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه[1].

ومن معاني التوسل والوسيلة: المنزلة والواسطة: يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة: أي عمل قربة، وتوسل بكتاب أو بقرابة، وهو واسل[2].

وإنّ مما ورد في الدلالة على معنى المنزلة ما ذكره القرطبي[3] حيث قال: "والوسيلة درجة في الجنة وهي التي جاء الحديث الصحيح بها في قوله عليه الصلاة والسلام: (**فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**)"[4].

المعنى الشرعي:

يطلق التوسل في الشرع على معنيين:

الأول: المراد بالتوسل: التقرب[5]، وهو التقرب إلى الله بالطاعات واجتناب المحرمات.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[6].

قال الطبري[7] رحمه الله: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعد من

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤٨/١٣).

(٢) انظر: المحيط في اللغة (٢٧٥/٢).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأنصاري القرطبي المالكي،، من أئمة العلم والتفسير، صنف: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. توفي سنة (٦٧١هـ).
انظر: تاريخ الإسلام (٧٤/٥٠)، والديباج المذهب (ص٣١٧)، وشذرات الذهب (٥٨٤/٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٢٨).

(٤) تفسير القرطبي (١٥٩/٦)، وانظر: شرح أبي داود للعيني (٤٨٢/٢)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢٢/٥).

(٥) انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: (ص ٥٤٢).

(٦) سورة المائدة؛ الآية: (٣٥).

(٧) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، من أهل آمل بطبرستان، ولد =

الثواب وأوعد من العقاب، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك، وحققوا إيمانكم وتصديقكم ربكم ونبيكم بالصالح من أعمالكم، ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه"[1].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[2].

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول، فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك"[3].

والثاني: لفظ الوسيلة منزلة خاصة للنبي ﷺ كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ: **(سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد مِنْ عِباد الله، وأرجو أن**

=

سنة أربع وعشرين ومائتين، قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: "استوطن الطبري بغداد وأقام فيها إلى حين وفاته، وكان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها".

توفي سنة عشر وثلاثمائة.

انظر: تاريخ بغداد: (١٦٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (٦٧/١٤)، والبداية والنهاية (١٤٥/١١).

(١) تفسير الطبري: (٢٨٩/١٠).

(٢) سورة الإسراء؛ الآية: (٥٧).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٤٨).

ن أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة)[1].

وقوله ﷺ: (**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**)[2].

ويلاحظ أن المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي

وقد جاءت النصوص الشرعية دالة على مشروعية التوسل في أربعة أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

وكما في الحديث: (**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري....**)[4].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال النبي ﷺ: (**أتدرون بما دعا الله؟**) قال: فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**)[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن: (١/٢٨٨) برقم: (٣٨٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، (٢/٩٤) برقم: (٦١٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) سورة الأعراف؛ الآية: (١٨٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٩١) برقم (٣٧١٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، والحاكم في مستدركه، كتاب الدعاء (١/٥٠٩)، وابن حبان في صحيحه: (٣/٢٥٣) برقم: (٩٧٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٣٣٦ حديث ١٩٩).

(٥) جزء من حديث طويل رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء: (٢/٧٩) برقم: (١٤٩٥)، =

- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قال: (**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**)[1].

- وفي الحديث: (**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي**)[2].

النوع الثاني: التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة من الإيمان به وفعل ما يحبه ويرضاه أو ترك ما يبغضه الله ويأباه:

فمن أنواع التوسل المشروع: أن يتوسل العبد إلى ربه بالإيمان الصحيح الصادق، ومما يدل على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا

=

والنسائي (٣/٥٢)، برقم: (١٣٠٠) كتاب السهو: باب الدعاء بعد الذكر، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم: (٣٨٥٨) وصححه ابن حبان: (٨٩٣)، والحاكم: (١/٥٠٣، ٥٠٤) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: (١/٥٣٤) برقم: (٧٧٠).

(٢) رواه النسائي، كتاب الدعاء، باب نوع آخر: (٣/٥٤) برقم: (١٣٠٥)، وأحمد (٤/٢٦٤) (١٨٣٥١)، وأبو يعلى (٣/١٩٥)، وابن حبان (٥/٣٠٤) برقم: (١٩٧١)، والحاكم (١/٧٠٥). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/١٧٧): «رواه النسائي باختصار...، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات إلا أن عطاء ابن السائب اختلط». وقال الألباني في "صحيح النسائي": «صحيح».

(٣) سورة المؤمنون؛ الآية: (١٠٩).

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[1].

ومن السنة: ما رواه الترمذي وغيره عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد... قال: فقال: **(والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)**[2].

النوع الثالث من التوسل المشروع: أن يتوسل العبد إلى الله بطاعته وصالح عمله، دليل ذلك: ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فآووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه بقراً، وأنه أتاني يطلب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى**

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: (١٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء (٢/٧٩)، برقم: (١٤٩٣)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، برقم: (٣٤٧٥)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم: (٢/١٢٦٧) برقم: (٣٨٥٧)، وأحمد في المسند: (٥/٣٦٠)، وابن حبان: (٣/١٧٣) برقم: ٨٩١)، والحاكم في المستدرك: (١/٥٠٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: (٣/٤٣٢).

طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتها عن نفسها، فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم، فخرجوا)[1].

النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته في حياته:

ومن ذلك: ما ورد من حديث أنس ﷺ: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب.

فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا.

قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**).

قال أنس: فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار.

قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء، انتشرت ثم أمطرت.

قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً.

قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء عليهم السلام، باب حديث الغار: (١٧٢/٤) برقم (٣٤٦٥)، ومسلم، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال: (٢٠٩٩/٤) برقم: (٢٧٤٣).

قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**) قال: فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس[1].

ومنه: حديث أنس أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون[2].

وأما بالنسبة للتوسل المتعلق بالنبي ﷺ ففيه معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة.

فأما المعنيان الأولان الصحيحان:

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته وبمتابعته، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

والثاني: دعاؤه وشفاعته، ومن هذا قول عمر بن الخطاب: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا"[3]. أي بدعائه وشفاعته.

وهذا توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل بذاته جائزاً لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس عُلم أن ما يفعله في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائماً، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

الثالث: الذي لم ترد به سنة تدل على مشروعيته، وهذا القسم الثالث الذي أحدثه المحدثون هو ثلاثة أنواع:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدعاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع (٢/٢٨) برقم: (١٠١٤)، ومسلم: كتاب الدعاء، باب الدعاء في الاستسقاء: (٢/٦١٢) برقم: (٨٩٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الدعاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/٢٧)، برقم: (١٠١٠).

(٣) سبق تخريجه آنفاً.

النوع الأول: التوسل بذاته، أي السؤال به أو بصفة من صفاته، كقول القائل: اللهم إني أتوسل إليك برسولك أو نبيك أو بمحمد ﷺ أو صفته.

وكقوله: اللهم إني أتوسل إليك بجود نبيك ﷺ، أو كرم نبيك، ونحوه وتكون الباء في هذا النوع باء السببية.

النوع الثاني: الأقسام بذاته أو صفة من صفاته ﷺ، كقول القائل: اللهم إني أقسم عليك بنبيك، أو رسولك أو بمحمد ﷺ، أو بصفته، اللهم إني أقسم عليك بجاه نبيك، أو بجوده، ونحوه.

فتكون الباء هنا باء القسم، وهذا القسم يأتي بيانه في المطلب الرابع المتعلق بالحلف بذاته ﷺ[1]، وهذان القسمان لم يكن الصحابة يفعلونهما في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، إنما هي شبهات لا أصل لها، أو لها أصل ولكن فهمت فهماً خاطئاً سوف يأتي دحضها.

وأضافوا نوعاً ثالثاً ألحقوه بالتوسل لا علاقة له به وهو الاستغاثة به، وقد تقدم بطلانه في مسالة الرد على تقديس الغلاة للنبي ﷺ[2].

وفيما يلي بيان شبهات القسم الثالث والرد عليها:

الشبهة الأولى والرد عليها:

حديث الأعمى الذي توسل بالنبي ﷺ فرد إليه بصره.

وقصة الرجل الذي دخل على عثمان بن عفان ؓ وأرضاه.

حديث الأعمى هو ما روي عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال: (**إن شئت أخرت ذاك فهو أعظم لأجرك، وإن شئت دعوت الله**). فقال: ادعه. فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى

---

(١) انظر: ص (٢٦٢) من هذا البحث.

(٢) انظر: ص (١٣٠) من هذا البحث.

ربي في حاجتي هذه فتقضى، اللهم فشفعه في.

وفي رواية: اللهم شفعه في وشفعني في نفسي.

وفي رواية:....يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم شفعه في وشفعني فيه(١).

والحديث على فرض صحته لا يدل على ما ذهبوا إليه، وذلك لما يلي:

إن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ فقال: "ادع الله أن يعافيني" فسياق الحديث هو طلب الدعاء، لعلمه أن دعاء النبي ﷺ أرجى للقبول، كما أنه لو كان قَصْد الأعمى

---

(١) حديث الأعمى رواه أحمد: (٤/١٣٨) والترمذي، كتاب الدعوات، باب: (٥/٥٦٩) برقم: (٣٥٧٨)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة: (١/٤٤١) برقم: (١٣٨٥)، والحاكم: (١ /٣١٣) من طريق عثمان بن عمر، أنا شعبة، عن أبي جعفر المدني...، وأخرجه الحاكم أيضاً من طريق محمد بن جعفر، ثنا شعبة، به: (١/٥١٩) وكما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وذُكر فيه قصَّة منكرة (٩ /١٧-١٨).
قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وجاء عقبه عند ابن ماجه: «قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح».
وجاء في "التوصل إلى حقيقة التوسل": (ص ١٥٨) عزو زيادة "وشفعني فيه" للترمذي أيضاً، و لم أرها في الطبعة السلفية ولا في طبعة أحمد شاكر. والله أعلم.
والحديث تُكُلِّم فيه لأجل قول الترمذي: "لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطمي". فقال بعض أهل العلم: إذاً هو الرازي وهو "صدوق سيئ الحفظ". وقال الشيخ الألباني: في "التوسل أنواعه وأحكامه": (ص ٦٨): «ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي نفسه»، وهكذا نسبه أحمد في رواية له: (٤/١٣٨) وسماه في أخرى (أبا جعفر المدني) وكذلك سماه الحاكم، والخطمي هذا لا الرازي هو المدني. وقد ورد هكذا في (المعجم الصغير) للطبراني وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضاً، ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خُزَيْمة ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا، وهو صدوق. وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه". انظر التعليق على "المعجم الكبير": (٩/١٧-١٨) و"التوسل أنواعه وأحكامه": (ص ٨٢ فما بعدها).
وقول الترمذي: «وليس الخطمي» كذا نقله غير واحد، كابن تيمية والمباركفوري، وإلا فالذي في السنن: "وهو الخطمي"، وبهذا يندفع الإشكال من أصله. والله تعالى أعلم.

هو التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه لما تكلف المجيء إلى النبي ﷺ، بل قعد في بيته، فلما لم يفعل ذلك دل على أن المراد بتوسله المتعلق بالنبي ﷺ إنما هو طلب الدعاء منه.

- قوله ﷺ: **(إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك)** فيه دلالة أن المراد بتوسل الأعمى إنما هو طلب الدعاء وكان من هديه ﷺ فيمن يأتيه ليدعو له في رفع بلاء أن يخيره النبي ﷺ بين الدعاء له أو الصبر والاحتساب، كما في قصة المرأة التي كانت تُصرع[١]، وفي إصرار الأعمى على الدعاء دليل على أنه إنما كان التوسل بدعائه لا بذاته.

- قوله في الحديث: "اللهم فشفعه في وشفعني فيه" بهذا اللفظ من الحديث يستحيل حمله على التوسل بذاته، بل هو صريح بأن التوسل إنما كان بدعائه[٢].

- وقوله: " وشفعني فيه" أي اقبل شفاعتي، أي دعائي في قبول شفاعة أي دعاء رسول الله ﷺ فيَّ.

- أن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ، وذلك بإجابة الله لدعائه وظهور بركة دعائه ﷺ بأن رد الله بصرَ هذا الأعمى، مما يدل على أن الأمر متعلق بالدعاء الذي صدر منه ﷺ، لذلك ذكره المصنفون في فضل ومعجزات النبي ﷺ في إجابة دعائه[٣].

الشبهة الثانية والرد عليها:

قصة الرجل الذي كان يختلف إلى عثمان رضي الله عنه.

روى الطبراني[٤] عن طاهر بن عيسى بن قيرس المصري التميمي:حدثنا أصبغ بن

---

(١) رواها البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح: (١١٦/٧) برقم: (٥٦٥٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض...: (١٩٩٤/٤) برقم: (٢٥٧٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني: (ص ٧١).

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: (٢٠١/٢).

(٤) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا عام ٢٦٠هـ الموافق ٨٧٣م، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ الموافق ٩٧١م.

=

الفرج: حدثنا عبد الله بن وهب، عن شبيب بن سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه. فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلي فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي جل وعز فيقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إلي حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان، ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: حاجتك. فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فأتنا.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره. فقال له النبي ﷺ: (**أفتصبر؟**) فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد، وقد شق علي، فقال له النبي ﷺ: (**إئت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات**). قال عثمان: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط[1].

قال الطبراني: "لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي، وهو ثقة، وهو الذي يحدث عن ابن أحمد بن شبيب، عن أبيه، عن يونس بن يزيد الأيلي. وقد روى هذا الحديث شعبة، عن أبي جعفر الخطمي، واسمه عمير بن يزيد، وهو ثقة، تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة".

= انظر: التقييد لمحمد بن عبد الغني أبو بكر البغدادي: (ص ٢٨٤)، والأعلام للزركلي: (١٨١/٣)، ومعجم المفسرين لعادل نويهض: (٢١٤/١).

(١) الدعاء للطبراني: (ص ٣٢١) برقم: (١٠٥٠)، والمعجم الصغير للطبراني: (٣٠٦/١) برقم: (٥٠٨).

والحديث صحيح، وروى هذا الحديث عون بن عمارة، عن روح بن القاسم، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه، ووهم فيه عون بن عمارة، والصواب حديث شبيب بن سعيد[1].

والجواب عن هذه الشبهة المتعلقة بهذه القصة من وجهين:

الوجه الأول: متعلق بسندها.

والوجه الثاني: متعلق بمتنها.

فأما الوجه الأول المتعلق بسندها:

هذه الشبهة واهية ضعيفة لا يصح الاحتجاج بها، وذلك لما يلي:

١- قول الطبراني: "والحديث صحيح"يعني به المرفوع لا القصة، بدليل قوله: "لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي....".

فهذا إشارة منه إلى ضعف الحكاية[2].

٢- هذا الحديث فيه تفرد شبيب بن سعيد، ولأئمة الجرح والتعديل على روايته حكم يتلخص بما يلي:

إن كان الراوي عنه ابنه أحمد بشرط أن يحدث عنه بنسخة شبيب عن يونس بن يزيد فهي مستقيمة، وإن كان الراوي عنه ابن وهب فإنه يحدث عنه بالمناكير.

قال ابن عدي في الكامل: "وكان شبيب إذا روى عنه ابنه أحمد بن شبيب نسخة يونس عن الزهري إذ هي أحاديث مستقيمة، ليس هو شبيب بن سعيد الذي يحدث عنه ابن وهب بالمناكير الذي يرويها عنه، ولعل شبيباً مر بمصر في تجارته إليها كتب عنه ابن وهب من حفظه فيغلط ويهم، وأرجو أن لا يتعمد شبيب هذا الكذب"[3].

والرواية هذه هي من طريق ابن وهب.

٣- جاءت متابعات لتلك الرواية ولكنها عند وزنها بميزان أهل الجرح والتعديل نجد أنه لا تثبت صحتها.

---

(١) المعجم الصغير للطبراني: (٣٠٦/١).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه: (ص ٨٩).

(٣) الكامل لابن عدي: (٨٢/٢)، وانظر: تقريب التهذيب: (٣١٦/١).

كالرواية التي جاءت عند البيهقي في الدلائل وغيره من طريق أحمد بن شبيب بن سعيد، عن أبيه، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: بنحوها.

وهذه الرواية داخلة بما تقدم بعدم قبولها؛ لأنه لا تقبل رواية أحمد عن أبيه إلا إذا كانت عن طريق يونس بن يزيد وهو منتف هنا، لذا فهذه الرواية أيضاً لا تصح نسبتها إلى رسول الله ﷺ[1].

وأيضا: هناك متابع لأحمد بن شبيب في روايته عن أبيه بذكر القصة، هو: إسماعيل ابن شبيب أخو أحمد.

والجواب أن إسماعيل هذا مجهول لا يُعرف.

قال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في رسالته «التوسل»: "أما إسماعيل فلا أعرفه، و لم أجد من ذكره، ولقد أغفلوه حتى لم يذكروه في الرواة عن أبيه"[2].

٤- مما يدل على أن القصة ليست ثابته: أن أصحاب المصنفات الذين رووا هذا الحديث أحياناً يذكرون هذه القصة وأحياناً لا يذكرونها.

٥- أن المتفرد بهذه القصة "شبيبًا" قد خالف الثقات الأثبات الذين رووا الحديث مجرداً عن القصة في السند والمتن[3].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فرواية شبيب عن روح عن أبي جعفر الخطمي خالفت رواية شعبة وحماد بن سلمة في الإسناد والمتن، فإن في تلك أنه رواه: أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة، وفي هذه أنه رواه عن أبي أمامة سهل.

وفي تلك الرواية أنه قال: "فشفعه في، وشفعني فيه" وفي هذه: "وشفعني في نفسي" لكن هذا الإسناد له شاهد آخر من رواية هشام الدستوائي عن أبي جعفر"[4].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية: (ص ١٦٧).

(٢) التوسل: (ص ٥٨).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية: (ص ١٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى: (١/٢٦٨).

وأخيراً: مخالفة شبيب بهذه القصة من هو أوثق منه الذين رووا الحديث بدون القصة، فقد خالفهم سنداً ومتناً.

وأما الوجه الثاني المتعلق بمتنها:

فيقال: إن المتأمل لمتن هذه القصة يستنتج ضعفها وعدم ثبوتها وذلك لما يلي:

- في هذه القصة لم يأمر عثمان بن حنيف ذلك الرجل بالدعاء المأثور إنما أمره ببعضه لأنه لو قال بعد موته: "فشفعه فيّ" لكان كلاماً لا معنى له، مما يدل أن هذه القصة لا يمكن أن تصدر من عثمان بن حنيف وهو يعلم أن دعاء النبي ﷺ في هذه الحالة لا يتأتى[1].

- يقال: إن مثل هذا الاجتهاد من الصحابي لا يعتد به، إذ لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، فكيف إذا كان الثابت عن النبي ﷺ وإجماع أصحابه يخالفه، وبهذا يكون اجتهاده ليس حجة بالاتفاق.

فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعاً بعد مماته، كما كان يشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به.

بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور لما اشتد بهم الجدب، حتى حلف عمر لا يأكل سمناً حتى يخصب الناس، ثم لما استسقى بالناس قال: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" قال: فيسقون[2].

وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة، لم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس.

فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟ ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟[3].

---

(١) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢١٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٤٧) من هذا البحث.

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه: (ص ٩١).

- فيه انتقاص من ذي النورين الخليفة العادل الذي تستحي منه الملائكة.

فتبين بما تقدم أنه لا يوجد عند القوم دليل لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ، ولا من عمل أصحابه يدل على جواز التوسل بذاته ﷺ.

الشبهة الثالثة والرد عليها:

عن أبي صالح، عن مالك الدار، قال: وكان خازن عمر على الطعام، قال: "أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأُتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس! فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه"[1].

وهذا الأثر ضعيف منكر يغلب عليه الوضع، فلا يصح الاستدلال به لا سنداً ولا متناً:

فأما من حيث السند:

فإن هذا السند فيه رجل مجهول، وهو الذي عليه مدار القصة وقد جاءت تسميته في رواية سيف[2] في الفتح ببلال بن الحارث المزني الصحابي ولكن هذه الرواية من طريق سيف وهو متكلم فيه بل رمي بالزندقة والوضع[3].

وأما من حيث المتن فيحتوي على المخالفات التالية:

- فعل هذا الرجل مخالف لما هو مشروع في مثل هذه الحالات من إقامة صلاة الاستسقاء ودعاء الله تعالى في رفع القحط وإنزال المطر.

- كما أنه مخالف لفعل أصحاب رسول الله ﷺ كما في قصة عمر المشهورة

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: (١٢/٣١-٣٢) برقم: (١٢٠٥١)، والبيهقي في "دلائل النبوة": (٧/٤٧)، وضعفه الألباني في "التوسل": (ص ١١٨) قال: «مالك الدار غير معروف العدالة والضبط».

(٢) سيف بن عمر الضبي الأسيدي، يقال التميمي البرجمي، ويقال السعدي الكوفي وهو ضعيف الحديث. انظر: تهذيب التهذيب: (٤/٢٥٩).

(٣) انظر: الميزان للذهبي: (٢/٢٥٦).

والمتواترة في الاستسقاء بدعاء العباس[1].

- إن الصحابة قد نزلت بهم النوازل فلم يؤثر عن أحد منهم أنه جاء إلى قبر رسول الله ﷺ وطلب منه كشف الكرب فهم أبعد الناس عن الوسائل المفضية إلى الشرك.

- إنّ في هذه القصة دلالة على نقيض ما يحتج به المخالف من جواز التوسل بذات النبي ﷺ، ذلك أن فيها أن النبي ﷺ أمره أن يأتي عمر ويفعل ما هو مشروع أصلاً من صلاة الاستسقاء، فكان الداعي عمر، لا رسول الله ﷺ، فلا وجه لما احتجوا به[2].

الشبهة الرابعة والرد عليها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: (**رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتُشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**)، ثم أمر أن تغسّل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسولُ الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: (**الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين**)، وكبر عليها أربعاً، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[3].

---

(١) تقدمت (ص ٢٤٣) من هذا البحث.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية: (ص١٧٣)، وأحاديث يحتج بها الشيعة: (ص ٢٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير: (٢٤/٣٥١-٣٥٢) برقم: (٨٧١)، وفي الأوسط (١/٦٧) برقم: (١٨٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (١/٧٩) برقم: (٢٣).

الجواب عن هذه الشبهة:

أولاً: من حيث السند:

الحديث تفرد به روح بن صلاح عن سفيان الثوري، وروح هذا ضعفه جمهور الحفاظ ولم يوثقه إلا ابن حبان والحاكم، وهما متساهلان. قال ابن يونس: "رويت عنه مناكير". وقال الدارقطني: "ضعيف في الحديث" وضعفه ابن عدي وقال: "له أحاديث كثيرة في بعضها نكارة"[1].

ثانياً: من حيث المتن:

فقد قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: "ليس في هذا الحديث شيء من الترغيب، ولا هو يبين فضل عمل ثابت في الشرع، إنما هو ينقل أمراً دائراً بين أن يكون جائزاً أو غير جائز، فهو إذاً يقرر حكماً شرعيّاً لو صح، وأنتم إنما توردونه من الأدلة على جواز هذا التوسل المختلف فيه، فإذا سلمتم بضعفه لم يجز لكم الاستدلال به، وما أتصور عاقلاً يوافقكم على إدخال هذا الحديث في باب الترغيب والترهيب، وهذا شأن من يفر من الخضوع للحق، يقول ما لا يقوله جميع العقلاء"[2].

---

(١) انظر: لسان الميزان: (٢/٤٦٥)، وانظر: الكامل في الضعفاء (٣/١٠٠٥).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه: (ص ١٠١).

المطلب الثاني
التبرك بذاته عليه الصلاة والسلام

تطلق البركة لغة على عدة معان:

١- ثبات الشيء ولزومه، من البرك: لأنّ الباء والراء والكاف أصل واحد وهو ثبات الشيء[١].

"أصل البرك: صدر البعير، وإن استعمل في غيره، ويقال له: بركة، وبرك البعير: ألقى ركبه، واعتبر منه معنى الملزوم فقيل: ابتركوا في الحرب أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبركاء الحرب وبروكاؤها: المكان الذي يلزمه الأبطال، وابتركت الدابة: وقفت وقوفاً كالبروك، وسمي محبس الماء: بركة، والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء"[٢].

٢- النماء والزيادة.

"والبركة: الزيادة والنماء. والتبريك: أن تدعو له بالبركة. وتبارك الله: تمجيد وتجليل"[٣].

المعنى الشرعي:

جاءت النصوص الشرعية بإطلاق البركة على أنواع:

النوع الأول: بركة متعلقة بالأمكنة:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤].

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٢٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن (١/٨٣).

(٣) المحيط في اللغة: (٢/٢٦٠).

(٤) سورة الإسراء؛ الآية: (١)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[4].

النوع الثاني: بركة متعلقة بالأشخاص:

قال تعالى: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾[5].

وقوله تعالى في قصة نوح: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾[6].

وقال في إبراهيم وأهل بيته: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[7].

وقال عيسى عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[8].

النوع الثالث: بركة متعلقة بذكر الله سبحانه وتعالى:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: (٩٦).

(٢) سورة فصلت: الآية: (١٠).

(٣) سورة الأعراف؛ الآية: (١٣٧).

(٤) سورة المؤمنون؛ الآية: (٢٩).

(٥) سورة الصافات؛ الآية: (١١٣).

(٦) سورة هود؛ الآية: (٤٨).

(٧) سورة هود؛ الآية: (٧٣).

(٨) سورة مريم؛ الآية: (٣١).

طَيِّبَةً ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[2].

كما أن النصوص في القرآن والسنة دلت على أن البركة من الله تعالى- فهو الذي يبارك، وأنه لا أحد من الخلق يبارك أحداً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾[5].

وقال: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[6].

فالبركة لا تكون إلا من الله تعالى فهو المتفرد بها، فلا يهبها أحدٌ غيره سبحانه وتعالى وتبارك لا يوصف بها إلا الله، ولا تسند إلا إليه. وذكر ابن القيم رحمه الله أن تباركه سبحانه وتعالى: "دوام جوده، وكثرة خيره، ومجده وعلوِّه، وعظمته وتقدسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن أنها تكون دالة على جملة معان"[7].

وأما البركة المتعلقة بذات النبي ﷺ فهي نوعان:

النوع الأول: بركة متعلقة بذاته الشريفة.

وهذه البركة هي بركة ذاتية خاصة بأنبياء الله تعالى، لا يشاركهم فيها أحد، وعلى

---

(١) سورة النور؛ الآية: (٦١).

(٢) سورة الأنبياء؛ الآية: (٥٠).

(٣) سورة الفرقان؛ الآية: (١).

(٤) سورة الملك؛ الآية: (١).

(٥) سورة الصافات؛ الآية: (١١٣).

(٦) سورة مريم؛ الآية: (٣١).

(٧) جلاء الأفهام (ص١٨٠)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي: (٣/٣٩).

رأسهم نبينا محمد ﷺ، فقد دلت النصوص الشرعية أن الصحابة كانوا يتبركون بذاته الشريفة، وأعضاء جسده الشريفة، وبآثاره الحسية المنفصلة منه ﷺ.

فقد روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها[1].

وثبت عن أبي جحيفة ﷺ قال: "خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك"[2].

وسوف يأتي مزيد إيضاح في آخر هذه الرسالة عند الكلام في المسائل العقدية المتعلقة فيما انفصل من جسده الشريف.

والنوع الثاني: البركة المتعلقة بذاته (البركة المعنوية العملية).

وهذا النوع من البركة يشمل بركة عمله ﷺ، وتبليغ رسالة ربه، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحصل لغيره باتباع سنته واقتداء أثره.

وقد حصل لأتباعه من الخير والسعادة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ودفع عنهم من الشرور ببركة دعائه.

قال ابن تيمية رحمه الله: "كما كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه. فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة.

بل كل مؤمن آمن بالرسول ﷺ وأطاعه حصل له من بركة الرسول ﷺ بسبب إيمانه

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: (١٧٠/٧) برقم: (٥٧٣٥)، كتاب الطب، باب الرقى بالقرآن والمعوذات، ومسلم في صحيحه: (١٧٢٣/٤) برقم: (٢١٨٥) برقم: (٢١٨٥)، كتاب السلام، باب رقية المريض، واللفظ له.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٦٢).

وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"[1].

وقال أيضا: "إذا أُريد بذلك أنه ببركة دعائه وصلاحه دفع الله الشر وحصل لنا رزق ونصر، فهذا حق، كما قال النبي ﷺ: (**وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**)[2]، -أي- بدعائهم، وصلاتهم، وإخلاصهم؟ وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار؛ لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]. فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهراني الكفار عذّب الله الكفار، وكذلك قال النبي ﷺ: (**ولولا ما في البيوت من النساء والذراري لأمرت بالصلاة فتقام، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة معنا، فأحرق عليهم بيوتهم**)[4]. وكذلك ترك رجم الحامل حتى تضع جنينها[5]. وقد قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[6]. فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله، وبدعائهم للخلق وبما ينـــزل الله من الرحمة، ويدفع من العذاب بسببهم: حقٌّ موجود،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١١/١١٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب: (٤/٤٤) برقم: (٢٨٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) سورة الفتح؛ الآية: (٢٥).

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده: (٤/٨٦) برقم: (٣٤٤٣)، وأحمد: (٢/٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا: (٣/١٣٢٣) برقم: (١٦٩٥) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٦) سورة مريم؛ الآية: (٣١).

فمن أراد بالبركة هذا، وكان صادقاً فقوله حق"[1].

فالمؤمن تحصل له البركة بقدر متابعته للنبي ﷺ، قال ﷺ: (**إن من الشجر لَمَا بركته كبركة المسلم**)[2]. فدل أن للمسلم بركة تتحقق بالإيمان بالله والعمل الصالح ومتابعة رسوله ﷺ.

(١) مجموع الفتاوى: (١١/١١٣-١١٤).

(٢) صحيح البخاري: (٧/٨٠) برقم: (٥٤٤٤)، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، ومسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة: (٤/٢١٦٤) برقم: (٢٨١١).

المطلب الثالث

إقسام الله بذاته عليه الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى ذكره: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2]"[3].

وفي رواية عنه أيضاً: قال: "ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ، قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾"[4].

قال الطبري رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش ﴿لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يتردّدون"[5].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "أقسم تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع، وجاه عريض"[6].

قال القاضي أبو بكر محمد بن العربيّ: "قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله هنا بحياة محمد ﷺ تشريفاً له، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم

---

(١) سورة الحجر؛ الآية: (٧٢).

(٢) سورة الحجر؛ الآية: (٧٢).

(٣) تفسير الطبري: (١١٨/١٧).

(٤) تفسير الطبري: (١١٨/١٧)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٢٢٧٠/٧).

(٥) تفسير الطبري: (١١٨/١٧).

(٦) تفسير ابن كثير: (٥٤٢/٤).

يترددون"[1].

فالمقصود من هذا الإقسام به ﷺ الدلالة على شرف حياة المقسَمِ به وعلو منــــزلته عند ربه.

قال العز بن عبد السلام: "والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزها عند المقسِمِ بها، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ"[2].

(١) أحكام القرآن لابن العربي: (٣/٢٥٢)

(٢) منية السول في تفضيل الرسول: (ص ٢٠).

المطلب الرابع
الحلف بذاته عليه الصلاة والسلام

إن الحلف بأي شيء من المخلوقات لا يجوز من حيث الأصل، وذلك بدلالة الأحاديث الصحيحة والإجماع. وقد روي قول شاذ لا يعتد به بجواز الحلف بالنبي ﷺ خاصة، ولا وجه لإخراجه ﷺ من هذا الأصل.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "تنازع الناس: هل يحلف بالنبي ﷺ؟ مع اتفاقهم بأنه لا يحلف بشيء من المخلوقات المعظمة كالعرش والكرسي والكعبة والملائكة. فذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد في أحد قوليه إلى أنه لا يحلف بالنبي، ولا تنعقد اليمين، كما لا يحلف بشيء من المخلوقات، ولا تجب الكفارة على من حلف بشيء من ذلك وحنث، فإنه ﷺ قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: **(من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)**[1]. وفي السنن: **(من حلف بغير الله فقد أشرك)**[2].

وعن أحمد بن حنبل رواية أنه يحلف بالنبي ﷺ خاصة[3]، لأنه يجب الإيمان به

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف: (٣/٢٣٥) برقم: (٢٦٧٩)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى: (٣/١٢٦٦) برقم: (١٦٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه: الطيالسي (١٨٩٦)، والترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك: (٤/١١٠) برقم: (١٥٣٥)، وأبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء: (٣/٢٢٣) برقم: (٣٢٥١)، والحاكم في المستدرك: (١/١٨) وأحمد في المسند: (٢/٣٤ و٨٦ و١٢٥)، والبيهقي: (١٠/٢٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: (١/٣٥٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. والحديث صححه الحاكم على شرطهما. وأقره الذهبي في التلخيص، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (١/١٤٠).

خصوصاً ويجب ذكره في الشهادتين والأذان. فللإيمان به اختصاص لا يشركه فيه غيره.

وقال ابن عقيل: بل هذا لكونه نبيًّا، وطرد ذلك في سائر الأنبياء مع أن الصواب الذي عليه عامة علماء المسلمين سلفهم وخلفهم أنه لا يحلف بمخلوق، لا نبي ولا غير نبي ولا ملك من الملائكة، ولا ملك من الملوك، ولا شيخ من الشيوخ"(١).

وقال أيضا: "لأن النهي هو عن الحلف بالمخلوقات كائناً من كان، كما وقع النهي عن عبادة المخلوق وعن تقواه وخشيته والتوكل عليه وجعله ندًّا لله، وهذا متناول لكل مخلوق، نبينا وسائر الأنبياء والملائكة وغيرهم، فكذلك الحلف بهم"(٢).

وقد جاء عن السلف التشديد بالنهي عن الحلف بغير الله تعالى:

فعن ابن عباس وعبد الله بن عمر: "لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغير الله صادقاً"(٣).

وذلك لأن الحلف بغير الله شرك، والشرك أعظم من الكذب.

وحكى الإمام ابن عبد البر الإجماع على أنه لا يجوز الحلف بغير الله (٤).

وعليه يعتبر الحلف بالنبي ﷺ من الشرك الأصغر، وإن اعتقد الحالف تعظيمه كتعظيم الله تعالى فقد أشرك شركاً أكبر مخرجاً من الملة(٥).

---

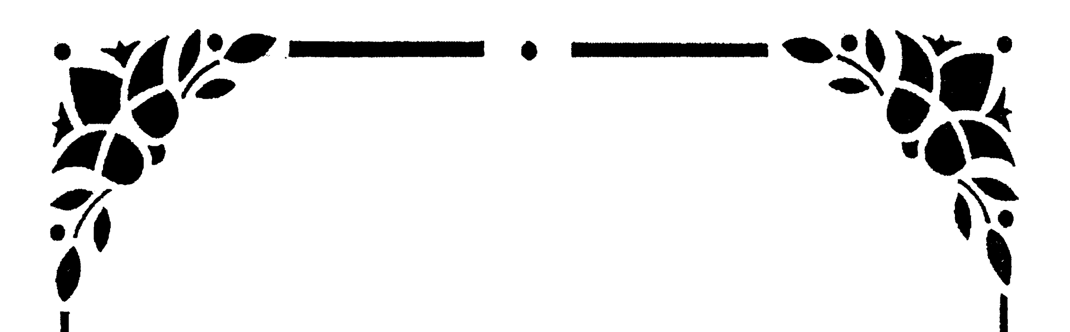
(١) مجموع الفتاوى: (٢٧/٣٤٩).

(٢) الرد على الأخنائي: (ص ٤٠٣).

(٣) رواه الطبراني: (٩/١٨٣) برقم: (٨٩٠٢)، وابن أبي شيبة في المصنف: (٣/٧٩) وعبد الرزاق في المصنف: (٨/٤٦٨) برقم: (١٥٩٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٤/١٧٧): «رجاله رجال الصحيح». وقال المنذري في الترغيب والترهيب: (٤/٥٨): «رواته رواة الصحيح». وصححه الألباني في إرواء الغليل: (٢٥٦٢).

(٤) قال ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد: (١٤/٣٦٧): «أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة منهي عنها، لا يجوز الحلف بها لأحد».

(٥) معجم المناهي اللفظية: (ص٥٤٠)، وتفسير المنار: (٧/٣٥)، والتمهيد: (١٤/٣٦٧).



الفصل الثالث

المسائل العقدية المتعلقة بذاته عليه الصلاة والسلام في حياته البرزخية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: حياته ﷺ البرزخية.

المبحث الثاني: الكلام في تغير جسده ﷺ بعد الموت.

المبحث الثالث: التحريم على الأرض أن تأكل جسده ﷺ.

المبحث الرابع: رؤيته في المنام بذاته بعد موته ﷺ.

المبحث الخامس: بطلان القول بخروجه ﷺ من قبره قبل البعث والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث السادس: الكلام في تفضيل المكان الذي ضم أعضاءه ﷺ على غيره.





المبحث الأول

حياته ﷺ البرزخية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إثبات حياته ﷺ البرزخية في قبره.

المطلب الثاني : لا تقاس حياته البرزخية على حياته في الدنيا.

المطلب الثالث: علاقة روحه بجسده في القبر.

المطلب الرابع: تعلق نعيم القبر بجسده وروحه ﷺ.

المطلب الخامس: مستقر روحه.

المطلب الأول

إثبات حياته ﷺ البرزخية في قبره

تعريف البرزخ لغة: البَرْزَخُ: هو الحاجز بين الشيئين، حسّيين كانا أو معنويّين، ومن الثاني: إطلاق البَرْزَخِ على فترة ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمَن مات فقد دخل البَرْزَخَ[1].

والمعنى الشرعي للبرزخ لا يختلف عن المعنى اللغوي، حيث وردت النصوص الشرعية مؤيّدة لذلك مع إثبات بعض ما يحل بأهل تلك المنزلة من نعيم وعذاب، وفيما يلي بعض هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] عن ابن جريج، قال: قال النبي ﷺ لعائشة: "إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بل قدماني إلى الله، وأما الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: ارجعون ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: أجل إلى حين[4].

وعن مجاهد، قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال: ما بين الموت إلى البعث.
وفي رواية عنه أيضاً: قال: حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا[5].

---

(١) ذكره ابن منظور في لسان العرب: (٨/٣)، وانظر: تاج العروس: (٢٧٥/١٥)، والعين للخليل: (٣٣٨/٤).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: (١٠٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: (٦٩/١٩).

(٤) أخرجه الطبري: (٧٠/١٩).

(٥) أخرجه الطبري: (٧١/١٩).

وعن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال: البرزخ: ما بين الموت إلى البعث[1].

٢- قال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[2].

عن السدي، عن أبي مالك: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يخطب فيذكر المنافقين، فيعذبهم بلسانه، قال: وعذاب القبر[3].

وعن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: بالجوع، وعذاب القبر. قال: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: يوم القيامة[4].

وعن قتادة: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال: عذابًا في الدنيا، وعذابًا في القبر[5].

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذّب هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين، و لم يضع لنا دليلاً يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأيٍّ ذلك من أيٍّ. غير أن في قوله جل ثناؤه: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ دلالة على أن العذاب في المرَّتين كلتيهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أهما في القبر"[6].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: (٧١/١٩) وانظر: تفسير البغوي معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢٧٤/٤).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠١).

(٣) أخرجه الطبري: (٦٤٥/١١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤ /٨٤) من طريق خطاب بن القاسم، عن خصيف، عن مجاهد.

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٦/٢). وابن جرير الطبري (٤٤٢/١٤ ٤٤٣) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٥) أخرجه الطبري (٤٤٣/١٤).

(٦) تفسير الطبري (٤٤٥/١٤).

٣- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

عن البراء ﷺ في قوله تعالى: ﴿ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ قال: عذاب القبر(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ يقول: عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة(٣).

وفي رواية عنه أيضاً: قال: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾(٤).

وعن قتادة، أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: إن عذاب القبر في القرآن ثم تلا: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾(٥).

وقد ذُكر في الآيات معان غير ذلك، وإنّما اخترت ما يناسب المقصود والله أعلم.

٤- قال تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾(٦).

قال العلامة الأمين في أضواء البيان: "في الدنيا والآخرة والبرزخ، فقال في هلاكهم في الدنيا: ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾(٧) وأمثالها من الآيات، وقال في مصيرهم في البرزخ: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾(٨)، وقال في عذابهم في الآخرة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾"(٩).

---

(١) سورة الطور، الآية: (٤٧).

(٢) أخرجه الطبري: (١٤/٤٤٣).

(٣) أخرجه الطبري: (٢١/٦٠٣).

(٤) أخرجه الطبري: (٢١/٦٠٣).

(٥) أخرجه الطبري: (٢٢/٤٨٧).

(٦) سورة غافر؛ الآية: (٤٥).

(٧) سورة الأنفال؛ الآية: (٥٤).

(٨) سورة غافر؛ الآية: (٤٦).

(٩) سورة غافر؛ الآية: (٤٦). وانظر: أضواء البيان: (٦/٣٨٩).

قال القرطبي رحمه الله: "والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ. واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ما دامت الدنيا"[1].

وقال الحافظ ابن كثير: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"[2].

كما جاءت السنة النبوية بإثبات الحياة البرزخية وما يتعلق بها من عذاب ونعيم، وفيما يلي بعض هذه الأحاديث الدالة على هذه الحياة البرزخية مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[3]:

١- في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: **(إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله)** ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة. فقالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: **(لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)**[4].

٢- وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة -ونحن معه- إذ جالت به فكادت تلقيه، فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة. فقال: **(من يعرف هذه القبور)**؟ فقال رجل: أنا. قال: **(فمتى مات هؤلاء؟)** قال: ماتوا في الإشراك. فقال: **(إن هذه الأمة تبتلى في قبورها؛ فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه)**، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **(تعوذوا بالله من عذاب القبر)**. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: **(تعوذوا بالله من**

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٩/١٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١٤٦/٧).

(٣) في مجموع الفتاوى: (٢٨٥/٤) وما بعدها، بتصرف يسير.

(٤) البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله: (٨٨/١) برقم: (٢١٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه: (٢٤٠/١) برقم: (٢٩٢).

عذاب النار). قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. قال: **(تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)**. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: **(تعوذوا بالله من فتنة الدجال)**. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[1].

٣- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل أعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال)**[2].

٤- وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: **(اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)**[3].

٥- وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس. فقال: **(يهود يعذبون في قبورهم)**[4].

٦- وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتها و لم أنعم أن أصدقها قالت: فخرجت، فدخل علي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، عجوز من عجائز أهل المدينة دخلت علي فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فقال:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة ومن النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه: (٢١٩٩/٤) برقم: (٢٨٦٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة: (٤١٢/١) برقم (٥٨٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة: (٤١٣/١) برقم: (٥٩٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر: (٤٦٣/١) برقم: (١٣٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه...: (٢٢٠٠/٤) برقم: (٢٨٦٩).

(صدقت، إنهم يعذبون عذاباً يسمعه البهائم كلها) فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر[1].

٧- وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(المسلم إذا سُئل في قبره: شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فذلك قول الله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾)[2].

وفي لفظ: نزلت في عذاب القبر **(يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، وذلك قول الله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾)[3][4].

٨- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار. فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به الأرض؛ فرفع رأسه فقال: **(استعيذوا بالله من عذاب القبر)** مرتين أو ثلاثاً. وذكر صفة قبض الروح وعروجها إلى السماء ثم عودها إليه. إلى أن قال: **(وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين)** حين يقال له: يا هذا من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟.

وفي لفظ: **(فيأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان: ما هذا الرجل الذي أُرسل فيكم؟ قال: فيقول. هو رسول الله. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر: (٢٣٤١/٥) برقم: (٦٠٠٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر: (٤١١/١) برقم: (٥٨٦).

(٢) سورة إبراهيم؛ الآية: (٢٧).

(٣) سورة إبراهيم؛ الآية: (٢٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر...: (٤٦١/١) برقم: (١٣٠٣)، ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه...: (٢٢٠١/٤) برقم: (٢٨٧١).

وآمنت به وصدقت به فذلك قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1] قال: فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له في الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها قال: ويفسح له مد بصره). قال: (وإن الكافر) فذكر موته. وقال: (وتعاد روحه إلى جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه. هاه لا أدري فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فافرشوا له من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار)، قال: (ويأتيه من حرها وسمومها) قال: (ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه). قال: (ثم يقيض له أعمى أبكم، معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً) قال: (فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا. ثم تعاد فيه الروح)[2].

٩- وروى الترمذي وأبو حاتم في صحيحه -وأكثر اللفظ له- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُ أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها

(١) سورة إبراهيم؛ الآية: (٢٧).

(٢) رواه أحمد: (٢٨٧/٤) برقم: (١٨٧٣٣)، وأبو داود، كتاب السنة، باب في المسألة وعذاب القبر: (٢٣٩/٤) برقم: (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)[1].

وعلى هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة: قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين. ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى، وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة"[2].

وقال شارح الطحاوية رحمه الله: "فالحاصل أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركّب هذا الإنسان من بدنٍ ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعٌ لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعٌ لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا"[3].

وأما ما يتعلق بحياته ﷺ البرزخية في قبره، فقد جاءت من خلال دلائل.

فقد جاءت النصوص الدالة على أن النبي ﷺ له حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى وفيما يلي بعض هذه النصوص:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام)**[4].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر: (٣/٣٨٣) برقم: (١٠٧١). وابن حبان في صحيحه: (٧/٣٨٦) برقم: (٣١١٧)، وقال محمد المناوي في تخريج أحاديث المصابيح (١/١١٩): "رجاله رجال مسلم"، وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (١/١٢١)، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٤/٢٨٢).

(٣) شرح الطحاوية لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي (٢/٥٨٠).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور: (٢/٢١٨) برقم: (٢٠٤١)، وأحمد =

٢- وعن أنس رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: (**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**)[(١)(٢)].

٣- وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**)[(٣)].

٤- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**)[(٤)].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني**)[(٥)].

وهذه الحياة كما قَدّمتُ هي حياة لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الله تعالى، ليست من جنس الحياة في الدنيا كما سوف يأتي بيانه في المطلب التالي.

= (٥٢٧/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٢٦٦).

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل: (٧٩٢/٢) والبيهقي في حياة الأنبياء،: (١٥) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٨٧/٢).

(٢) انظر: مصادر التلقي عند الصوفية: (ص٣٤٦).

(٣) سبق تخريجه (ص ٥٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند: (٣٨٧/١) برقم: (٣٦٦٦)، والنسائي، كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ: (٤٣/٣) برقم: (١٢٨٢) وغيرهما. قال ابن القيم في "جلاء الأفهام": (ص٢٣): "هذا إسناد صحيح".

(٥) أخرجه أحمد في المسند: (٣٦٧/٢) برقم: (٨٧٩٠)، وأبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور: (٢١٨/٢) برقم: (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

المطلب الثاني

لا تقاس حياته البرزخية على حياته في الدنيا

للناس المنتسبين إلى الإسلام في هذا القول من حيث الجملة قولان:

القول الأول: اعتقاد أن حياته ﷺ البرزخية لا تقاس بحياته في الدنيا، بل هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها وكنهها إلا الله سبحانه وتعالى. وهذا عليه اتفاق أهل السنة والجماعة[1].

القول الثاني: قياس حياته ﷺ البرزخية على حياته في الدنيا في بعض الوجوه من جواز دعائه وطلب الحوائج منه، لأن حياته حياة حقيقية دنيوية[2].

ولبيان الصواب من هذين القولين أقول:

أولاً: استدل أصحاب القول الثاني من حيث الجملة بما يلي:

بالأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ المتعلقة بثبوت حياته البرزخية، وقد تقدمت في المطلب الأول من كونه يرد السلام على من سلم عليه عليه الصلاة والسلام، وأن صلاة أمته معروضة عليه ﷺ، وكذلك كونه يبلغه سلام أمته، وكون الأنبياء يصلون في قبورهم.

وبقوله ﷺ: (**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**)[3]. فنبي الله حي يرزق. وكذلك استدلوا بحرمة نكاح أزواجه من بعده، وبعدم توريث أمواله عليه الصلاة والسلام. كما استدلوا بكون الشهداء أحياء يرزقون فالنبي ﷺ من باب أولى، لأنه أفضل منهم.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز بتصرف (١٠٧/١٦).

(٢) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية: (٧١١/٢) وهذه مفاهيمنا: (ص١٥٨)، وجهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: (٤٢٣/٢) والقرآن ونقض مطاعن الرهبان: (ص ٣١٧).

(٣) هو حديث أوس بن أوس المتقدم تخريجه (ص ٢٧٣).

وأيضاً استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقد عضدوا هذه الآية بأثر عنه ﷺ قال فيه: (**حياتي خير لكم، تحدثون ونحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم**)[2].

قالوا: وهذه الأدلة دالة على أن حياته ﷺ هي حياة حقيقية مُقاسة على حياته الدنيا.

ثانياً: الصواب من هذين القولين هو القول الأول القائل بأن حياته ﷺ البرزخية لا تقاس بحياته في الدنيا.

ويظهر هذا من خلال عرض أدلة القول الأول والرد على شبهات الغلاة في مزاعمهم الباطلة، فأقول:

١- إن الأصل أن النبي ﷺ قد انتقل من هذه الحياة الدنيا إلى حياة برزخية وذلك بموته ﷺ كما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4].

---

(١) سورة النساء؛ الآية: (٦٤).

(٢) ضعيف: أخرجه البزار: (٣٠٨/٥) برقم: (١٩٢٥) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: (١٤٨/٤): "ورجاله رجال الصحيح، إلا أنّ عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي؛ فقد ضعفه كثيرون..."، وقال فيه الحافظ في التقريب: (٥١٧/١): "صدوق يخطئ". وللحديث طرق أخرى لا يثبت منها شيء. انظر: البداية والنهاية: (٢٧٥/٥) لابن كثير، وفيض القدير: (٤٠١/٣) للمُناوي، والسلسلة الضعيفة برقم: (٩٧٥) للألباني.

(٣) سورة الزمر؛ الآية: (٣٠).

(٤) سورة آل عمران؛ الآية: (١٤٤).

وهو ما أدركه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، كما قال أبو بكر الصديق ﷺ: بأبي أنت وأمي، طبت حيّاً وميّتاً. والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً[1].

٢- إن الصحابة ﷺ قد فهموا أن انتقاله للحياة البرزخية لا يقاس عليه حياته في الدنيا، فقد كانوا في حياته ﷺ إذا أصابهم القحط أتوا النبي ﷺ ليدعو الله لهم؛ لأن دعاءه ﷺ أحرى بأن يستجاب له ولكن بعد وفاته ﷺ لم يأت أثر صحيح ثابت عن أي صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قاس حياته البرزخية على حياته في الدنيا فسأل النبي ﷺ شيئاً، أو طلب منه أي حاجة من الحوائج سواء دنيوية أو أخروية، بل الثابت عنهم خلاف ما فهمه هؤلاء الغلاة، حيث أن عمر بن الخطاب ﷺ وبمحضر من أصحاب رسول الله ﷺ ودون نكير منهم ترك التوسل بالفاضل وتوسل بالمفضول، فترك التوسل بالنبي ﷺ، وتوسل بالعباس ﷺ، وذلك لأنه تعذر التوسل بالفاضل لانتقاله للحياة البرزخية، وبهذا الإجماع السكوتي من أصحاب رسول الله ﷺ يتبين أنه لا تقاس حياته عليه الصلاة والسلام البرزخية بالحياة في الدنيا.

٣- إن الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان في القرون المفضلة قد ابتلوا بأحداث جسيمة، من فتن واختلاف في بعض المسائل والأمور، فلم يقيسوا حياته ﷺ البرزخية بالحياة الدنيا، لذلك لم يُنقل عن أحد منهم، لا بحديث صحيح ولا موضوع أنه طلب من الرسول ﷺ أن يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من مسائل وأحداث، وهذا من أبلغ الأدلة على بطلان قياس حياته البرزخية بالحياة الدنيا.

٤- قال أصحاب القول الأول: إن القول بقياس حياته البرزخية على حياته في الدنيا يستلزم منه لوازم باطلة منها:

أ- أن الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا النبي ﷺ وهو حيٌّ يرزق، فأي إساءة أعظم من هذه الإساءة.

ب- كونه ﷺ حيّاً حياة حقيقية، وهو يطلع على اختلاف أمته من بعده ثم لا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: **(لو كنت متخذاً خليلاً)**: (١٣٤١/٣) برقم: (٣٤٦٧).

يرشدهم لما هو خير لهم في دنياهم وآخرتهم قدح في نبوته ورسالته.

ج- تكذيب النصوص الشرعية الدالة على موته عليه الصلاة والسلام، وأنها لا معنى لها في دلالتها.

ح- أن النبي ﷺ كتم عن أمته هذه الحقيقة، فلم يبينها لأمته حتى جاء هؤلاء وبينوها للناس.

وأما عن الشبه التي يذكرها هؤلاء الغلاة في جواز طلب الحوائج من النبي ﷺ وأنه ينفع الأحياء فقد تقدم بيان جملة منها في مسألة التوسل بذاته ﷺ والردود عليها، ومن هذه الشبه المتعلقة بهذه المسألة: ما جاء عنه ﷺ أنه قال: (**حياتي خير لكم، تحدثون ونحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم**)[١]. وقالوا: "هذا الحديث رجاله رجال الصحيح"[٢].

وهذا الحديث من حيث السند قال عنه العلامة الألباني رحمه الله تعالى: "وجملة القول أن الحديث ضعيف بجميع طرقه، وخيرها: حديث بكر بن عبد الله المزني، وهو مرسل، وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين، ثم حديث ابن مسعود، وهو خطأ، وشرها: حديث أنس بطريقيه"[٣].

كما أن القول بأن الحديث رجاله رجال الصحيح لا يلزم منه أن يكون الحديث صحيحاً.

قال صاحب كتاب هذه مفاهيمنا: "وهذه العبارة لا تفيد تصحيحه الحديث، فلا يجوز أن يقال إنه صححه، كما تجرأ عليه صاحب المفاهيم. وذلك أن قوله: (رجاله رجال الصحيح) تفيد ثقة الرجال وأنهم مخرَّج لهم في الصحيح، ولا تفيد لا صحة الإسناد ولا صحة الحديث.

فصحة الإسناد تفتقر إلى معرفة اتصال الرواية، وعدم الانقطاع في الإسناد، وألا

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) انظر: مفاهيم يجب أن تصحح لعلوي المالكي: (ص ٥٧).

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: (٢/٤٠٦).

يكون في الإسناد مدلس رواه بالعنعنة....

وصحة الحديث ليست بلازمة لصحة الإسناد، بل بينهما مراتب يعرفها أهل العلم والنظر، فكم من حديث صحيح الإسناد وهو شاذ أو غلط أو معلل"[1].

كما أن الحديث لو صح ليس فيه دلالة إلى ما ذهبوا إليه من القول بجواز طلب الحوائج من النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لعدة أمور:

- أين هذا الفهم في القرون المفضلة؟ هل كانوا عن هذه الفضيلة المزعومة غافلين حتى جاء هؤلاء ليعلموا الأمة ما هو نقيض ما تعلمه السلف الصالح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟ التي من أصولهما إفراد العبادة والالتجاء لله وحده لا شريك له، كما تقدم معنا في مبحث التقديس.

- إن الأعمال المعروضة إذا اشتملت على الشرك ودعاء غير الله تعالى فهي خارجة عن قدرة النبي ﷺ في حياته فمن باب أولى بأن لا يملك الاستغفار لأهلها بعد وفاته ﷺ وذلك لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[2] فكيف يقول من عنده أدنى بصيرة بما أنزله الله على رسوله أن النبي ﷺ بيده أن يستغفر لمن جعل مع الله شريكاً يدعوه ويلتجأ وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[3].

- كما قد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يبين أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يعلم من أعمال أُمَّته شيئاً بعد وفاته. قال النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**إنّي فرطكم على الحوض، من مرَّ عليَّ شربَ لم يظمأ أبداً، ليردنَّ عليَّ**

(١) هذه مفاهيمنا (ص ٨٧).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨).

أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم)[1].

وفي رواية: (**فأقولُ: إنهم منِّي؛ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ غيَّرَ بعدي)**[2].

فهذا يدلُّ على عدم علم النَّبيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما يحدث في أُمته من بعده، وهذه الأدلة الثابتة تدلُّ على بطلان الحديث المتقدم لو صحَّ سنده؛ فكيف والسند ضعيف!!.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض: (٢٤٠٦/٥) برقم: (٦٢١٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته: (١٧٩٣/٤) برقم: (٢٢٩٠).

(٢) وهي من نفس الحديث السابق.

المطلب الثالث
علاقة روحه بجسده في القبر

إن الحياة البرزخية عند أهل السنة والجماعة كما تقدم تعتبر حياة غيبية لا مجال للعقل أن يخوض فيها إلا بدليل شرعي معتبر.

والنصوص الشرعية المتعلقة بهذا المطلب دلت على أن الحياة البرزخية له ﷺ تشتمل على اتصال بين روحة الطاهرة ﷺ وبين جسده الشريف عليه أفضل الصلوات والتسليم.

ولأهل السنة والجماعة في هذا الاتصال عدة مسائل:

المسألة الأولى: أنهم لا يثبتون أي نوع من أنواع الاتصال بين روحه ﷺ وجسده في حياته البرزخية ﷺ وحياة غيره البرزخية من البشر إلا بدليل من الكتاب أو السنة، والدليل في هذا الشأن أثبت أن لروحه الطاهرة ﷺ اتصال بجسده الشريف، ودليله: ما تقدم من قوله ﷺ: (**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**)[1].

وقوله ﷺ: (**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**)[2].

وقوله ﷺ: (**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**)[3].

وقوله ﷺ: (**إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**)[4].

وقوله ﷺ: (**لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني**)[5].

---

(١) سبق تخريجه، في ص: (ص ٢٧٣) من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه في ص: (ص ٢٧٣) من هذا البحث.

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٧٤) من هذا البحث.

(٤) سبق تخريجه (ص ٢٧٤) من هذا البحث.

(٥) سبق تخريجه (ص ٢٧٤) من هذا البحث.

المسألة الثانية: أن هذا الاتصال بين روحه الطاهرة وجسده الشريف لا يعلم كنهه ولا حقيقته ولا كيفيته إلا الله تعالى، وليس هو اتصال الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه وتحتاج معها إلى الطعام والشراب، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فليس المراد أن حياته حياة مستقرة كحياة الدنيا، إنما المراد تعلق من نوع آخر لا سبيل لمعرفة حقيقته وكنهه؛ لأنه غيبي غير مشاهد.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما: **(أن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين)**[١].

فهذا موافق لهذا، فكيف يدفع ذلك؟ ومن العلماء من قال: إن الميت في قبره لا يسمع ما دام ميتاً كما قالت عائشة. واستدلت له من القرآن.

وأما إذا أحياه الله فإنه يسمع كما قال قتادة. وإن كانت تلك الحياة لا يسمعون بها كما نحن لا نرى الملائكة والجن، ولا نعلم ما يحس به الميت في منامه، وكما لا يعلم الإنسان ما في قلب الآخر، وإن كان قد يعلم ذلك من أطلعه الله عليه. وهذه جملة يحصل بها مقصود السائل وإن كان لها من الشرح والتفصيل ما ليس هذا موضعه، فإن ما ذكرناه من الأدلة البينة على ما سأل عنه ما لا يكاد مجموعاً. والله أعلم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم[٢].

المسألة الثالثة: أن هذا الاتصال بين الروح والجسد لا يختص بالنبي ﷺ بل هو ثابت لغيره من البشر سواء كان مسلمًا أو كافرًا.

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال نبي اللّه ﷺ: **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى أنه يسمع خفق نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقولان: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما كلاهما)**، وذكر أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، **(وأما الكافر والمنافق فيقولان له: ما كنت**

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٢٧٤) من هذا البحث.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٩٩/٤).

تقول في هذا الرجل، فيقول: لا أدري كنت أقول كما يقول الناس، قال: فيقال لـه: لا دريت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة فيسمعه مـن يليه غير الثقلين، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه)(1).

وعن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: **(يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بـن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً؟ فإني وجدت ما وعـدني ربي حقّـاً)**، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون -أو أنى يجيبـون- وقـد جيفوا؟ قال: **(والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا)** ثم أمر بهم فسحبوا، فألقوا في قليب بدر(2).

وفي رواية في الصحيحين عنه أيضاً: قال رسول الله ﷺ: **(يا فلان بن فـلان، ويـا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقّـاً)**، فقال له عمر: يا رسول الله! ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال: **(والذي بعثني بالحق، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا)**(3).

وقد ثبت عنه في الصحيحين من غير وجه أنه ﷺ كان يأمر بالسلام على أهل القبور ويقول: **(قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين**

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القـبر: (١/٤٦١) بـرقم: (١٣٠٨)، ومسلم، كتاب صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت عليـه...: (٤/٢٢٠٠) بـرقم: (٢٨٧٠) مختصراً إلى قوله: (سبعون ذراعاً)، وأخرجه الآجري في الشريعة: (ص٣٦٦)، واللالكـائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٦/١١٣١) مطولاً.

(2) انظر التخريج اللاحق.

(3) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب تسمية من سمى من أهـل بـدر: (٤/١٤٧٦) بـرقم: (٣٨٠٢)، ومسلم، كتاب صفة الجنة، باب عرض مقعـد الميـت....: (٤/٢٢٠٢) بـرقم: (٢٨٧٣).

منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)[1].

فهذا خطاب لهم، وإنما يخاطب من يسمع.

المسألة الرابعة: أن للنبي ﷺ أكمل وأعلا مراتب هذا المقام من الاتصال لفضله وعلو شأنه عند ربه سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها: (٢/٦٧٠) برقم: (٩٧٤).

المطلب الرابع

تعلق نعيم القبر بجسده وروحه ﷺ

إن عقيدة أهل السنة والجماعة في تعلق نعيم القبر وعذابه بالنسبة للجسد والروح: أن النعيم والعذاب يقع على الروح والجسد جميعاً في القبر، وقد تنفرد الروح بهذا أحياناً.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعتين كما يكون للروح منفردة عن البدن"[1].

ومما يدل على هذا القول: **ما ورد من نصوص دلت على أن النعيم والعذاب تارة يكون على الجسد والروح، وتارة يكون على الروح دون الجسد، فمما دل على أن النعيم والعذاب يكون على البدن والروح:**

ما جاء في حديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: (**فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوا له في الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة**). قال: (**فيأتيه من روحها وطيبها**). قال: (**ويفسح له مد بصره**). قال: (**وإن الكافر...**) فذكر موته. وقال: (**وتعاد روحه إلى جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فافرشوا له من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار**). قال: (**ويأتيه من حرّها وسمومها**). قال: (**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**). قال: (**ثم يقيّض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار تراباً**). قال: (**فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب**

(١) مجموع الفتاوى: (٤/٢٨٢).

إلا الثقلين، فيصير ترابا. ثم تعاد فيه الروح)[1].

فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بين في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين[2].

وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع خفق نعالهم، أتاه ملكان فيقررانه. فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه محمد عبد الله ورسوله**). قال: فيقول: (**انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة**). قال رسول الله ﷺ: (**فيراهما كليهما**)[3].

قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون. ثم نرجع إلى حديث أنس، قال: (**ويأتيان الكافر والمنافق، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول كما يقول الناس. فيقول: لا دريت ولا تليت. ثم يضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين**)[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومةِ العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُ أهله إليه**

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٨٢) من هذا البحث.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٦٩/٤) وما بعدها، وكثير مما ورد في هذا المطلب استفدته منه.

(٣) سبق تخريجه في (ص ٢٨٢) من هذا البحث.

(٤) سبق تخريجه في (ص ٢٨٢) من هذا البحث.

حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)[1].

وهذا الحديث فيه اختلاف أضلاعه وغير ذلك مما يبين أن البدن نفسه يعذب.

ففي هذه الأحاديث ونحوها اجتماع الروح والبدن في نعيم القبر وعذابه.

وأما انفراد الروح وحدها فقد جاء أيضاً في عدة نصوص منها:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه)**[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لما أصيب إخوانكم -يعني يوم أحد- جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش)**[3].

وأما ما يتعلق بهذا المطلب، وهو تعلق نعيم القبر بجسده وروحه ﷺ، فالذي عليه أهل السنة والجماعة: أن النبي ﷺ اختص بالمقام الأعلى من النعيم سواء كان من النعيم المتعلق بروحه الطاهرة أو بجسده الشريف أو بهما جميعاً، فهو أكرم الخلق عند ربه سبحانه وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٢٧٢) من هذا البحث.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ برقم: (٩٩٢)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين: (١٠٨/٤) برقم: (٢٠٧٣)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى: (١٤٢٨/٢) برقم: (٤٢٧١) وصححه العلامة الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة برقم: (٩٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة: (١٥/٣) برقم: (٢٥٢٠)، وأحمد في المسند: (٢٦٦/١) برقم: (٢٣٨٨)، والحاكم في المستدرك: (٢ /٨٨، ٢٩٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

المطلب الخامس

مستقر روحه

لقد دلت النصوص الشرعية على أن مستقر الأرواح في الحياة البرزخية متفاوت تفاوتاً كبيراً بحسب منازلها.

قال ابن القيم رحمه الله: "الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظمَ تفاوت.

١- فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ليلة الإسراء.

٢- ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: (**الجنة**) فلما ولى قال: (**إلا الدَّيْن، سارني به جبريل آنفاً**)[1].

٢- ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة، كما في الحديث الآخر: (**رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة**)[2].

٣- ومنهم من يكون محبوساً في قبره،كحديث صاحب الشملة التي غلّها ثم استشهد، فقال الناس: هنيئاً له الجنة. فقال النبي ﷺ: (**والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره**)[3].

---

(١) أخرجه أحمد: (٤/٣٥٠) برقم: (١٩١٠٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: (٢/١٨٥) برقم: (٩٣٠) وجود إسناده الألباني في إرواء الغليل برقم: (١١٩٧).

(٢) أخرجه أحمد: (٥/١٣) برقم: (٢٠١٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير: (٧/١٧٩) برقم: (٦٧٥٣) من حديث سمرة بن جندب ﷺ. صححه الألباني في شرح الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق الألباني. انظر (٤٥٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: (٤/١٥٤٧) برقم: (٣٩٩٣)، ومسلم، =

٤- ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس: (**الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية**)[١].

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء[٢].

٥- ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى؛ فإنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية، كما لا تجامعها في الدنيا. والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية. لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد، كما تقدم في الحديث: (**ويجعل روحه -يعني: المؤمن- مع النسم الطيب**)[٣]. أي: الأرواح الطيبة المشاكلة. فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

٦- ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.

ومما تقدم فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض"[٤].

كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول...: (١/١٠٨) برقم: (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه أحمد: (١/٢٦٦) برقم: (٢٣٩٠)، وابن حبان: (١٠/٥١٥) برقم: (٤٦٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٧٤٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٣/٤٢) برقم: (٤٣٤٨) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة: (١٢٢٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: (٣/٥٦٧) برقم: (٦٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الروح لابن القيم: (ص ١١٥) بتصرف يسير.

وأما ما يتعلق بمستقر روحه ﷺ فهو في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهذه المنزلة خاصة بالأنبياء عليهم السلام، وهم متفاوتون فيها،كما في حديث الإسراء والمعراج، والنبي ﷺ له أعلى المنازل منها، ومما يدل على ذلك: قوله الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(1) فهو في الرفيق الأعلى في أعلى المنازل والدرجات، فقد فاضت روحه عليه الصلاة والسلام وهو يقول: (**بل الرفيق الأعلى**)(2).

وقال الشيخ العلامة عبدالله أبا بطين: "فحياة الأنبياء حياة برزخية، والله أعلم بحقيقتها. والنبي ﷺ قد مات بنص القرآن والسنة، ومن شك في موته فهو كافر!"(3).

---

(1) سورة النساء؛ الآية: (٦٩).

(2) إسناده حسن من أجل ابن إسحاق وهو محمد وقد صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليسه، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير يعقوب بن عتبة وهو الثقفي فقد أخرج له أصحاب السنن سوى الترمذي، وهو ثقة. يعقوب: هو ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الزهري. وأخرجه بتمامه ومختصراً إسحاق (٧٦٤) و(١١٥٠)، والنسائي في الكبرى: (٢٥٩/٤) برقم: (٧١٠٢)، وأبو يعلى (٤٥٨٥) من طرق عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد.
وأخرجه ابن سعد: (٢٣٣/٢-٢٣٤) عن محمد بن عمر الواقدي، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن الزهري، به. والواقدي: متروك. انظر: مسند أحمد الهامش، تحقيق الأرنؤوط: (٣٦٨/٣٤).

(3) الدرر السنية: (١٦٥/٢) بتصرف يسير.

المبحث الثاني
الكلام في تغيّر جسده بعد الموت

هذا المبحث متعلق بشبهات يدندن حولها أعداء الإسلام، والغرض منها انتقاص رسول الله ﷺ. ولكن هيهات هيهات، وأنى لهم ذلك. فقد زعم بعضهم أن النبي ﷺ تغير جسده بعد موته وقبل دفنه وأوردوا بهتاناً وزوراً نصوصاً لا علاقة لها بذلك، وحمّلوها ظلماً وعدواناً ما لا تحتمل، وقفوا على ما لا زمام له، فلم يكونوا عادلين ولا منصفين ولا صادقين فيما نقلوه.

ولبيان زيفهم وبهتانهم وكذبهم أورد فيما يلي شبهاتهم والرد عليها:

الشبهة الأولى:

ما روي عن عكرمة قال: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته والغد حتى دفن ليلة الأربعاء. وقالوا: إن رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى، فقام عمر فقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى، والله لا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم... فلم يزل عمر يتكلم حتى أزبد[1] شدقاه مما يوعد ويقول. فقام العباس فقال: إن رسول الله ﷺ قد مات، وإنه لبشر، وإنه يأسن كما يأسن البشر، أي: قوموا فادفنوا صاحبكم، فإنه أكرم على الله من أن يميته إماتتين، أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين وهو أكرم على الله من ذلك؟ أي: قوموا فادفنوا صاحبكم، فإن يك كما تقولون فليس بعزيز على الله أن يبحث عنه التراب، إن رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، فأحل

---

(١) أي دفع بزبده يقال: أزبد البحر وأزبد فم البعير الهادر وأرغى فلان وأزبد غضب وتوعد وتهدد، وفلان كثر زبده... انظر: المعجم الوسيط: (١/٣٨٨).

الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق وحارب وسالم، ما كان راعى غنمٍ يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال، يخبط عليها العضاه بمخبطه، ويمدر حوضها بيده، بأنصب ولا أدأب من رسول الله ﷺ كان فيكم...[1].

فقالوا: إن العباس أخبر بتغير جسد النبي ﷺ بعد موته بقوله: (وإنه يأسن كما يأسن البشر).

وهذا القول فيه مغالطة وتحميل النص ما لا يحتمل، فإن المتتبع لهذه الحادثة وسياق الرواية يجد أنها تشتمل على أمرين:

الأمر الأول: أن هذا لفظ من العباس رضي الله عنه ليس فيه إخبار عن أمر قد وقع، إنما كان اجتهاداً منه رضي الله عنه بوصف حال لما في ذهنه وذهن غيره لما يجري على سائر البشر من تغير أجسادهم بعد الموت، لا أنه رضي الله عنه أخبر عن أمر قد وقع لرسول الله ﷺ.

الأمر الثاني: سياق الرواية يدل أنه رضي الله عنه إنما قال ذلك تنبيهاً لعمر رضي الله عنه عندما رفض قبول موت النبي ﷺ ابتداء.

قال عكرمة: فقام عمر فقال: إنّ رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن عُرج بروحه كما عرج بروح موسى، والله لا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوامٍ وألسنتهم، فلم يزل عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه مما يوعد ويقول. فقام العباس فقال: إن رسول الله ﷺ قد مات، وإنه لبشر وإنه يأسن كما يأسن البشر، أي: قوموا فادفنوا صاحبكم، فإنه أكرم على الله من أن يميته إماتتين، أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين وهو أكرم على الله من ذلك؟.

فيلاحظ أن الذي حمل العباس رضي الله عنه على هذه المقولة إنما كان لسبب، وهو إنكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه موتَ رسول الله ﷺ، فأراد رضي الله عنه أن يرد مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ يبين فيه موت رسول الله ﷺ بأمر يحصل لجميع البشر لا وصف حال لرسول الله ﷺ، ويوضح أن مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت في اللحظات الأولى من موت رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٢/٢٦٧)، والدارمي: (١/٥٢) برقم: (٨٣). رواه إسحاق ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، ورواه الطبراني من طريق ابن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، عن العباس، فهو متصل صحيح الإسناد. انظر: اتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة: (٢١/١٥٨).

وقول العباس ﷺ يظهر من هذه الرواية وسياقها أنه كان قبل مجيء أبي بكر الصديق ﷺ الذي بقوله وخطبته اقتنع عمر ﷺ بموت رسول الله ﷺ.

وإذا كان الأمر كذلك ظهر سبب هذه المقولة من العباس ﷺ، فلو كانت هذه المقولة متعلقة بجسد النبي ﷺ لما سكت العباس ﷺ ولكرر هذه المقولة، وذلك لأن جسده الشريف ترك بعد إنكار عمر ﷺ لموت النبي ﷺ مدة أطول من المدة التي بين موته ومقولة العباس هذه، فدل على أن السبب لهذه المقولة هو إنكاره على عمر بن الخطاب ﷺ مقولة العباس لا أمرٌ واقع.

وهذا هو المعقول: فإنّه يمتنع عقلاً وفطرة سليمة أن يقوم شخص من أهل بيت المتوفى ويطلق عبارات بلا مناسبة أنّ ميته قد أسن، فأيّ شرف للعباس أن يقول ذلك قاصدًا به النبيّ ﷺ؟، بل إنّ الذي تؤيدّه الفطر السليمة والعقول المستقيمة أنّه لو قلنا تنزّلاً أنّ ذلك قد حصل -مع أنّه خلاف الواقع بجميع المقاييس- لكان العباس من أحرص أهل بيت النبيّ ﷺ على إخفاء هذا الأمر وستره بدلاً من أن يكون هو مدار الرواية في ذلك فتأمّل!.

ثمّ إنّ هذا الأمر لا يعرف له سابقة في أحد من الأنبياء قبل النبيّ ﷺ، حتّى الأنبياء الذين قتلوا على يد أممهم، فلم ينقل في شيء من الدواوين المعتبرة، وغير المعتبرة أنّ جثّة أحدهم قد تعفّنت مع أنّه لا يعرف في تلك الأقوال الإسراع بالدفن دائمًا لمن مات بين أيديهم من الأنبياء، فكيف يكون هذا من خصائص سيد الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ؟!.

الشبهة الثانية: قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن عبدالله البهي: أن أبا بكر الصديق جاء إلى النّبيّ ﷺ بعد وفاته، فأكبَّ عليه، فقبَّله، وقال: بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك.

ثم قال البهي: وكان ترك يوماً وليلة حتى ربا بطنه وانثنت خنصراه[1].

---

(١) أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: (٩/١٦٠)، وانظر: سنن سعيد بن منصور: (١/١١٤)، وقال عنه: "خبر منكر منقطع الإسناد". وأخرجه ابن عدي في الكامل: (٥/٣٤٤) من طريق قتيبة، عن وكيع، به.

"قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش وأرادت صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة فقال لهم: الله الله، هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف.

قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع بعدما أرادوا صلبه فتعجبت من جسارته.

وأُخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر قالوا: لم يمت رسول الله ﷺ، فأراد الله أن يريهم آية الموت"[1].

والرد على هذه الشبهة والتي قبلها من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا الخبر منكر ومنقطع، لا يصح الاستدلال به.

يقول الإمام الذهبي:- وهو يحكم عليه من جهة إسناده ومعاتباً لوكيع، لروايته رحمه الله تعالى: "فهذه زلة عالم، فما لوكيع، ولرواية هذا الخبر المنكر، المنقطع الإسناد! كادت نفسه أن تذهب غلطًا، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضّاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس -إن شاء الله- بذلك، فإن الحي قد يربو جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الأمراض، و(**أشد الناس بلاء الأنبياء**)[2]. وإنما المحذور أن تجوِّز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الأرض لأجسادهم، والنبي ﷺ مفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن وما زال أطيب ريحاً من المسك، وهو حي[3] في لحده"[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٩/١٦٠).

(٢) رواه أحمد: (٦/٣٦٩) برقم: (٢٧١٢٤) من حديث فاطمة أخت حذيفة رضي الله عنهما. وسنن النسائي الكبرى: (٤/٣٥٢) برقم: (٧٤٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣).

(٣) المراد بها الحياة البرزخية على ما تقدم بيانه (ص ٢٧٩) وما بعدها.

(٤) سير أعلام النبلاء ط الحديث: (٩/١٦٠).

الوجه الثاني: قد خالف البهي من هو أوثق منه في روايته عن عائشة رضي الله عنها، وهو عروة، وذلك أن عروة في روايته عن عائشة في صحيح البخاري ذكر أن أبا بكر ﷺ كشف عن وجه النبي ﷺ فقال قولته المشهورة: بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وميتاً...[1]. ولم يدرك البهي عائشة رضي الله عنها، وكذا خالف جميع الصحابة الذين قاموا على تجهيز رسول الله ﷺ فلم يذكروا هذه الحادثة وبهذا تكون الرواية مع نكارتها مخالفة لما هو أوثق.

الوجه الثالث: إن هذا الخبر لم يرو في كتب السنة المعتمدة منها لا في الصحيحين ولا في غيره من كتب السنن والمسانيد.

الوجه الرابع: تضافرت الروايات الدالة على أن جسده الشريف عليه الصلاة والسلام قد أحيط بالعناية الإلهية، ولم ير منه ما يزعم المفترين من تغير في جسده الشريف عليه الصلاة والسلام.

فعن عائشة قالت: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه.

فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم، وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسله إلا نساؤه[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ **(لو كنت متخذاً خليلاً)**: (١٣٤١/٣) برقم: (٣٤٦٧).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب في ستر الميت عند غسله: (١٩٦/٣) برقم: (٣١٤١)، وأحمد في المسند: (٢٦٧/٦) برقم: (٢٦٣٤٩)، والحاكم: (٣ /٥٩ و٦٠) وصححه على شرط مسلم، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: غَسَّلت رسولَ الله ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حيًّا وميتًا، ولي دفنه وإجنانه دون الناس أربعة: علي، والعباس، والفضل، وصالح مولى رسول الله ﷺ، وأُلحد رسولُ الله ﷺ لحدًا، ونصب عليه اللبِن نصبًا[1].

"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجا منه غير اللحد"[2].

وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جاء فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبله، وقال: بأبي وأنت وأمي طبت حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً[3].

الوجه الخامس والأخير: أن النبي ﷺ بشر وليس إلهًا، وإذا حدث نوع من الارتخاء لجسده الشريف بسبب شدة المرض عليه فلا ينقص هذا من قدره شيئاً، بل هو رفعةٌ له لعظيم منزلته عند ربه، ولهذا قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: "ولكن إذا تأملته فلا بأس إن شاء الله بذلك، فإن الحي قد يربو جوفه وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الأمراض، و(**أشد الناس بلاء الأنبياء**)، وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم"[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل النبي ﷺ: (٤٧١/١) برقم: (١٤٦٧)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٦١/٣) برقم: (١٣٣٩) وهذا لفظه، وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، وصححه الألباني في أحكام الجنائز: (ص ٥٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين: (٦١/٣).

(٣) سبق تخريجه في (ص ٢٩٤) من هذا البحث.

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٦٠/٩-١٦١).

المبحث الثالث

التحريم على الأرض أن تأكل جسده

فعن أوس بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة علي**). قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ أي: يقولون قد بليت. قال: (**إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام**)[1].

استدل بهذا الحديث كما تقدم الغلاة بأن حياته ﷺ حياة حقيقية؛ ليتوصلوا به إلى ترويج دعواهم من استحسان دعائه وطلبه الحوائج منه، ومن غيره من الأنبياء[2].

لأنهم إذا كانوا أحياء فلا مانع من ذلك. وقد تقدم بطلان هذا القول.

وذلك بأن "القول بحياتهم حق ثابت بالأحاديث الصحيحة فتعتقد حياتهم عليه الصلاة والسلام، حياة برزخية فوق حياة الشهداء، وأن نبينا ﷺ نال المقام الأكمل والمنزلة العلية من هذه الحياة البرزخية".

وعلى هذا يمنع أن يطلب منهم شيء، فلا يسألون شيئاً بعد وفاتهم كما تقدم، سواء كان لفظ استغاثة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك. فجميع ذلك من وظائف الألوهية، فاجعله لمن يتصف بالعبودية وقد تقدم بيانه[3].

(١) سبق تخريجه في (ص ٢٧٤) من هذا البحث.

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: (ص ٥٢٨).

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، بتصرف (ص ٥٢٩).

المبحث الرابع

رؤيته في المنام بذاته بعد موته عليه الصلاة والسلام

تقدمت معنا الأحاديث المتعلقة برؤيته عليه الصلاة والسلام بذاته في المنام وتبين أنها اشتملت على أمرين، وقد تقدم بيان أحدهما، وهو المتعلق بعجز الشيطان أن يتمثل بذات النبي ﷺ.

وأما الأمر الثاني المتعلق بهذا المبحث وهو رؤيته بذاته عليه الصلاة والسلام في المنام، ففيه مسائل:

المسألة الأولى: إمكان رؤيته عليه الصلاة والسلام مناماً.

وقد جاءت الروايات المتعلقة بهذا الأمر بألفاظ عدة دلت على أن رؤيا النبي ﷺ حق، ومن ذلك:

الأولى: (**من رآني فقد رآني**)(١).

الثانية: (**من رآني فقد رأى الحق**)(٢).

الثالثة: (**من رآني فإني أنا هو...**)(٣).

الربعة: (**فسيراني في اليقظة، أو كأنما رآني في اليقظة...**)(٤).

الخامسة: بدون الشك: (**فسيراني في اليقظة**)(٥)، وهي محمولة على رواية الشك كما

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٣٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٣٠).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٣٠).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٢٣٠).

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢٣٠).

سيأتي بيانه[1].

وللناس في مدلول هذه الألفاظ قولان:

القول الأول: إمكان رؤيته عليه الصلاة والسلام مناماً فقط لا يقظةً، ولا يصح رؤيته عليه الصلاة والسلام يقظة، بدليل الشرع والعقل والإجماع، وهو مذهب أهل السنة والجماعة[2].

والقول الثاني: جواز رؤيته ﷺ مناماً ويقظة، وهو قول جماهير الصوفية[3].

والصحيح هو القول الأول أي جواز رؤيته عليه الصلاة والسلام مناماً لا يقظة، وسوف يأتي لهذه المسألة مزيد بيان في المبحث القادم المتعلق ببطلان القول بخروجه ﷺ من قبره قبل بعثته.

المسألة الثانية:

أن المعتبر في رؤيته عليه الصلاة والسلام مناماً هو رؤيته في صورته الواردة في صفته الخِلقية التي كان عليها في الدنيا.

ويشهد لهذا ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب: حدثني أبي قال: قلت لابن عباس: رأيتُ النبي ﷺ في المنام. قال: صفه لي. قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به. قال: إنه كان يشبهه[4].

وعن أيوب قال: كان محمد يعني ابن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ، قال: صف لي الذي رأيته. فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره[5].

---

(١) انظر: فتح الباري: (١٢/٣٨٣)

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١/١٧٣)، ومراتب الإجماع: (ص١٧٦).

(٣) تقديس الأشخاص: (٢/١٥)

(٤) المستدرك على الصحيحين: (٤/٣٩٣) برقم: (٨١٨٦) بنحوه، وصححه الحاكم، وقال ابن حجر: "سنده جيد"، انظر: فتح الباري: (١٢/٣٨٤).

(٥) أخرجه ابن حجر في تعليق التعليق: (٥/٢٦٧)، انظر: فتح الباري: (١٢/٣٨٤)، وجمع الوسائل في شرح الشمائل: (٢/٢٣٤) وقال ابن حجر: "سنده صحيح ووجدت له ما يؤيده".

المسألة الثالثة: أنه لا يتعلق برؤية النبي ﷺ في المنام حكم شرعي.

قال النووي: "فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به، لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً، لا مغفّلاً ولا سيئ الحفظ، ولا كثير الخطأ، ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء، والله أعلم"[1].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١/١١٥).

المبحث الخامس

بطلان القول بخروجه ﷺ من قبره قبل البعث والرد على المخالفين في ذلك

يعتقد جماهير الصوفية كما تقدم: إمكان رؤية النبي ﷺ يقظة، وأنه يخرج من قبره ويقابل بعضهم يقظة لا مناماً، وقد يأخذون منه العلوم الشرعية وما يشكل عليهم منها، وفيما يلي نماذج من أقوالهم بهذا الشأن:

١- نقل الشعراني عن شيوخه أنه قال: "...طريقنا أن نكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ حتى يصير يجالسنا يقظة ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله عن أمور ديننا، وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا، ونعمل بقوله ﷺ"[(١)].

٢- وذكر النبهاني في ترجمة أحمد بن إدريس[(٢)] قوله: "أحدِ أفراد مشاهير الأولياء العارفين الذين ظهروا في القرن الثالث عشر، وهو صاحب الطريقة الإدريسية المشهورة، ومن أعظم كراماته التي لا يفوز بها إلا الأفراد: اجتماعه بالنبي ﷺ يقظة، وأخذه عنه مشافهة أوراده وأحزابه وصلواته المشهورة"[(٣)].

٣- دعوى الدباغ أن من آثار الكرامة مقابلة الرسول ﷺ يقظة وأخذ العلم عنه، فقد سُئل عن آية فقال: "لا أفسر لكم الآية إلا بما سمعت من النبي ﷺ يذكره لنا في

---

(١) كتاب لواقح الأنوار القدسية نقلاً عن كتاب تقديس الأشخاص: (٢/٢٠).

(٢) هو أحمد بن إدريس، الحسين، الفاسي، الشاذلي (أبو العباس) صوفي، صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة بالمغرب، مات سنة: ١٢٥٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي: (١/٦٥) ومعجم المؤلفين: (١/١٥٨).

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني: (١/٥٦٦).

تفسيرها بالأمس"[1].

٤- زعم ابن عربي أن كتابه فصوص الحكم قد أعطاه إياه النبي ﷺ يقظة، فقال: "أما بعد: فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتُها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده كتاب فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا"[2].

وقال شارح الفصوص مبيناً أن الرؤية يقظة مستدلاً على ذلك بكلام ابن عربي "قال ﷺ في الفصل التاسع والأربعين من الأسئلة " فليس الرجل من تحقق بربه وإنما الرجل من تحقق بعينه، فالرؤية بالعين، وذلك عند اتحاد البصيرة بالبصر، فيدرك في اليقظة ما يدرك في النوم، وذلك نادر، وهو لأهل الطريق من نبي وولّي والشيخ، ومن ذلك النوادر بل هو نادر النادر من هذا المقام: رأى جبريل عليه السلام بشراً سويًّا بحسّ البصر"[3].

٥- وعن الورد المسمى: جوهر الكمال، عند الفرقة التجّانية، فيقول عنه الرباطي: "وأما جوهر الكمال فهي من إملاء رسول الله ﷺ لسيدنا الشيخ، يقظة لا مناماً"[4].

وقد استدلوا على مزاعمهم السابقة بما يلي:

١- ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي)**[5].

٢- استدلوا بحكايات وقصص تدل على رؤيته ﷺ يقظة والأخذ عنه مباشرة ببعض الأحكام والمسائل، وتقدم بعضاً منها.

٣- استدلوا على رؤية ذات النبي ﷺ يقظة بدليل عقلي، وهو عموم قدرة الله تعالى،

---

(١) الإبريز (ص ٢٣٨).

(٢) فصوص الحكم: (٤٧/١).

(٣) مجمع البحرين في شرح الفصين (ص١٤٥) للشريف ناصر الكيلاني.

(٤) الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية لمحمد سعد الرباطي (ص ٢٥).

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢٢٩).

وأن الله تعالى قادر على إعادة ذاته ﷺ إلى الدنيا، وفي هذا الشبهة يقول أبو محمد بن أبي جمرة[1]: "...الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة، قصة البقرة وكيف قال الله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

٤- وقصة إبراهيم في الأربعة من الطير، وقصة عزير"[3].

هذه مجمل أدلتهم في مزاعمهم في القول بخروج النبي ﷺ من قبره، وفيما يلي أدلة بطلان تلك المزاعم من الكتاب والسنة والإجماع.

١- إن الأصل الذي دلت عليه النصوص الشرعية: أن الإنسان إذا مات وجاءه الأجل وخرج من هذه الدنيا فإنه لا يعود إليها، وهذا أصل عام قد دلت عليه النصوص الشرعية، ولا يستثنى منه أحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[4].

٢- استدلالهم بما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **(من رآني في المنام فسيرآني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي)**[5].

فأقول: هذا الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ مرة واحدة فقط، مع أنه ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه من خمسة طرق، أربع منها مخالفة لهذه الرواية[6].

كما أن هذه الرواية التي احتج بها المخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة تخالف جميع الروايات المتعلقة بهذا الباب، والتي أوصلها صاحب كتاب تقديس الأشخاص إلى أربعة

---

(١) هو عبد الله بن سعد بن سعيد أبو محمد بن أبي جمرة الأندلسي المحدث من فضلاء أهل العلم، وله ميل إلى التصوف من مؤلفاته: "بهجة النفوس". مات سنة (٦٩٩هـ).
انظر: البداية والنهاية: (١٣/٣٦٦هـ)، والأعلام للزركلي: (٤/٨٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(٣) نقله السيوطي في الحاوي للفتاوي: (٢/٣٠٨).

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٥) تقدم تخريجه (ص ٢٢٩).

(٦) انظر: تقديس الأشخاص: (٢/٤٠) وما بعدها.

وأربعين رواية، حيث أنها لم ترد بالجزم. أي قوله: (**فسيراني في اليقظة**) إلاّ في موضع واحد عند البخاري كما تقدم وعلى هذا يحمل رواية الجزم على رواية الشك التي تدل على التشبيه، وذلك بقوله ﷺ: (**فسيراني في اليقظة أو كأنما رآني في اليقظة**)[1].

وحول هذا الحديث يظهر ما يلي:

١- ظهر تدليس السيوطي[2] حيث قال: "وتمسكت بالحديث الصحيح الوارد في ذلك: أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي**)[3]"[4].

فنسب الحديث إلى مسلم وأبي داود بإخراجه بهذا اللفظ، والصحيح أنهما لم يخرجاه بهذا اللفظ.

٢- أما عن حكايات الصوفية وغيرهم، وقصصهم في رؤيتهم للنبي ﷺ يقظة فيعكر عليه أن جمعاً رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف[5].

لوكانت هذه القصص صحيحة لكان أولى الناس بها أصحاب النبي ﷺ، ولكنها من تخبطات الشياطين.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا وسمعوا أموراً من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين. كما أضل النصارى وأهلَ البدع بمثل ذلك.

---

(١) انظر: فتح الباري: (١٢/٣٨٥).

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: (٢/٢٤).

(٣) سبق تخريجه (ص ٢٢٩).

(٤) الحاوي للفتاوى: (٢/٢٤٢).

(٥) الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية (ص ١٠٠)، وكشف شبهات الصوفية (ص٥٠).

فهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم.

وكذلك يتمسكون بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية، فيسمع ويرى أموراً فيظن أنه رحماني وإنما هو شيطاني، ويدعون البين الحق الذي لا إجمال فيه. ... ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم فيقول: أنا رسول الله، أو يخاطبه عند القبر كما وقع لكثير ممن بعدهم عند قبره ﷺ، وعند قبر غيره، وعند غير القبور. كما يقع كثير من ذلك للمشركين وأهل الكتاب، يرون بعد الموت من يعظمونه من شيوخهم.

فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم. والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء والحواريين وغيرهم. والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه: إما النبي ﷺ وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم.

ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحباه. ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد. وهذا وأمثاله أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عدداً كثيراً.

وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم. وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين، لكن كثير من الناس يكذب بهذا، وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه. ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان. ومن كان أقل علماً قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافاً ظاهراً.

ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة، ولا مفيداً فائدة في دينه؛ بل يضله عن بعض ما كان يعرفه، فإن هذا فعل الشياطين وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئاً فالذي خسره من دينه أكثر. ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة: إن الخضر أتاه ولا موسى ولا عيسى، ولا أنه سمع رد النبي ﷺ عليه.

وابن عمر كان يسلم إذا قدم من سفر، ولم يقل قط: إنه يسمع الرد. وكذلك

التابعون وتابعوهم، وإنما حدث هذا من بعض المتأخرين"[1].

٣- قولهم: إن خروج النبي ﷺ من قبره ورؤيته يقظة أمر متعلق بقدرة الله تعالى، ومنكر ذلك منكر لقدرة الله تعالى.

قلت: هذه سفسطة لها لوازم تدل على عدم فهمهم لدين الله الذي أنزله الله على نبي الهدى ﷺ وذلك من أمور:

- هل يوجد مسلم ينكر عموم قدرة الله تعالى، وما استدلوا به من أمثلة تدل على قدرته سبحانه وتعالى لم تكن بمجرد عموم قدرته، بل كانت متعلقة بمشيئته، فأين الدليل على وجود مشيئة الله تعالى بخروج النبي ﷺ من قبره ورؤيته يقظة، فالله قادر على كل شيء، ولكن ليس كل شيء يقدر عليه يكون موجوداً في الخارج، لأن ذلك متعلق بأمور أخرى من حكمته، ومما سبق في علمه، ومما أوجبه هو على نفسه.

- لم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على وجود هذه القدرة في الخارج، ولم يقل به أحد من الصحابة ولا من التابعين من أهل القرون المفضلة.

ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "أما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا، فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أُتي من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان. وبعض من رأى هذا -أو صدَّق من قال: إنه رآه- اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول.

ومنهم من يقول: هذه رقيقة ذلك المرئي، أو: هذه روحانيته، أو: هذا معناه تشكل، ولا يعرفون أنه جني تصور بصورته. ومنهم من يظن أنه ملك، والملك يتميز عن الجني بأمور كثيرة، والجن فيهم الكفار والفساق والجهال وفيهم المؤمنون المتبعون لمحمد صلى الله عليه وسلم تسليماً، فكثير ممن لم يعرف أن هؤلاء جن وشياطين يعتقدهم ملائكة. وكذلك الذين يدعون الكواكب وغيرها من الأوثان تتنزل على أحدهم روح يقول:

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٧/٣٩٠) وما بعدها.

هي روحانية الكواكب، ويظن بعضهم أنه من الملائكة وإنما هو من الجن والشياطين يغوون المشركين.

والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل وتمريض ونحو ذلك"[1].

وأما الإجماع على عدم خروجه من قبره وعدم جواز رؤيته يقظة فقد حكاه ابن حزم في قوله: "واتفقوا أن محمداً عليه الصلاة والسلام وجميعَ أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس"[2].

(١) مجموع الفتاوى: (١/١٧٣).

(٢) مراتب الإجماع: (ص١٧٦).

المبحث السادس

الكلام في تفضيل المكان الذي ضم أعضاءه ﷺ على غيره

للناس في هذه المسالة قولان:

القول الأول: إن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض، وحُكي الإجماع على هذا القول.

القول الثاني: هذا التفضيل قول محدث في الإسلام لم يعرف عن أحد من السلف.

استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته)**[1].

قال القاضي عياض اليحصبي في كتابه الشفا: "ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض"[2].

وذُكر أن أصل القضية حديث ورد في ذلك، فقد روى الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق[3] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن حبشيّاً دُفن بالمدينة

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/٢٨٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (٤٤/١٢٢)، وقال أبو نعيم: "هذا حديث غريب من حديث ابن عون عن محمّد، لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم النبيل عنه، وهو أحد الثقات الأعلام، من أهل البصرة". ولم يثبته ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى: (٢٧/٢٦١).

(٢) الشفا: (٢/٩١)

(٣) (٢/٢١٧). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣/٤٢) وقال: "رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن عيسى الخزاز وهو ضعيف".

وفي مصنف عبد الرزاق: (٣/٥١٥) برقم: (٦٥٣١) من كلام ابن عباس رضي الله عنهما أنه =

فقال رسول الله ﷺ: **(دُفن في الطينة التي خلق منها)**[1].

وحيث كان النبي ﷺ خير خلق الله، حسًّا ومعنى، فالبقعة التي خلق منها هي خير البقاع التي خلقها الله تعالى، لضرورة أنه جزء منها، وهي جزء منه ﷺ، وحيث أن العرش من خلق الله، فموضع تربته ﷺ خير منه.

وقد أجاب ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذا التفضيل الذي ذهب إليه أصحاب القول الأول فقال رحمه الله تعالى: "... وأما التربة التي دفن فيها النبي ﷺ فلا أعلم أحداً من الناس قال: إنها أفضل من المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو المسجد الأقصى، إلا القاضي عياض. فذكر ذلك إجماعاً. وهو قول لم يسبقه إليه أحد فيما علمناه، ولا حجة عليه، بل بدن النبي ﷺ أفضل من المساجد، وأما ما منه خلق أو ما فيه دفن فلا يلزم إذا كان هو أفضل أن يكون ما منه خلق أفضل. فإن أحداً لا يقول: إن بدن عبد الله أبيه أفضل من أبدان الأنبياء؛ فإن الله يخرج الحي من الميت والميت من الحي.

ونوح نبي كريم، وابنه المغرق كافر، وإبراهيم خليل الرحمن وأبوه آزر كافر، والنصوص الدالة على تفضيل المساجد مطلقة لم يستثن منها قبور الأنبياء ولا قبور الصالحين، ولو كان ما ذكره حقًّا لكان مدفن كل نبي بل وكل صالح أفضل من المساجد التي هي بيوت الله، فيكون بيوت المخلوقين أفضل من بيوت الخالق التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وهذا قول مبتدع في الدين مخالف لأصول الإسلام"[2].

"وسئل أيضاً: عن رجلين تجادلا، فقال أحدهما: إن تربة محمد النبي ﷺ أفضل من السموات والأرض، وقال الآخر: الكعبة أفضل، فمع من الصواب؟

فأجاب:

الحمد لله، أما نفس محمد ﷺ فما خلق الله خلقاً أكرم عليه منه، وأما نفس التراب

=

قال: يدفن كل إنسان في التربة التي خلق منها.

(١) رواه أبو نعيم في "أخبار أصبهان": (٣٠٤/٢)، حسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر: السلسلة الصحيحة: (٣٥٧/٤) برقم: (١٨٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣٧/٢٧).

فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام، بل الكعبة أفضل منه، ولا يعرف أحد من العلماء فضَّل تراب القبر على الكعبة إلا القاضي عياض، ولم يسبقه أحد إليه ولا وافقه أحد عليه، والله أعلم"[1].

وقال أيضاً: "وما ذكره بعضهم من الإجماع على تفضيل قبر من القبور على المساجد كلها. فقول محدث في الإسلام، لم يعرف عن أحد من السلف ولكن ذكره بعض المتأخرين فأخذه عنه آخر وظنه إجماعاً، لكون أجساد الأنبياء أنفسها أفضل من المساجد، فقولهم يعم المؤمنين كلهم، فأبدانهم أفضل من كل تراب في الأرض، ولا يلزم من كون أبدانهم أفضل أن تكون مساكنهم أحياءً وأمواتاً أفضل، بل قد علم بالاضطرار من دينهم أن مساجدهم أفضل من مساكنهم، وقد يحتج بعضهم بما روي من أن: **(كل مولود يذر عليه من تراب حفرته)**[2]. فيكون قد خُلق من تراب قبره، وهذا الاحتجاج باطل لوجهين:

أحدهما: أن هذا لا يثبت، وما روي فيه كله ضعيف، والجنين في بطن أمه يعلم قطعاً أنه لم يذر عليه تراب، ولكن آدم نفسه هو الذي خلق من تراب، ثم خلقت ذريته من سلالة من ماء مهين.

ومعلوم أن ذلك التراب لا يتميز بعضه لشخص وبعضه لشخص آخر، فإنه إذاً استحال وصار بدناً حيّاً لما نفخ في آدم الروح فلم يبق تراباً"[3].

(١) انظر: الفتاوى: (٢٧/٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٧/٢٦١).

الباب الثاني
المسائل العقدية المتعلقة بأعضاء جسده الشريف ﷺ

وفيه تسعة فصول:

الفصل الأول: المسائل العقدية المتعلقة بقلبه وصدره ﷺ.

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بعينه وبصره ﷺ.

الفصل الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بلسانه وفمه ﷺ.

الفصل الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بأذنه وسمعه ﷺ.

الفصل الخامس: المسائل العقدية المتعلقة بوجهه الكريم ﷺ.

الفصل السادس: المسائل العقدية المتعلقة بيده ﷺ.

الفصل السابع: المسائل العقدية المتعلقة بظهره ﷺ.

الفصل الثامن: المسائل العقدية المتعلقة بقدميه ﷺ.

الفصل التاسع: المسائل العقدية المتعلقة فيما انفصل من جسده الشريف ﷺ.

الفصل الأول

المسائل العقدية المتعلقة بقلبه وصدره ﷺ

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: شق صدره وإخراج حظ الشيطان منه وغسل قلبه بماء زمزم عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: تثبيت الله لقلبه ﷺ ودلالته العقدية.

المبحث الثالث: سؤاله الله تثبيت قلبه ﷺ ودلالة ذلك.

المبحث الرابع: عبودية قلبه ﷺ ودلالته العقدية.

المبحث الخامس: سلامة قلبه ﷺ من الوساوس والأمراض.

المبحث السادس: حزنه وهم قلبه.

المبحث السابع: لا ينام قلبه.

المبحث الثامن: ما ورد في إسلام قرينه.

المبحث التاسع: انشراح صدره ﷺ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، ودلالته العقدية.

المبحث العاشر: رؤيته عليه الصلاة والسلام لربه الرؤية القلبية والمنامية.

المبحث الأول

شق صدره ﷺ وإخراج حظ الشيطان منه، وغسل قلبه بماء زمزم

لقد جاءت حادثة شق صدره وغسله بماء زمزم في مرات عدة:

المرة الأولى:

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه، يعني ظئره، فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[1].

المرة الثانية:

وهو ابن عشر سنين.

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه: أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال: يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمر النبوة؟

فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال: إني لفي صحراء، ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم، فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسًّا، فقال أحدهما لصاحبه:

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان: باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (١٤٧/١) برقم (١٦٢).

أضجعه، فأضجعاني بلا قصر ولا هصر، وقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له: أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئًا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها، فقال له: أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذي أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى، فقال: اغد واسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير[1].

المرة الثالثة:

عند المبعث.

فعن يزيد بن بابنوس، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهرًا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول الله ﷺ، وسمع: السلام عليكم، قالت: فظننت أنه فجأه الجن، فقال: أبشر، فإن السلام خير، ثم رأى يومًا آخر جبريل عليه السلام على الشمس، جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، فهبت منه، قالت: فانطلق يريد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال: (**فكلمني حتى أنست به، ثم وعدني موعدًا**)، قال: (**فجئت لموعده، واحتبس علي جبريل**)، فلما أراد أن يرجع إذا هو به وبميكائيل عليه السلام، فهبط جبريل إلى الأرض وبقي ميكائيل بين السماء والأرض، قال: (**فأخذني جبريل فصلقني لحُلاوة القفا**[2]، **وشق عن بطني، فأخرج منه ما شاء الله، ثم غسله في طست من ذهب، ثم أعاده فيه، ثم كفأني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم، ثم قال لي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾**[3] ولم أقرأ كتاباً

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند: (٥/١٣٩) برقم: (٢١٢٩٦)، وابن عساكر في السيرة النبوية من تاريخه: (٣/٤٦٣)، والضياء المقدسي في "المختارة": (٤/٣٩) برقم (١٢٦٤)، وقال الهيثمي: في المجمع: (٨/٢٢٢): "رجاله ثقات وثقهم ابن حبان".

(٢) أي: أضْجَعَني على وسط القفا لم تَمِلْ بي إلى أحد الجانبيْن، وتُضمُّ حاؤه وتفتح وتكْسَر، انظر: النهاية في غريب الحديث (١/٤٣٦).

(٣) سورة العلق، الآية: ١.

قط، فأخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال لي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]).

قال: (فما نسيت شيئًا بعد)، قال: (ثم وزنني برجل فوزنته، ثم وزنني بآخر فوزنته، ثم وزنني بمائة)، فقال ميكائيل: تبعته أمته ورب الكعبة، قال: (ثم جئت إلى منزلي، فما يلقاني حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله)[2].

المرة الرابعة:

ليلة الإسراء.

وذلك ما جاء عن شَريك بن عبد الله أنَّه قال: سمعت أنسَ بن مالك يقول لَيلَة أُسري بِرَسُولِ الله ﷺ من مسجد الكَعْبَة إنه جاءَهُ ثلاثَةُ نفَرٍ قبل أنْ يُوحى إليه وهو نائمٌ في المسجدِ الحَرَامِ، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته[3] حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم، بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تور[4] من ذهب محشوًّا إيمانًا وحكمةً، فحشا به صدره ولغاديده -يعني

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة: (١/٢١٥، ٢١٦) برقم: (١٦٣)، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (ص٢١٥، ٢١٦) برقم: (١٥٣٩)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده: (٢/٨٦٧) برقم: (٩٢٨) زوائد، وإسناده حسن كما قال الحافظ فى فتح البارى: (١/٣٣) برقم (٣).

(٣) موضع النحر من كل شيء، ... قيل: لَبَّبْتُ فلاناً إذا جَمَعْتَ ثيابه عند صَدْره، ونحره ثم جَرَرْتَه، واللَّبَّة هي اللِّهْزِمةُ التي فوق الصدر. انظر اللسان: (١/٧٢٩).

(٤) إناء من صُفْر أو حجارة كالإجَّانة وقد يتوضأ منه. انظر: النهاية في غريب الحديث: (١/١٩٩).

عروق حلقه-ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا[(١)].

وهذه الحوادث في شق صدره ﷺ هي معجزة إلهية يؤمن المسلم بها، وذلك لثبوتها عن الذي لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحى، فمن الله الأمر، وعلى رسوله ﷺ البلاغ، وعلينا الرضى والتسليم.

وقد ذكر بعض العلماء الحكمة منها وإن كان إدراك ذلك على وجه اليقين متعذّر، وعدم العلم بحكمة الشيء لا يوجب إنكار وجوده.

وعن تكرار هذه الحادثة يقول ابن حجر رحمه الله: " ولكل منهما حكمة، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، وكان هذا في زمن الطفولية، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ، ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره، وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها، وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك"[(٢)].

"ومحصّله أن الشق الأول: كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها: هذا حظ الشيطان منك.

والشق الثاني: كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾: (٦/٢٧٣٠) برقم: (٧٠٧٩)، ومسلم: كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات: (١/١٤٨) برقم: (٢٦٢/١٦٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٧/٢٠٥).

(٣) هدي الساري: (١/٤٦٠).

شبهات حول هذه المعجزة:

أنكر بعض المستشرقين هذه القصة كأمثال "وليم موير"[1]، و"درمنغم"[2]، وتبعهم على هذا بعض كتاب المسلمين كالدكتور محمد حسين هيكل[3]، ومحمد الغزالي[4] وغيرهم، وأتوا بعدة شبهات، منها:

١- أن أسانيد هذه الرواية ضعيفة لا يمكن الجزم بوقوعها[5].

٢- أن هذه القصة ما هي إلا مجرد نوبة عصبية[6].

وهذه دعوى مرفوضة لأن المعروف علميًّا أن النوبة العصبية لا يكون معها إدراك، وواقع هذه القصة يكذّب هذا الافتراء المزعوم، حيث ذكرها النبي ﷺ بجميع تفاصيلها، كما أن هذه الحادثة شاهدها الصبيان الذين كانوا معه وقد تكررت مراراً، فأين دليلهم على هذا الافتراء ولكن ما هو إلا التوهم والظن الذي لا يغني عن الحق شيئًا[7].

٣- زعموا أن المراد بهذه الحادثة أمر معنوي لا حسِّي، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[8].

٤- يقول كزيميرسكي -عن هذه الآية-: هو مجاز حملته السنة على الحقيقة، فجعلت النص في شق صدر النبي ﷺ[9].

---

(١) حياة محمد، لدرمنغم: (ص ١١).

(٢) المصدر نفسه (ص ١١).

(٣) حياة محمد، لمحمد حسين هيكل: (ص ١١١).

(٤) فقه السيرة، لمحمد الغزالي: (ص ٦٤-٦٦).

(٥) سبق تخريج الأحاديث الواردة في هذه القصة، وتصحيحها بما يغني عن الرد عليه. انظر: حياة محمد، لمحمد حسين هيكل: (ص ١١١).

(٦) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون: (ص ٢٨).

(٧) انظر: المصدر نفسه: (ص ٢٩-٣٠).

(٨) سورة الشرح، الآية: ١.

(٩) خاتم النبيين في نظر المستشرقين: (ص ١١).

وهذا الزعم مخالف لهذه الحادثة، حيث أن هناك فرق بين انشراح الصدر وبين شقه، فرق بين الحسي والمعنوي، وهو مخالف لما جاء من آثار دالة على وجود أثر هذا الشق على صدره الطاهر ﷺ، كما في حديث أنس بن مالك: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ[1].

(١) سبق تخريجه (ص ٣١٢).

المبحث الثاني

تثبيت الله تعالى لقلبه ﷺ ودلالته العقدية

لقد جاءت النصوص القرآنية دالة على تثبيت الله لقلب نبيه ﷺ في موضعين:

الموضع الأول: تصريح الله عز وجل بتثبيت قلبه ﷺ بذكر أخبار من كان قبله من الأنبياء مع أممهم أثناء دعوتهم لتوحيد الله تعالى، وما حصل للأنبياء من أذى وتكذيب، وما آلت إليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من النصر والتمكين، وما كان عاقبة الأمم المكذبة من النكال والخسران المبين.

الموضع الأول ودلالته:

قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

قال ابن عباس: ما نسدد به قلبك[2]، وفي لفظ: ما نشد به قلبك[3].

وقال ابن جريج: نصبر به قلبك حتى لا تجزع[4].

﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: على أداء الرسالة، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى.

وقيل: نزيدك به تثبيتًا ويقينًا[5].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠

(٢) تفسير الثعلبي: (١٩٥/٥)

(٣) تفسير القرطبي (١١٦/٩)

(٤) تفسير القرطبي: (١١٦/٩) وانظر: تفسير الطبري جامع البيان. ط هجر: (٦٤٣/١٢).

(٥) تفسير القرطبي : (١١٦/٩) وانظر: تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (١٩٥/٥).

هذا التثبيت من الله عز وجل لقلب نبيه ﷺ متمثل بذكر أخبار من سبقه بالرسالة مع أقوامهم من خلال دعوتهم لتوحيد الله عز وجل، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك -يا محمد- أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة[1].

قال السعدي رحمه الله: " لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[2].

أي: قلبك، ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به. ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ٱلْحَقُّ ﴾: اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس"[3].

وفي الآية دلالة على أن الإخبار عن أنباء الرسل مع أممهم تثبت القلب وتزيده يقينًا، وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه.

الموضع الثاني: تثبيت الله تعالى لقلب نبيه عليه الصلاة والسلام بإنزال القرآن الكريم مفرقًا حسب الوقائع والأحداث.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[4].

عن ابن عباس في هذه الآية قال: كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبيّ الله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ت سلامة: (٤/٣٦٣).

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٣) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٣٩٢)

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

نزلت آية أخرى، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب، ويثبت به فؤاده[1].

وقال ابن جُرَيج: يعني بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به[2].

قال الطبري -رحمه الله-: "قول الله تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ يقول: هلاَّ نزل على محمد ﷺ القرآن ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لنثبت به فؤادك..[3].

قال البغوي -رحمه الله-: "﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: أنزلناه متفرقًا ليقوى به قلبك، فتعيه وتحفظه، فإن الكتب أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرءون، وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به"[4].

قال السعدي -رحمه الله-: "﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلناه متفرقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ﴾ لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتًا وخصوصًا عند ورود أسباب القلق، فإن نزول القرآن عند حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتثبيت كثير أبلغ مما لو كان نازلاً قبل ذلك، ثم تذكره عند حلول سببه"[5].

والمتأمل لسيرة النبي ﷺ يجد الكثير من الدلائل على تثبيت الله عز وجل لقلبه ﷺ، ويظهر هذا جليًّا من مواقفه ﷺ في الشدائد والنوازل، فكان أكمل الخلق يقينًا وأكملهم

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان ت شاكر: (١٩/٢٦٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان ت شاكر: (١٩/٢٦٦).

(٣) تفسير الطبري جامع البيان ط هجر: (١٩/٢٦٦).

(٤) تفسير البغوي طيبة: (٦/٨٣).

(٥) تفسير السعدي: (ص ٥٨٢).

صبرًا وطمأنينة، فقد جاءه عمه أبو طالب يذكر له تضجر قريش من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، وظن رسول الله ﷺ أن عمه قد ضعف عن نصرته، فقال ﷺ بقلب موقن وعزيمة صادقة: (**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**)[1].

وفيما يلي نماذج من تلك المواقف الدالة على تثبيت الله عز وجل لقلبه ﷺ.

- مقابلته الإساءة بالصبر والإحسان، كما أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: (**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئًا**)[2].

وصبر على أذى المنافقين، فقال عليه الصلاة والسلام: (**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**)[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، بيروت، دار الفكر: (١/١٧٦- ١٧٧). وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٩١٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٠٣).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٧٨).

ويقف المشركون على الغار الذي اختبأ به هو وصاحبه أبو بكر ﷺ، قال أنس: قال أبو بكر الصديق ﷺ: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال: (**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**)[1].

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم: (١٣٣٧/٣) برقم: (٣٤٥٣)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ: (١٨٥٤/٤) برقم: (٢٣٨١).

المبحث الثالث

سؤاله الله تثبيت قلبه ﷺ ودلالة ذلك

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: (**لا ومقلب القلوب**)[1].

وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**). فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: (**نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء**)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء إلا قال: (**يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك**)[3].

وعن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**) قالت: قلت: يا رسول الله ما أكثر دعاءك: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب: (٦/٢٦٩١) برقم: (٦٩٥٦).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: الإمام أحمد في المسند: (٣ /١١٢) برقم: (١٢١٢٨)، وأخرجه الترمذي بزيادة (**كيف شاء**)، كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن: (٤/٤٤٨) برقم: (٢١٤٠)، وأخرجه مسلم من رواية عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنحوه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء: (٤/٢٠٤٥) برقم: (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: (ص ٢٧١) برقم: (٣٠٤)، وأحمد في المسند: (٢/٤١٨) برقم: (٩١٣٩).

وهو ضعيف: في إسناده صالح بن محمد بن زائدة وهو ضعيف. قال الحافظ الذهبي في العلو: (١/٢٦): "صالح ضعيف"، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (٤٤١٣).

دينك؟ قال: (**يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**) فتلا معاذ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[1][2].

وهذا الفعل من النبي ﷺ له دلائل عقدية، من أبرزها ما يلي:

أولاً: كمال قدرة الله تعالى.

فإن الله قادر على كل شيء، ولا يخرج عن قدرته شيء، لا من الأفعال ولا من الذوات، فيقدر على أن يجعل المؤمن كافراً والكافر مؤمناً، يقلّب القلوب، ويحول بين المرء وقلبه. كما قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[3] فهذه صفة من صفات الكمال، وهي إثبات كمال القدرة، والحيلولة بين الإنسان وبين قلبه.

ثانياً: في سؤاله ﷺ بقوله: (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**) فيه إثبات صفة من صفات الله سبحانه وتعالى بأنه مقلب القلوب، وتقليب القلوب فعل من أفعاله، ووصف له سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[5] وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[6] وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[7].

وهذا التقليب المراد به عند أهل السنة والجماعة:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، بابٌ: (٥/٥٣٨) برقم: (٣٥٢٢)، وقال: "هذا حديث حسن"، وأحمد في المسند: (٦/٢٩٤) برقم: (٢٦٥٦٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم: (١/١٠٠) برقم: (٢٢٣)، وله شاهد من حديث النواس بن سمعان ﷺ عند ابن ماجه (١٩٩).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٦) سورة الصف، الآية: ٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨.

أن الله سبحانه وتعالى يقلّب قلوب العباد بين أصبعيه كما في الحديث، فقد يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، والله تعالى كل يوم هو في شأن، فالنبي ﷺ كان يدعو الله تعالى أن يثبِّت قلبه على الإسلام، وأن يعافيه من الزيغ والضلال، وألا يضله بعد إذ هداه، وذلك لأن مقلب القلوب ومصرفها هو الله تعالى وحده.

فالمراد: هو تغييرها من حال إلى حال، فهو سبحانه يغيرها من حال إلى حال، ويصرفها من رأي إلى رأي.

وخالف في هذا المعنى المعتزلة حيث زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم إنما هم المحدثون لها[1].

وهذا مخالف للنصوص الشرعية الدالة على أن للعبد مشيئة وقدرة ولكنها لا تخالف مشيئة الله وقدرته، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المبحث المتعلق بمبايعة النبي ﷺ عن الله تعالى.

ثالثاً: جواز التوسل بصفة من صفاته سبحانه وتعالى، وقد تقدم معنا. وفيه أيضاً: جواز الحلف بصفة من صفاته سبحانه وتعالى: (**لا ومقلب القلوب**).

رابعاً: أنَّ أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، فالقلب أشد ما يكون في التغير، وأشد ما يكون في التقلُّب، فالقلب يَتَقَلَّبُ سريعاً، وأكثر شيء يتقَلَّبُ فيه القلب: قول القلب وعمل القلب واعتقاد القلب؛ لأنَّ هذه مبناها على العلم، والعلم ينفع ويذهب، فكلما ترك شيئاً من العلم كلما أثَّرَ ذلك على القلب، فإذا ترك مسائل العقيدة أثَّرَ ذلك على

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: (ص ٣٢٣).

(٢) سورة الحجرات، الآيات: ٧-٨.

عقيدة القلب إما أَثَّرَ بنقص العلم وهذا له أثر في اليقين والاعتقاد الحق، أو أَثَّرَ بوجود الشبهة مع عدم العلم أو ضعف العلم.

والشيطان أفرح ما يكون من الإنسان أن يتغيَّر قلبه، لأنه إذا تغير قلبه فإنَّ الجوارح تتغير، كما قال رسول الله ﷺ: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)[1].

ففساد القلب يكون بالشبهات، وبالشهوات، فإذا عَرَضَت الشُبهات وتمكنت، وسبب تمكنها: نقص العلم، فإنَّ القلب يفسد، وأعظم ما تعرض الشبهات في مسائل العقيدة.

لهذا كان لزامًا على الأئمة وأهل العلم والنَّصَحَة للأمة حق النصيحة لأئمة المسلمين ولعامّتِهِم، ومازالوا يوصون بالاهتمام بالتوحيد والعقيدة؛ لأَنَّهُ أقرب ما يكون تغَيُّر القلب في العقيدة لأنها تُنْسَى، وقد تبقى المُجْمَلات، لكن التفصيلات تُنْسَى، ثُمَّ تأتي ذنوب القلب شيئاً فشيئاً، وتقع الشُّبْهَة، وتقع المِريَة، ويقع الرَّيْبْ في القلب، ثمّ يُضِرُّ الإنسان بنفسه شيئاً فشيئًا[2].

وفي سؤاله ﷺ تثبيت قلبه دليل على أهمية عمل القلب حيث يعتبر موضع الإيمان الأصلي، وملك الأعضاء كما قال ﷺ: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**)[3].

فهو أعظم جزء في بدن العبد، وهو محل نظر الرحمن، وهو منبع عمل الأعضاء وأساس خيرها وشرها، وقد جاءت النصوص الشرعية دالة على أن صلاح وفساد

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه: (١/٢٨) برقم: (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات: (٣/١٢١٩) برقم: (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ: (٢/٤٩٤-٤٩٥).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

الأعمال متعلق بهذا العضو العظيم.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾[4]. وغير ذلك من الآيات.

وكذا قوله ﷺ: (**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**)، وأشار إلى صدره ثلاث مرات قائلاً: (**التقوى هاهنا، التقوى هاهنا**)[5].

خامسًا: دل الحديث على التلازم بين الإيمان والعمل، وعلى هذا إجماع السلف أنه لا إيمان إلا بعمل، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان: قول، وعمل، ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر"[6].

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: "أجمع أهل الفقه والحديث على أنّ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٥) أخرجه أحمد في المسند: (١٣٤/٣) برقم: (١٢٤٠٤)، وأبو يعلى: (٣٠١/٥) برقم: (٢٩٢٣) من حديث أنس ﷺ، قال الهيثمي في المجمع: (٥٢/١): "رجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين، وضعفه آخرون"، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (٢٢٨٠).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٧٣/١-١٧٤).

الإيمان قولٌ وعملٌ؛ ولا عمل إلا بنيَة، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، ويَنْقُصُ بالمعصية، والطاعات كلُّها عندهم إيمان"(١).

وقال الإمام ابن رجب الحنبليّ رحمه الله في شرحه لقول البخارِيِّ: الإيمان قولٌ وفعل(٢): "وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل. وهذا كله إجماعٌ من السَّلف وعلماء أهل الحديث.

وقد حكى الشَّافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه، وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضًا"(٣).

والحقيقة أن أعمال الإنسان الظاهرة على اللسان أو الجوارح، لابد أن تكون تعبيراً عمَّا في القلب وتحقيقاً له، ومظهراً لإرادته، وإلا كان صاحبه منافقاً النفاق الشرعي أو العرفي... ولذلك يتفاوت قائلو هذه الكلمة تفاوتاً عظيماً بحسب تفاوت ما في قلوبهم من التوحيد(٤).

سادسًا: قوله ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)(٥).

فيه دليل على رد شبهة المرجئة من المتكلمين وغيرهم -الذين جعلوا الإيمان هو مجرد التصديق القلبي، وأن أعمال الجوارح- بقية أعمال القلب -ليست من الإيمان-.

وذلك أن النبي ﷺ سأل الله تعالى تثبيت قلبه على شيء معروف شرعًا وهو الدين، وهو الذي جاء به جبريل ليعلمه أصحاب رسول الله ﷺ كما في الصحيحين من حديث

---

(١) التمهيد لابن عبد البر: (٩/٢٣٨)، وانظر: في دخول العمل في الإيمان وأدلته مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى: (ص ١٢٥)، وشرح الطحاوية: (ص ٣٧٢)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: (٣/٧٣٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان: (١/١١).

(٣) فتح الباري لابن رجب: (١/٥).

(٤) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٨/٤٤٩).

(٥) سبق تخريجه (ص ٤).

أبي هريرة ﷺ قال: كان النبيّ ﷺ بارزًا يومًا للناس. فأتاه جبريل فقال:

ما الإيمان؟

قال: (**أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث**).

قال: ما الإسلام؟

قال: (**أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**).

قال: ما الإحسان؟.

قال: (**أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك**).

قال: متى الساعة؟

قال: (**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها. وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان. في خمس لا يعلمهنّ إلا الله**).

ثم تلا النبيّ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾[1] الآية.

ثم أدبر. فقال: (**ردوه**). فلم يروا شيئًا. فقال: (**هذا جبريل جاء يعلّم الناس دينهم**)[2].

قال أبو عبد الله[3]: "جعل ذلك كله من الإيمان".

وعلى رواية: (... **ثبت قلبي على طاعتك**)[4]. فإنها تدل على دخول الأعمال في الإيمان، فسؤاله ﷺ لأمر زائد على مجرد تثبيت القلب مستقلاً بالدين أو بالطاعات لهو أكبر دليل على دخول الأعمال في الإيمان.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان...: (١/٢٧) برقم: (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام...: (١/٣٩) برقم: (٩).

(٣) يعني البخاري.

(٤) تقدم تخريجه (ص ٣٢٣).

وعلى هذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان بالشهادتين والأعمال بالجوارح(1). وخالف في هذا بعض المذاهب، من أبرزها:

الجهمية: فعندهم الإيمان هو المعرفة فقط(2).

والأشعرية: ولهم في الإيمان قولان: **جمهورهم وأحد قولي أبي الحسن الأشعري**: أن الإيمان مجرد تصديق القلب ومعرفته، ويختلف تعبيرهم هنا، فتارة يقولون: هو المعرفة كقول جهم، وتارة يقولون: هو التصديق(3).

والثاني: قول متقدميهم: أن الإيمان قول واعتقاد وعمل(4).

وذهب مرجئة الفقهاء: إلى أن الإيمان قول واعتقاد، وأما الأعمال فغير داخلة فيه(5).

---

(1) هذا قول السلف في تعريف الإيمان، وقد نقل عنهم الإجماع على ذلك ابن عبد البر فقال: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً".

انظر: التمهيد لابن عبد البر: (٢٣٨/٩)، وانظر: مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى: (ص١٥٢)، ومقالات الإسلاميين: (٣٤٧/١)، وشرح العقيدة الطحاوية: (ص٣٧٢).

(2) وهو المشهور عن جهم ومن اتبعه كأبي الحسين الصالحي: أن الإيمان هو المعرفة فقط، والمعرفة المراد بها: العلم، والتصديق مرتبة زائدة على المعرفة.انظر: مقالات الإسلاميين: (٢١٤/١)، والفرق بين الفرق: (ص٢١١).

(3) انظر: مجموع الفتاوى: (٩٢/٢).

(4) بعض متقدمي الأشاعرة يذهب إلى قول السلف في الإيمان كأبي علي الثقفي وأبي العباس القلانسي وأبي عبد الله بن مجاهد. انظر: المقالات: (ص ٢٩٣-٢٩٤)، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: (ص ٤٢)، وأصول الدين للبغدادي: (ص ٢٤٨)، التمهيد للباقلاني: (ص٣٨٩)، وغاية المرام في علم الكلام للآمدي: (ص ٣٠٩)، والفتاوى: (١٤٤/٧).

(5) هذا القول هو المشهور عن مرجئة الفقهاء، وهم أبو حنيفة وأصحابه، ويوافقهم في هذا: النجارية وبشر المريسي. انظر: مقالات الإسلاميين: (٢١٩/١)، والفرق بين الفرق: (ص٢٠٣-٢٠٨)، وشرح الفقه الأكبر: (ص ٦٨).

والصحيح هو ماذهب إليه أهل السنة والجماعة وقد تقدمت الأدلة على ما ذهبوا إليه.

سابعًا: إثبات الأصابع لله تعالى، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة كما يليق بجلاله، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

وذلك بدليل الكتاب والسنة، كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ؛ قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم!إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع... إلى أن قال: فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: (﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾)[2].

وهو مذهب سلف الأمة، قال إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة[3] في "كتاب التوحيد": "باب إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ"، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك[4].

وقال أبو بكر الآجري[5] في "الشريعة": "باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

الحديث رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: (٢٦٩٧/٦) برقم: (٦٩٧٩)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار: (٢١٤٧/٤) برقم: (٢٧٨٦).

(٣) هو إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري. قال ابن حبان: "ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها كأن السنن نصب عينيه إلا ابن خزيمة فقط". مات سنة (٣١١هـ).

انظر: البداية والنهاية: (١٤٩/١١)، وشذرات الذهب: (٢٦٢/٢)، والعبر: (١٤٩/٢).

(٤) التوحيد لأبي بكر بن خزيمة: (١٨٧/١).

(٥) هو: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري. الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف صاحب التواليف، ومنها كتاب "الشريعة" في السنة، كان صدوقاً خيراً عابداً صاحب سنة واتباع توفي سنة (٣٦٠هـ) بمكة المكرمة.

من أصابع الرب عزَّ وجلّ، بلا كيف"[١]. ثم ذكر الروايات الواردة في ذلك.

وقال البغوي[٢]: "والإصْبَع المذكورة في الحديث صفةٌ من صفات الله عَزَّ وجَلَّ"[٣].

=

انظر: سير أعلام النبلاء: (١٣٣/١٦)، وطبقات الشافعية للسبكي: (١٤٩/٣)، وتاريخ بغداد: (٢٣٩/٢).

(١) الشريعة لأبي بكر الآجري: (ص ٣١٦).

(٢) هو الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، فقيه، محدث مفسر، نسبته إلى "بغا" من قرى خراسان، بين هراة ومرو، ولد سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وتوفي سنة ست عشرة وخمسمائة هجرية.

انظر: وفيات الأعيان: (١٤٥/١)، وطبقات الشافعية للسبكي: (٧٥/٧)، وسير أعلام النبلاء: (٤٣٩/١٩).

(٣) شرح السنة للبغوي: (١٦٨/١).

المبحث الرابع

عبودية قلبه ﷺ ودلالته العقدية

العبادة القلبية هي العبادة المرتبطة ارتباطاً مباشراً بالقلب، كالإخلاص لله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه وخشيته والإنابة إليه والرضى بقضائه والتوكل عليه، ونحو ذلك مما هو متعلق بالقلب من أقوال أو أفعال.

وقد بلغ نبينا محمد ﷺ الدرجات العليا والمقام الأكمل في جميع أحوالها الظاهرة والباطنة، وفيما يلي بعض مظاهر العبودية القلبية لربه عليه الصلاة والسلام، والمسائل العقدية المتعلقة بها:

١- إخلاص قلب النبي ﷺ لربه.

لقد وصف الله تعالى نبيه وخليله محمَّداً ﷺ بالعبودية في أعلى المقامات، كما تقدم معنا، فوصفه بها في مقام إنزال القرآن عليه، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾[1] ووصفه بها في مقام الإسراء، قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾[2] ووصفه بها في مقام المعراج، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[3] ووصفه بها في مقام الدفاع عنه والتحدي، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٠.

دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1] فكانت حياته ﷺ كلها خالصة لربه، متمثلاً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

وقال ﷺ للرجل عندما قال له: ما شاء الله وشئت: (**أجعلتني والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده**)[3].

٢- محبة قلبه ﷺ لله تعالى.

لقد ثبت لقلبه ﷺ أعلا مراتب المحبة لله تعالى، وهي الخلة، قَالَ ﷺ: (**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمّتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً...**)[4].

وقال ﷺ: (**لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله**)[5].

فالخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب[6].

كما قيل:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢ ١٦٣.

(٣) أخرجه أحمد: (٢١٤/١) برقم: (١٨٣٩)، والبيهقي: (٢١٧/٣)، والنسائي في الكبرى: (٢٤٥/٦) برقم: (١٠٨٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه العراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٨٣٥/٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم: (١٣٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور...: (٣٧٧/١) برقم: (٥٣٢) من حديث جندب بن عبدالله ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ: (١٨٥٥/٤) برقم: (٢٣٨٣).

(٦) انظر: شرح الطحاوية ت الأرناؤوط: (٣٩٦/٢).

قَدْ تَخلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَلِذَا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلاَ[(١)]

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "ثم الخلة وهي تتضمن كمال المحبة ونهايتها، بحيث لا يبقى في القلب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما، وهذا المنصب خاص للخليلين - صلوات الله وسلامه عليهما"[(٢)].

وفي ثبوت هذه المحبة من الله تعالى لعبده رد على المخالفين[(٣)] لأهل السنة والجماعة من المعطلين والغاليين.

فأما أهل التعطيل من المتكلمين فقد أنكروا محبة الله سبحانه وتعالى للعبد:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كثير من أهل الكلام والرأي أنكروا محبة الله، وقالوا: يمتنع أن يكون محبًّا أوْ محبوبًا، وجعلوا هذا من أصول الدين"[(٤)].

وأول من عُرف عنهم إنكار حقيقة محبة الله تعالى هم الجهمية.

قال ابن تيمية: "فإن أول من أنكر المحبة في الإسلام: الجعد بن درهم[(٥)] أستاذ الجهم

---

(١) البيت لبشار بن برد في ديوانه: (٢/٤٧٥).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): (ص ١٩٠).

(٣) ذكر ابن تيمية رحمه الله أن الفرق التي انحرفت في باب محبة الله فريقان فقال: "فباب محبة الله ضل فيه فريقان من الناس؛ فريق من أهل النظر والكلام، والمنتسبين إلى العلم جحدوها وكذبوا بحقيقتها.

وفريق من أهل التعبد والتصوف والزهد أدخلوا فيها من الاعتقادات والإرادات الفاسدة ما ضاهوا بها المشركين". انظر: قاعدة في المحبة لابن تيمية: (ص٥٩).

(٤) مجموع الفتاوى: (١٦/٣٤٣).

(٥) هو الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة، أصله من خراسان. سكن دمشق، فلما أظهر القول بخلق القرآن أخذ الأمويين في البحث عنه، فهرب إلى الكوفة، فلقي الجهم بن صفوان ولقنه مذهبه ذلك فقبض عليه أمير الكوفة: خالد بن عبد الله القسري، وضحى به".

انظر: البداية: (٩/٣٥٠)، وميزان الاعتدال: (١/٣٩٩)، وخلق أفعال العباد: (ص٧)، والرد على الجهمية للدارمي: (ص١١٣).

ابن صفوان[1]، فضحى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، و لم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه[2].

وسار المعتزلة والأشاعرة على نهج الجهمية في إنكار محبة العبد لربه، فأوَّلوا النصوص المستفيضة الدالة على محبة العباد لله تعالى[3]، فقالوا: إن المراد منها: محبة طاعة الله وامتثال أمره[4].

---

(١) هو الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية، قال الذهبي: هلك في زمان التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شرّاً عظيماً. قتل سنة (١٢٨هـ).
انظر: البداية والنهاية: (١٠/٢٧)، وميزان الاعتدال: (١/٤٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/٦٩٧).

(٣) **قلت:** فيما يلي بعض الأمثلة للمتكلمين في تأويل نصوص محبة العباد لله تعالى، فقد فسر الزمخشري قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فقال: "محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، والمعنى: إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني، حتى يصح ماتدعونه من إرادة عبادته".
انظر: الكشاف للزمخشري: (١/٣٤٧).
وقال في موضع آخر مؤلاً محبة العباد لله تعالى: "محبة العباد لربهم: طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه". انظر: الكشاف للزمخشري: (١/٦٣٠).
وقال النسفي في -تفسير الآية السابقة-: "محبة العبد لله: إيثار طاعته على غير ذلك".
انظر: تفسير النسفي: (١/١٥٣).
ويقول أحد علماء الأشاعرة وهو البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥] يقول: "... ومحبة العبد لله تعالى إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه " انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (١/٩٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (١٠/٦٦).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "والجهمية ... فإنه عندهم لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ ولم يمكنهم تكذيب النصوص، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته والازدياد من الأعمال لينالوا بها الثواب وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة فلما ينالون به من الثواب والأجر"[1].

وشبهتهم في ذلك أن إثبات محبة العبد لله تعالى يستلزم: "أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة"[2].

الرد على المتكلمين:

أولاً: دل القرآن الكريم والسنة النبوية على ثبوت محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، وثبوت محبة العبد لله تعالى بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[5].

والآيات في المعنى كثيرة.

وكما جاءت السنة بإثبات المحبة لله تعالى لعبده وللعبد لله تعالى ومن ذلك:

---

(١) مدارج السالكين: (١٨/٣).

(٢) مجموع الفتاوى: (٦٦/١٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

ففي الصحيحين من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار**)[1].

وعن سهل بن سعد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**)، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: (**أين علي بن أبي طالب؟**) فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: (**فأرسلوا إليه**) فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ ...[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى في رد تأويل هؤلاء: "لكن لما كان الإسلام ظاهرًا والقرآن متلوًّا لا يمكن جحده لمن أظهر الإسلام، أخذوا يلحدون في أسماء الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا محبة العباد له بمجرد محبتهم لطاعته أو التقرب إليه، وهذا جهل عظيم فإن محبة المتقرب إلى المتقرب إليه تابع لمحبته وفرع عليه، فمن لا يحب الشيء لا يمكن أن يحب التقرب إليه، إذ التقرب وسيلة، ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع أن تكون الوسيلة إلى الشيء المحبوب هي المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة. وكذلك العبادة والطاعة، إذا قيل في المطاع المعبود: إن هذا يحب طاعته وعبادته فإن محبته ذلك تبع لمحبته، وإلا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره إلا لعوض يناله منه أو لدفع عقوبة فإنه يكون معاوضًا له أو مفتديًا منه، لا يكون محبًّا له. ولا يقال: إن هذا يحبه ويفسر ذلك بمحبة طاعته وعبادته، فإن محبة المقصود وإن استلزمت محبة الوسيلة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان: (١/١٤) برقم: (١٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان: (١/٦٦) برقم: (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ: (٣/١٣٥٧) برقم: (٣٤٩٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ: (٤/١٨٧٢) برقم: (٢٤٠٦).

أو غير محبة الوسيلة فإن ذلك يقتضي أن يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة عن محبة العمل. أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض، ألا ترى أن من استأجر أجيرًا بعوض لا يقال: إن الأجير يحبه بمجرد ذلك بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال، بل من يبغضه وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب، لا يقال: إنه يحبه، بل يكون مبغضًا له. فعلم أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع ألا يكون معناه إلا مجرد محبة العمل الذي ينالون به بعض الأغراض المخلوقة من غير أن يكون ربهم محبوبًا أصلاً"[1].

وقال أيضاً: -في الرد على قولهم: إن النصوص الدالة على إثبات محبة العبد إنما هي من قبل المجاز لا الحقيقة-: "فلو كان هذا الذي قالوه حقًّا من كون ذلك مجازًا لما فيه من الحذف والإضمار؛ فالمجاز لا يطلق إلا بقرينة تبين المراد. ومعلوم أن ليس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما ينفي أن يكون الله محبوبًا، وأن لا يكون المحبوب إلا الأعمال لا في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة، بل ولا في العقل أيضاً، وأيضاً فمن علامات المجاز: صحة إطلاق نفيه، فيجب أن يصح إطلاق القول بأن الله لا يحب ولا يحب، كما أطلق إمامهم الجعد بن درهم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ومعلوم أن هذا ممتنع بإجماع المسلمين، فعلم دلالة الإجماع على أن هذا ليس مجازًا بل هي حقيقة"[2].

وقال أيضاً: "وأيضًا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه أمر لا يعرف في اللغة، لا حقيقة ولا مجازاً؛ فحمل الكلام عليه تحريف محض"[3].

وقال أيضاً: "وأيضاً فقد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[4]، كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/٦٩).

(٢) المصدر نفسه: (١٠/٧١).

(٣) المصدر نفسه: (١٠/٧٢).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فلو كان المراد بمحبته ليس إلا محبة العمل لكان هذا تكريرًا أو من باب عطف الخاص على العام، وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير إليه إلا بدلالة تبين المراد. وكما أن محبته لا يجوز أن تفسر بمجرد محبة رسوله، فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل له، وإن كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له.... أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوبًا مرادًا لذاته، كما لا يجوز أن يكون غير الله موجودًا بذاته، بل لا رب إلا الله، ولا إله إلا هو، المعبود الذي يستحق أن يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم"[1].

كما بين رحمه الله تعالى علاقة الإرادة بالمحبة وأن أصل المحبة: الإرادة ووجه التلازم بينهما فقال: "والمحبة لا تستلزم نقصاً، بل هي صفة كمال، بل هي أصل الإرادة، فكل إرادة فلا بد أن تستلزم محبة فإن الشيء إنما يراد لأنه محبوب أو لأنه وسيلة إلى المحبوب، ولو قدر عدم المحبة لامتنعت الإرادة، فإن المحبة لازمة للإرادة، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، وكذلك المحبة مستلزمة للإرادة، فمن أحب شيئًا فلا بد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته... قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[2]. بل قد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[3]. فتوعد من كان الأهل والمال أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: (**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من**

(١) المصدر نفسه: (١٠/٧٢).

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)[1] فوجود حلاوة الإيمان في القلب لا تكون من محبة العوض الذي لم يحصل بعد، بل الفاعل الذي لا يعمل إلا للكراء لا يجد حال العمل إلا التعب والمشقة وما يؤلمه، فلو كان لا معنى لمحبة الله ورسوله إلا محبة ما سيصير إليه العبد من الأجر لم يكن هنا حلاوة إيمان يجدها العبد في قلبه وهو في دار التكليف والإمتحان، وهذا خلاف الشرع وخلاف الفطرة التي فطر الله عليها قلوب عباده.

فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **(كل مولود يولد على الفطرة)**[2] وفي صحيح مسلم عنه أنه قال: **(يقول الله تعالى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)**[3] فالله فطر عباده على الحنيفية ملة إبراهيم، وأصلها: محبة الله وحده، فما من فطرة لم تفسد إلا وهي تجد فيها محبة الله تعالى، لكن قد تفسد الفطرة إما لكبر وغرض فاسد، كما في فرعون، وإما بأن يشرك معه غيره في المحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[4]. وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين فإن في قلوبهم محبة الله لا يماثله فيها غيره، ولهذا كان الرب محموداً حمداً مطلقاً على كل ما فعله، وحمداً خاصّاً على إحسانه إلى الحامد، فهذا حمد الشكر، والأول حمده على كل ما فعله، كما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ

(١) سبق تخريجه (ص ٣٣٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين: (١/٤٦٥) بـرقم: (١٣١٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة: (٤/٢٠٤٧) بـرقم: (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار: (٤/٢١٩٧) برقم: (٢٨٦٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

ﵟٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَﵞ[1]. ﵟٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِﵞ[2].

والحمد ضد الذم، والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذم خبر بمساوىء المذموم مقرون ببغضه فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة، وأول ما نطق به آدم: الحمد لله رب العالمين، وأول ما سمع من ربه: يرحمك ربك. وآخر دعوى أهل الجنة: ﵟأَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَﵞ[3] وأول من يدعى إلى الجنة: الحمادون، ونبينا محمد ﷺ صاحب لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه، وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود، ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو سبحانه المعبود المحمود"[4].

كما بين رحمه الله تعالى أن قولهم: "إنكار أن الله يحب أو يحب ليس هو قول السلف" فقال: "وليس هذا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل كلهم متفقون على أن الله يستحق أن يحب، وليس شيء أحق بأن يحب من الله سبحانه، بل لا يصلح أن يحب غيره إلا لأجله، وكل ما يحبه المؤمن من طعام وشراب ولباس وغير ذلك لا ينبغي أن يفعله إلا ليستعين به على عبادته سبحانه المتضمنة لمحبته، فإن الله إنما خلق الخلق لعبادته وخلق فيهم الشهوات ليتناولوا بها ما يستعينون به على عبادته، ومن لم يعبد الله فإنه فاسد هالك، والله لا يغفر أن يشرك به فيعبد معه غيره فكيف بمن عطل عبادته فلم يعبده البتة كفرعون وأمثاله، وقد قال تعالى: ﵟإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُﵞ[5]. والتعطيل ليس دون الشرك، بل أعظم منه، فالمستكبرون عن عبادته أعظم جرماً من الذين

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٤) منهاج السنة: (٢٨١/٥).

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

يعبدونه ويعبدون معه غيره، وهو لا يغفر لهم، فأولئك أولى، وما من مؤمن إلا وفي قلبه حب الله، ولو أنكر ذلك بلسانه.

وهؤلاء الذين أنكروا محبته من أهل الكلام وهم مؤمنون لو رجعوا إلى فطرهم التي فُطروا عليها واعتبروا أحوال قلوبهم عند عبادته لوجدوا في قلوبهم من محبته ما لا يعبَّرُ عن قدره، وهم من أكثر الناس نظراً في العلم به وبصفاته وذكره، وذلك كله من محبته وإلا فما لا يحب لا تحرص النفوس على ذكره إلا لتعلق حاجتها به، ولهذا يقال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره. والمؤمن يجد نفسه محتاجة إلى الله في تحصيل مطالبه ويجد في قلبه محبة الله غير هذا، فهو محتاج إلى الله من جهة أنه ربه ومن جهة أن إلهه، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] فلا بد أن يكون العبد عابدًا لله، ولا بد أن يكون مستعينًا به، ولهذا كان هذا فرضًا على كل مسلم أن يقوله في صلاته"[2].

وأما الشبهات التي ذكروها وتدل -في نظرهم- على أن إثبات محبة الله تستلزم المناسبة بين الخالق والمخلوق، وأنها أيضاً ميل القلب إلى الشيء الملذ الذي يلائمه، والله منزه عن ذلك.

فالجواب عن هاتين الشبهتين بما يلي:

أولاً:

يقال: "لفظ المناسبة لفظ مجمل، فإنه يقال: لا مناسبة بين كذا وكذا، أي أحدهما أعظم من الآخر، فلا ينسب هذا إلى هذا، كما يقال: لا نسبة لمال فلان إلى مال فلان، ولا نسبة لعلمه أو جوده أو ملكه إلى علم فلان وجود فلان وملك فلان، يراد به أن هذه النسبة حقيرة صغيرة كلا نسبة كما يقال: لا نسبة للخردلة إلى الجبل، ولا نسبة للتراب إلى رب الأرباب، فإذا أريد بأنه لا نسبة للمحدث إلى القديم هذا المعنى ونحوه فهو صحيح، وليست المحبة مستلزمة لهذه النسبة.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) المصدر نفسه: (٥/٢٧٢).

وإن أريد أن ليس في القديم معنى يحبه لأجله المحدثُ فهذا رأس المسألة، فلم قلت: إنه ليس بين المحدث والقديم ما يحب المحدث القديم لأجله؟ ولم قلت: إن القديم ليس متصفًا بمحبة ما يحبه من مخلوقاته؟ والمحبة لا تستلزم نقصًا بل هي صفة كمال، بل هي أصل الإرادة، فكل إرادة فلا بد أن تستلزم محبة، فإن الشيء إنما يراد لأنه محبوب أو لأنه وسيلة إلى المحبوب ولو قدر عدم المحبة لامتنعت الإرادة، فإن المحبة لازمة للإرادة فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، وكذلك المحبة مستلزمة للإرادة، فمن أحب شيئًا فلا بد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته، ولهذا كان خلقه تعالى لمخلوقاته لحكمة، والحكمة مرادة محبوبة، فهو خلق ما خلق لمراد محبوب كما تقدم، وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين، فيريد الإحسان إليهم، وهم يحبونه فيريدون عبادته وطاعته"[1].

وأما الشبهة الثانية:

فمردودة عليهم وذلك لما تقدم من أن الإرادة تستلزم المحبة وتقدم أوجه التلازم بينهما، كما إنه ليس محبوباً لذاته سوى الله تعالى، وتقدم أن الفطر مجبولة على ذلك.

وأما الفريق الثاني الغالي في المحبة:

فهم غلاة الصوفية، حيث يسلكون في محبة الله تعالى انحرافاً عقديًا خطيرًا مخالفاً لمحبة النبي ﷺ لربه تعالى، ومخالفًا لما كان عليه سلف الأمة وأئمتهم رحمهم الله جميعاً.

ويتضح هذا الانحراف في محبة العبد لربه تعالى من عدة وجوه، أبرزها ما يلي:

١- أن محبة الله عند هؤلاء الغلاة لا يمكن اكتسابها ولا الحصول عليها ولا طلبها بما هو مشروع من طاعة الله عز وجل واجتناب نواهيه، قال القشيري: "إن المحبة غير معلولة، وليست باجتلاب طاعة أو التجرد عن آفة"[2].

بل هي عندهم قديمة أزلية، قال ابن الدباغ: "... وأما محبة المناسبة فهي أيضاً خارجة عن مقصودها من السلوك، إذ لا يتوصل إليها بسبب مكتسب، وإنما هي شيء وضع في

(١) المصدر نفسه: (٥/٢٧٢).

(٢) تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات: (١/١٤٣).

الجملة بحسب القسمة الأزلية، فلا يفتقر فيها إلى طلب ولا رياضة"[1].

٢- زعمهم أن محبة العبد لربه تكون وفق مقامات يتدرج بها السالك، تبدأ بالغرام وتنتهي بالعشق ثم بالفناء وجميع تلك المقامات تشمل المحبة المتعلقة بالله تعالى.

قال ابن الدباغ: "واسم المحبة يشتمل على الكل -أي كل مقامات المحبة- إلا أن المحب لا يخلو إما أن يستعمل المحبة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له فيها كسب واختيار سُمّي محباً اصطلاحاً، وإن استعملته المحبة بحيث لا يكون له فيها كسبٌ ولا اختيار ولا نظرٌ لنفسه بما تصلحه فهو عاشق فالمحب مريد، والعاشق مراد"[2].

كما يرى ابن الدباغ: أن العشق أقصى هذه المقامات في المحبة وجميع مقامات المحبة مندرجة في العشق فيقول: "العشق أقصى درجات المحبة ومجاوزة الحد فيها وسائر مقامات المحبة كلها مندرجة فيه، مثل الشوق، والوجد، والغرام، والافتتان، والدهش، والفناء، لأنه مشتمل على جميعها، ولذلك قالوا: كل عاشق محب وليس كل محب عاشقًا"[3].

وقال أيضاً في هذا المقام من المحبة: "ومقام العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة عن الحس والاتصال بالعالم الروحاني، فإذا وصل الإنسان إلى هذا الحد من الغيبة عن نفسه اطّلع على أسرار الغيوب، وأخبر بها معاينة لا على سبيل الحدس غلبات الظنون، بل على الكشف والمشاهدة"[4].

وقال سري السقطي[5]: "مكتوب في بعض الكتب التي أنزل الله تعالى: " إذا كان الغالب على عبدي ذكري عشقني وعشقته، ولا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد

---

(١) مشارق أنوار القلوب لابن الدباغ: (ص ٣١).

(٢) المصدر نفسه: (ص ٣١-٣٢).

(٣) المصدر نفسه: (ص ٩٦).

(٤) المصدر نفسه: (ص ٩٩).

(٥) هو السري بن المغلس السقطي، كنيته: أبو الحسن، يقال: إنه خال الجنيد وأستاذه، صحب معروفًا الكرخي، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته، مات سنة إحدى وخمسين ومائتين.

انظر: طبقات الصوفية: (ص ٥٢)، وسير أعلام النبلاء: (١٢/١٨٥).

للآخر: يا أنا"[1].

٣- زعمهم أن الحب الكائن بين الرجل والمرأة سواء كان حبّاً شرعيّاً أو غير شرعي، إنما هو حب إلهيّ؛ لأن الله عز وجل بزعمهم قد حل في النساء، حتى الفاجرات منهن، فهم يخاطبون النساء بأبيات غزلية وجدانية، وهم في الحقيقة يقصدون الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

حيث يعتبر ابن فارض مؤسس هذا التصور الهابط، فيقول في ذلك[2]:

فَفَي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لآدَمٍ ... بمظْهرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ

فَهَامَ بها كَيْمَا يَكُونَ بِهِ أبـاً ... وَيَظْهَرَ بِالزَّوْجَيْنِ حُكْمُ البُنُوّةِ

وَكَانَ ابتدا حُبِّ المظَاهِرِ بعضَها ... لِبعْضٍ وَلاَ ضِدٌّ يُصَدُّ ببِغْضَةَ

وَمَا بَرِحَتْ تَبْدو وَتَخْفَى لِعلَّةٍ ... عَلَى حَسْبِ الأَوْقَاتِ فِي كُلِّ حِقْبَةِ

وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ ... مِنَ اللّبسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَديعَةِ

فَفِي مَرَّةٍ لُبْنَى وَأُخرى بُثينَةً ... وَآونَةً تُدعَى بعزَّةَ عـزَّتِ

وَلَسْنَ سِوَاها لاَ وَلاَ كُنَّ غَيرهَا ... وَمَا إنْ لَهَا فِي حُسْنِها، مِنْ شَرِيكَةِ

كَذَاكَ بِحُكْمِ الإتّحادِ بِحُسْنِها ... كَمَا لِي بَدَتْ فِي غَيْرِها وَتَزَيّتِ[3]

فهو "يزعم أن ربه ظهر لآدم في صورة حواء، و"لقيس" في صورة "لبنى" و"لجميل" في صورة "بثينة" و"لكثير" في صورة "عزة". فما حواء البشر إلا الحقيقة الإلهية، وما أولئك العشاق الذين سكرت على شفاههن خطايا القبل المحرمة، وتماوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق، ما أولئك جميعاً سوى رب الصوفية تجسد في صور غوان تطيش بهداهن نزوة وَلْهَى، أو نشوة سَكْرَى، أو رغبة تتلظى في عين عاشق!!.

---

(١) رسالة القشيري: (ص ٢٥٩ و٣٥٣).

(٢) انظر: دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية: (ص٦٤).

(٣) ديوان ابن الفارض: (ص ٧٠-٧١).

ويسرف ابن الفارض في توكيد أنوثة ربه، وتجلّيه أبدًا في صورة جسد امرأة يزل بها موعد الليل، فيقول:

وَلَسْنَ سِوَاها لاَ وَلاَ كُنَّ غَيرهَا وَمَا إنْ لَهَا، فِي حُسْنِها، مِنْ شَرِيكَةِ

خشي ابن الفارض أن يتوهم أحد في ربه أنه يغاير حقيقته، أو تتباين صفاته، وهو يتجلى مرة بعد مرة في صورة غانية، أو أن يظن أن هؤلاء الغانيات "لبنى، بثينة، عزة" تغير حقائقهن حقيقة ربه في شئ ما، خشي ابن الفارض ذلك، فاستدرك على الأوهام بما يحيلها يقيناً ثابتاً في أنوثة ربه، فقال:

وَلَسْنَ سِوَاها لاَ وَلاَ كُنَّ غَيرهَا

فابن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق "قيس، جميل، كثير" وكل شعراء العشق لم يريقوا خمور الغزل إلا للذات الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهن القواتل!!.

أوعيت إذًا علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة (أنصت إلى المنشدين اليوم في حلق الرقص الصوفي أو الذكر كما يزعمون، تجدهم يرقصون الذاكرين على مناجاة "ليلى وسعاد"[(١)].

وفي هذا الباب يرى ابن عربي أن أعظم شهود الرب يكون في المرأة، وأعظم وصل له إنما يكون في النكاح[(٢)] فيقول: "ولما أحب الرجلُ المرأةَ طلب الوصلة، أي غاية الوصلة التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أُمِرَ بالاغتسال منه، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة. فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره، فطهره بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه، إذ لا يكون إلا ذلك. فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكوَّن عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة. فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو

(١) هذه هي الصوفية: (ص ٢٧).

(٢) انظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم: (ص ٣٧٤).

فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة. فلهذا أحب ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله بالذات غني عن العالمين، وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، و لم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله وأعظم الوصلة: النكاح"[(١)].

وإضافة إلى ضلاله المبين في متعلّق المحبة يفتري على رسول الله ﷺ بأنه كان يحب النساء لكمال شهود الحق فيهن، وحاشا رسول الله ﷺ من هذا البهتان.

الرد على شبهاهم السابقة:

أولاً: زعمهم أن محبة الله تعالى لا تُكتسب ولا تنال بالطاعات زعم باطل، وذلك لكونه مخالف للنصوص الشرعية التي علّقت محبة الله تعالى بفعل الصالحات واجتناب المنهيات، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[(٢)].

فعلق الله محبته تعالى بمتابعة النبي ﷺ وهذه المتابعة مكتسبة، ومدارها على الفعل والترك، بما يوافق هدي النبي ﷺ من فعل المأمور وترك المحظور، والناس في ذلك متفاوتون بين مقل ومكثر، مما يدل على أن محبته سبحانه وتعالى تنال بمتابعة النبي ﷺ ليس كما يزعم أهل الضلال.

ثانياً: أن يقال: إن لفظ العشق -وبقية الألفاظ المتعلقة بتلك المقامات- لم يأتِ عليه دليل لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا في أقوال الصحابة، ولا في أقوال كبار التابعين إلى أن جاءت الصوفية.

وسبب المنع من إطلاق هذا اللفظ في صفات الله عز وجل، أو أن يقول العبد هذا عاشق أو هذا شهيد العشق الإلهي ونحو ذلك من الألفاظ الباطلة: أنّ العشق حتى في عُرْفِ أهل اللغة وعند العرب لا يخلو من تَعَدٍّي، فالذي تصل به المحبة إلى حد العشق فإنه

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي: (٢١٧/١)، وانظر: هذه هي الصوفية: (ص ٣٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

إذا عَشِقَ فلا بد أن يكون ثَمَّ تعدٍ معه، إما تَعَدٍ على نفسه بالإيغال في هذه المحبة حتى العشق، وإما أن يوصله العشق إلى التعدي على غيره، ومحبة الله عز وجل لعباده مبنية على كمال العدل وكمال الجمال والرحمة بعباده المؤمنين، ومحبة العبد لربه عز وجل مبنية على تعظيم الله عز وجل وعلى توقيره سبحانه وتعالى، فلفظ العشق لمَّا كان غير وارد في الدليل والنص واشتمل على هذا المعنى الباطل وهو أنه يُشْعِرُ بالتعدي، إما على النفس أو على الغير فإنه يمتنع إطلاقه على الرب جل جلاله أو من العبد على ربه سبحانه وتعالى[١].

وأما قولهم: "ومقام العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة عن الحس والاتصال بالعالم الروحاني، فإذا وصل الإنسان إلى هذا الحد من الغيبة عن نفسه اطّلع على أسرار الغيوب"[٢].

فهذا ما يسمونه: السكر في ذات الله تعالى، وهذا النوع من السكر الذي ينتاب بعض الناس بسبب التصورات الباطلة والأمور المحرمة فهو مذموم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها؛ فإنه إذا لم يكن السبب محظورًا لم يكن السكران مذمومًا، بل معذورًا، فإن السكران بلا تمييز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة، فإنه يحرم بلا نزاع بين المسلمين، ومن استحل السكر من هذه الأمور فهو كافر، وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل:

سَكْرَانُ سُكْرُ هوًى وَسُكْرُ مُدامةٍ ... وَمَتَى إِفَاقَةُ مَنْ بِهِ سُكرَانِ

وهذا مذموم؛ لأن سببه محظور، وقد يحصل بسبب سماع الأصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضاً مذموم، فإنه ليس للرجل أن يسمع من الأصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقله، إذ إزالة العقل محرم ومتى أفضى إليه سبب غير شرعي كان محرمًا، وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمور فيها نوع من

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: (١/١٧٤-١٧٥).

(٢) مشارق الأنوار لابن الدباغ: (ص ٩٩).

الإيمان فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل و لم يأذن لنا الله أن نمتع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الإيمان ولا غيرها بما يوجب زوال عقولنا، بل هو مخالف لهدي رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ...﴾[1] فأتوا بمحدثات ما أنزل الله بها من سلطان اتباعاً للهوى وانحرافاً عن الصراط المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين"[2].

٣- خوف قلبه وخشيته ﷺ من الله تعالى.

روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: (**إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**)[3].

وقال أيضاً: (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**)[4].

وكان بكاؤه ﷺ من صدق عبادته وطول خشيته وشوقه إلى ربه جل وعلا، ولأنه أعلم الأمة بالله تعالى، فكان لأجل ذلك يبكي حتّى يُسمع منه الصّوت العجيب المُحزِن.

عن مطرف وهو ابن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل؟ يعني: يبكي[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٠/١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب: (٢٢٦٣/٥) برقم: (٥٧٥٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته: (١٨٢٩/٤) برقم: (٢٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف: (٣٥٤/١) برقم: (٩٩٧)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف: (٦١٨/٢) برقم: (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة: (٢٣٨/١) برقم: (٩٠٤)، والنسائي، كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة: (١٣/٣) برقم: (١٢١٤)، ورواه أيضاً أحمد في "المسند": (٢٥/٤ و٢٦)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

والأَزِيز: "الالتهاب والحركة، كالتهاب النار في الحطب[1]، والمرجل: بالكسر: الإناء الذي يُغلى فيه الماء، وسواء كان من حديد أو صفر أو حجارة أو خزف[2].

وقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وجلَه بقولها: "ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم. قالت: وكان إذا رأى غيمًا -أو ريحًا- عُرف ذلك في وجهه، قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرفت في وجهك الكراهية؟ فقال: **(يا عائشة، ما يؤمني أن يكون فيه عذاب، قد عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هـذا عارض ممطرنا)**[3].

وشواهد خوف النبي ﷺ من الله وتعبده لله كثيرة، منها أن صاحبه أبا بكر رأى شيباً في شعره، فقال: يا رسول الله قد شبت؟ فقال ﷺ: **(شيبتني هود والواقعة والمرسلات و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾)**[4].

قال الطيبي: "وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة والمَثُلات النوازل بالأمم الماضية: أخذ مني مأخذه، حتى شبتُ قبل أوانه"[5].

---

(١) انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام: (٢٢٢/١)، وتهذيب اللغة: (١٩٢/١٣).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١١٠/٤، ٣١٥)، وفتح الباري لابن حجر: (٤٣٠/١١ ٤٣١)، ولسان العرب: (٥٥٥/٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾: (١٨٢٧/٤) برقم: (٤٥٥١)، ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر: (٦١٦/٢) برقم: (٨٩٩).

(٤) رواه الترمذي، كتاب في التفسير، باب ومن سورة الواقعة. وفي الشمائل برقم: (٤٨)، وأبو يعلى في مسنده: (١٠٢/١) برقم: (١٠٨)، وابن سعد في الطبقات: (٤٣٥/١)، والحاكم: (٣٤٣/٢). وقال الحاكم: "صحيح على شرط البخاري"، ووافقه الذهبي. انظر: العلل للدارقطني: (١٩٣/١)، والعلل للرازي: (١١٠/٢ و١٣٣) أرقام: (١٨٢٦ و١٨٩٤)، والمقاصد الحسنة: (ص ٤١٠)، والسلسلة الصحيحة برقم: (٩٥٥).

(٥) تحفة الأحوذي (١٣١/٩).

فالذي شيَّب رسول الله ﷺ ما قرأه في هذه السور من الأهوال التي يرهبها الأتقياء العارفون بربهم، الذين قدروه حق قدره.

وتكرر بكاؤه ﷺ وتضرعه بين يدي ربه.

يقول عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل [أي القدر] من البكاء[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (**اقرأ علي**) فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (**نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري**). فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[2]. فقال: (**حسبك الآن**). فالتفت فإذا عيناه تذرفان[3].

٤- رجاء قلبه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لن يدخل أحدًا عمله الجنة**) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب**)[4].

وفي هذه العبادة القلبية للنبي ﷺ مسائل عقدية، من أهمها: أن ترتيب الجزاء على الأعمال ليس من باب المقابلة والعوض، وهذا هو مذهب أهل السنة.

قال شارح الطحاوية: "وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيها الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٣) سبق تخريجه (ص ١١٥).

(٤) متفق عليه: البخاري، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت: (٥/٢١٤٧) برقم: (٥٣٤٩)، ومسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى: (٤/٢١٦٩) برقم: (٢٨١٦).

الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: **(لن يدخل الجنة أحد بعمله)** باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة: أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمة الله وفضله. والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1] وغيرها باء السبب، أي: بسبب عملكم، والله تعالى خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته"[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى موضحاً ما ورد من آيات قد يفهم منها استحقاق الجزاء على الأعمال كقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[3]:

"فهذه باء السبب، أي بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا. أي ليس العمل عوضًا وثمنًا كافيًا في دخول الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات.

وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس:

فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة. وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه"[4].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره على قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[5]، قال: "ولهذا لما أورثوا مقاعد أهل النار من الجنة نودوا ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾، أي: بسبب أعمالكم، نالتكم الرحمة،

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) شرح الطحاوية، ت الأرناؤوط (٢/٦٤٢).

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٤) مجموع الفتاوى: (١٠/٧٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

فدخلتم الجنة، وتبوأتم منازلكم بحسب أعمالكم، وإنما وجب الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: (**واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة**). فقالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**)[1]"[2].

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا، عند قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] قال: "أي أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدًا عمله الجنة، ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات"[4].

كما قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، عند قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ "أي: ورثتم منازلها بعملكم ودخولكم إياها برحمة الله وفضله، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾[5]، وقال: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾[6]"[7].

كما بين ابن تيمية[8] رحمه الله وغيره أن من فهم أن الجزاء مقابل للأعمال مقابلة عوض وإيجاب فقد غلط، من وجوه، منها:

أحدها: أن الله تعالى ليس محتاجًا إلى عمل العباد كما يحتاج المخلوق إلى عمل من يستأجره. بل هو سبحانه كما قال في الحديث الصحيح: (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا**

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة: (٣/٤١٦).

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٧٢.

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧/٢٢٠).

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٠.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

(٧) تفسير القرطبي: (٧/٢٠٨).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى: (١٠/٧٠).

نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني)[1].

والعباد إنما يعملون لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[3] وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[6].

وأما العباد فإنهم محتاجون إلى من يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة، ويعطونه أجرة نفعه لهم.

الوجه الثاني: أن الله هو الذي منَّ على العامل بأن خلقه أولاً، وأحياه، ورزقه، ثم بأن أرسل إليه الرسل، وأنزل إليه الكتب، ثم بأن يسر له العمل، وحبَّب إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان.

والمخلوق إذا عمل لغيره لم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره، فكيف يتصور أن يكون للعبد على الله عوض، وهو خلقه وأحدثه وأنعم على العبد به وهل تكون إحدى نعمتيه عوضًا عن نعمته الأخرى وهو ينعم بكلتيهما.

الوجه الثالث: أن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلاً له ومعادلاً حتى يكون عوضًا، بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل.

الوجه الرابع: أن العبد قد ينعم ويتمتع في الدنيا بما أنعم الله به عليه مما يستحق

---

(١) جزء من حديث أبي ذر ﷺ، تقدم تخريجه (ص ١٤٨).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٥.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٥) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

بإزائه أضعاف ذلك العمل، إذا طلبت المعادلة والمقابلة. وإذا كان كذلك لم يبالغوا في الاجتهاد مبالغة من يضره الاجتهاد، كالمنبت الذي لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، وزال عنهم العجب، وشهدوا إحسان الله بالعمل.

الوجه الخامس: أن العباد لا بد لهم من سيئات، ولا بد في حياتهم من تقصير، فلولا عفو الله لهم عن السيئات وتقبله أحسن ما عملوا لما استحقوا ثوابًا، ولهذا قال ﷺ: (**من نوقش الحساب عذب**). قالت عائشة: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[1] قال: (**ذلك العرض، ومن نوقش الحساب عذب**)[2].

وقال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]

فقال النووي رحمه الله تعالى: "اعلم أن مذهب أهل السنة: أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب، ولا إيجاب ولا تحريم، ولا غيرهما من أنواع التكليف. ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع.

ومذهب أهل السنة أيضاً: أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، تعالى الله، بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه، وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه. ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك. ولكن الله أخبر وخبره الصدق أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين، ويدخلهم الجنة برحمته، ويعذب المنافقين ويخلّدهم

---

(١) سورة الانشقاق، الآيات: ٧-٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب: (٥/٢٣٩٤) برقم: (٦١٧١)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا: (٤/٢١٦٠)، برقم (٢٨٠٥).

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٥.

في النار عدلاً منه.

وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا، في خبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع. وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته. وأما قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة، والله أعلم"[3].

وأخيرًا دل هذا المبحث المتعلق بعبادة النبي ﷺ القلبية إلى ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وهو أيضاً عليه إجماع سلف الأمة أن أصول العبادة تقوم على أركان ثلاث وهي: المحبة والخوف والرجاء.

ولا بد للعبد أن يجمع بين هذه الأركان الثلاثة، فلا ينفرد أحدهما ولا كلاهما، لأن من عبد الله بالخوف وحده فقد سلك سبيل الخوارج الذين يجعلون الخالق بمنزلة سلطان جائر.

ومن عبد الله بالرجاء وحده فقد سلك سبيل المرجئة الذين غرتهم الأماني الزائفة على ترك الأعمال الصالحة.

ومن عبد الله بالمحبة وحدها فقد سلك سبيل غلاة الصوفية الذين يقولون: نعبد الله

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧٢.

(٣) شرح النووي على مسلم: (١٧/١٦٠).

تعالى لا خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، وإنما حبًّا فيه.

ولهذا قال السلف رحمهم الله كلمتهم المشهورة: "مَنْ عبدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌّ، أي: خارجي. ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف والحب والرجاء فهو مؤمن موحِّد"[1].

وعلى هذا فأهل السنة والجماعة يقتدون في عبادتهم القلبية بالنبي ﷺ، والاقتداء به لتحقيق المحبة والعبودية لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

بل هو اقتداء بالرسل والأنبياء من قبله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[3].

فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة؛ فَذَكَرَ مقاماتِ الإيمان الثلاثة الحب، والخوف، والرجاء.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[4].

وقال عن أوليائه الصالحين: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[5].

---

(١) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ومجموع الفتاوى: (١٠/١٤٩) وما بعدها، وانظر في الرد على الصوفية في هذا: الاستقامة: (٢/١٠٤- ١٢٠) ومدارج السالكين: (٢/٨٠-٨١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٦.

ثم إن من غلاة الصوفية من يزعم أنهم في عبادتهم لله تعالى لا يطمعون بالجنة ولا يخافون من ناره.

كقول القائل:

يَعْبُدُون اللهَ خَوْفًا مِنْ لَظَى فَلَظَى قَدْ عَبَدُوا لاَ رَبَّنَا

وَلِدَارِ الْخُلْدِ صَلُّوا لا لَهُ شِبْه قومٍ يَعْبُدونَ الوَثَنَا[1]

فهذا القول باطل ومنكر مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وذلك مما تقدم بيانه من عموم عبادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأوليائه الصالحين، وكذلك مما ورد من هدي رسول الله ﷺ في عبادته القلبية.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وطلب الجنة والاستعاذة من النار طريق أنبياء الله ورسله وجميع أوليائه السابقين المقربين وأصحاب اليمين"[2].

قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3].

ومدح الله تعالى من سأل الله تعالى أن يقيه عذاب النار، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4].

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[5].

ولقد دلت السنة القولية والفعلية والتقريرية على سؤال الله تعالى الجنة والرغبة بها والاستعاذة من النار.

---

(١) ترصيع الجواهر المكية لعبد الغني الرافعي: (ص ٤٩) ط المطبعة العامرية ١٣٠١هـ.

(٢) الزهد والورع والعبادة (ص: ١٣٣).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦.

فعن أبِي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: **(ما تقول في الصلاة؟)** قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة معاذ. فقال: **(حولها ندندن)**(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: **(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صَلُّوا عَليّ، فإنه من صَلَّى عَلَيّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد مِنْ عِباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة)**(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال:**

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة: (١/٢١٠) برقم: (٧٩٢)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ: (١/٢٩٤) برقم: (٩١٠)، وأحمد: (٣/٤٧٤) و(٥/٧٤)، وابن خزيمة: (١/٣٥٨)، وصحح إسناده الألباني في صفة الصلاة: (ص ٢٠٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ: (١/٢٨٨) برقم: (٣٨٤).

يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافةً. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزّ وجل: (٢٣٥٣/٥) برقم: (٦٠٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر: (٢٠٦٩/٤) برقم: (٢٦٨٩).

المبحث الخامس

سلامة قلبه ﷺ من الوساوس والأمراض

أولاً: سلامة قلبه من الوساوس.

تعريف الوساوس لغة:

سمعت وسوسة الشيء إذا سمعت حركته. قال الراجز:

تَـسْمَعُ للحَلْـي إِذَا مَـا وَسْوَسَـا
زَفْزَفَةَ الـرِّيحِ الحَـصَادَ اليَبَـسَا[1]

يقال: وسوس إليه الشيطان: أي ألقى في نفسه شرًّا. ويقال لما يقع في النفس من عمل الخير: إلهام[2].

"قال أبو إسحاق: الوَسْواس: ذو الوَسْواس، وهو الشّيطان"[3].

"وقال الفرّاء: الوِسْواس بالكسر المَصدَر. والوَسْواس: الشيطانُ، وكلُّ ما حَدَّثك أو وَسْوَس إليك، فهو اسمٌ.

وقال اللّيث: الوَسوسَة: النَّفس. والهَمْس: الصوت الخَفِيّ مِن رِيحٍ تَهُزّ قصَباً أو سِبّاً، وبه سُمِّي صوتُ الحُلي وَسْواساً"[4].

وفي الحديث: (**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**)[5].

(١) انظر: جمهرة اللغة: (١/٢٠٥).

(٢) انظر: غريب القرآن لابن عزيز السجستاني: (ص ٤٨٣).

(٣) تهذيب الغة: (١٣/٩٢).

(٤) تهذيب اللغة: (١٣/٩٢).

(٥) رواه أحمد: (١/٢٣٥) واللفظ له، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة: (٤/٣٢٩) =

وهي: حديث النفس والأفكار. ورجل موسوس: إذا غلبت عليه الوسوسة، وقد وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً.

الوسوسة شرعاً:

والوسوسة هي "ما يلقيه الشيطان في القلب. هكذا يقول أبو عبيدة والله أعلم"[1].

لقد حفظ الله نبيه محمداً ﷺ من تسلط الشيطان على قلبه بالوساوس، وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، وفيما يلي بيانها:

١- استخراج حظ الشيطان من قلبه ﷺ:

فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه -يعني ظئره- فقالوا: إن محمداً قد قُتِل، فاستقبلوه وهو منتقع اللّون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[2].

٢- أنه لا يلقى في قلبه ﷺ إلا خيرا:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن)**. قالوا: وإياك؟ يا رسول الله؟ قال: **(وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير)**[3].

قال القاضي عياض: "واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان

= برقم: (٥١١٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه ابن حبان: (١٤٧)، والألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(١) غريب القران: (ص ٤٨٣).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣١٢).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٩٥).

وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس"(١).

وقد تقدم بطلان ما ورد من شبهات بإمكان تسلط الشيطان بالوسواس على النبي ﷺ في مطلب عصمته ﷺ.

ثانياً: سلامة قلبه من الأمراض:

لقد سلم الله عز وجل نبيه ﷺ من آفات وأمراض القلب، كالحسد، والغل، والكبر، والنفاق، والشك، والريب، والفظاظة، والغي، والقسوة، ونحو ذلك من الأمراض القلبية، فقد وصف الله عز وجل رسوله ﷺ بسلامة قلبه، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٢).

عن قتادة: إي والله، لطهّره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريبًا رحيمًا بالمؤمنين رءوفًا(٣).

وقد تقدم في صفته ﷺ أنه ليس بفظ ولا غليظ.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٤). قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا، ومبشرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك: المتوكل؛ ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا(٥).

ومما يدل على سلامة قلبه ﷺ من أمراض القلوب أنه ما انتقم لنفسه قط، قالت

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٢/٢٧٥)

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) تفسير الطبري: (٦/١٨٧).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٥) تقدم تخريجه (ص ١٢٣).

عائشة رضي الله عنها: ... والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله[1].

فقد جاءت السنة دالة على عفوه وصفحه وسلامة قلبه تجاه أعدائه حتى بمن هَمَّ بقتله أو أساء إليه.

فعن أنس رضي الله عنه: أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك. قال: (**ما كان الله ليسلطك على ذاك**). قال: أو قال: (**علي**). قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: (**لا**). قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد وعليه رداء نجراني غليظ الصنعة، فجاء أعرابي من خلفه فجذب بطرف ردائه جذبة شديدة، حتى أثرت الصنعة في صفح عنق رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أعطنا من مال الله الذي عندك. قال: فالتفت إليه النبي ﷺ فتبسم ثم قال: (**مروا له**)[3].

وقد ظهرت دلائل هذه السلامة لقلبه ﷺ من أمراض القلوب في أصعب المواقف وأشدها عندما رجع من الطائف بعدما أوذي في الله.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ فقال: (**لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله: (٦/٢٤٩١) برقم: (٦٤٠٤)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام: (٤/١٨١٣) برقم: (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية من المشركين: (٢/٩٢٣) برقم: (٢٤٧٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب السم: (٤/١٧٢١) برقم: (٢١٩٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم...: (٣/١١٤٨) برقم: (٢٩٨٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة: (٢/٧٣٠) برقم: (١٠٥٧)، وهذا لفظ أحمد: (٣/٢٢٤).

العقبة[1]، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت.

فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب[2]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عزّ وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فناداني ملك الجبال، وسلّم علي، ثمّ قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربّك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[3]؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا)[4].

كما دلت السنة النبوية على تواضعه ﷺ وسلامة قلبه من الكبر:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)[5].**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم)**، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: **(نعم، كنت أرعاها على قراريط[7] لأهل مكة)[8].**

---

(١) موضع بمنى، انظر: معجم البلدان: (١٣٤/٤).

(٢) موضع بين مكة والطائف، انظر: معجم البلدان: (٣٣٢/٤).

(٣) جبلان بمكة، انظر: معجم البلدان: (١٢٢/١).

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٠٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب الهدبة وفضلها، باب القليل من الهبة: (٩٠٨/٢) برقم: (٢٤٢٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر: (٢٢٥٥/٥) برقم: (٥٧٢٤).

(٧) القراريط جمع قيراط، وهو جزء من الدينار أو الدرهم. انظر: لسان العرب: (٣٧٥/٧).

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط: (٧٨٩/٢) برقم: (٢١٤٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك، فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: (**اسقني**)، فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: (**اسقني**)، فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها. فقال: (**اعملوا، فإنكم على عمل صالح. ثم قال: لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه**)، وأشار إلى عاتقه"[1].

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب سقاية الحاج: (٢/٥٨٩) برقم: (١٥٥٤).

المبحث السادس

حزنه وهم قلبه ﷺ

الحزن لغة:

الحاء والزاء والنون أصل واحد وهو خشونة الشيء وشدة فيه، فمن ذلك: الحـزَن وهو ما غلظ من الأرض. والحزْن: معروف، يقال: حزن يحزن حُزْنًا وحَزَنًا.

وقد قرئ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]: وحَزَني.

ويقال: -عنه-: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده: الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشنت بصدره إذا حزنته. يقال: حزن يحزن، وحزنته وأحزنته.

قال عز وجل: ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾[2] ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾[3] ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[4] ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[5].

والهم لغة: الحُزنُ، والجمع: الهُمومُ. وأهَمَّك الأمرُ، إذا أقلقك وحزَنك. ويقال: هَمُّكَ ما أهَمَّكَ. والمُهِمُّ: الأمر الشديد[6].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٦) انظر: لسان العرب: (١١١/١٣)، ومقاييس اللغة: (٥٤/٢)، والمفردات: (ص ١١٥-١١٦)، =

وتقول: أهمَّني الأمر. والمُهِمَّاتُ من الأمور: الشدائِد. قال: والهَمُّ: الحُزْن[1].

وقيل: الهم: الحزن الذي يذيب الإنسان، يقال: هممت الشحم فانهمَّ[2].

الحزن اصطلاحاً:

عبارة عما يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي[3].

وقد ثبت حزن قلبه وهمه ﷺ في الكتاب والسنة.

أولاً: القرآن الكريم:

لقد وردت النصوص القرآنية بأنواع عدة من الصور التي تشير إلى حزن قلبه ﷺ، تارة بالتصريح، وتارة إشارة إلى ضيق صدره، وتارة بالأسى أو الأسف أو الحسرات، وكل هذه الصور الصادرة منه ﷺ دالة على شدة حزنه ﷺ على تركهم الرسالة وإعراضهم عنها وتكذيبهم لها، وهذا من منطلق حرصه الشديد لهدايتهم والطمع في إيمانهم، وقد نهاه الله تعالى عن هذا الحزن والأسى لأنه عليه الصلاة والسلام إنما عليه البلاغ، وعلى الله الحساب. والحزن في هذا لا موضع له لذا لم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

= والصحاح: (٥/٢٠٩٨)، وجمهرة اللغة: (١/٥٢٩).

(١) انظر: تهذيب اللغة: (٥/٢٤٨).

(٢) المفردات في غريب القرآن: (ص ٥٤٥).

(٣) التعريفات: (١/١١٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.

سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[9].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٣.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٦.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٦) سورة النمل، الآية: ٧٠.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٨) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ٣.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وجميع تلك الصور الدالة على حزن قلبه ﷺ هي صور محمودة، لا من جهة الحزن ذاته، ولكن من جهة موجب الحزن، وهو الشفقة والحرص الشديد بدخول جميع الخلق في دين الله.

ثانيًا: السنة:

١- حزن قلبه ﷺ من جهة خوفه أن يحرم فضل تكليفه بالرسالة.

كما في حزنه عندما فتر عنه الوحي، كما في حديث عائشة ﵂ وفيه: وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مرارًا كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال[2].

٢- حزن قلبه ﷺ بما يدل على الشفقة والرحمة والمحبة.

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما جاء النبي ﷺ قتل ابن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، جلس يُعرف فيه الحزن...[3].

٣- حزن قلبه ﷺ بوفاة المؤيد والناصر له بعد الله عز وجل، وذلك بوفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، وعمه أبي طالب في عام واحد حتى سمي عام الحزن[4].

٤- وعن أنس قال: قنت النبي ﷺ شهرًا بعد الركوع حين قُتِل القراء، فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنًا قط أشد منه[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة: (٢٥٦١/٦) برقم: (٦٥٨١)، وذكر الحافظ في الفتح: (٣٥٩/١٢) أنه قوله: "فترة حتى حزن..." من بلاغات الزهري رحمه الله.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن: (٤٣٧/١) برقم: (١٢٣٨)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة: (٦٤٤/٢) برقم: (٩٣٥).

(٤) الرحيق المختوم: (ص ١١٥).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء الإمام على من نكث عهداً: (١١٥٦/٣) =

٥- حزن قلبه بموت ابنه إبراهيم عليه السلام:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين -وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام- فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: (**يا ابن عوف إنها رحمة**)، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: (**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**)[1].

٦- حزن قلبه ﷺ عندما عاد من الطائف وقد أوذي من أهلها.

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: (**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني أو إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**)[2].

ويلاحظ من خلال النصوص الشرعية أن حزن النبي ﷺ يدل على الأمور التالية:

١- حزن قلبه ﷺ يدل على بشريته ﷺ، وأن ما يصيبه ﷺ من الهم والحزن من جنس ما يجري على البشر.

= برقم: (٢٩٩٩)، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (٤٦٨/١) برقم: (٦٧٧).

(١) سبق تخريجه (ص ٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء: (٣١٥/١) برقم: (١٠٣٦)، وابن عدي في الكامل: (١١١/٦)، وقال: الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣٥/٦): "رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق؛ وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات". وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (١١٨٢).

٢- كمال شفقته ﷺ وحرصه على هداية الخلق، فهو يهْتَمُّ ويحزن لما يرى من مخالفة النّاس لعبادة الله سبحانه وتعالى، لأنه يريد للناس الخير، ويريد لهم النجاة.

المبحث السابع

لا ينام قلبه ﷺ

عن أبي سلمة أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان النبي ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً. فقلت: يا رسول الله! أتنام قبل أن توتر؟ فقال: (**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**)[1].

وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره: (٣٨٥/١) برقم: (١٠٩٦)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ: (٥٠٩/١) برقم: (٧٣٨). وانظر: ألفاظ الروايات في "جامع الأصول": (٩١/٦-٩٦) الطبعة الشامية.

المبحث الثامن

ما ورد في إسلام قرينه

عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن)**. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: **(وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير)**[1].

وعَن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(فضّلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافراً، فأعانني الله عليه حتى أسلمَ)**، ونسيت الخصلة الأخرى[2].

واختلف العلماء: هل الرفع أولى أو الفتح في قوله عليه الصلاة والسلام: **(فأسلم)** على قولين:

القول الأول: الفتح، وعليه جمهور الحفاظ[3].

وهي على معنيين:

أحدهما: أن المراد بأسلم: استسلم وانقاد، وقد جاءت رواية بهذا المعنى وهو قوله: **(فاستسلم)**.

والمعنى الآخر: معناه صار مسلمًا مؤمنًا، وهذا هو الظاهر.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٦٣).

(٢) رواه البزار: (١٤/٢٤٩) برقم: (٧٨٢٦)، وفيه إبراهيم ابن صِرمَة، وهو ضعيف كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/٢٢٥، ٢٦٩)، ولكن يعضده رواية مسلم السابقة، ينظر: الشفا (٢/١١٨)، وشرح الزرقاني على المواهب: (٧/٢٦٠، ٢٦١)، وشرح الشفا للملا على (٢/٢١٤)، والمنهاج شرح مسلم: (٩/١٧٣) برقم: (٢٨١٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (١٧/٥٢٣).

القول الثاني: الضم، فيكون المعنى: فأسلمُ أنا من شره وفتنته[1].

وبيَّن ابن تيمية أن المراد إخضاعه وقهره، وهذا هو إسلامه فقال: "أي: استسلم وانقاد، وكان ابن عيينة يرويه (فأسلمُ) بالضم ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: **(فلا يأمرني إلا بخير)**. دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله، كما يقهر الرجلُ عدوَّه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله، بل يعاقبه على ذلك، فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته وعجزه، لا لصلاحه ودينه؛ ولهذا قال ﷺ: **(إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير)**[2]"[3].

قال العلامة ابن جبرين في معنى هذا الحديث ووجه المفارقة بين النبي ﷺ وغيره من سائر البشر: "وليس معناه: أنه أصبح مسلماً، بل المراد أنه أذعن واستسلم، ولم يعد يأمر إلا بالخير؛ وذلك لأن الله تعالى عصم نبيه ﷺ عن أن يتسلط عليه الشيطان، فأعانه عليه، كما أن الله تعالى سخر الشياطين لسليمان، أحد أنبياء الله تعالى، وذلَّلهم له، فصاروا يعملون عنده، يقول تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾[4] سخرهم الله لسليمان، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فذلل الله له ذلك الشيطان فلم يعد يأمره إلا بخير، أما جنس بني آدم، فكل إنسان لابد أن يتسلط عليه هذا الشيطان ويوسوس له، فإذا رزقه الله الإيمان، ورزقه قوة اليقين، فإن تلك الوساوس التي يوسوس بها لا تبقى في قلبه، ولا يصدق بها، بل ينكرها ويدفعها، وهذا حقيقة المؤمن الصحيح الإيمان، ثم يعوضه الله أن الملَك الذي هو قرينه يثبته، ويذكره، وينشطه، ويدفعه ويدعوه

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٧/٥٢٣).

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٧/٥٢٣).

(٤) سورة ص، الآيات: ٣٧-٣٨.

إلى الخير، ويحثه عليه، فيقوى الجانب الإيماني، وإذا قوي الجانب الإيماني عزم على الأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة، فهذا هو المؤمن القوي، أما الذي إيمانه ضعيف، فإن الشيطان يتقوى عليه، وتتمكن وسوسته من قلبه، وتصده عن الهدى، وتوقعه في الردى، ولا يطيع نصح الناصحين، ولا ينيب إلى لمة المَلَك، ولا يلتفت إليها، فيبقى بعيداً عن الخير، مقبلاً على الشر، فهكذا كل إنسان، إما أن يكون إيمانه ضعيفاً فيقوى عليه قرين السوء وهو الشيطان، وإما أن يكون إيمانه قويّاً فيقوى عليه قرين الخير وهو الملك. والقوة والضعف ليست بالقوة البدنية، ولكنها القوة الإيمانية، القوة قوة الإيمان، كون الإيمان راسخاً في القلب، إذا جاءته وساوس الشيطان اضمحلّت، وإذا جاءته تثبيتات المَلَك تمكنت وقويت، فهذا هو السبب في انقسام الناس إلى من يكون عدوّاً لله ومن يكون وليّاً لله، من يكون وليّاً للشيطان ومن يكون وليّاً للرحمن، فأولياء الرحمن هم الذين أطاعوا الله تعالى، وأطاعوا رسله، وصارت الملائكة الذين معهم يرشدونهم إلى الخير، فيتبعونهم، وأولياء الشياطين هم الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله"[1].

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين: (٣/٢١٥).

المبحث التاسع

انشراح صدره ﷺ، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1] ودلالته العقدية

قال الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مذكّره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضًّا له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ﴿صَدْرَكَ﴾ فنلين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة"[2].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: "﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يعني: أما شرحنا لك صدرك، أي: نورناه وجعلناه فَسيحًا رحيبًا واسعًا، كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[3]، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شَرْعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق"[4].

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "والمراد بالصدر هنا: القلب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرحه بنور الإسلام[5]، وقال سهل: بنور الرسالة[6]، وقال الحسن:

(١) سورة الشرح، الآية: ١.

(٢) تفسير الطبري، ت شاكر: (٢٤/٤٩٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٤) تفسيرالقرآن العظيم لابن كثير: (٤/٦٢٤- ٦٢٥).

(٥) علقه البخاري بصيغة التضعيف بنحوه في صحيحه: (٤/١٨٩٢) بعد رقم: (٤٦٦٨).

(٦) انظر: تفسير السلمي: (٢/٤٠٤).

ملأه حكمًا وعلمًا[1]، وقيل معناه: ألم يطهر قلبك حتى لا يقبل الوسواس"[2].

وقيل: ما حصل لصدره من أمر حسي في شق صدره عليه الصلاة والسلام من قبل الملك وقد تقدم بيانه[3].

ولهذا قال صاحب أضواء البيان: "واختلف في معنى شرح الصدر، إلا أنه لا منافاة فيما قالوا، وكلها يكمل بعضها بعضًا.

فقيل: هو شق الصدر سواء كان مرة أو أكثر، وغسله وملؤه إيمانًا وحكمةً، كما في رواية مالك بن صعصعة في ليلة الإسراء، ورواية أبي هريرة في غيرها[4].

وفيه كما في رواية أحمد: أنه شق صدره، وأخرج منه الغل والحسد، في شيء كهيئة العلقة، وأدخلت الرأفة والرحمة[5].

وقيل: شرح الصدر إنما هو توسيعه للمعرفة والإيمان ومعرفة الحق، وجعل قلبه وعاء للحكمة.

وفي البخاري عن ابن عباس: "شرح الله صدره للإسلام"[6].

وعند ابن كثير: "نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا، كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾"[7].

والذي يشهد له القرآن: أن الشرح هو الانشراح والارتياح. وهذه حالة نتيجة استقرار الإيمان والمعرفة والنور والحكمة. كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٣١١/٦) برقم: (٣١٦٩٠).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى محذوف الأسانيد: (٦٠/١).

(٣) زاد المسير في علم التفسير: (٤٦٠/٤).

(٤) تقدم تخريجها (ص ٣١٣).

(٥) تقدم تخريجها (ص ٣١٣).

(٦) تقدم تخريجه (ص ٣٧٨).

(٧) تفسير ابن كثير: (٦٢٤/٤).

لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[1]، فقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: بيان لشرح الصدر للإسلام.

كما أن ضيق الصدر دليل على الضلال، كما في نفس الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[2].

وفي حاشية الشيخ زادة علي البيضاوي، قال: لم يشرح صدر أحد من العالمين كما شرح صدره عليه السلام حتى وسع علوم الأولين والآخرين، فقال: (**أوتيت جوامع الكلم**).

ومراده بعلوم الأولين والآخرين: ما جاء في القرآن من أخبار الأمم الماضية مع رسلهم وأخبار المعاد، وما بينه وبين ذلك مما علمه الله تعالى.

والذي يظهر والله تعالى أعلم: أن شرح الصدر الممتن به عليه ﷺ أوسع وأعم من ذلك، حتى إنه ليشمل صبره وصفحه وعفوه عن أعدائه، ومقابلته الإساءة بالإحسان، حتى إنه ليسع العدو، كما يسع الصديق.

كقصة عودته من ثقيف إذ آذوه سفهاؤهم، حتى ضاق ملك الجبال بفعلهم، وقال له جبريل: إن ملك الجبال معي، إن أردت أن يطبق عليهم الأخشبين فعل[3]، فينشرح صدره إلى ما هو أبعد من ذلك، ولكأهم لم يسيئوا إليه، فيقول: (**اللهم اهد قومي؛ فإنهم لا يعلمون**)[4]،... (**إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله**)[5].

وتلك أعظم نعمة وأقوى عدة في تبليغ الدعوة وتحمل أعباء الرسالة، ولذا توجه نبي

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٣) تقدم تخريجها (ص ١٠٣).

(٤) تقدم تخريجها (ص ١٠٣).

(٥) تقدم تخريجها (ص ٣٦٦).

الله موسى إلى ربه يطلبه إياها، لما كلف الذهاب إلى الطاغية فرعون، كما في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾﴾[(١)]"[(٢)].

فقد دلت هذه الآية الكريمة على كمال ربوبيته سبحانه وتعالى، وأن التوفيق والهداية والإقبال على الله تعالى وانشراح الصدر بذلك إنما هو من خصائص الله تعالى، لا يشاركه فيها أحدٌ كائنًا من كان. وهو رد على الغلاة الذين يتوجهون لرسول الله ﷺ ويطلبون منه ما لا يملكه، بل هو مما امتن الله عليه به، وأن ما ناله عليه الصلاة والسلام من مكانة رفيعة إنما هي بفضل الله تعالى ومنته، وفيها أيضاً دلالة على بشريته ﷺ وافتقاره لعفو ربه وفضله.

---

(١) سورة طه: الآيات: ٢٥-٣١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٥٧٤/٨).

المبحث العاشر

رؤيته عليه الصلاة والسلام لربه الرؤية القلبية والمنامية

فيه مسألتان:

المسألة الأولى: تتعلق برؤية النبي ﷺ لربه الرؤيا القلبية، وهي ثابتة له ﷺ، وهي أصح الأقوال كما سيأتي معنا في المبحث القادم.

والذي يهمنا في هذا المبحث أن نبين ما هو المقصود برؤية النبي ﷺ لربه الرؤيا القلبية؟.

فقد أجاب عن هذا غير واحد من علماء الأمة رحمهم الله:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1].

"جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية"[2].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله في المفهم: "وقول ابن عباس: أنه ﷺ رآه بفؤاده مرتين، الفؤاد: القلب. ولا يريد بالرؤية هنا: العلم، فإنه ﷺ كان عالمًا بالله تعالى على الدوام، وإنما أراد أن الرؤية التي تخلق في العين خلقت للنبي ﷺ في القلب.

وهذا على ما يقوله أئمتنا أن الرؤية لا يُشترط فيها محل مخصوص عقلاً، بل يجوز أن تخلق في أي محل كان، وإنما العادة جارية بخلقها في العين"[3].

وقال ابن حجر رحمه الله: "ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد

---

(١) سورة النجم، الآية: ١١.

(٢) تفسير القرطبي: (١٧/٩٢) .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: (٣/٢٦).

حصول العلم"[1].

المسألة الثانية: رؤيته عليه الصلاة والسلام لربه الرؤيا المنامية.

وهذه الرؤيا ثابتة له في السنة النبوية من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعًا، فثوَّب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوّز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته، قال لنا: (**على مصافكم كما أنتم**) ثم انفتل إلينا، ثم قال: (**أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثًا. قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلّى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: ما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات. قال: فيم؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك**). قال رسول الله ﷺ: (**إنها حق فادرسوها ثم تعلموها**)[2].

وهذا الحديث روي عن جمع من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: ابن عباس رضي الله عنهما[3]،

---

(١) فتح الباري: (٨/٦٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن...، باب ومن سورة ص: (٥/٣٦٨) برقم: (٣٢٣٥)، وأحمد: (٥/٢٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي، باب سورة ص: (٥/٢١٩) برقم: (٣٢٣٣)، وأحمد في مسنده: (١/٣٦٨)، وابن خزيمة: (١/٣٢١) برقم: (٣١٩)، والرؤية للدارقطني: (١/٢٩١) برقم: (١٨٩) وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

وثوبان مولى رسول الله ﷺ[1] وأبو أمامة رضي الله عنه[2] وجابر بن سمرة رضي الله عنه[3] وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وهذه الروية المنامية لرسول الله ﷺ لربه في المنام اشتملت على مسألتين:

المسألة الأولى: جواز رؤية الله في المنام، وحكي اتفاق العلماء على جوازها .

قال ابن حجر: "و لم يختلف العلماء في جواز رؤية الله تعالى في المنام"[4].

وذكر النووي في "شرح مسلم" عن القاضي أنه قال: "واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها"[5].

وقال ابن تيمية: -في بيان مخالفة الجهمية وشدة إنكارهم لرؤية الله، حتى رؤيته المنامية- قال: "نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر ما يرى في المنام، فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم، وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى"[6].

قال الإمام البغوي: "رؤية الله في المنام جائزة، قال معاذ عن النبي ﷺ: **(إني نعست فرأيت ربي)** وتكون رؤيته جلت قدرته: ظهور العدل، والفرج والخصب والخير لأهل

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد: (٣٢١/١) برقم: (٣٢٤)، وابن أبي عاصم في السنة: (٢٠٤/١) برقم: (٤٧٠)، والبغوي في شرح السنة: (٣٨/٤) برقم: (٩٢٥)، وانظر: مجمع الزوائد: (١٧٧/٧) قال الألباني: "حديث صحيح بما تقدم له من شواهد".

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (١٧٠/١) برقم: (٣٧٩)، والطبراني في الكبير: (٩/٨) برقم: (٨١١٧ و٣١٩)، والرؤية للدارقطني: (٢٩١/١) برقم: (١٩٥) وصححه الألباني السلسلة الصحيحة: (٢/١٢) برقم: (٣١٦٩).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: (٢٠٣/١) برقم: (٤٦٥) وقال الألباني: "إسناده حسن".

(٤) فتح الباري : (٣٨٧/١٢).

(٥) شرح النووي: (٤٥٧/٧).

(٦) بيان تلبيس الجهمية: (٧٣/١).

ذلك الموضع، فإن رآه فوعد له جنة أو مغفرة، أو نجاة من النار، فقوله حق ووعده صدق، وإن رآه ينظر إليه، فهو رحمته، وإن رآه معرضًا عنه، فهو تحذير من الذنوب، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾[1] وإن أعطاه شيئًا من متاع الدنيا فأخذه، فهو بلاء ومحن وأسقام تصيب بدنه، يعظم بها أجره، لا يزال يضطرب فيها حتى يؤديه إلى الرحمة، وحسن العاقبة"[2].

المسألة الثانية: لا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام؛ فإن سائر ما يُرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً"[3].

وقال أيضاً: "فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك، فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها.

بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبًا مشابهاً لها فالله تعالى أجل وأعظم"[4].

وقال أيضاً: "قد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق."[5]

وقال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى بعد نقله جواز رؤية الله في المنام: "... ولكن يكون ما رآه ليس هو الحقيقة؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٢) شرح السنة للبغوي: (١٢/٢٢٧-٢٢٨).

(٣) بيان تلبيس الجهمية: (١/٧٣).

(٤) المصدر نفسه: (١/٧٤)

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣/٣٩٠)، وانظر أيضاً: (٢/٣٣٦).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فليس يشبهه شيء من مخلوقاته، لكـــن قد يرى في النوم أنه يكلمه ربه، ومهما رأى من الصور فليست هي الله جل وعلا؛ لأن الله لا يشبهه شيء سبحانه وتعالى، فلا شبيه له ولا كفو له"[2].

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) مجموع فتاوى ابن باز: (٦/٣٦٨).

الفصل الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بعينه وبصره ﷺ

وفيه تسعة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج بعينه؟.

المبحث الثاني: قوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ودلالة ذلك العقدية.

المبحث الثالث: رؤيته ﷺ ما لا يرى غيره وحدود رؤيته.

المبحث الرابع: هل يرى في الظلمة كما يرى في الضوء؟.

المبحث الخامس: رؤيته ﷺ ما وراء ظهره.

المبحث السادس: رؤيته ﷺ للجنة والنار.

المبحث السابع: هل يستثنى ﷺ من قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾؟.

المبحث الثامن: رؤيته ﷺ لأناس في النار وأناس في الجنة.

المبحث التاسع: رؤيته ﷺ للملائكة.

المبحث العاشر: رؤيته ﷺ للشياطين والجن في صورهم.

المبحث الحادي عشر: رؤيته ﷺ لملكوت الأرض والسماء.

المبحث الثاني عشر: رؤيته ﷺ وهو بمكة بيت المقدس.

المبحث الثالث عشر: رؤيته ﷺ أماكن مصارع المشركين يوم بدر قبل مصرعهم.

المبحث الرابع عشر: رؤيته ﷺ مشارق الأرض ومغاربها حين زوى الله له الأرض.

المبحث الخامس عشر: نفي خائنة الأعين عنه ﷺ.

المبحث السادس عشر: مسألة ذرف عينه ﷺ في وفاة بعض أولاده، ودلالة ذلك على الرحمة، والرد على من زعم أن ذلك ينافي الصبر.

المبحث السابع عشر: نوم عينيه دون قلبه.

المبحث الثامن عشر: إشارته إلى عينه وأذنه عند قراءته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

المبحث التاسع عشر: أوصاف عينيه ﷺ.

المبحث الأول

هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج بعينيه؟

قبل الإجابة عن هذا المبحث أؤكد على أصل من أصول أهل السنة والجماعة وعليه إجماعهم، وهو أن الله سبحانه وتعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينيه[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت"[(٢)].

واستدلوا بما صح عن رسول الله ﷺ من قوله في الحديث المشهور المحذِّر به من فتنة الدجال: (**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**)[(٣)].

قال الإمام البربهاري[(٤)]: "ومن زعم أنه يرى ربه في الدنيا فهو كافر بالله عز وجل"[(٥)].

وهذا الأصل بعدم رؤية الله في الأرض لا يُستثنى منه أحد، حتى رسول الله ﷺ، وما ورد من آثار تدل على رؤية رسول الله ﷺ لربه في الأرض فهي آثار مكذوبة وموضوعة

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ت الأرناؤوط: (٢٢٢/١)، والرد على الجهمية للدارمي: (ص ٣٠٦)، (ضمن عقائد السلف)، ومجموع الفتاوى: (٥١٠/٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣٨٩/٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد: (٢٢٤٥/٤) رقم: (١٦٩).

(٤) هو الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد شيخ الحنابلة في وقته من أهل بغداد، كان شديد الإنكار على أهل البدع بيده ولسانه، مات سنة ٣٢٩هـ.

انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (٣٦/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير: (٢٠١/١١).

(٥) شرح السنة: (ص ٨٤).

باتفاق المسلمين[1].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وكل حديث فيه أن محمدًا ﷺ رأى ربه بعينه في الأرض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم، هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم"[2].

وأما ما يتعلق بهذا المبحث وهو هل رؤية رسول الله عليه الصلاة والسلام ربه ليلة الإسراء والمعراج بعينه فهو خلاف قديم وقع مبكراً في عهد أصحاب رسول الله ﷺ، كما

---

(١) ومن هذه الآثار:

١- "أنه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف". وكلها أكاذيب لا تصح.

٢- "إن الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة"، قال ابن تيمية: "وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله ﷺ، وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق، و لم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلاً، بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة بالحديث على أنه مكذوب على رسول الله ﷺ. وقال أهل العلم -كابن قتيبة وغيره-: هذا وأمثاله إنما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به على أهل الحديث". مجموع الفتاوى: (٣/٣٨٥).

٣- أن الله يمشي على الأرض فإذا كان موضع خضرة قالوا: هذا موضع قدميه، ويقرءون قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ هذا أيضاً كذب باتفاق العلماء. و لم يقل الله: فانظر إلى آثار خطى الله، وإنما قال: (آثار رحمة الله) ورحمته هنا: النبات.

٤- أن محمدًا ﷺ رأى ربه في الطواف. وفي بعضها: أنه رآه وهو خارج من مكة. وفي بعضها: أنه رآه في بعض سكك المدينة.

٥- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مرفوعًا: (**رأيت ربي يوم عرفة بعرفات على جمل أحمر، عليه إزاران وهو يقول: قد سمحت، قد غفرت، إلا المظالم، فإذا كانت ليلة المزدلفة لم يصعد إلى السماء، حتى إذا وقفوا عند المشعر، قال: غفرت حتى المظالم، ثم يصعد إلى السماء وينصرف الناس إلى منى**). انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: (١/١٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى: (٣/٣٨٦).

أن الخلاف في مثل هذا النوع من المسائل لا يعنف قائله، ولا يعد خروجاً على معتقد السلف[1].

وقد اختلف السلف رحمهم الله تعالى ومن تبعهم في هذه المسألة من حيث الجملة على عدة أقوال:

القول الأول: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج مطلقاً دون تقييد بجارحة من جوارح الرؤية.

وقد جاءت رواية بهذا القول موقوفة على بعض أصحاب رسول الله ﷺ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما عدة روايات بهذا المعنى:

الأولى: ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ[2].

والرواية الثانية عنه أيضاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[3] قال رضي الله عنهما: "قد رآه النبي ﷺ"[4].

وروي عنه أيضاً: رأى محمد ربه[5].

الثالثة: ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن محمدًا ﷺ قد رأى ربه تبارك وتعالى[6].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: (١٠/١١٤).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: (١٠/٢٧٦) رقم: (١١٤٧٥)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٢/٥٠٩) برقم: (٣٧٤٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم: (٤٤٢).

(٣) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة والنجم: (٥/٣٩٥) برقم: (٣٢٨٠)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة والنجم (٥/٣٩٥) برقم: (٣٢٧٩)، وابن خزيمة في التوحيد: (١/٢٩٤) برقم: (٢٨١)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٦) السنة لابن أبي عاصم: (١/١٨٨) برقم: (٤٣٢)، وضعفه الألباني في ظلال الجنة برقم: (٤٣٢).

الرابعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سئل: هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل؟ فقال: نعم، قد رآه[1].

وقد قال بهذا القول بعض التابعين والأئمة، منهم: عكرمة[2]، والحسن البصري[3]، والزهري[4]، ومعمر[5]، وهو رواية عن الإمام أحمد[6]، وقول ابن خزيمة[7]، والآجري[8]، وغيرهم.

القول الثاني: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج، وتقييدها بالرؤيا القلبية لا البصرية.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة: (١/١٧٦) برقم: (٢١٨). قال محقق الكتاب: "إسناده ضعيف".

وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٣/٥٧١) برقم: (٩٠٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: (٢٧/٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/٣٣١٨) برقم (١٨٦٩٧).

وانظر: الشفا: (١/٢٥٨)، وتفسير البغوي: (٧/٤٠٣).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد: (٢/٤٨٨) برقم: (٢٨١)، وانظر: تفسير الحسن البصري: (٥/٨٥) برقم: (١٥٧٢)، وتفسير عبد الرزاق: (٢/٢٠٤)، والشفا للقاضي عياض: (١/٢٥٨).

وقد ذكر البغوي في تفسيره: (٧/٤٠٣) عن الحسن أنه قال: رآه بعينه. ولم يعزه. وذكر هذا الأثر جامع تفسير الحسن، وعزاه للبغوي فقط. انظر: تفسير الحسن البصري: (٥/٨٥) برقم: (١٥٧١).

(٤) انظر: فتح الباري: (٨/٤٧٤).

(٥) التوحيد لابن خزيمة: (٢/٥٦٢).

(٦) مجموع الفتاوى: (٦/٥٠٩).

(٧) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة: (٢/٤٧٧) وما بعدها.

(٨) الشريعة للآجري: (٣/١٥٤١-١٥٥١).

وقد جاءت بذلك رواية مرفوعة إلى النبي ﷺ ولكنها ضعيفة[1]، والباقي إنما هي روايات موقوفة على بعض أصحاب رسول الله ﷺ.

فالرواية المرفوعة هي ما رواه محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النَّبِيِّ ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: **(لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين)**. وهي ضعيفة لإرسالها[2].

وأما الروايات الموقوفة عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ فهي:

ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[3] قال: إن النبي ﷺ رأى ربه بقلبه[4].

وفي رواية عنه أيضاً أن النبي ﷺ رأى ربه بفؤاده مرتين[5].

وأخرج النسائي عن أبي ذر، قال: رأى النبي ﷺ ربه تبارك وتعالى بقلبه و لم يره ببصره[6].

وهو قول لبعض التابعين والأئمة، منهم: مجاهد بن جبر[7]، وأبو العالية[8]، وهي

(١) رؤية النبي ﷺ لربه: (ص١٢).

(٢) جامع البيان للطبري: (٦٢/٢٧)، تفسير ابن كثير: (٢٦٨/٤).

(٣) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: (١٥٨/١) برقم: (١٧٦)، وهذا لفظ أحمد في المسند: (٢٢٣/١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: (١٥٨/١) برقم: (١٧٦)، وهذا لفظ أحمد في المسند: (٢٢٣/١).

(٦) السنن الكبرى للنسائي: (٤٧٢/٦) برقم: (١١٥٣٦).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره: (٥٦/٢٧). والبيهقي في الأسماء والصفات: (٣٥٣/٢) برقم: (٩٢٧).

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: (١٦٠/٦).

رواية عن الإمام أحمد(١)، وقولُ ابنِ تيمية(٢)، وابنِ كثير(٣)، وابن أبي العز(٤)، وابن حجر(٥)، والسفاريني(٦) (٧)، وغيرهم.

القول الثالث: نفي رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه مطلقاً لا بعينه ولا بقلبه، وبهذا جاءت روايات موقوفة على بعض أصحاب رسول الله ﷺ:

فعن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾(٨)، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض**)، فقالت: أوَلَم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾(٩) أو لم تسمع أن الله

---

(١) رؤية النبي ﷺ لربه: (ص ٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/٤٢٣).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٢٢).

(٥) فتح الباري (٨/٤٧٤).

(٦) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق له عدة كتب منها: لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية في عقد أهل الفرقة المرضية، وشرح منظومة له في عقيدة السلف، مات سنة ١١٨٨هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: (٦/١٤).

(٧) لوامع الأنوار البهية: (٢/٢٥٤-٢٥٥).

(٨) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٩) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

يقـــول: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1]، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2]، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقـــد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3] [4].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قـــال: سألت رســـول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: (**نـــور أنى أراه**)[5].

وهو قول الدارمي[6]، وابن عطية[7]، وأبي حيان[8].

القول الرابع: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج وتقييده برؤيا العين.

ونسب البغوي هذا القول لابن عباس: أن النَّبيّ ﷺ رأى ربه بعينه[9].

وما روي عن أبي عبيدة مرفوعًا: (**لما كانت ليلة أسري بي رأيت ربي في أحـــسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى**)[10].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجـــل: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ (١/١٥٨) برقم: (١٧٧).

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: (**نور أنى أراه**)، (١/١٥٨) برقم: (١٧٨).

(٦) الرد على بشر المريسي: (ص٥٢٣).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية: (١٥/٢٦٠).

(٨) البحر المحيط لأبي حيان: (٨/١٥٦).

(٩) معالم التنـــزيل: (٧/٤٠٣).

(١٠) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد: (٨/١٥١)، وأورده السيوطي في الدر المنثـــور: (٧/٢٠٥)، وعزاه أيضًا للطبراني في السنة، ولم أجده في المطبوع منه، والله أعلم.

وهو قول عكرمة[1]، والحسن البصري[2]، ورواية عن الإمام أحمد[3]، وابن خزيمة[4]، وابن جرير[5]، وأبي الحسن الأشعري[6]، وعامة أتباعه[7]، والقاضي أبي يعلى[8]، وغيرهم من المتأخرين.

القول الخامس: أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج، رآه بفؤاده ورآه بعين رأسه[9].

القول السادس: يرى التوقف في هذه المسألة، لا ينفي ولا يثبت.

ورجح هذا القول: سعيد بن جبير، فقال: لا أقول رآه ولا لم يره[10]، والإمام الذهبي[11]، وغيرهما.

وفي الحقيقة هذه الأقوال تؤول باعتبار صحة نسبتها إلى أصحاب رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أقوال، هي:

القول الأول: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج مطلقاً دون تقييد بجارحة من جوارح الرؤية.

القول الثاني: إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج وتقييدها بالرؤيا القلبية لا البصرية.

---

(١) انظر: معالم التنـزيل: (٤٠٥/٧)، وتفسير ابن كثير: (٤٢٣/٧).

(٢) انظر: معالم التنـزيل: (٤٠٣/٧).

(٣) رؤية النبي ﷺ لربه: (ص ٢٣).

(٤) انظر: الفصول في سيرة الرسول ﷺ: (ص٢٦٨).

(٥) انظر: البداية والنهاية: (١١٢/٣).

(٦) انظر: الشفا: (٢٦١/١)، شرح النووي: (٩/٣).

(٧) انظر: شرح جوهرة التوحيد (ص١١٨).

(٨) انظر: إبطال التأويلات: (١١٤/١).

(٩) انظر: الحجة في بيان المحجة: (٢٥٢/٢-٢٥٣).

(١٠) انظر: الشفا: (٢٥٩/١)، والدر المنثور للسيوطي: (١٦٠/٦).

(١١) انظر: سير أعلام النبلاء: (١١٤/١٠).

القول الثالث: نفي رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لربه مطلقاً لا بعينه ولا بقلبه.

ولبيان الراجح من هذه الأقوال والعلم عند الله تعالى أذكر عدة مسائل تتعلق بهـذه المسألة:

المسألة الأولى:

ليس في هذه الأقوال دليل ثابت عن أي صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ أنـه صرح أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعين رأسه، ولهذا قال ابن تيمية: "وليس في الأدلة مـا يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة مـا يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: (**نور أنى أراه**)[1].

وجزم بذلك ابن كثير رحمه الله تعالى حيث قال: "وما روي من ذلك مـن إثبـات الرؤية بالبصر، فلا يصح شي ء من ذلك، لا مرفوعًا، ولا موقوفًا[2].

ومما لا يصح أيضًا: ما روي عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ أن النبي ﷺ قـال: (**لما كانت ليلة أسري بي رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى**)[3].

المسألة الثانية: الجمع بين إطلاق الرؤية من ابن عباس وغيره ﷺ، وبين إثبات رؤيا الفؤاد وبين إنكارها عن عائشة رضي الله عنها ومن وافقها، فأجاب ابن القيم رحمـه الله تعالى نقلاً عن شيخه ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: " قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: وليس قول ابن عباس: " إنه رآه " مناقضًا لهذا، ولا قوله: رآه بفؤاده. وقـد صح عنه أنه قال: (**رأيت ربي تبارك وتعالى**)[4]، ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكـن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعـالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقال: نعم، رآه حقًا، فإن

(١) تقدم تخريجه: (ص ٣٩٥).

(٢) فصول من السيرة لابن كثير: (ص ٢٤٠).

(٣) تقدم تخريجه: (ص ٣٩٥).

(٤) تقدم تخريجه: (ص ٣٨٣).

رؤيا الأنبياء حق ولا بد، ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى: إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: رآه. ومرة قال: رآه بفؤاده، فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك. وأما قول ابن عباس: أنه رآه بفؤاده مرتين، فإن كان استناده إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[2].

والظاهر أنه مستنده، فقد صح عنه ﷺ أن هذا المرئي جبريل، رآه مرتين في صورته التي خلق عليها، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد في قوله: رآه بفؤاده، والله أعلم..."[3].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأما الرؤية، فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين. وعائشة أنكرت الرؤية. فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد.

والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده، ولم يقل أحد: إنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: **(نور أنى أراه)**[4].

كما أن ابن القيم رحمه الله تعالى رد على توجيه القاضي أبي يعلى في اختلاف

---

(١) سورة النجم، الآية: ١١.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٣.

(٣) زاد المعاد: (٣/٣٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٦/٥٠٩)، والحديث تقدم تخريجه: (ص ٣٩٥).

الروايات عن الإمام أحمد فقال: "وقد ظن القاضي أبو يعلى أن الرواية اختلفت عن الإمام أحمد، هل رأى رسول الله ﷺ ربه في ليلة الإسراء أم لا؟، على ثلاث روايات:

إحداها: أنه رآه، قال المروذي[1]: قلت لأبي عبد الله يقولون: إن عائشة قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فبأي شيء تدفع قول عائشة؟ فقال: بقول النبي ﷺ: **(رأيت ربي)**، قول النبي ﷺ أكبر من قولها[2]. قال: وذكر المروذي في موضع آخر أنه قال لأبي عبد الله: ههنا رجل يقول: إن الله يرى في الآخرة ولا أقول: إن محمدًا رأى ربه في الدنيا، فغضب وقال: هذا أهل أن يجفى، يسلّم الخبر كما جاء، قال: فظاهر هذا أنه أثبت رؤية عين، ونقل حنبل قال: قلت لأبي عبد الله: النبي ﷺ رأى ربه؟ قال: رؤيا حلم بقلبه؟ قال: فظاهر هذا نفي الرؤية، وكذلك نقل الأثرم[3]، وقد سأله عن حديث عبد الرحمن بن عائش[4] عن النبي ﷺ: **(رأيت ربي في أحسن صورة)**، فقال: مضطرب؛ لأن معمرًا رواه عن أيوب عن أبي معبد عن عبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ.

ورواه حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس[5].

---

(١) هو أحمد بن محمد الحجاج أبو بكر المروذي صاحب الإمام أحمد بن حنبل، من أفاضل الحنابلة، كان أحمد يأنس به وينبسط إليه، مات سنة ٢٧٥هـ، له سؤالات عن أحمد.

انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: (٥٦/١) وسير أعلام النبلاء: (١٧٣/١٣).

(٢) انظر: إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى: (ص١١٠).

(٣) هو الإمام القدوة الفقيه صاحب السنن أحمد بن محمد بن هانئ الطائي أبو بكر الأثرم من كبار أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ممن نشر المذهب الحنبلي، له سؤالات عن أحمد، مات سنة ٢٧٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: (٦٢٣/١٢)، وتاريخ بغداد: (٣١٦/٥).

(٤) هو عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، ويقال: السكسكي الشامي يقال: له صحبة. وهو معروف بروايته لحديث: **(رأي ربي في أحسن صورة)**.

انظر: تهذيب الكمال: (٢٠٢/١٧)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٢٧٠/٤).

(٥) أخرجه مطولاً: أحمد: (٣٦٨/١)، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة والنجم: (٣٤٢/٥-٣٤٣) برقم: (٣٢٣٣ و٣٢٣٤) من حديث ابن عباس وقال: "حديث حسن غريب".

=

ورواه يوسف بن عطية، عن قتادة، عن أنس.

ورواه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن خالد بن اللجلاج، عن عبد الرحمن بن عائش، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

ورواه يحيى بن أبي كثير، فقال: عن ابن عائش، عن مالك بن يخامر، عن معاذ، عن النبي ﷺ.

وأصل الحديث واحد، قال الأثرم: فقلت لأبي عبد الله: فإلى أي شيء تذهب؟ فقال: قال الأعمش: عن زياد بن الحصين، عن أبي العالية، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه بقلبه(1). ونقل الأثرم: أن رجلاً قال لأحمد: عن الحسين الأشيب أنه قال: لم ير النبي ﷺ ربه تعالى، فأنكره عليه إنسان وقال: لم لا تقول: رآه ولا تقول: بعينه ولا بقلبه؟ كما جاء الحديث فاستحسن ذلك الأشيب، فقال أبو عبد الله: حسن. قال: وظاهر هذا إثبات رؤية لا يعقل معناها هل كانت بعينه أم بقلبه؟

فهذه نصوص أحمد، وقد جعلها القاضي مختلفة وجعل المسألة على ثلاث روايات، ثم احتج للرواية الأولى بحديث أم الطفيل، وحديث عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، ولا دلالة فيهما، لأنها رؤية منام قطعاً، واحتج لها بما لا يرضى أحمد أن يحتج به، وهو حديث لا يصح عن أبي عبيدة بن الجراح مرفوعًا: (**لما كانت ليلة أسرى بي رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى...**) وذكر الحديث. وهذا غلط قطعاً فإن القصة إنما كانت بالمدينة كما قال معاذ بن جبل: احتبس عنا رسول الله ﷺ في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، ثم خرج فصلى بنا، ثم قال: (**رأيت ربي البارحة في**

=

والحديث ورد عن جماعة من الصحابة كثوبان وأبي أمامة، وجابر بن سمرة وغيرهم، انظر: السنة لابن أبي عاصم: (٤٦٥/١، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٠ و٤٧١) وفي بعض هذه الروايات التصريح بأن الرؤية كانت في المنام. والحديث صححه البخاري والترمذي، ومن المتأخرين: أحمد شاكر والألباني، وقد أجاد الأخ جاسم الفهيد في جمع طرقه عند تحقيقه لكتاب ابن رجب الحنبلي "شرح حديث اختصام الملأ الأعلى".

(١) تقدم تخريجه.

أحسن صورة، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟[1]، وذكر الحديث.

فهذا كان بالمدينة، والإسراء كان بمكة، وليس عن الإمام أحمد ولا عن النبي ﷺ نص أنه رآه بعينه يقظة، وإنما حمّل القاضي كلام أحمد ما لا يحتمله، واحتج لما فهم منه بما لا يدل عليه، وكلام أحمد يصدق بعضه بعضًا، والمسألة رواية واحدة عنه فإنه لم يقل: بعينه وإنما قال: رآه. واتبع في ذلك قول ابن عباس: رأى محمد ربه.

ولفظ الحديث: ((**رأيت ربي**))، وهو مطلق، وقد جاء بيانه في الحديث الآخر.

ولكن في رد أحمد قول عائشة ومعارضته بقول النبي ﷺ إشعار بأنه أثبت الرؤية التي أنكرتها عائشة، وهي لم تنكر رؤية المنام ولم تقل إن من زعم أن محمدًا رأى ربه في المنام فقد أعظم على الله الفرية، وهذا يدل على أحد أمرين:

إما أن يكون الإمام أحمد أنكر قول من أطلق نفي الرؤية إذ هو مخالفة للحديث.

وإما أن يكون رواية عنه بإثبات الرؤية وقد صرح بأنه رآه رؤيا حلم بقلبه وهذا تقييد منه للرؤية، وأطلق أنه رآه وأنكر قول من نفى مطلق الرؤية واستحسن قول من قال: رآه ولا يقول بعينه ولا بقلبه، وهذه النصوص عنه متفقة لا مختلفة، وكيف يقول أحمد: رآه بعيني رأسه يقظة، ولم يجيء ذلك في حديث قط، فأحمد إنما اتبع ألفاظ الأحاديث كما جاءت، وإنكاره قول من قال: لم يره أصلاً، لا يدل على إثبات رؤية اليقظة بعينه والله أعلم"[2].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه ﷺ لم يره بعين رأسه، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه، فالمراد به الرؤية بالقلب، كما في صحيح مسلم أنه رآه بفؤاده مرتين، لا بعين الرأس"[3].

المسألة الرابعة: مناقشة الآيات القرآنية التي استُدل بها على نفي أو إثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٩٧).

(٢) التبيان في أقسام القرآن: (ص ٣٨٥) وما بعدها، طبعة دار عالم الفوائد.

(٣) أضواء البيان: (٩/٣).

أولاً: الآيات التي استُدل بها على إثبات رؤية النبي ﷺ لربه:

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[(٢)].

فأما الآية الأولى: فقد فسرت بأن المرئي في هذه الآية إنما هو جبريل عليه السلام، وهذا مما يدل عليه سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها، ولهذا قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ، إنما هو جبريل عليه السلام، هو قول أم المؤمنين عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة، كما سنورد أحاديثهم قريبًا إن شاء الله.

وروى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين[(٣)]. فجعل هذه إحداهما. وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس في حديث الإسراء: ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى. ولهذا تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها من الغرابة، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية؛ فإن هذه كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[(٤)]، فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض"[(٥)].

وقد فَسّرت[(٦)] هذه الآيات عائشة رضي الله عنها بما سمعته من رسول الله ﷺ، فقالت: "أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم**

(١) سورة النجم، الآيات: ١١-١٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) سورة النجم، الآيات: ١٣-١٥.

(٥) تفسير ابن كثير: (٧/٤٤٧).

(٦) انظر: الدر المنثور: (١١/٣٩٣).

خلقه ما بين السماء إلى الأرض[1].

وقد تقدم معنا قول ابن القيم رحمه الله تعالى: إن ظاهر كلام ابن عباس رضي الله عنهما: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين. إنما مستنده لهذه الآية. فإذا كان كذلك فلا دلالة فيها لقول ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأن المرئي فيها جبريل عليه السلام، وليس هو الله تعالى[2].

كما أن الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[3] ليس فيها دلالة صريحة على رؤية الله تعالى.

فعلى هذا ليس في هذه الآيات ما يدل على إثبات رؤية الله تعالى.

ثانياً: الآيات التي استدل بها على نفي رؤية النبي ﷺ لربه، وهي ما استدلت به عائشة رضي الله عنها في نفي رؤية النبي ﷺ لربه بقوله للسائل: أوَلَم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[5]، وقد أجيب عن هذا الاستدلال بعدة أجوبه:

١- أنه خارج موضع النزاع، ولهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[6] بقوله: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره[7]. ولهذا جاء في الصحيح عن أبي ذر ﷺ قلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال:

---

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) راجع (ص ٤٠٢).

(٣) سورة النجم، الآية: ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٧) تقدم تخريجه قريباً.

(نور أنى أراه)[1].

٢- قيل: إن الآية تدل على نفي الإحاطة لا نفي الرؤية، فعلى هذا يكون قول عائشة رضي الله عنها ليس على عمومه في نفي الرؤية، ولا دليل فيه على نفي رؤية الله تعالى، إنما هو دليل على نفي الإحاطة، وعائشة لم تقصد ذلك، لأن الذي عليه أهل الأصول أن السؤال معاد في الإجابة، والإجابة خارجة عن مقصود السؤال، فلا يصح دليلها على نفي الرؤية.

قال ابن خزيمة: -عن الاستدلال بهاتين الآيتين-: "ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب، علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال: إن محمدًا رأى ربه، الرمي بالفرية على الله، كيف بأن يقول: قد أعظم الفرية على الله.

لأن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2] قد يحتمل معنيين: على مذهب من يثبت رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل.

قد يحتمل بأن يكون معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3] على ما قال ترجمان القرآن لمولاه عكرمة: ذاك نوره الذي هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء.

والمعنى الثاني، أي: لا تدركه الأبصار: أبصار الناس؛ لأن الأعم والأظهر من لغة العرب أن الأبصار إنما يقع على أبصار جماعة، لا أحسب عربيًا يجيء من طريق اللغة أن يقول لبصر امرئ واحد: أبصار، وإنما يقال لبصر امرئ واحد: بصر، ولا سمعنا عربيًا يقول لعين امرئ واحد: بصرين، فكيف أبصار؟.

ولو قلنا: إن الأبصار ترى ربنا في الدنيا لكنا قد قلنا الباطل والبهتان.

فأما من قال: إن النبي ﷺ قد رأى ربه دون سائر الخلق، فلم يقل: إن الأبصار قد رأت ربها في الدنيا، فكيف يكون يا ذوي الحجا من يثبت أن النبي ﷺ قد رأى ربه، دون

---

(١) تقدم تخريجه قريباً (ص ٣٩٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

سائر الخلق مثبتًا أن الأبصار قد رأت ربها؟.

فتفهموا يا ذوي الحجا هذه النكتة لتعلموا أن ابن عباس رضي الله عنهما وأبا ذر، وأنس بن مالك، ومن وافقهم لم يعظموا الفرية على الله، ولا خالفوا حرفًا من كتاب الله في هذه المسألة.

فأما ذكرها: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾(١)، فلم يقل أبو ذر، وابن عباس رضي الله عنهما، وأنس بن مالك، ولا واحد منهم ولا أحد ممن يثبت رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل: إن الله كلمه في ذلك الوقت الذي كان يرى ربه فيه، فيلزم أن يقال: قد خالفتهم هذه الآية.

ومن قال: إن النبي ﷺ قد رأى ربه، لم يخالف قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾(٢).

وإنما يكون مخالفًا لهذه الآية من يقول: رأى النبي ﷺ ربه فكلمه الله في ذلك الوقت"(٣).

والذي يظهر أن الإجابة عن هذا المبحث هو ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما ومن وافقه على كون رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج إنما هي رؤية قلبية لا بصرية، وذلك لما يأتي:

١- أن ابن عباس رضي الله عنهما منزه أن يتكلم بأمر غيبي لا يدخل فيه الاجتهاد بدون دليل شرعي معتبر سمعه من النبي ﷺ.

قال ابن خزيمة: "فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبي ﷺ قد رأى ربه، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول، والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة، إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى.

ولا أظن أحدًا من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال: رأى النبي ﷺ ربه، برأي

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة: (١/٣٣٤-٣٣٥).

وظن، لا ولا أبو ذر، لا ولا أنس بن مالك.

نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس.

نقول: عائشة الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة، كذلك ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم النبي ﷺ، قد دعا النبي ﷺ له أن يرزق الحكمة والعلم، وهذا المعنى من الدعاء، وهو المسمى بترجمان القرآن، ومن كان الفاروق رضي الله عنه يسأله عن بعض معاني القرآن، فيقبل منه، وإن خالفه غيره، ممن هو أكبر سنًّا منه، وأقدم صحبة للنبي ﷺ، وإذا اختلفا فمحال أن يقال: قد أعظم ابن عباس الفرية على الله، لأنه قد أثبت شيئًا نفته عائشة رضي الله عنها"[(١)].

قال القاضي أبو يعلى: "وما رويناه عن ابن عباس أولى مما روي عن عائشة.... ولا يجوز أن يثبت ابن عباس ذلك إلا عن توقيف، إذ لا مجال للقياس في ذلك"[(٢)].

فإثبات مثل هذه الأمور الغيبية لا يمكن أن يكون من قبيل الاجتهاد، لأن ثبوته لابد فيه من سماع وهو أمر لا مجال للشك فيه[(٣)].

٢- أن القاعدة المشهورة تقول: المثبت مقدم على النافي، وعلى هذا يقدم قول ابن عباس رضي الله عنه على قول عائشة رضي الله عنها، ولهذا قال ابن خزيمة - في تقرير قول ابن عباس رضي الله عنهما: " قد أعلمت في مواضع في كتبنا أن النفي لا يوجب علمًا، والإثبات هو الذي يوجب العلم"[(٤)].

---

(١) التوحيد لابن خزيمة: (٢/٥٥٩).

(٢) إبطال التأويلات: (١/١١٤).

(٣) انظر: شرح النووي: (٣/٩).

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة: (٢/٥٥٦).

المبحث الثاني

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[(١)] ودلالة ذلك العقدية

دلت هذه الآية على أن الإسراء بالنبي ﷺ كان ببدنه وروحه، يقظة لا منامًا؛ لأن البصر من آلات الذات لا الروح[(٢)].

حتى قيل عن هذه الآية: هي أدل من آية ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[(٣)] لأن الله سبحانه وتعالى ذكر أن النبي ﷺ رأى تلك الآيات العظيمة فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[(٤)] ما زاغ البصر وما طغى، فهذا هل يكون بالروح أم برؤية حقيقية؟ لا شك أنها برؤية حقيقية، لأن البصر إنما يكون إذا عرج بالجسد ومنه هذا البصر، فيقول تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[(٥)] فقد رأى تلك العوالم العجيبة بعين رأسه حقيقة، وفي ذلك دلالة على فضله وعلو شأنه عند ربه تعالى.

---

(١) سورة النجم، الآية: ١٧.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان: (ص٩٠).

(٣) سورة النجم، الآية: ١١.

(٤) سورة النجم، الآية: ١٧.

(٥) سورة النجم، الآيات: ١٧-١٨.

المبحث الثالث

رؤيته ﷺ ما لا يرى غيره وحدود رؤيته

عن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**)[1].

قلت: والذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن إطلاق رؤيته ﷺ بقوله: (**إني أرى ما لا ترون**) ليس على إطلاقه بأنه يرى كل شيء في كل زمان ومكان، وذلك لما يلي:

١- أن هذا الفعل الذي ذكره النبي ﷺ مما أطلعه الله عليه عن حال السماء والملائكة إنما هو ديدن الملائكة قبل هذا الخبر وبعده، فلو كانت رؤيته عليه الصلاة والسلام مخلوقة في عينه على الدوام بأنه يرى ما لا يرى غيره مطلقًا لما أخر بيان هذا الخبر لتلك اللحظة.

٢- أن النبي ﷺ لما حاجّه مشركي قريش بأن يصف لهم بيت المقدس، رفع الله له صورة بيت المقدس أمام عينيه فجعل يصفه لهم وهو ينظر إليه... فلو كان رؤيته عليه الصلاة والسلام مطلقة لا حدود لها لما احتيج أن يريه الله لهذه الصورة[2].

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/١٧٣)، والترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: (**لو تعلمون ما أعلم**): (٤/٥٥٦) برقم: (٢٣١٢)، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وابن ماجه في الزهد، باب الحزن والبكاء: (٢/١٤٠٢) برقم: (٤١٩٠)، والحاكم في المستدرك: (٢/٥١٠)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده: (١/٤٥) برقم: (١٠)، وانظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزيلعي: (٢/٢٥٨)، والحديث تفرد به الوساوسي، وهو ضعيف. انظر: سؤالات =

٣- كما أن السنة دلت على أن النبي ﷺ لرؤيته حدود، وأنها لا تخرج عن حدود بشريته وطبيعته عليه الصلاة والسلام، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها في قصة فقدان عقدها وحبسها الناس ولا ماء معهم وبحثهم عنه[1]، دليل واضح أن النبي ﷺ لا يرى إلا ما أطلعه الله عليه، فلو كانت رؤيته عليه الصلاة والسلام لما لا يرى غيره بلا حدود لما حبس الناس بدون ماء وتكلفوا البحث عن عقد عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

كذلك لو كان النبي ﷺ ليس لرؤيته حدود لما سأل المولى الذي أسرته خيل رسول الله ﷺ على بئر بدر عن عدد مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى ولما تكلف ﷺ عن معرفة عددهم بسؤاله عن عدد ما ينحرون من الإبل ليعرف العدد بطريقة استنتاجية ذكية يتوصل من خلالها على عددهم[2].

فدل هذا الفعل منه عليه الصلاة والسلام أن لرؤيته حدوداً وأنه لا يرى إلا ما أراه ربه سبحانه وتعالى، وليس في ذلك انتقاص من شأنه، بل دليل على فضله ورفعة شأنه عليه الصلاة والسلام بأن يختصه الله تعالى برؤية ما لا يراه غيره مما لا تبلغه الحدود البشرية.

= حمزة للدارقطني: (ص ١٦٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب فضل عَائِشَة رضي الله عنها: (١٣٧٥/٣)، برقم: (٣٥٦٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب التيمم: (٢٧٩/١) برقم: (٣٦٧).

(٢) أخرجه أحمد: (١١٧/١) برقم: (٩٤٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند، وكذا الألباني في تعليقه على فقه السيرة: (ص ٢٢٩).

المبحث الرابع

هل يرى في الظلمة كما يرى في الضوء

جاء هذا الخبر في حديث موضوع لا يصح نسبته إلى رسول الله ﷺ برواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء، ﷺ[١].

وهذا لا يخرج عما تقدم بيانه من حدود رؤيته عليه الصلاة والسلام[٢].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل: (٤/٢١٩)، والخطيب في تاريخ بغداد: (٤/٢٧١)، وتمام الرازي في فوائده: (٢/١٣٤) برقم: (١٣٤٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية: (١/١٧٣) برقم: (٢٦٦)، وقال بعده: "هذا حديث لا يصح". وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: (١/٥١٥) برقم: (٣٤١): "موضوع".

(٢) تقدم (ص٤٠٨).

المبحث الخامس

رؤيته ﷺ ما وراء ظهره

لقد دلت الأحاديث الصحيحة على هذه المعجزة من معجزات النبوة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**هل ترون قبلتي هاهنا، فوالله ما يخفى علي خشوعكم، ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري**)(1).

ولمسلم عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا ثم انصرف فقال: (**يا فلان ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي**)(2).

وعن أنس بن مالك قال: صلى بنا النبي ﷺ صلاة، ثم رقى المنبر فقال في الصلاة وفي الركوع: (**إني لأراكم من ورائي كما أراكم من أمامي**)(3).

وعنه أيضًا: أن النبي ﷺ قال: (**أقيموا الصفوف فإني أراكم خلف ظهري**)(4).

---

(1) تقدم تخريجه (ص ٤١٠).

(2) هي رواية مسلم من الحديث السابق وتقدم تخريجه.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة: (١٦٢/١) برقم: (٤٠٩)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها: (٣١٩/١) برقم: (٤٢٥).

(4) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها: (٢٥٣/١) برقم: (٦٨٦)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها...: (٣٢٤/١) برقم: (٤٣٤).

المبحث السادس

رؤيته ﷺ للجنة والنار

جاءت هذه الرؤية منه ﷺ للجنة والنار في أحاديث عدة، منها:

عندما عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى، منها: قوله ﷺ: (... **ثم انطلق حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[1] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**)[2].

وكذا حديث عبد الله بن عباس ﷺ -في صلاة الخسوف- قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ وفيه أنه ﷺ قال: (**إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودًا، ولو**

---

(١) اختلفت النسخ في هذه اللفظة:

ففي بعضها: (جنابذ)، والمراد بها: القباب، وكأنها شبهت -والله أعلم- بجنابذ الورد قبل تفتحها.

وقد ثبت في حديث أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: (**إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، طولها في السماء ستون ميلاً**).

وفي بعض النسخ: (حبائل) بالحاء المهملة واللام، وفي بعضها: (جبايل) بالجيم واللام.

وقد قال الأكثرون: إن ذلك كله تصحيف وغلط.

وزعم بعضهم: أن حبائل بالحاء المهملة واللام جمع حبال، وأن حبالاً جمع حبل، والحبل: ما استطال من الرمل المرتفع كهيئة الجبال، فيكون المراد بذلك: إن في الجنة تلالاً من لؤلؤ.

والصحيح: (جنابذ). والله أعلم. انظر: فتح الباري: (٢/١٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء: (١/١٣٥) برقم: (٣٤٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات: (١/١٤٨) برقم: (١٦٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار، فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء)، قالوا: لم يا رسول الله؟. قال: (**بكفرهن**). قيل: يكفرن بالله؟ قال: (**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**)[1].

وفي حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**رأيت الجنة والنار صورة في هذا الحائط، فلم أر كاليوم في الخير والشر**)[2].

عن عمران بن حصين ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**)[3].

وحديث أنس ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: (**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي**)، ثم قال: (**والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**)، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: (**رأيت الجنة والنار**)[4].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال:**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة: (٣٥٧/١) برقم: (١٠٠٤)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ...: (٦٢٦/٢) برقم: (٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة: (٢٦١/١) برقم: (٧١٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ...: (١٨٣٢/٤) برقم: (٢٣٥٩)، وهذا لفظ أحمد: (٢١٨/٣) برقم: (٣٣١٣)

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: (١١٨٤/٣) برقم: (٣٠٦٩)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء...، باب أكثر أهل الجنة الفقراء...: (٢٠٩٦/٤) برقم: (٢٧٣٧).

(٤) تقدم ص٤١٢.

هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)[1].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: **(رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة**[2] **فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصرًا بفنائه جارية. فقلت: لمن هذا: فقال: لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك)**. فقال عمر: بأمي وأبي يا رسول الله أعليك أغار؟[3].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر**[4] **قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله)**[5].

وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: أتيت عائشة فإذا الناس قيام، وإذا هي تصلي، فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت بيدها إلى السماء، وقالت: سبحان الله، فقلت: آية؟ فأشارت برأسها: أي نعم، قالت: فقمت حتى تجلاّني الغشي، فجعلت أصب على رأسي

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة: (٢٦٩/٤) برقم: (٤٨٧٨)، وذكره الألباني في الصحيحة: (٥٩/٢) برقم: (٥٣٣).

(٢) الخشفة: الحس والحركة. ومنه: خشف الإنسان يخشف خشفًا. وخشف الثلج في شدة البرد، تسمع له خشفة عند المشي. انظر: الصحاح في اللغة: (١٧٣/١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب القصر في المنام: (٢٥٧٦/٦) برقم: (٦٦٢٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ: (١٨٦٢/٤) برقم: (٢٣٩٤).

(٤) قال أبو عبيد: "فهذا ما يوصف به الذفر في شدة ريح الطيب"، غريب الحديث لابن سلام: (٢٣٧/٣).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الكوثر: (٤٤٩/٥) برقم: (٣٣٦٠)، وأحمد: (١٠٣/٣) برقم: (١٢٠٢٧)، والنسائي في "السنن الكبرى": (٥٢٣/٦) برقم: (١١٧٠٦)، وابن حبان: (٣٩٠/١٤) برقم: (٦٤٧٢)، والحاكم: (١٥٢/١). قال الترمذي: "حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ". ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في "فتح الباري": (٤٩٠/١٣): "أصله عند البخاري بنحوه"، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

الماء، قالت: فحمد النبي ﷺ الله عز وجل، وأثنى عليه حين انصرف، وقال: (**ما من شيء لم أكن رأيته إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار**)[1].

وعن أنس بن مالك ، قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: (**عرضت علي الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**)[2].

وفي رؤيته عليه الصلاة والسلام للجنة والنار من خلال هذه الأحاديث دليل على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وعليه اتفاقهم بأن الجنة والنار هما موجودتان الآن[3]، وخالف في ذلك المعتزلة والقدرية[4].

قال ابن القيم: "لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل الله ينشئها يوم القيامة"[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغشي المثقل: (٧٩/١) برقم: (١٨٢)، ومسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار: (٦٢٤/٢) برقم: (٩٠٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤١٣).

(٣) ذكر اتفاق أهل السنة على هذا: الآجري في الشريعة: (ص٣٨٧)، وأبو الحسن الأشعري في مقالاته: (١٦٨/١، ٣٤٩)، وابن حزم في الفصل: (٨١/٤)، والقاضي أبو يعلى في المعتمد في أصول الدين: (ص١٨٠)، وابن القيم في حادي الأرواح: (ص١١)، والطحاوي وشارح عقيدته: (ص٤٧٦).

(٤) حكاه عنهم ورد عليهم فيه: ابن حزم في الفصل: (٨١/٤)، والبغدادي في أصول الدين: (ص٢٣٨)، وابن القيم في حادي الأرواح: (ص١١)، والسفاريني في لوامع الأنوار البهية: (٢١٠/٢-٢٣٢).

(٥) انظر: حادي الأرواح: (ص ١١)، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان =

شبهات المعتزلة ومن وافقهم في نفي وجود الجنة والنار والرد عليها:

قالوا: لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطرارًا أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1]، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[2].

وقد روى الترمذي في جامعه، من حديث ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**)[3].

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: (**من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة**)[4]، قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغًا منها لم تكن قيعانًا، و لم يكن لهذا الغراس معنى.

=

موجودتان الآن، وأن خلقهما سبق خلق آدم عليه السلام، وقد أفاض البيهقي رحمه الله في ذكر الأدلة على خلق الجنة والنار في كتاب البعث: (ص١٣٢) وما بعدها، وأما بقاء الجنة والنار وأنهما لا تفنيان فهو مذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف، وقد نقل ابن حزم الاتفاق على خلود الجنة والنار وأنهما لا تفنيان. انظر: مراتب الإجماع: (ص١٧٣)، وشرح العقيدة الطحاوية: (ص٤٨٠)، والإبانة الصغرى: (ص٢٠٦) وما بعدها.

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: (٥/٥١٠) برقم: (٣٤٦٢)، والطبراني: (١٠/١٧٣). وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود". وحسنه ابن حجر في "هداية الرواة": (٢/٤٣٩)، وحسنه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: (٥/٥١١) برقم: (٣٤٦٤)، وقال: "حديث حسن صحيح غريب". وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

قالـــوا: وكذا قولـــه تعالى عن امرأة فرعون أنها قالـــت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[1].

– **فالجواب**: إنكم إن أردتم بقولكم: إنها الآن معدومة بمنـــزلة الـــنفخ في الـــصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يـــذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يُحدث فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أمورًا أُخر – فهذا حـــقّ لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2]، فأثبتم سوء فهمكم لمعنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن – نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما !! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهـــم معـــنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام.

ومن كلام أهل السنة: أن المراد ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مما كتب الله عليـــه الفنـــاء والهـــلاك ﴿هَالِكٌ﴾، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء[3].

كما دلت رؤيته للجنة على فضل بعض أصحابه، منهم عمر بن الخطاب، وبلال بن رباح رضي الله عنهما.

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٣) انظر: حادي الأرواح: (ص ٤٨).

المبحث السابع

هل يستثنى عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1]

المراد بهذا المبحث: هل النبي ﷺ لم يطّلع إلى ما أعده الله لعباده الصالحين الذي جاء في هذه الآية؟ وما جاء في الصحيحين من حديث أَبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (**قال الله: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**)، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2]، وزاد ابن مسعود ﷺ في حديثه: "ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل"[3].

ففي هذا الحديث بيان فضل الثواب الذي يعطاه المؤمنون، وهذا فيمن تحقق فيه الصلاح والإيمان والتقوى، فإنه يتحقق فيه هذا الثواب، ولا يتحقق الصلاح إلا للمؤمن. قوله: (**ما لا عين رأت...**) أي: في الجنة والمعنى: أن العيون لم تر مثله؛ ولهذا لا يستطيع أن يصفه الواصفون على حقيقته، لأن العيون لم تره ولا سمعت بمثله الآذان، ولا خطر على قلب بشر من النعيم والثواب والجنان، وأما ما في الدنيا مما يشابه ما في الآخرة، فهو يشابهه في الاسم فقط دون الحقيقة، قال تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[4]، أما اللون

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: (١٣/٤٦٥)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها: (٤/٢١٧٤) برقم: (٢٨٢٤).

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) عمدة القارئ: (٢٨/١٢٦).

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٨.

والطعم والرائحة، فمختلف.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: ومن بله ما قد أطلعكم الله عليه، اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، ولا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر لأولئك، وأخفي عن الخلق[2].

وأما ما يتعلق بهذا المبحث فلم أجد ما يخرج النبي ﷺ من هذا العموم المنصوص عليه في الآية الكريمة. والله تعالى أعلم.

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي: (٤/٦٢٢).

المبحث الثامن

رؤيته ﷺ لأناس في النار وأناس في الجنة

أما رؤيته لأهل النار:

فمنها: رؤيته للمرأة التي تعذب في النار بسبب هرة حبستها، وغيرها.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ -في صلاة الخسوف-: **(إنه عرض علي كل شيء تولجونه، فعرضت علي الجنة، حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته -أو قال: تناولت منها قطفًا- فقصرت يدي عنه، وعرضت علي النار، فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها، ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه في النار، وإنهم كانوا يقولون: إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم، وإنهما آيتان من آيات الله يريكموهما، فإذا خسفا فصلوا حتى تنجلي)**[1].

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: **(... والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة مني، حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار مني، حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم، حتى رأيت فيها امرأة من حمير تعذب في هرة ربطتها فلم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فلا هي أطعمتها ولا هي سقتها حتى ماتت، فلقد رأيتها تنهشها إذا أقبلت وإذا ولت تنهش أليتها، وحتى رأيت فيها صاحب السبتيتين أخا بني الدعداع يُدفع بعصا ذات شعبتين في النار، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج بمحجنه متكئًا على محجنه في النار،**

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف: (٢/٦٢٢) برقم: (٩٠٤).

يقول: أنا سارق المحجن)[1].

رؤيته ﷺ عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي.

قال أبو هريرة ﷺ: قال النبي ﷺ: (**رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب)**[2].

رؤيته عذاب من يقع في أعراض الناس.

عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**لما عُرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم)**[3].

وبين ﷺ أن أكثر أهل النار النساء، فقال: (**... واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)**[4].

وأما رؤيته ﷺ لأناس في الجنة:

ففي الحديث أنه ﷺ دخل الجنة فرأى الرميصاء امرأة أبي طلحة رضي الله عنهما[5].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: (**دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال)**[6].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة: (٢/٣٢٢) برقم: (١٣٩٢)، والنسائي، كتاب الكسوف، باب كيفية صلاة الكسوف: (٣/١٣٧) برقم: (١٤٨٢)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي، وبعضه في الصحيحين. وانظر: جامع الأصول: (٦/١٨١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة: (٣/١٢٩٧) برقم: (٣٣٣٣)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم: (٤/٢١٩٢) برقم: (٢٨٥٦).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤١٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٤١٣).

(٥) تقدم تخريجه (ص ٤١٣).

(٦) تقدم تخريجه (ص ٤١٣).

وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء...**)[1].

(١) تقدم تخريجه (ص ٤١٣).

المبحث التاسع

رؤيته ﷺ للملائكة

دلت النصوص على أن النبي ﷺ لم ير الملائكة على صورها التي خلقها الله عليها إلا ما كان من رؤيته لجبريل عليه الصلاة والسلام حيث رآه بصورته التي خلقه الله عليها مرتين، وهما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[1]، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[2].

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هاتين الآيتين. فقال ﷺ: (**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين. رأيته منهبطاً من السماء، سادّاً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**)[3].

وسُئلت رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[4]، فقالت: إنما ذلك جبريل عليه السلام، كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته، التي هي صورته، فسدّ أفق السماء[5].

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النجم، الآيات: ١٣-١٤.

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٩٤).

(٤) سورة النجم، الآية: ٨.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين...: (١١٧٨/٣) برقم: (٣٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: (١٥٨/١) برقم: (١٧٧).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: رأى محمد ﷺ جبريل له ستمائة جناح[١].

فالاتصال بالملائكة ورؤيتهم أمر ليس بسهل، فالرسول ﷺ مع كونه أفضل الخلق، وهو على جانب عظيم من القوة الجسمية والنفسية، عندما رأى جبريل على صورته أصابه هول عظيم، ورجع إلى منزله يرجُف فؤاده، وقد كان ﷺ يعاني شدّة من اتصال الوحي به[٢].

ولكن يمكن للنبي ﷺ وغيره رؤية الملائكة على غير صورهما الحقيقية بأن يتمثل الملك بصورة رجل، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ وبعض أصحابه، فكان جبريل عليه السلام كثيرًا ما يأتي النبي ﷺ بصورة رجل، وأحيانًا يراه بصورة دحية الكلبي، وربما جاء جبريل بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر في حضرة أصحابه ﷺ، كما في حديث عمر المشهور[٣].

وعن أبي العالية عن رجل من الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي ﷺ، فإذا أنا به قائم ورجل معه مقبل عليه، فظننت أن لهما حاجة، قال: فقال الأنصاري: والله لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثي[٤] لرسول الله ﷺ من طول القيام، فلما انصرف، قلت: يا رسول الله لقد قام بك الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام، قال: (**ولقد رأيته؟**)، قلت: نعم، قال: (**أتدري من هو**)؟ قلت: لا، قال: (**ذاك جبريل عليه السلام، ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**)، ثم قال: (**أما إنك لو سلمت عليه رد عليك السلام**)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين...: (١١٨١/٣) برقم: (٣٠٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: (١٥٨/١) برقم: (١٧٤).

(٢) الرسل والرسالات: (ص٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: (٣٧/١) برقم: (٨).

(٤) وهو أن يقع في مكروه فيتوجع له، انظر: قريب الحديث للخطابي: (٦٩٩/١).

(٥) أخرجه الطحاوي (٢٧/٤) وأحمد (٣٢/٥ و٣٦٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: =

وعن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ، فقال: **(اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير)**، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي، فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: **(وتدري ما ذاك؟)** قال: لا. قال: **(تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم)**[1].

وجاء في عدة طرق: "أن كثيراً من الصحابة ﷺ رأوا الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر"[2].

وفي رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام دليل لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من الإيمان بالملائكة وبوجودها، وأنها مخلوقات حقيقية لها أجسام وصور وأعمال منوطة بها، وهذا المذهب عليه إجماع أهل السنة والجماعة.

وخالف هذا الإجماع من لا يعتد بخلافه من الفلاسفة[3] والعقلانيين المعاصرين[4].

= (٣٠٩٦/٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: (٢٤٦/٣): "رواه أحمد بإسناد جيد، ورواته رواه الصحيح"، وصححه الألباني في إرواء الغليل: (٤٠٢/٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السَّكينة والملائكة عند قراءة القرآن: (١٩١٦/٤) برقم: (٤٧٣٠)، عن أُسَيْد ﷺ. ويشار هنا إلى أن البخاري بعد إخراجه الحديث بانقطاع السند بين محمد التيمي وأُسَيد ﷺ، عاد فوصله في آخر الحديث بسماع ابن الهاد من عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد الخدري، عن أُسَيد ﷺ. فالتعويل فيه على الإسناد الموصول كما نبَّه على ذلك الحافظ رحمه الله في الفتح: (٦٨١/٨)، والله أعلم.

(٢) الفتاوى الحديثية: (ص٥١٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (١١٩/٤) و(٥٨٩/٧).

(٤) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٢٢٢/١)، وانظر: المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: =

=

(ص٦٢٠-٦٢٢)، وانظر: روح الإسلام، سيد أمير علي: (ص٧٨)، والإسلام والعقيدة محمود شلتوت: (ص٢٨-٢٩)، وانظر: من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك، الدكتور محمد البهي: (ص١٤٢).

قلت: وفيما يلي ملخص أقوالهم في ذلك:

قال محمد عبده: "وذهب بعض المفسرين مذهبًا آخر في فهم معنى الملائكة: وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكًا، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني: القوى الطبيعية، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة. والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرًا هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكًا، وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته: قوة طبيعية أو ناموسًا طبيعيًا؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع. فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات"... تفسير المنار: (٢٢٣/١)، نقله رشيد رضا عن شيخه محمد عبده.

وفي موضع آخر يبيّن أن الملائكة هي نوازع الخير ونوازع الشر التي يشعر بها الإنسان في نفسه فيقول: "يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر، بأن في نفسه تنازعًا، كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى، فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل، وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا، ونسميه: قوة وفكرًا وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله تعالى: ملكًا (أو يسمي أسبابه: ملائكة) أو ما شاء من الأسماء، فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع". تفسير المنار: (٢٢٤/١).

=

ويظهر مما تقدم أن نفي وجود الملائكة، أو نفي ما ورد من أعمالها أو تشكلها، بغير صورها هو قول على الله بدون علم.

فعدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بالعدم، كما سيأتي بيانه في المبحث القادم فيما يتعلق برد شبهات منكري الجن والشياطين.

=

وقال سيد أمير: "إن ما نعتبره: بعض مبادئ الطبيعة كان أسلافنا يعتبرونه: ملائكة...". انظر: روح الإسلام لسيد أمير: (ص٧٨).

وقال أيضاً: "والحق أن الاعتقاد بالملائكة والشياطين قد ولّد كثيراً من الخرافات في كلتا الديانتين: الإسلام والمسيحية...." انظر: روح الحياة: (ص٧٩).

وقال الدكتور: محمد البهي: "والتعبير عن الملائكة بأنها طبائع نورانية لم يعرف في تاريخ الفكر الإسلامي إلا بعد أن دخل الفكر الإشراقي وهو الفكر الفارسي الذي يقوم على النور والظلمة كأصلين أو إلهين في الوجود". انظر: من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك د. محمد البهي: (ص١٤٢).

المبحث العاشر

رؤيته عليه الصلاة والسلام للشياطين والجن في صورهم

أولاً: الجن:

الجن: ضد الإنس، والواحد: جني، سميت بذلك لأنها تُتقى ولا تُرى.

ومنه سميت الملائكة: جنّاً لاستتارهم عن العيون، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[1].

قال ابن منظور: "سمي الجنّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه"[2].

ثانياً: الشيطان:

الشيطان: معروف، وكل عاتٍ من الإنس والجن والدواب: شيطان.

قال جرير:

أيامَ يَدعُونني الشيطانَ مِنَ غَزَلٍ ... وَهُنَّ يَهْوَينني إذْ كُنتُ شَيْطَانَا[3]

والعرب تسمي الحية شيطاناً.

قال الشاعر يصف ناقته:

تُلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٌّ كَأَنَّه ... تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفْرِ[4]

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٥٨. وانظر: مقاييس اللغة: (٣/١٨٤).

(٢) لسان العرب: (١٣/٢٣٧).

(٣) ديوان جرير بن عطية: (ص ٤٩٣) إلا أن البيت في الديوان كما يلي:

أَزْمَانَ يَدْعُونني الشَّيْطَانَ مِنْ غَزَلي ... وَكُنَّ يَهْوَينني إذْ كُنْتُ شَيْطَانَا

(٤) البيت في تهذيب اللغة: (١/٣٢)، والصحاح: (١/٣٣٠) وبعضهم نسبه لطرفة بن العبد ولم =

وعليه حمل بعضهم قوله تعالى: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[1]، بأن العرب تسمي بعض الحيَّات شيطاناً[2].

وإبليس:- مشتق من أَبْلَس، لأنه أُبْلِس من رحمة الله أي: أُويِسَ.

وأَبْلَسَ من رحمة الله أي: يَئِسَ ونَدِمَ، ومنه سمي إبليس[3].

ومما تقدم يظهر أن هناك ارتباط لتلك الألفاظ بالمعنى العام المأخوذ من الاجتنان والاستتار والاختفاء.

ولكن لكل من هذه الألفاظِ مدلوله الخاص به دون ما سواه في الشرع.

فالجن: ورد ذكرها في الكتاب والسنة في مواضع متعددة وهي تشاطر الإنس في التكليف، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4].

فهي مخلوقات عاقلة مريدة مكلّفة، فهم: نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، مجردون عن المادة، مستترون عن الحواس، لا يُرون على طبيعتهم ولا بصورهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكيل، يأكلون ويشربون ويتناكحون، ولهم ذرية، محاسبون على أعمالهم في الآخرة[5].

أما إبليس أو الشيطان:

فهو ذلك المخلوق الذي عصى ربه واستكبر عن أمر ربه، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[6].

=

أجده في ديوانه، والله أعلم.

(١) سورة الصافات، الآية: ٦٥.

(٢) انظر: لسان العرب: (١٣/٢٣٨)، وانظر: تاج العروس: (٣٥/٢٧٩).

(٣) انظر: لسان العرب: (٦/٢٩).

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) انظر: كتاب الكليات: (١/٣٥١-٣٥٩) بتصرف، وانظر: المفردات في غريب القرآن: (١/٩٨).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

وقاس قياساً فاسداً مقابل النص كما في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾(1).

ويطلق عليه أيضاً الشيطان كما قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(3).

وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(4).

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(5).

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ

---

(1) سورة الأعراف، الآية ١٢.

(2) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠-٢٢.

(3) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(4) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(5) سورة فاطر، الآيات: ٥-٦.

عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٣].

فالمراد من لفظ الشيطان في الآيات السابقة هو إبليس اللعين الذي يعتبر الشيطان الأول الذي حكى الله عنه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤].

ويطلق لفظ الشيطان على غيره من الإنس أو الجن كما تقدم في اللفظ اللغوي من جهة الوصف لا حقيقة الذات؛ إذًا كل من استكبر وتمرد على أمر ربه قارن الشيطان الأول في فعله وأخذ حكم وصفه سواءً كان من الجن أو الإنس.

كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨-١٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٦٣-٦٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٤) سورة الأعراف، الآيات: ١٤-١٨.

﴿بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾[1].

وفي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الجن والإنس)**، قال: يا نبي الله وهل للإنس شياطين؟ قال: (نعم ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾)[2].

واختلف في أصل الشيطان على قولين:

القول الأول: أنه من الملائكة، قال القرطبي: "لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور، كابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن ورجحه الطبري"[3].

وقال البغوي: "وهو قول أكثر المفسرين"[4].

القول الثاني: أن إبليس أصله من الجن وليس من الملائكة، وهذا القول قول ابن عباس في رواية والحسن البصري[5]، ونصره الزمخشري[6] في تفسيره، ورجحه صاحب أضواء البيان[7].

أدلة أصحاب القول الأول:

إن أقوى ما استدل به أصحاب القول الأول القائلين بأن إبليس من الملائكة ما يلي:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٢) أخرجه النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس: (٨/٢٧٥) برقم: (٥٥٠٧)، وأحمد في مسنده: (٥/١٧٨)، وابن حبان: (٣/١٠١) برقم: (٨٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/١٥٤) برقم: (١٦٤٢)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٣) القرطبي: (١/٢٩٤)، وانظر: تفسير الطبري: (١/٢٢٤).

(٤) تفسير البغوي: (١/٦٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري: (١/٢٢٦).

(٦) الكشاف للزمخشري: (١/١٥٦).

(٧) أضواء البيان: (٤/١٢٠-١٢١).

١-استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، قالوا: استثناؤه إياه منهم دليل على أنه منهم[2].

وكذلك استدلوا على كونه من الملائكة أنه إذ لم يكن كذلك فإن قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، لا يتناوله هذا الأمر، وعندئذ لا يكون تركه للسجود معصية.

والآية تدل على خلاف ذلك، فهي دالة على ترك الأمر، والخطاب لا يتناوله إلا إذا كان من الملائكة[4].

٢- وأيضاً استدلوا بما ورد عن بعض الصحابة، مما يدل على ذلك، ومن ذلك:

١- ما رواه الطبري بسنده عن ابن عباس: أن من الملائكة قبيلة من الجن، وكان إبليس منها.

وفي رواية: إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة.

وفي رواية أنه كان خازناً على الجنان.

وكذلك روي عن قتادة وغيره بنحوه[5].

وقالوا: لا يشكل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[6]، لأن الجن قبيلة من الملائكة كما روي عن ابن عباس وغيره[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١/٢٢٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي: (٢٦/٢٢٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/٢٢٥).

(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١/٢٢٥).

أدلة أصحاب القول الثاني:

القائلين بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة كما أن آدم أصل الإنس.

واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- صريح النص القرآني الذي يدل أنه من الجن وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[1].

هذا كلام مستأنف جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ماله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن...[2].

٢- وكذلك استدلوا بالحديث الصحيح الذي يدل على أن أصل الملائكة مفارق لأصل الجن، فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم**)[3].

٣- وبصريح قوله تعالى حكاية عن إبليس نفسه: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[4].

ووصف خلق الجان كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾[5].

٤- وبما جاء عن بعض السلف رحمهم الله مما يدل على ذلك، كما قال الحسن البصري: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر[6].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٢) الكشاف: (٢/٦٧٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة: (٤/٢٢٩٤) برقم: (٢٩٩٦).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(٦) تفسير الطبري ط هجر: (١/٥٤٠) وقال ابن كثير: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن". تفسير ابن كثير ت سلامة: (١/٢٣١).

وأضافوا إلى ذلك أمورًا، منها:

١- أن الملائكة لا تصدر منها معصية كما وصفهم الله بذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

٢- التصريح بالفرق بين الجن والملائكة، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[٢]، فهذه الآية صرحت بالفرق بين الجن والملائكة.

٣- أن الملائكة رسل، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]، ورسل الله معصومون، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾[٤].

٤- أن إبليس له ذرية، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[٥]، أما الملائكة فلا ذرية لها لأن الذرية إنما تحصل من الذكر والأنثى، والملائكة لا أنثى فيها لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) سورة سبأ، الآيات: ٤٠-٤١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[1]، فهذا إنكار على من حكم على الملائكة بالأنوثة.

وقد أجيب على ما استدل به أصحاب القول الأول بما يلي:

١- أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، ولكن لا يمنع أن يكون منقطعاً لأنه مشهور في كلام العرب، وقد دلت الأدلة عليه، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[4].

أما الآثار المروية عن الصحابة الدالة في كونه من الملائكة فقد أجاب عنها الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره بقوله: "وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار"[5].

وإلى هذا ذهب صاحب أضواء البيان وذلك بقوله: "وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره، من أنه كان من أشراف الملائكة ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه: عزازيل، كله من الإسرائيليات

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٢٥-٢٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩، وانظر: تفسير الرازي: (١٩٧/٢) واللباب في علوم الكتاب: (٥٤١/١-٥٤٢).

(٥) تفسير ابن كثير: (٩٠/٣).

التي لا معول عليها"[1].

هذه مجمل أقوال أهل التفسير في هذه المسألة.

والصحيح -والعلم عند الله- هو صحة القول القائل بأن إبليس من الجن وليس من الملائكة، وذلك لما يلي:

١- صحة دلالة النصوص من الكتاب والسنة الدالة على ذلك، خاصة ما ورد منها في موضع النـــزاع، كآية سورة الكهف، ولذلك قال صاحب أضواء البيان: "وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال: إنه غير ملك، لأن قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ ﴾[2]، هو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي، والعلم عند الله تعالى"[3].

٢- ما ذُكر من كون إبليس من الملائكة محمول على الغلبة والصورة لا على الحقيقة، ولذلك قال ابن تيمية: "والتحقيق أنه -أي إبليس- كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا غيرهما"[4].

٣- ما ذُكر من أقوال تدل على أن إبليس كان من حي من أحياء الملائكة خلقوا من نار السموم فهذا معارَض بالحديث الصحيح الذي روته أم المؤمنين عائشة من كون الملائكة خلقت من نور، وخلق الجان من مارج من نار[5].

فدلالة الحديث عامة في كون الملائكة مخلوقين من نور، ويبقى العام على عمومه حتى يدل الدليل على إخراجه من عمومه، ولا دليل ثابت يدل على أن الملائكة منهم من خلق من النار.

---

(١) أضواء البيان (١٢١/٤).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٣) أضواء البيان: (١٢١/٤).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٣٤٦/٤).

(٥) تقدم تخريجه (ص ٤٣٤).

٤- أقول إن الاستثناء الوارد في الآية إما متصلاً على قول الجمهور، وإما منفصلاً لوروده في القرآن وفي كلام العرب.

وكلا القولين محتمل.

والمحتمل لا بد له من مرجح يقوي احتماله، وبالتالي يقدم القول الذي يقوي مرجحه، وحيث إن القول الثاني في كون إبليس من الجن مرجحٌ بالكتاب والسنة كما تقدم بخلاف القول الأول الذي وجه الاحتمال فيه بكون الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً.

وهذا لا يكفي بكونه مرجحاً لورود الاستثناء منفصلاً.

وعلى هذا يقدم القول الثاني على الأول لمرجحه.

صلة إبليس بالجن:

وهنا مسألة مبنية على ما تقدم من كون إبليس من الجن وليس من الملائكة، وهي: هل إبليس أصل الجن أم فرد من أفراد هذا الجنس؟

للعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: يرى أن إبليس هو أصل الجن، وأن الجن ولدُ إبليس، كما أن الإنس ولدُ آدم.

وممن قال بهذا:

١- الحسن البصري قال: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس"[(١)].

٢- قال ابن زيد: "إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس"[(٢)].

وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "وجميع الجن ولد إبليس"[(٣)].

القول الثاني: يرى أن إبليس ليس هو أصل الجن بل واحد منهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١/٥٠٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١/٥٠٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (١٥/٧).

وهذا القول يفهم من كلام الطبري في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، قال: "الجن والشياطين"[2].

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[3]: الجن ولد الجان وليسوا شياطين[4].

والقول بأن الجان أبو الجن[5]، فيه دلالة على أن إبليس ليس أباً وأصلاً للجن وإنما أبوهم هو الجان.

وإلى هذا أشار الرازي بقوله: "والأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان منهم مؤمناً فإنه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافراً يسمى بهذا الاسم، والدليل على صحة ذلك أن لفظ الجن مشتق من الاستتار، فكل من كان كذلك كان من الجن"[6].

والصواب في هذه المسألة: أنه ليس هناك دليل صحيح يعتمد عليه في ترجيح أحد القولين على الآخر، لا من الكتاب أو من السنة والله أعلم[7].

وأما ما يتعلق برؤيته عليه الصلاة والسلام للشياطين والجن في صورهم:

فقد ورد في السنة النبوية العطرة أحاديث عديدة تدل على رؤيته ﷺ للشياطين والجن في صورهم، ومن ذلك: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (**إن عفريتًا من الجن تفلّت علي البارحة، أو كلمة نحوها - ليقطع علي الصلاة،**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٢) تفسير الطبري: (٢٣٤/١).

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١٥.

(٤) انظر: فتح القدير: (١٥٤/٢).

(٥) تفسير البغوي: (٤٩/٣).

(٦) التفسير الكبير للرازي: (١٤٣/١٩).

(٧) انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة: (ص٤٩٢).

فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾[1]) قال روح: فرده خاسئًا[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: (**أعوذ بالله منك**)، ثم قال: (**ألعنك بلعنة الله**)، ثلاثًا، وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك. قال: (**إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**)[3].

وفي رواية أن الشيطان جاء بشعلة نار ليحرق بها وجه النبي ﷺ، فأخذه رسول الله ﷺ حتى وجد برد لسانه على يده الشريفة[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: (**لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدتُ برد لعابه بين أصبعي هاتين، الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطًا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل**)[5].

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٩٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩٥).

(٤) أخرجه أحمد: (٤١٣/١) برقم: (٣٩٢٦)، والنسائي في الكبرى: (١٩٦/١) برقم: (٥٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد: (٨٢/٣) برقم: (١١٧٩٧). وقال ابن رجب في "فتح الباري": (٣٩٧/٦): "إسناده جيد"، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": (٩٠/٢): "رجاله ثقات"، وقال الألباني في =

وأما ما يتعلق برؤيته عليه الصلاة والسلام للجن:

فعند مسلم عن داود عن عامر قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: (**أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**)، قال: فانطلق بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: (**لكم كل عظم ذُكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم**). فقال رسول الله ﷺ: (**فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**)[1].

وقد دلت رؤية النبي ﷺ للجن على عدة مسائل عقدية منها:

المسألة الأولى: إثبات وجود الجن.

وللناس في هذه المسألة من حيث الجملة قولان:

القول الأول: الإيمان بوجود هذا الجنس من المخلوقات وهو مذهب أهل السنة والجماعة، بدليل الكتاب والسنة والإجماع[2] والعقل[3].

القول الثاني: إنكار وجود الجن، وهو مذهب أكثر الفلاسفة[4]، ومن وافقهم من

=

"سلسلة الأحاديث الصحيحة": (٣٢٥١): "إسناده جيد رجاله ثقات".

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن: (١٤٠١/٣) برقم: (٣٦٤٦)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن: (٣٣٢/١) برقم: (٤٥٠) واللفظ له.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٧٦/٢٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٧٦/٢٤).

(٤) انظر: تفسير القرطبي: (٦/١٩)، والتفسير الكبير للرازي: (١٤٨/٣٠)، وإيضاح الدلالة في =

بعض طوائف الجهمية والمعتزلة[1]، والعقلانيين من المعاصرين[2].

وقد استدل أهل السنة والجماعة بما استفاضت به النصوص من القرآن والسنة بوجود الجن، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[5]، وغيرذلك من الآيات.

وأما السنة فقد تقدم بعضًا منها فيما ورد من رؤية النبي ﷺ للجن.

وأما الإجماع:

فقال ابن حجر الهيتمي[6]: "وإنكار -بعض المعتزلة- لوجودهم فيه مخالفة للكتـــاب والسنة والإجماع"[7].

=

عموم الرسالة: (ص٥) الهامش.

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/١٩)، وانظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة: (ص٣٢٣).

(٢) انظر: تفسير المنار: (٢٢٢/١).

(٣) سورة الجن، الآية: ١-٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٦) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين، أبو العباس فقيه مصري، له تصانيف كثيرة، مات بمكة سنة ٩٧٤هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: (٢٣٤/١).

(٧) الفتاوى الحديثية: (ص١٢٣).

وأما دلالة العقل:

فإن العقل لا يمنع وجود أشياء حولنا لمجرد عدم رؤيتنا لها، لأنه قد ثبت للعقل وجود أشياء غير محسوسة ولا مرئية بالعين المجردة، والعقل لا ينكرها ولا ينفيها، من ذلك: الجراثيم التي لا تُرى بالعين المجردة، والكهرباء، والجاذبية الأرضية، والموجات الصوتية، والأشعة فوق الحمراء، والذرة، ونحو ذلك مما تم اكتشافه في القرون الحديثة، والعجيب أن بعض المنكرين لوجود الجن من المدرسة العقلية الحديثة يؤمن بكل هذه المكتشفات الغيبية بدعوى أنها جاءت من الحضارة الغربية، وينكرون أو يؤولون بما يفضي بهم إلى الإنكار بما جاء به الصادق المصدوق.

وأما أصحاب القول الثاني المنكرين لوجود الجن فقد تباينت أقوالهم بين منكر لوجودهم أصلاً، وما بين مؤول للنصوص الواردة في إثباتها، ليشتركوا في حقيقة واحدة وهي: تكذيب الله تعالى ورسوله ﷺ، وفيما يلي شبهات المنكرين لوجود الجن:

١- أن الشيطان لو كان موجودًا لكان إما أن يكون جسمًا كثيفًا أو لطيفًا، والقسمان باطلان، فيبطل القول بوجوده، وإنما قلنا: إنه يمتنع أن يكون جسمًا كثيفًا؛ لأنه لو كان كذلك لوجب أن يراه كل من كان سليم الحس، إذ لو جاز أن يكون بحضرتنا أجسام كثيفة ونحن لا نراها لجاز أن يكون بحضرتنا جبال عالية، وشموس مضيئة، ورعود وبروق مع أنا لا نشاهد شيئًا منها، ومن جوَّز ذلك كان خارجًا عن العقل، وإنما قلنا: إنه لا يجوز كونها أجسامًا لطيفة، وذلك لأنه لو كان كذلك لوجب أن تتمزق أو تتفرق عند هبوب الرياح العاصفة القوية، وأيضًا يلزم أن لا يكون لها قوة وقدرة على الأعمال الشاقة، ومثبتوا الجن ينسبون إليها الأعمال الشاقة، ولما بطل القسمان ثبت فساد القول بالجن[1].

وقالوا أيضاً: إن الطريق إلى معرفة الأشياء إما الحس، وإما الخبر، وإما الدليل.

أما الحس: فلم يدل على وجود هذه الأشياء، لأن وجودها إما بالصورة أو بالصوت، فإذا كنا لا نرى صورةً ولا نسمع صوتًا فكيف يمكننا أن ندعي

(١) انظر: مفاتيح الغيب: (١/٨٠).

الإحساس بها[1].

قال ابن تيمية: "وإن كان هذا لا دليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم، فإن عدم العلم ليس علمًا بالعدم، لكن نفيهم هذا كنفي الطبيب للجن، لأنه ليس في صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن، وإلا فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن، وهكذا تجد من عرف نوعًا من العلم وامتاز به على العامة الذين لا يعرفونه، فيبقى بجهله نافيًا لما لم يعلمه، وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[2]، وهذا لأن الغالب على الآدميين صحة الحس والعقل فإذا أثبتوا شيئًا وصدقوا به كان حقًّا.

ولهذا كان التواتر مقبولاً من جميع أجناس بني آدم، لأنهم يخبرون عما شاهدوه وسمعوه، وهذا أمر لا يشترك الخلق العظيم في الغلط فيه ولا في تعمد الكذب فيه، فإذا علم أنهم لم يتواطئوا عليه ولم يأخذه بعضهم عن بعض كما تؤخذ المذاهب والآراء التي يتلقاها المتأخر عن المتقدم، وقد علم أن هذا مما لا يغلط فيه عادة علم قطعًا صدقهم، فإن المخبر إما أن يتعمد الكذب، وإما أن يغلط، وكلاهما مأمون في المتواترات، بخلاف ما نفوه وكذبوا به، فإن غالبهم أو كثيرًا منهم ينفون ما لا يعلمون، ويكذبون بما لم يحيطوا بعلمه"[3].

وقال أيضًا: "لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون ليسوا صفاتًا وأعراضًا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواترًا عن الأنبياء تواترًا ظاهرًا تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم"[4].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: (٨٠/١).

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٩.

(٣) مجموع الفتاوى: (٣٣٥/١٧).

(٤) المصدر نفسه: (١٠/١٩).

٢- "أن هذه الأشخاص المسماة بالجن إذا كانوا حاضرين في هذا العالم مخالطين للبشر، فالظاهر الغالب أن يصل لهم بسبب طول المخالطة والمصاحبة إما صداقة وإما عداوة، فإن حصلت الصداقة وجب ظهور المنافع بسبب تلك الصداقة، وإن حصلت العداوة وجب ظهور المضار بسبب تلك العداوة، إلا أنا لا نرى أثرًا لا من تلك الصداقة ولا من تلك العداوة، وهؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم إذا تابوا من الأكاذيب يعترفون بأنهم قط ما شاهدوا أثرًا من هذا الجن، ولذلك مما يغلب على الظن عدم هذه الأشياء، وسمعت واحدًا ممن تاب عن تلك الصنعة قال: إني واظبت على العزيمة الفلانية كذا من الأيام وما تركت دقيقة من الدقائق إلا أتيت بها ثم إني ما شاهدت من تلك الأحوال المذكورة أثرًا ولا خبرًا"(١).

والجواب عن هذه الشبهة: "أنه لا يشترط أن يحصل للإنسان من مصاحبة أحد، صداقة أو عداوة تترتب عليهما المنافع والمضار، ومع ذلك فإن الوقائع الصحيحة التي وردت في السنة تدل على أن بعض الجن قد حصل منهم إيذاء لبعض من يكرهونه من الإنس، وقد ثبت علاج الرسول ﷺ لبعض من صرعتهم، وقد ثبت كذلك نفع الجن لبعض الإنس، كما حصل مع أبي هريرة رضي الله عنه عندما جاءه الشيطان، فجعل يحثو من الطعام، وقد تكرر مجيئه ثلاث مرات، وكان يزعم أنه لا يعود، حتى همّ أبو هريرة أن يرفع أمره للرسول ﷺ، فقال الشيطان عند ذلك: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. فعلّمه آية الكرسي، وقال له: اقرأها، فإنه لا يقربك شيطان(٢).

وغير ذلك مما ثبت في نفع الجن لبعض الناس وإضرارهم لبعض منهم"(٣).

وأما قولهم: "إذا تابوا من الأكاذيب يعترفون بأنهم ما شاهدوا قط أثرًا من هذا الجن"(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب (١/٨٠).

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً...: (٢/٨١٢) برقم: (٢١٨٧).

(٣) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة: (ص١١٣-١١٤).

(٤) مفاتيح الغيب: (١/٨٠).

فهذا كلام فيه مغالطة، وذلك أن كثيرًا ممن تاب يعترف بوجود من يعلمه ويخاطبه، وربما رآه بأشكال مختلفة وهذا لا يمكن رده.

ومنهم من أوّل هذا الجنس من المخلوقات مع تصريح النصوص الشرعية بوجوده، وهو مذهب المدرسة العقلية الحديثة، وحقيقة أمرهم يؤول إلى إنكارها حيث جُعل أن المراد بالجن عدة معان، منها:

أنهم نفر من البشر مغمورون غير معروفين قدموا من يثرب لمبايعة النبي ﷺ بيعة العقبة، فهم نفر من البشر سموا جنّاً بحجة أنهم غرباء خيِّرون غير معهودين في ذلك الزمان.

يقول الدكتور البهي في تفسير قوله تعالى: "وقد يطلق الجن على فريقٍ خيّر من الناس، غريب وغير معهود، ولأنه غريب وغير معهود كان بمثابة غير المحسوس وغير المرئي، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ﴾ ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، فهذا النفر من الجن الذي أنصت للقرآن الكريم بمكة يقال: إنه قدم إليها من يثرب قبل الهجرة بسنتين وبعد إيمانه أخذ على عاتقه الدعوة إلى دين الله بين قومه بعد أن عاد من الحج إلى يثرب ثانية، ويقال: إنه هو نفسه الفريق الذي ذكر في سورة الجن في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[2]، وأطلق على هذا النفر اسم: الجن، لأنه كان غير معروف بين المكيين، وكان غريبًا عن مجلس الرسول ﷺ وهو بمكة، ومن هذا التفسير يقال: إنه تكونت نواة الأنصار بالمدينة، والرسول عليه الصلاة

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩ -٣٢.

(٢) سورة الجن، الآيات: ١- ٢.

والسلام عندما هاجر إلى يثرب بعد ذلك بسنتين لم يهاجر إذًا إليها من فراغ، وإنما هاجر إلى أحباء آمنوا به من قبل وبرسالته وبشروا بها ودعوا إليها جادين قبل أن يهاجر هو وصاحبه"[1].

ويقول أيضاً في موضع آخر مؤكدًا على تأويله السابق: "وإذًا النفر من الجن الذي استمع إلى القرآن في مجلس الرسول ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة وآمن به، ثم أخذ على عاتقه مسؤولية الدعوة إليه، هذا النفر ليس من القوى الفردية غير المركبة، أي ليس من القوى النارية التي هي الملائكة أو الجن على السواء، وقريب أن يكون من البشر، ولكن لأنهم غير معهودين وغرباء كانوا بمثابة الجن في التستر وعدم الإفصاح عن هويتهم، وهذا النفر من الجن هو الذي أشار إليه القرآن في سورة الأحقاف وكذلك في سورة الجن"[2].

ويقول أيضًا: "إن لفظ الجن كما وزد في القرآن قصد به "غير المعهود" للإنسان وأطلقه القرآن مرة على فريق من الناس لم يكونوا معهودين للرسول عليه الصلاة والسلام وهو يجالس المؤمنين في مكة، وورد هذا الاطلاق في سورة الأحقاف، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[3]"، وذكر الآيات ... -ثم قال-: "وقصد بهذا النفر: الفريق الذي قدم من المدينة للحج وبايع الرسول بعد هذا اللقاء فيما يسمى بيعة العقبة وهو فريق الأوس والخزرج، وهذا النفر بحكم صلته باليهود في المدينة وفيما جاورها كان يعرف الكثير عن التوراة ولذا ربط ما سمعه من الرسول عليه السلام وهو يتلو القرآن بما يعرفه عن التوراة، ولذا اعتبر أن هذا القرآن مصدّقاً لما بين يديه وهو التورة، كما أطلق القرآن لفظ الجن مرة أخرى على الملائكة في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ

(١) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك: (ص١٣٨).

(٢) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك: (ص١٣٣).

(٣) سورة الجن، الآيات: ١ -٢.

عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[1]، فالسياق قبل وبعد يحدد إذًا (الْجِنَّةُ) هنا: هم الملائكة الذين ادعى مشركو قريش أهم بنات الله".

ثم ذكر المراد من لفظ الجن في القرآن فقال: "وفيما عدا هذين الموضعين فلفظ الجن مفهوم لغوي لا يقصد منه سوى غير المعهود للإنسان: شريراً أو خيّراً، ماهراً أو غير ماهر"[2].

كما أول الجن التي ذكر الله تعالى -في قصة سليمان- في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3]، فقال: "فمن يعمل من الجن بين يدي سليمان عليه السلام بإذن ربه كان فريقاً من العمال غير المهرة، وبذلك كانوا مغمورين غير معروفين، ولذا كان هذا الفريق في حاجة إلى أن يكون عملهم تحت إشراف سليمان نفسه، ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[4]، أي: أهم لعدم مهارتهم كانوا لا يستقلون بالعمل والمغمور من الناس مخفي كأنه لا يُرى ولا يشاهد..."[5].

و لم يقف البهي عند هذا الحد بل أنكر تكليف الجن بالرسالة فقال مستدلاً بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[6]، حيث قال: "وفي التعبير بهذا ما يجعل الملائكة أو القوى النارية على العموم كالجن في بعد عن محيط الرسالة وعن التكليف بالهداية الإلهية، فإرسال

(١) سورة الصافات، الآية: ١٥٨.

(٢) تفسير سورة الفرقان للدكتور محمد البهي: (ص ٤-٥).

(٣) سورة سبأ، الآيات: ١٢- ١٣.

(٤) سورة سبأ، الآيات: ١٢ -١٣.

(٥) من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك: (ص ١٣٩).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

الرسل من البشر وإلى البشر وحدهم يفيد أن الإيمان بهداية الله والكفر بها من خواص البشر وحدهم..."[1].

والرد على هذا التأويل الفاسد من وجوه:

الوجه الأول: أن هذه التأويلات لم تثبت لا بالكتاب ولا بالسنة ولا بقول مأثور عن أصحاب رسول الله ﷺ ولا قال بها أحد من التابعين أو المفسرين الذين هم أهل هذا الشأن، إنما نجدها يخترعها من عقليته التي مبناها على الظن والتخمين والقول على الله بلا علم.

الوجه الثاني: إطلاقه على أهل بيعة العقبة أنهم هم الجن المقصودون بدلالة الآيات الوارد بها لفظ الجن.

هذا القول مخالف لما جاء في عامة تفاسير أهل العلم، والأحداث التاريخية والسنة النبوية تدل على أن النفر الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ هم معرفون بأسمائهم وأوصافهم من أهل المدينة، و لم يأت ما يدل على تفسير لفظ الجن الوارد بسورة الأحقاف أو غيرها بأنهم هم النفر الذين بايعوا رسول الله ﷺ لا من قريب ولا من بعيد.

الوجه الثالث:

دلت رؤية النبي ﷺ للجن ودعوته لهم للإسلام على أن الجن مكلفون ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا

(١) المصدر نفسه (ص١٣٧).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾[1].

وقال ابن تيمية – رحمه الله -: "يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدًا ﷺ إلى جميع الثقلين، الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى، كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين"[2].

---

(١) سورة الجن، الآيات: ١٣-٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى: (٩/١٩).

المبحث الحادي عشر

رؤيته ﷺ لملكوت الأرض والسماء

وذلك لما رواه الإمام أحمد وغيره عن بعض أصحاب النبي ﷺ، أن رسـول الله ﷺ خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس، مسفر الوجه، أو مشرق الوجه، قلنا: يا نـبي الله، إنا نراك طيب النفس، مسفر الوجه، أو مشرق الوجه، فقال: (**وما يمنعني، وأتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربي وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري أي رب**)، قال ذلك مرتين أو ثلاثًا، قال: (**فوضع كفيه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي حتى تجلى لي ما في السماوات وما في الأرض**)، ثم تلا هذه الآيـة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[1]، (**ثم قال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفارات، قال: وما الكفارات؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المسجد خلاف الصلوات، وإبلاغ الوضوء في المكاره، قال: من فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب علي، وإذا أردت فتنة في الناس فتوفني غير مفتون**)[2].

وفي هذا الحديث دليل على كرامته ﷺ عند ربه، وفيه أيضًا معجزة من معجزاته ﷺ.

وفيه أيضًا: دلالة على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه، وإنه لا إله غـيره ولا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٢) أخرجه أحمد: (٤/٦٦) برقم: (١٦٦٧٢) وتقدمت بعض رواياته (ص ٣٨٣).

رب سواه كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1][2].

وذكره ﷺ لهذه الآية جاءت على سبيل الاستشهاد بأن ما وقع له بمنـزلة ما وقع لإبراهيم عليه السلام ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ "أي: أنه رأى ملكوت السموات ليكون ممن يقرُّ بتوحيد الله ويعلم حقيقة ما هداه وبصره إياه، من معرفة وحدانيته"[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٣/٢٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري: (١١/٤٧٥).

المبحث الثاني عشر
رؤيته ﷺ وهو بمكة بيت المقدس

ففي حديث أم هانئ رضي الله عنها: "... فقالوا: يا محمد صِفْ لنا بيت المقـــدس، قال: دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً، فأتاه جبرئيل فصوّره في جناحه، فجعل يقول: باب منه كذا في موضع كذا، وباب منه كذا في موضع كذا..."[1].

وفي رفع الله له بيت المقدس دلالة على تأييد الله لنبيه ﷺ واختصاصه بهذه المعجـــزة الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) تقدم تخريجه: (ص ٤٠٨).

المبحث الثالث عشر

رؤيته ﷺ أماكن مصارع المشركين يوم بدر قبل مصرعهم

ومن علامات نبوته ﷺ: أنه أخبر عن مصارع المشركين في بدر قبل مصرعهم.

روى الشيخان وأحمد -واللفظ له- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر، فرأيته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: (**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**)، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التي حدّ رسول الله ﷺ، قال: فجُعلوا في بئر، بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: (**يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقًّا، فإني قد وجدت ما وعدني الله حقًّا**)، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال: (**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئاً**)[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثًا، ثم أتاهم فقام عليهم، فناداهم، فقال: (**يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا؟**) فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون؟ وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: (**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا**)،

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٨٢).

ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن أبي طلحة ﷺ أن نبي الله ﷺ أمر يوم بـــدر بأربعـــة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقذفوا في طوى من أطواء بدر، خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتّبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: **(يا فلان ابن فلان، ويا فـــلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟)** قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)**، قـــال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا[2].

وإشارة المصطفى ﷺ إلى مصارع المشركين -بقوله: **(هذا مصرع فـــلان، وهـــذا مصرع فلان)**، -فرأى المسلمون ذلك على ما أشار إليه- من أعظم الدلائل على نبوتـــه وصدق رسالته.

---

(١) هو رواية من الحديث السابق (ص ٤٥٤).

(٢) هو رواية من الحديث السابق (ص ٤٥٤).

المبحث الرابع عشر

رؤيته ﷺ مشارق الأرض ومغاربها حين زوى الله له الأرض

عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها -أو قال: من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**)[1].

قال النووي رحمه الله: "أما (زُوِيَ) فمعناها جُمِعَ، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ، قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزَيْ كِسرى وقَيْصَر مَلِكَيْ العراق والشام. وفيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب، فصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"[2].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض: (٢٢١٥/٤) برقم: (٢٨٨٩).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: (٢٦٨/٩).

المبحث الخامس عشر
نفي خائنة الأعين عنه ﷺ

عن مصعب بن سعد[1]، عن سعد رضي الله عنه قال: لما كان يوم فتح مكة أَمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وسماهم، وابن أبي سرح. فذكر الحديث. قال: وأما ابن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: (**أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟**)، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟، قال: (**إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين**)[2].

"وهذا يبين أن النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه لا يُظهر للناس خلاف ما يبطنه كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة[3] وضلال المتنسكة ونحوهم"[4].

---

(١) هو مصعب بن سعد أبو زرارة القرشي الزهري، وهو ابن سعد بن أبي وقاص، أدرك أصحاب النبي ﷺ وهو ثقة، مات سنة ١٠٣هـ. انظر: التاريخ الصغير للبخاري: (٩٤/١)، وتقريب التهذيب: (٥٣٣/٢).

(٢) سبق تخريجه (ص ٤).

(٣) هم صنفٌ من الرافضة يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن، وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي إلى أن أوصلوها إلى محمد بن إسماعيل، وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه المهدي. انظر: مقالات الإسلاميين: (ص ٨).

(٤) مجموع الفتاوى: (٢١٩/٢).

المبحث السادس عشر

مسألة ذرف عينه ﷺ في وفاة بعض أولاده ودلالة ذلك على الرحمة والرد على من زعم أن ذلك ينافي الصبر

١- ذرف عينه ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟. فقال: (**يا ابن عوف إنها رحمة**)، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: (**إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**)[1].

وفي لفظ عند مسلم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم**)، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له: أبو سيف، فانطلق يأتيه، واتبعته، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سبف أمسك، جاء رسول الله ﷺ، فأمسك، فدعا النبي ﷺ بالصبي، فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول. فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: (**تدمع العين ويحزن القلب،**

---

(١) متفق عليه، وتقدم تخريجه (ص ٣٧٢).

ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون)[1].

٢- ذرف عينه عند وفاة ابنته زينب.

عن أنس رضي الله عنه قال: شهدنا بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس على القبر، فرأيت عيناه تدمعان، فقال: **(هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة**[2]**؟)** فقال أبو طلحة: أنا. قال: **(فانزل في قبرها)**. فنزل في قبرها، فقبرها[3].

٣- ذرف عينه ﷺ عند احتضار إحدى بناته بين يديه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضرت بنت لرسول الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسول الله ﷺ فضمها إلى صدره، ثم وضع يده عليها، فقضت وهي بين يدي رسول الله ﷺ، فبكت أم أيمن، فقال لها رسول الله ﷺ: **(يا أم أيمن أتبكين ورسول الله ﷺ عندك؟)** فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي؟ فقال رسول الله ﷺ: **(إني لست أبكي ولكنها رحمة)**، ثم قال رسول الله ﷺ: **(المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل)**[4].

ففي هذه الأحاديث دلالة واضحة على جواز البكاء وذرف العين على فقدان الأحبة، وأن هذا لا ينافي الصبر، وبيَّن ﷺ أن هذه الحالة إنما هي رحمة من الله.

قال الطيبي رحمه الله -: ".... قوله: **(إنها رحمة)**، أي: الحالة التي شاهدتما مني هي رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع"[5].

فهذا البكاء من البكاء المباح والحزن الجائز، وذلك ما كان بدمع العين ورقة النفس،

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٧٢).

(٢) أي: أنه لم يجامع تلك الليلة، انظر: شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٣٣٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة: (٤٥٠/١) برقم: (١٢٧٧).

(٤) أخرجه أحمد: (٢٩٧/١) برقم: (٢٧٠٤)، والنسائي، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت: (١٢/٤) برقم: (١٨٤٣)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٥) فتح الباري لابن حجر: (١٧٤/٣).

و لم يكن تسخطًا لأمر الله، إذ الفطر مجبولة على الحزن[1].

وقد قال الحسن البصرى: العين لا يملكها أحد، صبابة المرء بأخيه[2].

قال النووي -رحمه الله-: "فيه جواز البكاء على المريض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضى بالقدر، بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم: الندب والنياحة والويل والثبور، ونحو ذلك من القول الباطل، ولهذا قال ﷺ: (**ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**)[3].

كذلك دلت هذه الأحاديث على أن النبي ﷺ نال جميع مراتب العبودية في مثل هذه الحالة، فنال مقام الرضى عن الله، والبكاء رحمة الصبي، وفي هذا رد على أرباب الطرق وبعض الزهاد الذين لا يتأثرون عند فقد الولد والأحبة زعمًا منهم أن هذا ينافي الصبر.

وقد أجاب ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين: عن قصة الفضيل بن عياض رحمه الله لما مات ابن الفضيل بن عياض رؤي في الجنازة ضاحكاً، فقيل له: أتضحك وقد مات ابنك، فقال: إن الله قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بقضائه[4].

فأنكرت طائفة هذه المقالة على الفضيل وقالوا: رسول الله بكى يوم مات ابنه، وأخبر أن القلب يحزن والعين تدمع، وهو في أعلى مقامات الرضى، فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟

فأجاب ابن القيم رحمه الله عن هذا، قائلاً:

"والتحقيق أن قلب رسول الله اتسع لتكميل جميع المراتب من الرضى عن الله، والبكاء رحمة للصبي، فكان له مقام الرضى، ومقام الرحمة ورقة القلب، والفضيل لم يتسع قلبه لمقام الرضى ومقام الرحمة، فلم يجتمع له الأمران"[5].

---

(١) انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال: (٢٨٨/٣).

(٢) انظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال: (٢٨٨/٣).

(٣) شرح النووي على مسلم: (٧٥/١٥).

(٤) انظر: التحفة العراقية: (ص ٥٨).

(٥) مدارج السالكين: (٢٠٩/٢).

المبحث السابع عشر

نوم عينه دون قلبه ﷺ

ومن دلائل نبوته ﷺ: نوم عينه دون قلبه،

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان، ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربع ركعات، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، فقلت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ قال: (**تنام عيني، ولا ينام قلبي**)[1].

"قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله تعالى على أي حاليه كان نائمًا أو يقظان كل ذلك حق وصدق"[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٧٤).

(٢) شرح البخاري لابن بطال: (٢٠/١٨٩).

المبحث الثامن عشر

إشارته إلى عينه وأذنه عند قراءته لقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[1]

عن سُليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2]، قال: رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه.

قال ابن يونس: قال المقرئ: يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ يعني: أن لله سمعًا وبصرًا. قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية[3].

أولاً: إن السمع والبصر من صفات الله الذاتية الثابتة له بالكتاب والسنة والإجماع والعقل[4].

ثانيًا: استدل أئمة أهل السنة والجماعة بهذه الإشارة منه ﷺ على أمرين:

الأمر الأول: إشارته ﷺ بهذا الحديث تدل على تحقيق الوصف بإثبات السمع والبصر لله تعالى.

---

(١) النساء، الآية: ٥٨.

(٢) النساء، الآية: ٥٨.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية: (٤/٢٣٣) برقم: (٤٧٢٨، والطبراني في المعجم الأوسط: (٩/١٣٢) برقم: (٩٣٣٤).

(٤) انظر: الرد على المنطقيين: (ص ٤٦٥)، وانظر ذلك تفصيلاً في الأصفهانية (ص٧٣-٨٧).

قال البيهقي رحمه الله -في معرض المراد بهذا الحديث-: "والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر هنا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى"(١).

كما أن وضع إبهامه بهذه الصورة منه ﷺ لا يعد تشبيهًا بالمخلوق.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق..."(٢).

الأمر الثاني: أن إشارته ﷺ إلى سمعه وبصره رد على الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، القائلين: "بأن معنى كونه تعالى سميعاً بصيراً، أنه عالم بالمسموعات والمبصرات"(٣).

قال البيهقي: "وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر، لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلوم منا، وليس في الخبر إثبات الجارحة، تعالى الله عن شبه المخلوقين علوًّا كبيرًا"(٤).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فلو كان السمع والبصر: العلم لم يصح"(٥)، أي: لم يفرق بينهما ﷺ في تكلف الإشارة هنا وهنا، لأنه على قولهم: المعنى واحد.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه رفعاً لتوهم متوهِّم أن السمع والبصر غير الصفتين المعلومتين..."(٦).

وبهذ الحديث يتبين صحة ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة البصر والسمع لله تعالى كما يليق به، من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تكييف.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي: (٤٦٢/١).

(٢) العقيدة الأصفهانية: (ص ١٠٣).

(٣) مقالات الإسلاميين: (ص ١٦٨)، والملل والنحل لابن حزم: (٧٨/١).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي: (٤٦٣/١).

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية: (ص ١٢٣).

(٦) الصواعق المرسلة: (٣٩٦/١).

المبحث التاسع عشر

أوصاف عينيه ﷺ

لقد كان النبي ﷺ جميل العينين، فقد جاء عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله: كـان رسول الله ﷺ عظيم العينين، أهدب الأشفار[١]، مشرب العينين بحمرة، كث اللحية[٢].

وفي رواية جابر بن سمرة ﷺ: ... أشكل العينين[٣][٤].

وفي رواية عن علي ﷺ: أدعج العينين[٥]، أهدب الأشفار[٦].

---

(١) الأهدب الرجل الكبير أشفار العين وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهـدب. انظر: الصحاح: (١/٣٦١).

(٢) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد": (١٣١٥)، والبزار: (٢/٢٥٣) برقم: (٦٦٠)، والبيهقـي في "دلائل النبوة": (١/٢١٠ و٢١٧)، وحسنه الألباني في تعليقه على الأدب المفرد.

(٣) أي في بياضهما شيء من حُمْرة وهو محمود محبوب. انظر: النهاية في غريب الحـديث لابـن الأثير: (٢/٤٩٥).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة فم النبي ﷺ: (٤/١٨٢٠) برقم: (٢٣٣٩).

(٥) الدعج: شدَّة سَواد العين في شدَّة البياض. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي: (١/٣٣٨).

(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (١/٤١١)، والترمذي في الشمائل برقم: (٧)، وحسنه الألبـاني في صحيح الجامع برقم: (٤٦٢٠).

الفصل الثالث

المسائل العقدية المتعلقة بلسانه وفمه ﷺ

وفيه اثنا عشر مبحثاً:

المبحث الأول: لا يخرج من فيه ﷺ إلاّ حقٌّ سواء في المزاح وغيره.

المبحث الثاني: لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ﷺ.

المبحث الثالث: لم يكتم ﷺ شيئًا مما أمر بإبلاغه.

المبحث الرابع: فصاحة لسانه ﷺ وبلاغته، وحمل معنى ما نطق به على الحقيقة.

المبحث الخامس: لم ينطق ﷺ بقول يعارض العقل الصريح.

المبحث السادس: الرد على من قال: إن ظاهر كلامه ﷺ هو التشبيه أو أنه غير مراد.

المبحث السابع: إعطاء الله عز وجل له جوامع الكلم ودلالة ذلك على نبوته.

المبحث الثامن: نزول القرآن بلسانه ﷺ ودلالة ذلك على نبوته.

المبحث التاسع: قوله تعالى﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ ودلالة أوصاف فمه ولسانه.

المبحث العاشر: لا يتثاءب، وهل ذلك من علامات النبوة؟.

المبحث الحادي عشر: فهم الصحابة للمعنى المراد من قوله كما أراد الله ورسوله.

المبحث الثاني عشر: عناية السلف بتتبع أقواله وألفاظه ﷺ.

المبحث الأول

لا يخرج من فيه ﷺ إلا حقٌّ، سواء في المزاح وغيره

قد جاءت الأحاديث النبوية الدالة على أنه ﷺ لا يخرج من فيه ﷺ إلا حقٌّ، فلا يتلفظ إلا بالصدق حتى في مزاحه ﷺ، وفي هذا دلالة واضحة على عصمته ﷺ وعلى بشريته وحسن خلقه، وفيما يلي ذكر بعض منها:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: (**إني لا أقول إلا حقًّا**)[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: (**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**)[2].

وعن أنس ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله احملني. فقال النبي ﷺ: (**إنا حاملوك على ولد ناقة**). قال: وما أصنع بولد الناقة. فقال النبي ﷺ: (**وهل تلد الإبل إلا النوق**)[3].

---

(١) أخرجه أحمد: (٢/٣٤٠ و٣٦٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح: (٤/٣٥٧) برقم: (١٩٩٠)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وفي الشمائل: (٢/٣٤)، والبخاري في الأدب المفرد: (١/٣٥٨) برقم: (٢٦٥) باب المزاح، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٠٠).

(٣) أخرجه أحمد: (٣/٢٦٧)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح: (٤/٣٠٠) برقم: =

وعن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله ﷺ: **(إن الجنة لا يدخلها عجوز)**، فذهب نبي الله ﷺ فصلى، ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيتْ من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ: **(إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارًا...)**[1].

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا كان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه، وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلاً دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: **(من يشتري العبد؟)** فقال: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسدًا. فقال النبي ﷺ: **(لكنك عند الله لست بكاسد)**، أو قال: **(لكن عند الله أنت غال)**[2].

=

(٤٩٩٨)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح: (٣٥٧/٤) برقم: (١٩٩١)، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وصححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٣٥٧/٥)، وأبو نعيم في صفة الجنة: (٢٣١/٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٢٩٨٧).

(٢) رواه أحمد: (١٦١/٣)، والترمذي في الشمائل: (ص ١٩٧)، والبزار: (٣٢٠/١٣)، وأبو يعلى: (٨٩/٦)، وقال في مجمع الزوائد: "رجال أحمد رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٠٨٧).

المبحث الثاني
لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً ﷺ

ومن دلائل نبوته ﷺ: أنه لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: (**إن من خيــاركم أحسنكم أخلاقًا**)(١).

في هذا الحديث بيان صفة الرسول ﷺ وأنه لم يكن فاحشا ولا متفحشًا يعني أنه ﷺ بعيد عن الفحش طبعًا وكسبًا، فلم يكن فاحشًا في نفسه ولا في غريزته، بل هــو لــين سهل، ولم يكن متفحشًا أي: متطبع بالفحشاء، بل كان ﷺ أبعد الناس عن الفحــش في مقاله وفي فعاله ﷺ(٢).

وفيه أيضًا: دلالة على عصمة الله لنبيه ﷺ في جوارحه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ: (٣/١٣٠٥) برقم: (٣٣٦٦)، ومــسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ: (٤/١٨١٠) برقم: (٢٣٢١).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: (١/٦٦١).

المبحث الثالث

لم يكتم شيئاً مما أمر بإبلاغه

أولاً: الذي عليه أهل السنة والجماعة ومن وافقهم من الفرق الإسلامية إلا من شذّ أن النبي ﷺ لم يكتم شيئًا مما أمر بإبلاغه، وذلك بدليل الكتاب والسنة والإجماع على تكفير من قال بخلافه.

أدلة الكتاب والسنة على عدم كتمانه ما أمر بإبلاغه:

إن النبي ﷺ بلّغ جميع ما أُرسل به، لم يكتم منه حرفًا واحداً[1].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[2].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أُنزل عليه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾[3][4].

إن هذا الذي بلّغه الرسول ﷺ عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام مكمّلاً محكمًا وليس فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل، وليس فيه إشكال فيحتاج إلى

---

(١) انظر: معارج القبول: (١١٠٨/٣).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾: (١٦٨٦/٤) برقم: (٤٣٣٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾: (١٥٩/١) برقم: (١٧٧).

حل، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1]، فكما أن الإمام المبين قد أحصى كل ما هو كائن، كما علمه الله عز وجل، فكذلك هذا القرآن واف شاف كاف محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها، فمن لم يكفه فلا كُفي، ومن لم يشفه فلا شُفي ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وكما وفّى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله، كذلك هو وافٍ بالذب عنه وبرد كل شبهة ترد عليه، وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحاد، وبدمغ كل باطل وإزهاقه قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[5].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على البلاغ المبين، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[6].

- وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٣) سورة المرسلات، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩. وانظر: معارج القبول: (٣/١١١٠).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٩٢.

- وقوله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[1].

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[2].

- وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3].

- وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[4].

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[5].

- وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[6].

وأما دلالة السنة النبوية على البلاغ وعدم الكتمان فمنها ما يلي:

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: (**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء**[7]**، يقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين**

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٧) الرغاء: صوت الإبل. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٢/٢٤٠).

أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[١]**، فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء**[٢]**، يقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح**[٣]**، فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق**[٤]**، فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت**[٥]**، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك)**[٦].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قوله، ﷺ: (... **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: (**اللهم اشهد اللهم اشهد**)، ثلاث مرات[٧].

وفي البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك الجمع الأعظم حين

---

(١) الحمحَمة : صوت الفرس دون الصّهيل. انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١/٤٣٦).

(٢) الثغاء: صياح الغنم. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١/٢١٤).

(٣) أراد بالنفس: ما يَغُلّهُ مِنْ الرَّقيق مِنْ امْرَأَة أوْ صَبِيٍّ. انظر: فتح الباري لابن حجر: (٩/٣١٨).

(٤) أراد بالرِّقاع: ما عليه من الحُقُوق المكْتُوبة في الرقاع. وخُفُوقُها: حركَتُها. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٢/٢٥١).

(٥) يعني الذهب والفضة خلاف الناطق وهو الحيوان. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٣/٥٢).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغلول...: (٣/١١١٨) برقم: (٢٩٠٨)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول: (٣/١٤٦١) برقم: (١٨٣١).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ: (٢/٨٨٦) برقم: (١٢١٨).

خطب: (**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت...**)[1].

ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه في تلك الخطبة أيضًا: (**ألا هل بلغت؟**) قالوا: نعم. قال: (**ألا هل بلغت؟**) قالوا: نعم. قال: (**اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع...**)[2].

وفي صحيح البخاري عن أبي جُحَيفة رضي الله عنه، قال: قلت لعلي، رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله، قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر[3].

وفي رواية عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: قال علي رضي الله عنه: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها، فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل، قال: وفيها: (**المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف، ولا عدل، ومن والى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل**)[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى: (٢/٦١٩) برقم: (١٦٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى: (٢/٦٢٠) برقم: (١٦٥٤)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين...، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال: (٣/١٣٠٥) برقم: (١٦٧٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة...: (٣/١١٥٧) برقم: (٣٠٠١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب إثم من تبرأ من مواليه: (٦/٢٤٨٢) برقم: (٦٣٧٤)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة...: (٢/٩٩٤) برقم: (١٣٧٠).

فلم يتوف ﷺ حتى بين الشريعة أكمل بيان، و لم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان ما بالناس إليه حاجة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]

ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

ثم يخبر أنه ما أنزل عليه الكتاب إلا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاذ ذلك وإنجازه، مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلهم: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[3]، فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك، وهو عز وجل: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾[4]؟ والذي بعثه بالحق بشيرًا ونذيرًا ما توفاه الله عز وجل حتى بلغ ما أرسله به أكمل بلاغ، وبينه أتم بيان، وفصله أوضح تفصيل، وأكمل به الدين، وأتم علينا النعمة، ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعة الذي اختصه به هو وأمته وهداهم له في أشرف موقف وأفضله عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة في ذلك الجمع الأعظم الذي لم يتفق وقوع مثله، و لم يتفق أكثر الناس برسول الله ﷺ بعده: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[5]، فأخبر فيها بإكمال دينه الذي وعدنا إظهاره في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[6]، وبإتمامه النعمة كما وعد في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٣ .

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٠، وانظر: معارج القبول: (١١١٢/٣).

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١) ، قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة(٢).

ثانيًا: نقل الإجماع على كفر من اعتقد أن النبي ﷺ كتم ما أُمر بإبلاغه.

نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن حزم إذ قال: "واعلموا أن رسول الله ﷺ لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئا لما بلّغ كما أُمر، ومن قال هذا فهو كافر، فإياكم وكل قول لم يبين سبيله ولا وضح دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم"(٣).

وقال القاضي عياض: "وكذلك من أضاف إلى نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلغه أو أخبر به، أو شك في صدقه أو سبه، أو قال: إنه لم يبلغ، أو استخف به، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيًّا أو حاربه فهو كافر بإجماع"(٤).

وقال الرازي: "أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يخون في الوحي والتنزيل، وأن يترك بعض ما يوحى إليه، لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف، وذلك يقدح في النبوة، وأيضًا فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه، فإن لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه: (١/٢٥) برقم: (٤٥)، ومسلم، كتاب التفسير: (٤/٢٣١٣) برقم: (٣٠١٧).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢/٩١).

(٤) الشفا: (٢/٥٨٦).

المطلوبـــة منها"[1].

وقد خالف في هذا الاعتقاد بعضُ الطوائف المنتسبة للإسلام من أهل البـــاطن مـــن الروافض والقرامطة ونحوهم وبعض غلاة الصوفية، فزعموا أن النبي ﷺ كتم علماً علّمـــه الله إياه و لم يُطلع عليه أحدًا إلاّ أناسًا معينين، وسموه: علم الباطن[2]، أو علم الحقائق[3]، أو العلم اللدني[4]، وغيرها من مصطلحات محدثة لا أصل لها، وفيما يلي أذكر بعضًا من أقوال تلكما الطائفتين في هذا الشأن:

---

(١) التفسير الكبير: (١٧/١٩٣).

(٢) علم الباطن يندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن... يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفيـــة وأســـرار مكنونة؛ وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامـــة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر، والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن. انظر: موسوعة الأديان الميسرة: (ص ١٢٨).

(٣) علم الحقائق: هو ثمرة العلوم كلها ونهايتها، ويؤول بالضرورة فى النهاية إلى علم القلوب وعلـــم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف وعلم الأحوال والمعاملات المعجم الصوفي: (٥/٧).
وقال صاحب اللمع عنه: هو ثمرة العلوم كلها، ونهاية جميع العلوم، وغاية جميع العلوم إلى علـــم الحقائق، إذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له، وهو علم القلوب، وعلـــم المعـــارف، وعلـــم الأسرار، وعلم الباطن، وعلم التصوف، وعلم الأحوال، وعلم المعاملات، أي ذلـــك شـــئت فمعناه واحد. اللمع: (ص٤٥٧).
وقال عبد الله القرشي: "...لو تكلمت عليكم في علم الحقائق والأسرار، كان أول مـــن يفـــتي بكفري هؤلاء الأربعة". طبقات الشعراني: (١/١٢).

(٤) العلم اللدني: هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبـــين البـــاري. الرســـالة اللدنيـــة: (ص١١٢-١١٣) نقلاً عن "أبي حامد الغزالي والتصوف".
وعند الشيعة: أن كل إمام من الأئمة أُودع العلم من لدن الرسول ﷺ، بما يكمل الشريعة، وهو يملك علمًا لدنيًا، ولا يوجد بينه وبين النبي من فرق سوى أنه لا يوحى إليه، وقد اســـتودعهم رسول الله ﷺ أسرار الشريعة ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم. الموسوعة الميسرة: (١/٥٤).

قال أبو نصر السراج الطوسي[1]:

"إن حقائق رسالة محمد ﷺ وما خصّه الله تعالى به من العلم، لو وضعت على الجبال لذابت، إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم"[2].

وقالوا: "إن الظاهر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه، وصاحب الحقيقة هو الوصيّ عليّ بن أبي طالب"[3].

ومنها: ما رواه ابن بابويه القمي[4] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديث طويل أنه قال: "إن رسول الله ﷺ علمني ألف باب من العلم، يفتح كل باب ألف باب، ولم يعلم ذلك أحد غيري"[5].

ومنها: ما ذكره الشيعة عن جعفر بن الباقر أنه قال: "إن عندنا والله سرًّا من سرّ الله، وعلمًا من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا من الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعًا ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه"[6].

وعن الشاذلي أنه كان يقول: "امتنعت عني الرؤيا لرسول الله ﷺ، ثم رأيته، فقلت: يا رسول الله، ما ذنبي؟ فقال: إنك لست بأهل لرؤيتنا؛ لأنك تطلع الناس على أسرارنا"[7].

وقال لسان الدين بن الخطيب[8]: "حملة علم النبوة هم الذين عناهم رسول الله ﷺ

---

(١) هو عبد الله بن علي الطوسي، أبو نصر السراج: زاهد. كان شيخ الصوفية، له كتاب "اللمع" في التصوف، مات سنة ٣٧٨هـ.

انظر: شذرات الذهب: (٣/٩١)، والأعلام للزركلي: (٤/١٠٤).

(٢) كتاب اللمع للطوسي: (ص ١٥٩).

(٣) الافتخار للداعي أبي يعقوب السجستاني: (ص ٧١).

(٤) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمي، ويعرف بالشيخ الصدوق: محدث إمامي كبير، مات سنة ٣٨١هـ.

انظر: الأعلام للزركلي: (٦/٢٧٤).

(٥) كتاب الخصال لابن بابويه القمي أبواب السبعين وما فوقه: (ص ٥٧٢).

(٦) الأصول من الكافي: (١/٤٠٢)، وبصائر الدرجات الكبرى للصفار: (ص ٤٠).

(٧) الطبقات للشعراني: (٢/٧٥).

(٨) هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ... أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين الخطيب، ولد =

بقوله: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، قالوا: وهذا العلم هو الذي لا يجوز كشفه، ولا إذاعته ولا ادعاؤه، ومن كشفه وأذاعه وجب قتله واستحل دمه، وينسبون في ذلك إلى خواص النبوة وخلفائها كثيرًا، كقوله:

يَا رُبَّ جَوْهَرُ عِلْمٌ لَوْ أَبُوحُ بِهِ ... لَقِيلَ لِي: أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا

وَلاسْتَحلّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي ... يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يَأْتونَهُ حَسَنَا[1]

ويقول غلاتهم: "إن هذه الأحكام خاصة بعوام المسلمين نظراً لضيق عقولهم وقلوبهم عن استيعاب المعاني العلوية، دون الالتزام برسوم وأشكال معينة"[2].

واستدلوا بأدلة لا تقوم بها حجة، وفيما يلي بعض هذه الشبهات والرد عليها:

الشبهة الأولى:

ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[3].

قال ابن المنير: "جعل الباطنية هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وذلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين"[4].

قال ابن حجر: "وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح

=

ونشأ بغرناطة استوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل سنة ٧٢٣هـ، ثم ابنه (الغني بالله) محمد من بعده، وعظمت مكانته، ثم استقر بفاس القديمة، مات بالسجن بعد مؤامرة ضده، ودفن بمقبرة (باب المحروق) بفاس، وكان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له: (ذو العمرين) لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره، مات سنة ٧٧٦هـ.

انظر: الدرر الكامنة: (٤٦٩/٣)، والأعلام للزركلي: (٢٣٥/٦).

(١) روضة التعريف بالحب الشريف: (ص٤٣٢).

(٢) الصوفية: العبدة: (ص ٥١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم: (٥٦/١) برقم: (١٢٠).

(٤) فتح الباري: (٢١٦/١).

به، خوفًا على نفسه منهم،كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة"(١).

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وهذا الحديث صحيح، لكن الجراب الآخر لم يكن فيه شيء من علم الدين ومعرفة الله وتوحيده الذي يختص به أولياؤه، ولم يكن أبو هريرة من أكابر الصحابة الذين يخصون بمثل ذلك -لو كان هذا مما يخص به- بل كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين، فإن النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن التي تكون بين المسلمين ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار، ولهذا لما كان مقتل عثمان، وفتنة ابن الزبير، ونحو ذلك: قال ابن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت وغير ذلك لقلتم: كذب أبو هريرة"(٢).

وقال أيضاً في موضع آخر: "ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء، بل ولا فيه من حقائق الدين، وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن، فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن ما يكون بين المسلمين، ولهذا قال عبد الله بن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتفعلون كذا وكذا لقلتم: كذب أبو هريرة، وإظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك وأعوانهم لما فيه من الإخبار بتغير دولهم، ومما يبين هذا أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، فليس هو من السابقين الأولين ولا من أهل بيعة الرضوان، وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه، وكان النبي ﷺ يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم، ولكن كان أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ حدثهم ذات يوم

(١) فتح الباري: (١/٢١٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢/٢١٨).

حديثًا فقال: (**أيكم يبسط ثوبه فلا ينسى شيئًا سمعه**)[1]، ففعل ذلك أبو هريرة، وقد روي: أنه كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا يصلي، وثلثًا ينام، وثلثًا يدرس الحديث[2]. ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثًا يوافق الباطنية، ولا حديثًا يخالف الظاهر المعلوم من الدين، ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه أحد شيئًا منه، بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين، وقد روى من أحاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق أصول أهل الإيمان ويخالف قول أهل البهتان"[3].

فتبين أن حديث أبي هريرة ﷺ ليس لهم فيه حجة لا من قريب ولا من بعيد، وذلك لأنه ليس فيه دلالة على كتمان أي علم متعلق بأصول الدين أو فروعه، إنما هي فتن وأحوال ليس لها علاقة بما شرعه الله تعالى على عباده من أمور دينهم.

الشبهة الثانية:

ما جاء عن علقمة قال: دخلت الشام فصليت ركعتين، فقلت: اللهم يسر لي جليسًا، فرأيت شيخًا مقبلاً، فلما دنا، قلت: أرجو أن يكون استجاب. قال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: أفلم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة؟ أولم يكن فيكم الذي أجير من الشيطان؟ أولم يكن فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، كيف قرأ ابن أم عبد ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ فقرأت: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى ٣﴾ قال: أقرأنيها النبي ﷺ فاه إلى في، فما زال هؤلاء حتى كادوا يردونني..."[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس: (٨٢٧/٢) برقم: (٢٢٢٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة ﷺ: (١٩٣٩/٤) برقم: (٢٤٩٢).

(٢) انظر: سنن الدارمي: (٩٤/١) برقم: (٢٦٤)، ومختصر قيام الليل للمروزي: (ص ١١٤).

(٣) مجموع الفتاوى: (٢٥٥/١٣-٢٥٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ: (١٣٧٢/٣) =

وصاحب السر: يعني: حذيفة بن اليمان ﷺ.

قالوا: جاء في صحيح مسلم أن حذيفة ﷺ قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يُخرج أهل المدينة من المدينة[(١)].

وهذا الحديث لا حجة لهم فيه، وذلك أن الذي لا يعلمه غيره ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بحالة خاصة من العلوم، وهي معرفة أسماء المنافقين، وهذا هو المقصود من السر الذي لا يعلمه غيره، وهذا عليه قول عامة الشراح من أئمة أهل السنة والجماعة.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "كذلك قد يحتجون بحديث حذيفة بن اليمان، وأنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، وحديث حذيفة معروف، لكن السر الذي لا يعلمه غيره، هو معرفته بأعيان المنافقين الذين كانوا في غزوة تبوك. ويقال: إنهم كانوا هموا بالفتك بالنبي ﷺ، فأوحى الله إلى النبي ﷺ أمرهم، فأخبر حذيفة بأعيانهم، ولهذا كان عمر لا يصلي إلا على من صلى عليه حذيفة، لأن الصلاة على المنافقين منهي عنها.

وقد ثبت في الصحيح عن حذيفة أنه لما ذكر الفتن، وأنه أعلم الناس بها، بين أن النبي ﷺ لم يخصه بحديثها، ولكن حدث الناس كلهم، قال: وكان أعلمنا أحفظنا[(٢)].

ومما يبين هذا أن في السنن: أن النبي ﷺ كان عام الفتح قد أهدر دم جماعة، منهم: عبد الله بن أبي سرح، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ليبايعه، فتوقف عنه النبي ﷺ ساعة ثم بايعه، وقال: (**أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أمسكت عن هذا فيضرب عنقه؟**). فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله هلا أومأت إلي؟ فقال: (**ما ينبغي لنبي أن**

=

برقم: (٣٥٥٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقراءات: (١/٥٦٥) برقم: (٨٢٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة: (٤/٢٢١٧) برقم: (٢٨٩١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة: (٤/٢٢١٧) برقم: (٢٨٩٢).

تكون له خائنة الأعين)[1]. فهذا ونحوه مما يبين أن النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه، لا يُظهر للناس خلاف ما يبطنه كما تدعيه الزنادقة من المتفلسفة والقرامطة وضُلاَّل المتنسكة ونحوهم"[2].

كما أن مثل هذه العلوم المتعلقة بالفتن لم يخص بها النبي ﷺ أحداً دون أحد، بل جاءت السنة النبوية على أن النبي ﷺ علّمها جمعاً من الصحابة في مجلس عام، كما في صحيح مسلم عن عمرو بن أخطب ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا[3].

الشبهة الثالثة:

استدلوا بأحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ، يسوغون بها ضلالهم المبين.

- زعموا أن رسول الله ﷺ قال: ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع[4].

- زعموا أن رسول الله ﷺ قال: إن من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله[5].

---

(١) سبق تخريجه (ص ٤٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٢/٢١٨-٢١٩).

(٣) سبق تخريجه آنفاً.

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (٢/٢٣)، وعبد الرزاق في مصنفه: (٣/٣٥٨) برقم: (٥٩٦٥) من طريق هشام بن حسان عن الحسن مرسلاً.

وأخرجه الطبري: (١/١٢)، والطبراني في الكبير: (٩/١٣٦) برقم: (٨٦٦٨)، والبغوي في شرح السنة: (١/٣٥) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (٢٩٨٩).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/٢٣١).

- زعموا أن النبي ﷺ قال: للقرآن باطن[1].

- كذبوا على عمر ﷺ وزعموا أنه قال: كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت كالزنجي بينهما[2].

- زعموا أن النبي ﷺ كتب العلم في الجفر[3]، واختص بهذا الجفر عليّاً وبعض آل البيت، وهذا الجفر مخبوء وتناقلوه إِلَى جعفر، ثم إلى محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب[4].

- زعموا أن الله أمر نبينا محمدًا ﷺ بكتم أشياء مما لا يسعه غيره للحديث المروي عنه ﷺ، أنه قال: أوتيت ليلة أسري بي ثلاثة علوم، فعلم أُخذ عليَّ في كتمه، وعلم خيِّرت في تبليغه، وعلم أمرت بتبليغه.

فالعلم الذي أمر بتبليغه هو: علم الشرائع.

والعلم الذي خيِّر في تبليغه هو: علم الحقائق،

والعلم الذي أخذ عليه في كتمه هو: الأسرار الإلهية.

ولقد أودع الله جميع ذلك في القرآن، فالذي أمر بتبليغه: ظاهر، والذي خيِّر في تبليغه: باطن، لقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[5]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى

---

(١) أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (١٣/٢٣١) ثم قال: "من الأحاديث المختلقة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث".

(٢) أورد ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٢/٢١٦) وقال: "وهذا أيضاً كذب باتفاق أهل المعرفة".

(٣) الجفر: وعاء من أدم زعموا أن فيه علم النبيين والوصيين وعلم علماء بني إسرائيل الذين مضوا. انظر: الكافي للكليني: (١/١٤١-١٤٣).

(٤) انظر: الكافي للكليني، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر...: (١/١٤١-١٤٣).

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٨٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[1]، وقولـــه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[2]، فإن جميع ذلك له وجه يدلّ على الحقائق، ووجه يتعلق بالـــشرائع، فهـــو كالتخير، فمن كان فهمه إلهيًّا فقد بلغ ذلك، ومن لم يكن فهمه ذلك الفهم وكان مما لو فوجئ بالحقائق أنكرها، فإنه ما بلغ إليه ذلك لئلا يؤدي ذلك إلى ضـــلالته وشـــقاوته. والعلم الذي أخذ عليه في كتمه فإنه مودع في القرآن بطريق التأويل لغموض الكتم، فلا يعلم ذلك إلا من أشرف على نفس العلم أولاً، وبطريق الكشف الإلهي، ثم سمع القـــرآن بعد ذلك، فإنه يعلم المحلّ الذي أودع الله فيه شيئًا من العلم المأخوذ علـــى الـــنبي ﷺ في كتمه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3]، على قراءة من وقـــف هنا، فالذي يطلع على تأويله في نفسه هو المسمى بالله، فافهم[4].

- وذكروا عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: سألت الحسن عن علم الباطن، فقـــال: سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن، فقال: سألت رسول الله عن علم الباطن، فقال: سألت جبريل عن علم الباطن، فقال: سألت الله عز وجل عن علم الباطن، فقال: هو سرّ من سرّي، أجعله في قلب عبدي، لا يقف عليه أحد من خلقي[5].

مناقشة هذه الأحاديث وبيان بطلانها:

أولاً: إن هذه الروايات –باستثناء الرواية الأولى وذكرت حكمها- لم أقف لها على إسناد لا صحيح ولا ضعيف ولا موضوع، فهم يتناقلونها بلا زمام، وعلى هـــذا فهـــي ساقطة على ميزان المحدثين، بل مكذوبة.

وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إنك تجد عند الرافضة والمتشيعة ومن أخذ

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) انظر: الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي: (١/١١٧).

(٥) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف: (ص ٨٧).

عنهم من دعوى علوم الأسرار والحقائق التي يدعون أخذها عن أهل البيت إما من العلوم الدينية وإما من علم الحوادث الكائنة ما هو عندهم من أجل الأمور التي يجب التواصي بكتمانها والإيمان بما لا يعلم حقيقته من ذلك، وجميعها كذب مختلق وإفك مفترى، فإن هذه الطائفة: "الرافضة" من أكثر الطوائف كذبًا وادعاء للعلم المكتوم، ولهذا انتسبت إليهم الباطنية والقرامطة"[1].

وقال أيضاً: "وقد أجمع أهل المعرفة بالمنقول على أن ما يروى عن علي وعن جعفر الصادق من هذه الأمور التي يدعيها الباطنية كذب مختلق، ولهذا كانت ملاحدة الشيعة والصوفية ينسبون إلحادهم إلى علي، وهو بريء من ذلك"[2].

وقد وقف ابن تيمية رحمه الله تعالى على بعض هذه الروايات فبين عدم صحتها ومخالفتها للكتاب والسنة وأصحاب رسول الله ﷺ، ومخالفتها لأقوال أهل البيت[3]، فعن أبي جحيفة قال: سألت عليًّا: هل عندكم شيء ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهمًا يعطيه الله الرجل في كتابه، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر[4].

ولفظ البخاري: هل عندكم شيء من الوحي غير ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن[5].

وتقدم قول علي رضي الله عنه: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: **(المدينة حرام ما بين عير إلى ثور)**[6].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٤/٧٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل: (٥/٢٦).

(٣) المصدر نفسه: (٥/٢٧) وما بعدها، وأيضاً: (٤/٧٨) وما بعدها.

(٤) سبق تخريجه: (ص ٤٧٢).

(٥) سبق تخريجه: (ص ٤٧٢).

(٦) سبق تخريجه: (ص ٤٧٢).

وفي رواية لمسلم: خطبنا علي بن أبي طالب فقال: من زعم أن عندنا كتابا نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة -قال: وصحيفة معلقة في قراب سيفه- فقد كذب، فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، وفيها، قال: النبي ﷺ: (**المدينة حرم**) الحديث[1].

وأما الكذب والأسرار التي يدعونها عن جعفر الصادق: فمن أكبر الأشياء كذبًا، حتى يقال: ما كُذب على أحد ما كُذب على جعفر ﷺ[2].

ثانياً: إنْ المقصود من هذه الدعوى في كون الدين له ظاهر وباطن، أو ما يسمى بعلم الباطن، يمكن أن يبرز من خلال الجوانب التالية:

١- إيجاد مخرج لكل ساع في الخروج عن شريعة النبي ﷺ.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: "وربما يدعي أنه يسعه الخروج من شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، ونحو ذلك من الكفر والهذيان، وكالذي يدعي أن العبد يصل مع الله إلى حال تسقط عنه التكاليف، أو يدعي أن الأولياء يُدعون ويُستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، أو أنه يطّلع على اللوح المحفوظ ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، أو يجوّز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج والشموع وكسوتها بالحرير والديباج والفُرُش النفيسة، أو يدعي أن من عمل بالقرآن والسنة في أصول الدين وفروعه فقد ضل وأضل وابتدع، أو أن ظواهر القرآن في آيات الصفات تشبيه وتمثيل "[3].

٢- إبطال رسالة النبي ﷺ وإفساد ملته.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وأن علم الباطن الذي كانوا يدعون، حقيقته هو إبطال الرسالة التي بعث الله بها محمدًا، بل إبطال جميع المرسلين، وأنهم لا يقرون بما جاء

---

(١) سبق تخريجه: (ص ٤٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧٨/٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٢٦/١).

به الرسول عن الله، ولا من خبره، ولا من أمره، وأن لهم قصدًا مؤكدًا في إبطال دعوته وإفساد ملته"[1].

٣- دعوى أن للأولياء طريقاً يأخذون منه غير طريق النبي ﷺ، وهذه قول منكر يصل بصاحبه إلى الكفر.

قال القرطبي: "قال شيخنا أبو العباس[2]: ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق لا تلزم منه الأحكام الشرعية، فقالوا: هذه الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها الأنبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم، وقالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية، والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسي من تلك الفهوم، وقد جاء فيما ينقلون: "استفت قلبك وإن أفتاك المفتون". قال شيخنا ﷺ: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما عُلم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سنته وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٤٠/٣٥).

(٢) وكلامه في المفهم: (٢١٨/٦).

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات، وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري وإجماع السلف والخلف على أن لا طريق إلى معرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل، فمن قال: إن هنالك طريق أخرى يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل حتى يستغني عن الرسل فهو كافر، يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب.

ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله، فلا نبي بعده ولا رسول، وبيان ذلك أن من قال: يأخذ عن قلبه وأن ما يقع فيه هو حكم الله تعالى، وأنه يعمل بمقتضاه، وأنه لا يحتاج مع ذلك إلى كتاب ولا سنة، فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة فإن هذا نحو مما قاله ﷺ: (**إن روح القدس نفث في روعي...**)[2]"[3].

قال البقاعي: "ومن يعتقد أن لأحد من الخلق طريقًا إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع، فإن رسالته ﷺ عامة ودعوته شاملة"[4].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد، فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى، الذين قالوا: إن محمدًا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمدًا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك"[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) أخرجه البزار: (٣١٥/٧) برقم: (٢٩١٤) من حديث حذيفة ﷺ، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: (٢٧/١٠) من حديث أبي أمامة ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٠٨٥).

(٣) تفسير القرطبي: (٤٠/١١).

(٤) مصرع التصوف: (ص ٢٤).

(٥) مجموع الفتاوى: (٢٢٥/١١).

المبحث الرابع

فصاحة لسانه ﷺ وبلاغته وحمل معنى ما نطق به على الحقيقة

تعريف الفصاحة لغةً:

يقال: رجلٌ فصيحٌ وكلامٌ فصيحٌ، أي بليغٌ[(١)].

الفصاحة: البيان[(٢)].

تعريفها اصطلاحاً:

تكون في المفرد وهي: خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس.

وفي الكلام: خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها.

وفي المتكلم: ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح[(٣)].

تعريف البلاغة لغةً:

بَلغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى، وَمبلغُ الشيء: منتهاهُ[(٤)].

تعريفها اصطلاحاً:

البلاغة في المتكلم ملكة يقتدر بها إلى تأليف كلام بليغ، فعلم أن كل بليغ كلامًا كان أو متكلمًا فصيح، لأن الفصاحة مأخوذة في تعريف البلاغة، وليس كل فصيح بليغًا[(٥)].

---

(١) انظر: لسان العرب: (٥٤٤/٢)، ومختار الصحاح: (ص ٢١١).

(٢) المحكم لابن سيده: (١٦٤/٣).

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني: (ص ٢١٤)، والإيضاح للقزويني: (٢١/١).

(٤) انظر: المخصص لابن سيده: (١٠٢/٤).

(٥) انظر: التعريفات للجرجاني: (ص ٦٦)، والإيضاح للقزويني: (٤٩/١).

وقيل: هي تأديةُ المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أَثرٌ خلاَّبٌ، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون[1].

وهي تقتصر على الكلام والمتكلم دون الكلمة التي هي قاصرة عن الوصول إلى السامع[2].

وقد بلغ النبي ﷺ المقام الأعلى في الفصاحة والبلاغة حتى عد ذلك من علامات نبوته ﷺ، ولهذا قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي ﷺ جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعُلّم ألسنة العرب"[3].

قال الإمام العلامة أبو سليمان حمد الخطابي[4] رحمه الله تعالى: "اعلم أن الله تعالى لما وضع رسول الله ﷺ موضع البلاغ من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكلم التي جعلها ردءًا لنبوته وعلمًا لرسالته، لينتظم في القليل منها علم كثير يسهل على السامعين حفظه، ولا يؤودهم حمله، ومن تتبع الجوامع من كلامه ﷺ لم يعدم بيانها"[5].

وقال الإمام أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير[6] رحمه الله تعالى:

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي: (ص ٤٠) الهامش.

(٢) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٣) الشفا للقاضي عياض: (١/٧٠).

(٤) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البُسْتِيّ صاحب "غريب الحديث"، توفي سنة ٣٨٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٢٧).

(٥) نقله عنه السيوطي في المزهر في علوم اللغة: (١/١٦٦).

(٦) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين المحدث =

"إن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأعذبهم نطقًا، وأسـدهم لفظًا، وأبينهم لهجةً، وأقومهم حجةً، وأعرفهم بمواقع الخطـاب، وأهـداهم إلى طـرق الصواب، تأييدًا إلهيًا ولطفاً سماوية وعناية ربانية، ورعاية روحانية، حتى لقد قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسمعه يخاطب وفد بني نهد[1]: يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيـت في بـني سعد"[2].

=

اللغوي الأصولي، من كتبه "النهاية في غريب الحديث"، توفي سنة ٦٠٦هـ.

انظر: طبقات الشافعية للسبكي: (٣٦٦/٨)، والأعلام للزركلي: (٢٧٢/٥).

(١) هم من قضاعة إليه ينتسب النهديون، ومنهم باليمن والشام وكلهم من ولد خزيمة بن نهد، وهم تنوخ في نهد اليمن، انظر: الأنساب للسمعاني: (٥٤١/٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث: (٤/١).

المبحث الخامس

لم ينطق ﷺ بقول يعارض العقل الصريح

إن موقف العقل بالنسبة لنطقه عليه الصلاة والسلام الذي هو من قبيل الوحي والبلاغ للناس فيه ثلاثة أقوال من حيث الجملة:

القول الأول: أنه عليه الصلاة والسلام لم ينطق بقول يعارض العقل الصريح، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة[1].

القول الثاني: يقول بإمكان أن ينطق النبي ﷺ بما يعارض العقل، وإذا وقع ذلك وجب تقديم العقل على نطقه عليه الصلاة والسلام، وهو قول المتكلمين ومن وافقهم ممن يقدس العقل ويقدمه على نصوص الوحي[2].

القول الثالث: يقول: إن ما نطق به النبي ﷺ إنما هو من أوهام وتخيلات لا حقيقة لها من أجل مصلحة العامة، وهذا هو مذهب الفلاسفة ومن وافقهم، كابن سينا والفارابي وغيرهم[3].

والصحيح من هذه الأقوال: هو القول الأول القائل بأن النبي ﷺ لم ينطق مما أوحى إليه ربه بما يعارض العقل الصريح، وذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: اتفاق القرون المفضلة على أن دلالة ما جاء به الشرع في أبواب الاعتقاد خاصة لم يتنازع فيه.

الوجه الثاني: من عارض ما نطق به النبي ﷺ من الوحي له نصيب من قوله تعالى:

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل: (١/١٨).

(٢) المصدر نفسه: (١/٤-٦).

(٣) المصدر نفسه: (١/٨).

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴾[3].

الوجه الثالث: أن من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام: أنه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيمانًا مطلقًا جازمًا عامًّا، كما قال الزهري: "من الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم"[4]، فعلى المسلم تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أوجب وأمر، وأن كل ما عارض ذلك فهو باطل، وأن من قال: يجب تصديق ما أدركته بعقلي ورد ما جاء به الرسول لرأيي وعقلي وتقديم عقلي على ما أخبر به الرسول مع تصديقي بأن الرسول صادق فيما أخبر به فهو متناقض فاسد العقل ملحد في الشرع.

وأما من قال: لا أصدق ما أخبر به حتى أعلمه بعقلي فكفره ظاهر، وهو ممن قيل فيه: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[5].

الوجه الرابع: أن يقال إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٤) علقه البخاري في صحيحه مجزوماً به، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ . . .﴾: (٢٧٣٨/٦).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل[1].

الوجه الخامس: جميع المسائل التي قد يقال: إنها عارض فيها العقلَ الشرعُ قد وقع فيها اضطراب بين العقلاء ولم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا، بل كل منهم يقول بما يوجب الإضطراب والاختلاف، ولهذا كان تقديم العقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني وامتنع الأول، بيانه أن يكون الشيء معلومًا بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيدًا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال تعقله ما يجهله في وقت آخر.

ولو قيل بتقديم العقل على الشرع وليست العقول شيئًا واحدًا بيّنًا بنفسه ولا عليه دليل معلوم للناس بل فيها هذا الاختلاف والاضطراب لوجب أن يحال الناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته ولا اتفاق للناس عليه، وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق، وهو صفة لازمة لا تختلف باختلاف أحوال الناس والعلم بذلك ممكن، ورد الناس إليه ممكن، ولهذا جاء الوحي من الله سبحانه برد الناس عند التنازع إلى كتابه وسنة رسوله،كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2]، فأمر المؤمنين عند التنازع بالرد إلى كتابه وسنة رسوله، وهذا نص في تقديم السمع، إذ لو ردوا إلى عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافًا واضطرابًا وشكًّا وارتيابًا، فلا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء يرجع الجميع إلى حكمه، وإلا فكل واحد من أرباب المعقولات يقول: عقلي أولى بالثقة به من عقل منازعي، وهذا يدلي بمعقول وهذا يدلي

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية: (١/١٨٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

بمعقـــول[1].

الوجه السابع: أن عامة ما تنازع الناس فيه مما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها، بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع كمـــا هو الحاصل في مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والــصفات ومــسائل القــدر والنبوات والمعاد...

وأما ما يعلم بصريح العقل فلم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول[2].

وعلى هذا فالنصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ لم يعارضها قط معقول فضلاً عن أن يكون مقدَّماً عليها، وإنما الذي يعارضها شُبَه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفــسطائية، لا بــراهين عقلية[3].

الوجه السابع: أن يقال: إن عامة موارد التعارض هي متعلقة بأمور غيبيــة تقــصر العقول عن معرفتها بمجرد رأيهم، كأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله والجنة والنار والعرش والكرسي، ونحو ذلك مما لا سبيل لمعرفته إلا عن طريق الوحي.

كما أنه يمتنع أن يقوم دليل صحيح على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكــن معرفتــه بدون الخبر، فلا يمكن أن يجزم بأن كل ما أخبرت به الأنبياء هو منتف، فإنه يمتنع أن يقوم دليل على هذا النفي العام، ويمتنع أن يقول القائل: كل ما أخبر به الأنبياء يمكن غيرهم أن يعرفه بدون خبرهم، ولهذا كان أكمل الأمم علمًا: المقرون بالطرق الحــسية والعقليــة والخبرية، فمن كذب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب به من تلك الطريـــق، والمتفلسفة الذين أثبتوا النبوات على وجه يوافق أصولهم الفاسدة، كابن سينا وأمثالــه لم

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطّلة: (٨٢٦/٣).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: (١٤٨/١).

(٣) انظر: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق: (٨٥/١).

يقروا بأن الأنبياء يعلمون ما يعلمونه بخبر يأتيهم عن الله، لا بخبر ملك ولا غيره، بل زعموا أنهم يعلمونه بقوة عقلية لكونهم أكمل من غيرهم في قوة الحدس، ويسمون ذلك: القوة القدسية، فحصروا علوم الأنبياء في ذلك، وكان حقيقة قولهم: أن الأنبياء من جنس غيرهم وأنهم لم يعلموا شيئًا بالخبر، ولهذا صار هؤلاء لا يستفيدون شيئًا بخبر الأنبياء، بل يقولون: إنهم خاطبوا الناس بطريق التخييل لمنفعة الجمهور، وحقيقة قولهم أنهم كذبوا لمصلحة الجمهور، وهؤلاء في الحقيقة يكذبون الرسل، فنتكلم معهم في تحقيق النبوة على الوجه الحق لا في معارضة العقل والشرع[1].

الوجه الثامن: إن معارضة العقل لما دل العقل على أنه حق دليل على تناقض دلالته وذلك يوجب فسادها، وأما السمع فلم يعلم فساد دلالته ولا تعارضها في نفسها وإن لم يعلم صحتها، وإذا تعارض دليلان أحدهما علمنا فساده والآخر لم نعلم فساده كان تقديم ما لم يعلم فساده أقرب إلى الصواب من تقديم ما يعلم فساده، كالشاهد الذي علم أنه يصدق ويكذب، والشاهد المجهول الذي لم يعلم كذبه، فإن تقديم قول الفاسق المعلوم كذبه على قول المجهول الذي لم يعلم كذبه لا يجوز، فكيف إذا كان الشاهد هو الذي شهد بأنه قد كذب في بعض شهاداته.

والعقل إذا صدّق السمع في كل ما يخبر به، ثم قال إنه أخبر بخلاف الحق كان هو قد شهد للسمع بأنه يجب قبوله، وشهد له بأنه لا يجب قبوله، وشهد بأن الأدلة السمعية حق، وأن ما أخبر به السمع فهو حق، وشهد بأن ما أخبر به السمع فليس بحق، فكان مثله مثل من شهد لرجل بأنه صادق لا يكذب، وشهد له بأنه قد كذب، فكان هذا قدحا فيه، لهذا تجد هؤلاء الذين تتعارض عندهم دلالة العقل والسمع في حيرة وشك واضطراب، إذ ليس عندهم معقول صريح سالم عن معارض مقاوم، كما أنهم أيضاً في نفس المعقول الذي يعارضون به السمع في اختلاف وريب واضطراب شهادته مطلقًا وتزكيته، فلا يجب قبول شهادته الأولى ولا الثانية، فلا يصلح أن يكون معارضًا

---

(١) انظر: درء التعارض: (١/ ١٥٠ و١٨١).

للسمع بحال[1].

الوجه التاسع: أن يعارض دليلهم بنظير ما قالوه، فيقال: إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبًا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون هذه الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحًا، وإذا لم يكن دليلاً صحيحًا لم يجز أن يتبع بحال فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحًا في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله، وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه، والقدح فيه يمنع دلالته، والقدح في دلالته يقدح في معارضته، كان تقديمه عند المعارضة مبطلاً للمعارضة، فامتنع تقديمه على النقل، وهو المطلوب[2].

الوجه العاشر: أن الدليل العقلي دل على صدق الرسول وثبوت ما أخبر به مطلقًا، فلا يجوز أن يكون صدقه مشروطًا بعدم المعارض، كما أنه إذا جوّز أن يعارضه العقل الدال على فساده لم نثق بشيء منه لجواز أن يكون في عقل غيرك ما يدل على فساده، فلا تكون قد علمت بعقلك صحته البته، وأنت قد علمت صحته بالعقل[3].

الوجه الحادي عشر: أن العقل لا يكون دليلاً مستقلاً في تفاصيل الأمور الإلهية واليوم الآخر، فلا أقبل منه ما يدل عليه إن لم يصدقه الشرع ويوافقه، فإن الشرع قول المعصوم الذي لا يخطئ ولا يكذب وخبر الصادق الذي لا يقول إلا حقًّا، وأما آراء الرجال فكثيرة التهافت والتناقض، فأنا لا أثق برأيي وعقلي في هذه المطالب العالية

(١) انظر: المصدر نفسه: (١/١٧٢).

(٢) انظر: المصدر نفسه: (١/١٧٠-١٧١).

(٣) انظر: المصدر نفسه: (١/١٧٧).

الإلهية، ولا بخبر هؤلاء المختلفين المتناقضين الذين كل منهم يقول بعقله ما يعلم العقلاء أنه باطل، فما من هؤلاء أحد إلا وقد علمت أنه يقول بعقله ما يعلم أنه باطل، بخلاف الرسل، فإنهم معصومون، فأنا لا أقبل قول هؤلاء إن لم يزك قولهم ذلك المعصوم خبر الصادق المصدوق.

ومعلوم أن هذا الكلام أولى بالصواب وأليق بأولي الألباب من معارضة أخبار الرسول الذي علموا صدقه وأنه لا يقول إلا حقًّا بما يعرض لهم من الآراء والمعقولات التي هي في الغالب جهليات وضلالات[1].

الوجه الثاني عشر: القول بتقديم الإنسان لمعقوله على النصوص النبوية قول لا ينضبط، وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات كل منهم يقول: إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره ما يدعى الآخر أن المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه.

وهذا من حيث الجملة معلوم، فالمعتزلة ومن اتبعهم من الشيعة يقولون: إن أصلهم المتضمن نفي الصفات والتكذيب بالقدر الذي يسمونه: التوحيد والعدل معلوم بالأدلة العقلية القطعية، ومخالفوهم من أهل الإثبات يقولون: إن نقيض ذلك معلوم بالأدلة القطعية العقلية.

بل الطائفتان ومن ضاهاهما يقولون: إن علم الكلام المحض هو ما أمكن علمه بالعقل المجرد بدون السمع، كمسألة الرؤية والكلام وخلق الأفعال، وهذا هو الذي يجعلونه قطعيًّا ويؤثمون المخالف فيه.

وكل من طائفتي النفي والإثبات فيهم من الذكاء والعقل والمعرفة ما هم متميزون به على كثير من الناس، وهذا يقول: إن العقل الصريح دل على النفي، والآخر يقول: العقل الصريح دل على الإثبات، وهم متنازعون في المسائل التي دلت عليها النصوص، كمسائل الصفات والقدر.

وأما المسائل المولدة كمسألة الجوهر الفرد، وتماثل الأجسام، وبقاء الأعراض، وغير ذلك،

---

(١) انظر: المصدر نفسه: (١/١٧٦).

ففيها من النــزاع بينهم ما يطول استقصاؤه، وكل منهم يدعى فيها القطع العقلي[1].

الوجه الثالث عشر: إن من لوازم أقوالهم أن يجعل الرسول مخبرًا بالأمور على خلاف حقائقها لأجل نفع العامة، ثم إذا قال ذلك امتنع أن يستدل بخبر الرسول على شيء، فعاد الأمر جذعًا؛ لأنه إذا جوَّز على خبر الرسول التلبيس كان كتجويزه عليه الكذب، وإبطال لدلالة السمع وسد لطريق العلم بما أخبر به الأنبياء والمرسلون، وأن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه علم بغيب ولا تصديق بحقيقة ما أخبر به، ولا معرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وجنته وناره وغير ذلك[2].

الوجه الرابع عشر: كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك.

كما قال ابن رشد الحفيد[3]، وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة ومقالاتهم في كتابه تهافت التهافت: "ومن الذي قال في الإلهيات شيئًا يعتد به؟"[4].

وكذلك الآمدي[5]، أفضل أهل زمانه، وقف في المسائل الكبار حائراً.

وكذلك الغزالي[6] انتهى آخر أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم

---

(١) انظر: المصدر نفسه: (١/١٥٧).

(٢) انظر: المصدر نفسه: (١/١٨٦-١٨٧).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، الأندلسي، أبو الوليد، يُلقب بابن رشد الحفيد تمييزاً له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٥٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٢١/٣٠٧)، والأعلام للزركلي: (٥/٣١٨).

(٤) انظر: الصواعق المرسلة: (٣/٨٤١).

(٥) هو: العلامة المصنف سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي، تبحَّر في العلوم، وتفرّد بعلم المعقولات والمنطق والكلام، وقصده الطلاب من البلاد. توفي سنة ٦٣١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: (٢٢/٣٦٤)، وطبقات الشافعية للسبكي: (٨/٣٠٦).

(٦) هو: محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي الشافعي، قال الذهبي: صاحب التصانيف والذكاء المفرط، وقال: "وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ومزال الأقدام"، توفي سنة =

أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ فمات وصحيح الإمام البخاري على صدره[1].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي[2]، قال في كتابه الذي صنفه "أقسام اللذات":

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَغَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلالُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا ... رِجَالٌ فَزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ[3]

"لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق: طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[4] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[5]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ

=

(٥٠٥هـ) في طوس.

انظر: سير أعلام النبلاء: (٣٤٣/١٩)، والبداية والنهاية: (١٨٧/١٢).

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (٢٠٨/١).

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (١٠٢/٢)، وطبقات السبكي: (٩٦/٨)، وعيون الأنباء: (٢٨/٢).

(٣) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (١٠٢/٢)، وطبقات السبكي: (٩٦/٨)، وعيون الأنباء: (٢٨/٢).

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٠.

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[2]. ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"[3].

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[4]: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلاَّ وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[5]

وكذلك قال أبو المعالي الجويني[6]: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل: (١/١٥٩، ١٦٠)، والفتاوى: (٤/٧١)، وشرح الطحاوية: (١/٢٤٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: (٢/٨٢).

(٤) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، مات سنة ٥٤٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: (٢٠/٢٨٦)، والأعلام للزركلي: (٦/٢١٥).

(٥) في ترجمة ابن سينا من وفيات الأعيان: (٢/١٦١): وينسب إليه البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أول كتابه "نهاية الإقدام" وفي (٤/٢٧٥) في ترجمة الشهرستاني: وذكر في أول كتاب "نهاية الإقدام" بيتين وهما: لقد طفت... الخ ولم يذكر لمن هذان البيتان، وقال غيره: هما لأبي بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصائغ الأندلسي.

(٦) هو: أبو المعالي الجويني عبد الملك بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي، ضياء الدين؛ أحد الأئمة الأعلام من بلدة جوين بنيسابور. ظهر في وقت اشتد فيه التعصب بين الأشعرية وخصومهم. وكان الجويني متبحرًا في العلوم والمعارف، فأفاد الأشعرية. ودافع عنهم دفاعًا مجيدًا فشاع ذكره في الآفاق. ثم خرج إلى مكة فجاور بها أربع سنين ينشر العلم. ولهذا قيل له: إمام الحرمين. وعاد إلى نيسابور ثم رحل منها إلى بغداد فتولى التدريس بالمدرسة النظامية والخطابة والتذكير والإمامة وهجرت له المجالس، وانغمر ذكر غيره من العلماء وشاعت مصنفاته. توفي سنة ٤٧٨هـ.

=

الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به". وقال عند موته: "لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور"[1].

=

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: (١/٣٦١)، وطبقات الشافعية للسبكي: (٥/١٦٥).

(١) انظر: الصواعق المرسلة: (١/١٦٨)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: (١/٨٦٧).

المبحث السادس

الرد على من قال: إن ظاهر كلامه ﷺ هو التشبيه أو أنه غير مراد[1]

الجواب على هذا المبحث يكون بعدة أمور:

أولاً: لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرًا وباطلاً، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا ظاهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال، والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين:

١- تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجًا إلى تأويل يخالف الظاهر ولا يكون كذلك.

٢- وتارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل[2].

ثانياً: إن كان القائل يعتقد أن ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها -الظاهر هو المراد في الجميع- فإن الله لما أخبر أنه: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]، وأنه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]. واتفق أهل السنة وأئمة المسلمين على أن هذا ظاهره وأن ظاهر ذلك مراد: كان من المعلوم أنهم لم يريدوا بهذا الظاهر أن يكون علمه كعلمنا وقدرته كقدرتنا.

وكذلك لما اتفقوا على أنه حي حقيقة، عالم حقيقة، قادر حقيقة لم يكن مرادهم أنه

(١) شرح العقائد النسفية للتفتازاني: (١/٢٠٤)، وأساس التقديس: (ص ١٠٥).

(٢) الرسالة التدمرية: (ص٣١-٣٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

مثل المخلوق الذي هو حي عليم قدير، فكذلك إذا قالوا في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[2]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[3]، أنه على ظاهره لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حبًّا كحبه، ولا رضا كرضاه، فإن كان المستمتع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مراد، وإن كان يعتقد أن ظاهرها ما يليق بالخالق ويختص به لم يكن له نفي هذا الظاهر ونفي أن يكون مرادًا إلا بدليل يدل على النفي، وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات فيكون الكلام في الجميع واحدًا، وبيان هذا أن صفاتنا منها: ما هو أعيان وأجسام، وهي أبعاض لنا كالوجه واليد.

ومنها: ما هو معان وأعراض، وهي قائمة بنا كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة.

ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير لم يقل المسلمون إن ظاهر هذا غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا، فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه.

فاذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب إليه كالمنسوب إلينا، ولا النسبة إليه كالنسبة إلينا، كما قال ﷺ: **(ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر)**[4]. فشبه الرؤية بالرؤية و لم يشبه المرئي بالمرئي[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر: (٢٠٣/١) برقم: (٥٢٩)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر: (٤٣٩/١) برقم: (٦٣٣) من حديث جرير ﷺ.

(٥) انظر: المصدر نفسه: (ص٣٣-٣٤).

ثالثاً: إن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

١- كونه مثّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

٢- أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيء الذي ظنه بالله ورسوله -حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل- قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

٣- أنه ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم، فيكون معطلاً لما يستحقه الرب تعالى.

٤- أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات، فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدًا في أسماء الله وآياته[1].

رابعاً: إن الله سمى نفسه بأسماء، وسمى صفاته بأسماء، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص فضلاً عن أن يتحد مسماهما عند الإضافة والتخصيص، فقد سمى الله نفسه حيًّا فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) انظر: المصدر نفسه: (ص٣٤-٣٦).

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[1]، وسمى بعض عباده حيًّا فقال: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾[2]، وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله: الحي اسم لله مختص بـه، وقولـه: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ اسم للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكـن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيّد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق.

ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطـأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخـالق في شيء من خصائصه - سبحانه وتعالى.

وكذلك سمى الله نفسه عليمًا حليمًا، وسمى بعض عبادة عليمًا فقـال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[3]، يعني اسحق، وسمى آخر حليمًا فقال: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾[4]، يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم.

وسمى نفسه سميعًا بـصيرًا فقـال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[5]، وسمى بعـض عبـاده سميعًـا بـصيرًا فقـال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾[6]، وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٦) سورة الإنسان، الآية: ٢.

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وسمى بعض عباده بالرؤوف الرحيم، فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وسمى نفسه بالملك فقال: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[3]، وسمى بعض عباده بالملك فقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[4]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾[5]، وليس الملك كالملك.

وسمى نفسه بالمؤمن المهيمن، وسمى بعض عباده بالمؤمن، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[6]، وليس المؤمن كالمؤمن.

وسمى نفسه بالعزيز فقال: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[7]، وسمى بعض عباده بالعزيز، فقال: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾[8]، وليس العزيز كالعزيز.

وسمى نفسه الجبار المتكبر، وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[9]، وليس الجبار كالجبار، ولا المتكبر كالمتكبر.

ونظائر هذا متعددة، وكذلك سمى صفاته بأسماء وسمى صفات عبادة بنظير ذلك

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٩ .

(٥) سورة يوسف، الآية: ٥٠.

(٦) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٧) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٨) سورة يوسف، الآية: ٥١.

(٩) سورة غافر، الآية: ٣٥ .

فقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1]، وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[3]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[4]، وسمى صفة المخلوق علمًا وقوة فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[6]، وقال: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾[7]، وقال: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[8]، وقال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[9]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾[10]، أي: بقوة، وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾[11]، أي: ذا القوة. وليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

ووصف نفسه بالمشيئة ووصف عبده بالمشيئة فقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[12]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥ .

(٦) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٧) سورة غافر، الآية: ٨٣.

(٨) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٩) سورة هود، الآية: ٥٢.

(١٠) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

(١١) سورة ص، الآية: ١٧.

(١٢) سورة التكوير، الآيات: ٢٨-٢٩.

رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ ﴾(١).

وكذلك وصف نفسه بالإرادة ووصف عبده بالإرادة، فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

ووصف نفسه بالمحبة، ووصف عبده بالمحبة فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾(٣)، قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٤).

ووصف نفسه بالرضا ووصف عبده بالرضا فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾(٥). ومعلوم أن مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه.

وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار ووصفهم بالمقت فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾(٦)، وليس المقت مثل المقت، وهكذا وصف نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده بذلك فقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾(٧).

وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾(٨)، وليس المكر كالمكر ولا الكيد كالكيد.

ووصف نفسه بالعمل فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا

---

(١) سورة الإنسان، الآيات: ٢٩-٣٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٦) سورة غافر، الآية: ١٠.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٨) سورة الطارق، الآيات: ١٥-١٦.

مَٰلِكُونَ ﴾[1]، ووصف عبده بالعمل فقال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]، وليس العمل كالعمل.

ووصف نفسه بالمناداة والمناجاة فقال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴾[3]، وقال: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ ﴾[4]، وقال: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾[5]، ووصف عبده بالمناداة والمناجاة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[6]، وقال: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ ﴾[7]، وقال: ﴿إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[8]، وليس المناداة كالمناداة ولا المناجاة كالمناجاة.

ووصف نفسه بالتكليم في قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[9]، وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[10]، وقوله: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[11]، ووصف عبده بالتكلم في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾[12]، وليس التكليم كالتكليم.

---

(١) سورة يس، الآية: ٧١.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٧) سورة المجادلة، الآية: ١٢.

(٨) سورة المجادلة، الآية: ٩ .

(٩) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(١٠) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(١١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(١٢) سورة يوسف، الآية: ٥٤.

ووصف نفسه بالتنبئة ووصف بعض الخلق بالتنبئة فقال: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1]، وليس الإنباء كالإنباء.

ووصف نفسه بالتعليم ووصف عبده بالتعليم فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[2]، وقال: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[3]، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[4]، وليس التعليم كالتعليم.

وهكذا وصف نفسه بالغضب فقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾[5]، ووصف عبده بالغضب في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[6]، وليس الغضب كالغضب.

ووصف نفسه بأنه استوى على عرشه، فذكر في سبع آيات من كتابه أنه استوى على العرش، ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[7]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[8]، وقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾[9]، وليس الاستواء كالاستواء.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٣.

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٦.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٧) سورة الزخرف، الآية: ١٣

(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٢٨.

(٩) سورة هود، الآية: ٤٤ .

ووصف نفسه ببسط اليدين، فقـال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1].

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[2]، وليس اليد كاليد ولا البسط كالبسط.

وإذا كان المراد بالبسط: الإعطاء والجود، فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه ولا جوده كجودهم، ونظائر هذا كثيرة، فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته بخلقـه، فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نـادى ولا ناجى ولا استوى،كان معطلاً جاحدًا ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات.

ومن قال: له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضاي، أو يدان كيدي، أو استواء كاستوائي، كان مشبهًا ممثلاً لله بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنـزيه بلا تعطيل[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٣) انظر: التدمرية: (ص ٢١-٣٠).

المبحث السابع

إعطاء الله عز وجل له جوامع الكلم ودلالة ذلك على نبوته

عن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**). قال محمد[1]: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين، أو نحو ذلك[2].

إن من الخصائص التي خص الله بها نبيه ﷺ بأن أعطي: "جوامع الكَلم" ومعنى (**أعطيت جوامع الكلم**): هي: العبارة القليلة الألفاظ، الجامعة لمعان كثيرة وقواعد عظيمة في أمور الدين، وهي من أعظم الدلائل على نبوته، وقد جاءت أقواله عليه الصلاة والسلام بمثابة الإعجاز البياني، من الأمثلة على ذلك ما يلي:

قوله ﷺ: (**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[3].

وقوله ﷺ: (**كل بدعة ضلالة**)[4]، من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[5]، فكل

---

(١) يعني محمد بن إسماعيل البخاري.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد: (٦/٢٥٧٣) برقم: (٦٦١١)، ومسلم، كتاب الصلاة: (١/٣٧١) برقم: (٥٢٣).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٢٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة: (٢/٥٩٢) برقم: (٨٦٧) من حديث جابر ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود: =

من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

وكقوله: (**لا ضرر ولا ضرار**)[1]، والأحاديث في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

=

(٢/٩٥٩) برقم: (٢٥٥٠)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور: (٣/٣٤٣) برقم: (١٧١٨).

(١) أخرجه أحمد: (١/٣١٣) برقم: (٢٨٦٧)، وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره: (٢/٧٨٤) برقم: (٢٣٤١). وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه، وفي إرواء الغليل برقم: (٨٩٦).

المبحث الثامن

نزول القرآن بلسانه ﷺ ودلالة ذلك على نبوته

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[1]، قال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ أي: القرآن يعني بيناه بلسانك العربي وجعلناه سهلاً على من تدبره وتأمله"[2].

وقيل: "أنزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه"[3].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ

(١) سورة مريم، الآية: ٩٧.

(٢) تفسير القرطبي: (١١/١٦٢).

(٣) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٥٨.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٦) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٦.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات.

يقول تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلامًا منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا: إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع لهم[2].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١٧/٦٤٣).

المبحث التاسع

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[1]

ودلالة أوصاف فمه ولسانه ﷺ

وفي هذا المعنى قولان:

الأول: قيل له ذلك، لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به، يريد حفظه من حبه إياه، فقيل له: لا تعجل به فإنَّا سَنحفظُه عليك. وممن قال بذلك[2]:

- سعيد بن جبير، فعنه أن النبيّ ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن تعجَّل به يريد حفظه[3].

- وقال يونس: يحرك شفتيه ليحفظه[4].

- عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان النبيّ ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي كان يحرّك به لسانه وشفتيه، فيشتدّ عليه، فكان يعرف ذلك فيه[5].

وعن الشعبيّ قال: كان إذا نزل عليه الوحي عجل يتكلم به من حبه إياه[6].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: لا تكلم بالذي أوحينا

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٦.

(٢) تفسير الطبري: (٢٣/٤٩٦).

(٣) المصدر نفسه: (٢٣/٤٩٧).

(٤) المصدر نفسه ونفس الصفحة.

(٥) المصدر نفسه: (٢٣/٤٩٨).

(٦) المصدر نفسه نفس الصفحة.

إليك حتى يقضى إليك وحيه، فإذا قضينا إليك وحيه، فتكلم به[1].

الثاني: أن السبب الذي من أجله قيل له ذلك: أنه كان يُكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه، فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ إن علينا أن نجمعه لك، ونقرئكه فلا تنسى[2]. وممن قال بذلك:

- الضحاك حيث قال: كان نبيّ الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرّك به لسانه مخافة أن ينساه[3].

- وعن ابن عباس قال: كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه[4].

- وعن مجاهد قال: كان يستذكر القرآن مخافة النسيان، فقال له: كفيناكه يا محمد[5].

- وعن قتادة، قال: كان نبيّ الله ﷺ يحرّك به لسانه مخافة النسيان، فأنزل الله ما تسمع[6].

وفي رواية عنه: قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن فيكثر مخافة أن ينسى.

قال الطبري رحمه الله: "وأشبه القولين بما دلّ عليه ظاهر التنزيل،... أنه إنما نُهي عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبيّ ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك"[7].

قال ابن كثير رحمه الله -في هذه الآية والتي بعدها-: "هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في

(١) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٢) تفسير الطبري: (٢٤/٦٧).

(٣) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٤) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٥) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٦) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٧) المصدر نفسه نفس الصفحة.

قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه.

فالحالة الأولى: جمعه في صدره.

والثانية: تلاوته.

والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه.

ولهذا قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآن، كما قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[1].

ثم قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾[2]، أي: في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾[3]، أي: أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾[4]، أي: إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[5]، أي: فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[6]، أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا"[7].

قال السعدي رحمه الله: "وفيها أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه"[8].

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٣) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٤) سورة القيامة، الآية: ١٨.

(٥) سورة القيامة، الآية: ١٨.

(٦) سورة القيامة، الآية: ١٩.

(٧) تفسير ابن كثير: (٢٧٨/٨).

(٨) تفسير السعدي: (ص ٨٩٩).

المبحث العاشر

لا يتثاءب، وهل ذلك من علامات النبوة؟

إن الإجابة على هذا المبحث من حيث الأصل لم أَقف على نصٍ ثابتٍ يدل على أن النبي ﷺ لا يتثاءب، وإن حصل منه ذلك فهذا لا ينقصه، وإنما يدل على بشريته ﷺ، ولكن وردت آثار وأقوال لأهل العلم تدل على أنه لا يتثاءب:

فعن يزيد بن الأصم، قال: ما تثاءب رسول الله ﷺ في الصلاة قط[(١)].

وأخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال: ما تثاءب نبي قط[(٢)].

وعُدَّ هذا من علامات نبوته ﷺ؛ لأن التثاؤب من الشيطان كما قال ﷺ: (**التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع**)[(٣)].

وقد عصمه الله تعالى كما تقدم من الشيطان، فلم يجعل للشيطان عليه سبيل في مختلف أحواله ﷺ.

قال ابن حجر: "ويؤيد ذلك ما ثبت أن التثاؤب من الشيطان ووقع في الشفاء لابن سبع أنه ﷺ كان لا يتمطى لأنه من الشيطان والله أعلم"[(٤)].

وقيل: "لأنه لا يضاف إليه عمل للشيطان فيه حظ"[(٥)].

"قال القاضي: والتثاؤب تفاعل من الثوباء بالمد، وهو فتح الحيوان فمه لما عراه من تمط وتمدد للكسل وامتلاء، ولهذا السبب قيل ما تثاءب نبي قط"[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٨٨) رقم (٧٩٨٢). وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٢٢/٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: (٥٨/٤٢)، وانظر: فتح الباري: (١٠/٦١٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: (٣/١١٩٧) برقم: (٣١١٥)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب: (٤/٢٢٩٣) برقم: (٢٩٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) فتح الباري: (١٠/٦١٢).

(٥) عمدة القاري: (٣٢/٤٤١).

(٦) فيض القدير (١/٣١٥).

المبحث الحادي عشر

فهم الصحابة للمعنى المراد من قوله كما أراد الله ورسوله

هذه المسألة تعتبر من الأصول المسلّم بها عند أهل السنة والجماعة المتبعين لسلف هذه الأمة، وذلك بدلالة الشرع والعقل والإجماع، مخالفين بذلك النفاة وأهل التأويل والمفوضة وأصحاب مقولة: " إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم وأعلم " والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم كما تقدم بيانه.

وفيما يلي بيان هذه الدلائل التي تؤكد أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أعلم الناس بفهم قوله ﷺ المتمثل بنصوص الوحيين والرد على من اتهمهم بعدم العلم بمراد الله ومراد رسوله ﷺ خاصة فيما يتعلق بباب الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته.

١- إن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا وأمره أن يقول: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(١)، فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته - محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه. فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولاً، ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة[1]، و لم يعلمهم التوحيد والعقيدة.

وقد قال ﷺ: (**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**)[2].

وقال فيما صح عنه أيضًا: (**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**)[3].

وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما[4].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قام فينا النبي ﷺ مقامًا، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه"[5].

بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة: (٢٢٣/١) برقم: (٢٦٢) من حديث سلمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد: (١٢٦/٤)، وابن ماجه: (١٦/١) برقم: (٤٣)، وأصله عند أبي داود: (١٣/٥) برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي: ٤٣/٥ برقم: (٢٦٧٦)، وقال: "حديث حسن صحيح". وابن حبان (١٧٨/١) برقم: (٥)، والحاكم: (٩٥/١)، وقال: "صحيح ليس له علة"، ووافقه الذهبي من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول: (١٤٧٢/٣) برقم: (١٨٤٤).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: (١٥٥/٢) برقم: (١٦٤٧)، وأخرجه أحمد أيضاً: (١٥٣/٥ و١٦٢)، وصححه الأرناؤوط في تخريج ابن حبان برقم (٦٥).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾: (١١٦٦/٣) برقم: (٣٠٢٠).

مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين عنه[1].

٢- إن من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة -القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم- كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع.

أما الأول: فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي -الذي هو من أقوى المقتضيات- أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم[2].

٣- إن قولهم: إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم. سببه هو ظنهم أن كلام السلف هو التفويض، وهو قراءة حروف القرآن الكريم والسنة النبوية دون اعتقاد ما تدل عليه من معنى عند من يقول منهم إن لها معنى مفهوماً، وعند من يقول إنها لها معنى لا يفهم، أو ليس لها معنى، فلا يزيد على قراءة الحروف فقط. والحق أن هناك فرق بين مذهب السلف ومذهب أهل التفويض، وتحريره: هو أن مذهب السلف: تفويض الكيفيات والحقائق الخارجية الواقعية دون المعاني اللغوية، فلا تفويض في

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص ١٨٢).

(٢) انظر: الفتوى الحموية: (ص ١٨٤).

المعاني اللغوية لأن ألفاظ الكتاب نزلت بلغة العرب وهي موضوعة لمعان مقصودة من إطلاق اللفظ، ولذا ثبت عنهم أنهم قالوا: أمّروها كما جاءت. ولا يمكن أن يصح الإمرار إلا بأن يمر اللفظ بما حمله من معنى، ولذا لا يصح أن يقال للفظ المهمل لغة أنه أمر، ولو كان مقصودهم النطق باللفظ دون اعتقاد المعنى لصرحوا بذلك فقالوا: النطق باللفظ دون اعتقاد ما دل عليه من معنى[1].

٤- لا يجوز أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن " طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم"، فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2]، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى -وهي التي يسمونها: طريقة السلف- وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف -وهي التي يسمونها: طريقة الخلف- فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل

(١) تعريف الخلف بمنهج السلف: (ص٤٥-٤٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات، وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه، فلما ابتني أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين، كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، و لم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله، ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة[1].

٥- ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة -لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرف واحد يخالف ذلك لا نصًا ولا ظاهرًا. و لم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: **(ألا هل بلغت؟)** فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: **(اللهم اشهد)** غير مرة[2]. وأمثال ذلك كثيرة.

فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة، من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائمًا بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصًا ولا ظاهرًا، حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها، لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع

---

(١) انظر: الفتوى الحموية: (ص ١٩٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٧٢). وانظر: التحفة المدنية في العقيدة السلفية: (ص ٥٥).

ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين[1].

ومن لوازم ذلك أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة، يا سبحان الله، كيف لم يقل الرسول ﷺ يومًا من الدهر ولا أحد من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه. ثم رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ما سيكون، ثم قال: (**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي**)[2][3].

وورد عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية: (**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**)[4]. فهلا قال: "من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر

---

(١) الفتوى الحموية: (ص ٢٢٤)، وانظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات: (ص ٢٢٨) والضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق: (ص٣٠٦).

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتابه السنة بلفظ: (... **وقد تركت فيكم أيها الناس ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه**...). انظر: كتابه السنة: (ص٢٠، ٢١)، وهكذا أخرجه الحاكم في المستدرك: (١/٩٣) وصححه ووافقه الذهبي، وقال: "وله أصل في الصحيح"، وذلك فيما أخرجه مسلم في كتاب الحج، تقدم تخريجه (ص ٤٧٦).

(٣) انظر: الفتوى الحموية: (ص ٢٢٩).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة: (٥/٢٦) برقم: (٢٦٤١)، والآجري في الشريعة (ص ١٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (١/١٠٠)، والمروزي في السنة: (ص ١٨) وغيرهم، وانظر في الكلام عن هذا الحديث مقال الشيخ عبد الكريم مراد بعنوان: حديث تفترق الأمة في مجلة الجامعة الإسلامية (عدد ٥٩، ص٤٧)، وانظر: رسالة الشيخ سليم الهلالي: نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق هذه الأمة.

القرآن في باب الاعتقادات: فهو ضال"؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة -في هذه المقالة- وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين[1].

٦- معلوم للمؤمنين: أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارةً وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، فقد اجتمع في حقّه كمال العلم والقدرة والإرادة. ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته،كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في قدرته على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد، فعلم قطعًا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم، فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه أو أكمل بيانًا منه أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين. والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة[2].

٧- إن الآثار الواردة عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن أقرب القرون إليهم لتدل على أن أصحاب رسول الله ﷺ أعلم الناس بدلالة أقوال النبي ﷺ ومعانيها.

قال أبو عبد الرحمن السلمي[3]: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن: عثمان بن عفان،

---

(١) شرح الفتوى الحموية: (٥/٦)، ولوامع الأنوار البهية: (١/٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى: (٥/٣١)، وانظر: شرح الفتوى الحموية: (٩/٩).

(٣) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الإمام أبو عبد الرحمن السلمي، مقرئ الكوفة، روى عن: عمر وعثمان، وروى عنه: عاصم بن أبي النجود وأبو إسحاق أقرأ الناس دهراً، مات سنة ٧٣هـ تقريباً.

انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: (١/٥٤٤)، وتهذيب الكمال: (١٤/٤٠٨).

وعبدالله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا[1].

وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية وأسأله عنها[2].

وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها.

وقال مسروق: ما سئل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه[3].

عن الأوزاعي قال: كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله -تعالى ذكره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته[4].

وعنه أيضاً قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: -أمروها كما جاءت[5].

وعن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات. فقالوا: أمروها كما جاءت[6]. وفي رواية: فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف[7]. فقولهم ﷺ: "أمروها كما جاءت"، رد على المعطلة وقولهم: "بلا كيف" رد على الممثلة.

وعن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: (١٧٢/٦)، وانظر: تفسير ابن كثير: (٤/١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره: (٩٠/١) وانظر: تفسير ابن كثير: (١/٤-٥).

(٣) أثر صحيح. أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن": (ص ٩٦)، والبيهقيّ في "الشّعب": (رقم٢٢٨٤).

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (٤٠٨/٢)، وصحح إسناده ابن تيمية في الفتوى الحموية: (ص٢٩٦).

(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (٩٦/٢).

(٦) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (٩٦/٢).

(٧) أخرجه الآجري في الشريعة: (١١٤٦/٣).

ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1]، كيف استوى؟. قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق[2]. وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه[3].

وروى أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى، قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[4]، كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء[5] ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا مبتدعًا، ثم أمر به أن يخرج[6].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب، موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية و لم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه -على ما يليق بالله- لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا، بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضًا: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات"[7].

وقال أيضًا: "فإن من ينفي الصفات الخبرية -أو الصفات مطلقًا- لا يحتاج أن يقول

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: (٣/٣٩٨) برقم: (٦٦٥).

(٣) أخرجه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث: (ص ١٨٠).

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

(٥) الرُّحَضَاء: العرق الكثير يغسل الجلد. انظر: المعجم الوسيط: (١/٣٣٤).

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي: (٢/٤١٠). وانظر: الفتوى الحموية: (ص ٣٠٥).

(٧) الفتوى الحموية: (ص ٣٠٦).

بلا كيف، فمن قال: إن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان من مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف. وأيضًا فقولهم: أمروها كما جاءت، يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظًا دالة على معان، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمّرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيفية عما ليس بثابت لغو من القول"[1].

"وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه "اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات" قال في آخر خطبته: "فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه قولاً واحداً وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال: (**عليكم بسنتي**)[2]، وذكر الحديث. وحديث (**لعن الله من أحدث حدثًا**)[3]، قال: فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا، كما نقل سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم، حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين، حتى نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن، لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر، ولله المنة"[4].

(١) انظر: الفتوى الحموية (ص ٣٠٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٥٢٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٧٢).

(٤) الفتوى الحموية: (ص ٤٠٣)، وانظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية: (٥/٣٢٧).

المبحث الثاني عشر
عناية السلف بتتبع أقواله وألفاظه ﷺ

السلف يطلق لغة على ثلاثة معان:

الأول: التسوية، يقال: سلفتُ الأرض أسلفها سلفًا، إذا سويتها بالمسلفة، وهي شيء تسوى به الأرض[1].

الثاني: من مضى وتقدم، يقال: سلف يسلف سلفًا، أي مضى. والقوم السلاف: المتقدمون. وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، والجمع: أسلاف وسلاف[2].

الثالث: بمعنى السّلم: وهو نوع من البيوع، يعجل فيه الثمن وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم. وقد أسلفت في كذا[3].

السلف اصطلاحاً:

إذا أطلق السلف عند علماء الاعتقاد فإنما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أو الصحابة والتابعين، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل واتباع السنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظيم شأنهم في الدين، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح[4].

فيخرج من السلف: كل من رُمي ببدعة، أو لقب غير مرضي كالخوارج والروافض

(١) الصحاح في اللغة: (١/٣٢٦).

(٢) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٣) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٤) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة): (ص١٥).

والناصبة والقدرية والمرجئة والمعتزلة والجهمية ونحوهم.

قلت: وتتبع أقواله ﷺ المراد به سنته ﷺ وهديه القولي والفعلي والتقريري، لأن الجميع في حكم أقواله ﷺ.

تقدم معنا فيما سبق أدلة على أن أقواله وألفاظه عليه الصلاة والسلام في الرضى والغضب إنما هي وحي يوحي، وأنه لا يخرج من فيه إلا حقٌّ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] وعلى هذا اعتقاد سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

كما أن البحث في مسألة عناية السلف رحمهم الله تعالى بأقوال النبي ﷺ وما كان في حكمها من أفعاله وتقريراته لا يتسع المجال في هذه الرسالة للوقوف على جميع الجوانب المتعلقة باهتمام السلف رحمهم الله تعالى بهذا الموضوع القيم، ولكن هذا لا يمنع من أن نقف علي أبرز جوانب عناية السلف بسنة النبي ﷺ بنقاط موجزة يتحقق من خلالها الغرض من هذا المبحث:

أولاً: الإهتمام بتدوين أقواله عليه الصلاة والسلام وهديه، وفيما يلي لمحة موجزة عن هذا التدوين منذ عهد النبوة إلى القرن التاسع، فقد كان بعض أصحابه يهتم بتدوين أقواله عليه الصلاة والسلام[2]، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:كنت أكتب كل

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣-٤.

(٢) قلت وهذا لا يشكل مع ما ورد من النهي عن الكتابة، وذلك من قوله ﷺ في الصحيحين: (**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**) لأن هذا النهي كان أول الأمر خشية اختلاط القرآن بالسنة ثم أذن بكتابة السنة.

وذلك لما يلي:

١- ما جاء في الصحيحين في قصة الرجل الذي جاء من اليمن فلما استمع لخطبة النبي ﷺ طلب من النبي أن يكتب له ما سمع فقال النبي ﷺ: (**اكتبوا لأبي شاه**)، وهذا صريح بإذنه بالكتابة.

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ =

شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ: (**اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقٌّ**) وأشار بيده الي فمه[1].

وكانت عنده ﷺ صحيفة يسميها: الصادقة، فعن مجاهد قال: أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشه فمنعني، قلت: ما كنتَ تمنعني شيئًا، قال: هذه الصادقة، هذه ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد"[2].

وقد كتبت في حياة النبي ﷺ عدة صحف علي شاكلتها كصحيفة أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه فيها فرائض الصدقة، وصحيفة علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه فيها أسنان الإبل وشئ من الجراحات وغيرها[3].

مع أن هذا الذي كتب في عهد الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن تصنيفًا مرتبًا مبوبًا، إنما كان يكتب للحفظ والمراجعة[4].

ثم جاء بعد الصحابة الكرام الجيل الأول الذي أدرك بعضهم من التابعين الذين أخذوا على عاتقهم خدمة سنة النبي ﷺ بتدوينها وحفظها، فكان من أبرز تلك المدونات في هذه الفترة:

= ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى. فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ: (**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقٌّ**) وأشار بيده الي فمه. فقالوا: لأن هذا النهي كان أول الأمر خشية اختلاط القرآن بالسنة، ثم أذن بكتابة السنة فنسخ.

انظر: تقييد العلم: (ص٧٥)، والأنوار الكاشفة: (ص٣٧-٣٩). والأحاديث المذكورة تقدم تخريجها في ثنايا البحث.

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٠٠).

(٢) تقييد العلم: (ص٤٨)، وهذه الصحيفة أخرجها الإمام أحمد في مسنده: (٢/١٥٨-٢٢٦).

(٣) انظر: تدوين السنة النبوية: نشأته وتطوره...: (ص٧١-٧٢).

(٤) المصدر نفسه: (ص ٧١).

١- الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام بن منبه الصنعاني وقد نقلها أحمد بن حنبل في مسنده[١].

٢- صحيفة سعيد بن جبير الأسدي، كان يكتب عن ابن عباس رضى الله عنهما[٢].

٣- صحيفة بشر بن نهيك، كتبها عن أبي هريرة ﷺ وكتب عن غيره[٣].

٤- صحيفة أبي الزبير محمد بن تدرس المكي، تلميذ جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حيث روى نسخة عنه وعن غيره، وغير هؤلاء كثير[٤].

ولم يقتصر ذلك العصر على العلماء فقط في الاهتمام بالكتابة فيما يتعلق بسنة النبي ﷺ بل تعداهم إلى الأمراء حيث أن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١هجرية، يروي عنه أبو قلابة قال: خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس، ثم خرج علينا وهو معه، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الكتاب؟ قال حديث حدثني به عون بن عبد الله فأعجبني فكتبته"[٥].

ولم يقف رحمه الله الى هذا الحد، بل كما أخرج البخارى عن عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً"[٦].

وعن ابن شهاب الزهري قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً

---

(١) المصدر نفسه: (ص ٧٣).

(٢) المصدر نفسه: (ص ٧٣).

(٣) المصدر نفسه: (ص ٧٥).

(٤) المصدر نفسه: (ص ٧٥).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه: (١/١٤٠) برقم: (٥١٠)، وانظر: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة: (٢/٨٢٥).

(٦) علقه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم: (١/٤٩) مجزوماً به.

دفتراً، فبعث إلى كل أرض عليها سلطان دفتراً[1].

وهذه المحاولة من الزهرى فتحت الباب أمام كثير من العلماء في التصنيف والتدوين، فظهرت في تلك الفترة مصنفات عدة، وبدأت مرحلة جديدة من التدوين المبوب المرتب.

وبعد هذا الجيل من أتباع التابعين الجيلُ المؤسس لعلوم السنة المطهرة ولا غرابة، ففيه عاش جهابذة رجال السنة أمثال الأئمة: مالك والشافعي والثوري والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وإبراهيم الفزارى وابن عيينة... وغيرهم[2].

ومن أشهر ما دُوّن في تلك الفترة:

١- كتاب عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هجرية وهذا الكتاب لم يصل إلينا إلا إن تلميذه عبد الرزاق (ت٢٢١هـ)، قد جمع كثيراً من مروياته في المصنف.

٢- جامع معمر بن راشد اليماني (ت ١٥١هـ)

٣- كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٩٩هـ)

٤- موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩)

٥- مصنف عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) وغيرهم من العلماء الذين دونوا السنة النبوية واهتموا بها[3].

ثم تتابع التدوين في القرن الثالث الهجري، وكان أشهر طرق التصنيف في ذلك العصر هو تقسيم التدوين إلى ثلاثة أقسام: المسانيد[4]،

(١) جامع بيان العلم وفضله: (٧٦/١).

(٢) انظر: تدوين السنة النبوية: (ص٧٩).

(٣) انظر: تقييد العلم: (ص ٤٨).

(٤) وهي عبارة عن جمع أحاديث كل صحابي على حدة ومن أشهرها في تلك الفترة:

١- مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت٢٠٤هـ).

٢- مسند أبي بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ).

٣- مسند إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ابن راهويه (ت ٢٣٨هـ).

=

والصحاح[1]، والسنن[2].

ثم تبع علماء السنة في القرن الرابع من سبقهم في خدمة السنة المطهـــرة وعلومهـــا وأشهر ما دون في تلك الفترة كان يحمل طابعين:

الطابع الأول: هو نفس طريقة علماء القرن الثالث في التصنيف، فمنهم من صنف الصحيح [3] ومنهم من صنف السنن[4] وغيرها.

=

٤- مسند أبي بكر أحمد بن عمرو البزار (ت٢٩٩هـ).

٥- مسند أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي (ت٢١٩هـ).

٦- مسند أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ).

٧- مسند أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، وهو أشهر تلك المسانيد.

(١) وأشهرها في تلك الفترة:

١-صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ).

٢- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).

(٢) ومن أشهرها في تلك الفترة:

١-سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

٢- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى السلمي (ت٢٧٩هـ).

٣-سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

٤- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ).

(٣) ومنها ما يلي:

١- صحيح ابن خزيمة لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ).

٢- صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ).

٣- صحيح ابن السكن المسمى "بالصحيح المنتقى والسنن الصحاح المأثورة عن رسول الله ﷺ" لأبي علي سعيد بن عثمان بن السكن البغدادي (ت ٣٥٣هـ).

(٤) ومنها:

١- سنن أبي بكر محمد بن يحيى الهمداني الشافعي (ت ٣٤٧هـ).

٢- سنن أبي بكر النجاد أحمد بن سليمان بن الحسن الحنبلي (ت٣٤٨هـ).

٣- سنن الدارقطني وهو من أشهرها في تلك الفترة لأبي الحسن علي بن عمر الحافظ البغدادي (ت٣٨٥هـ).

أما **الطابع الثاني** الذي اشتهر في تلك الفترة، فهو ظهور نوع جديد من العلوم يخدم سنة النبي ﷺ يدل دلالة واضحة على حفظ الله تعالى لأقواله ﷺ وهديه، وهذا النوع من العلوم يتمثل في التصنيف في مجالين من العلوم:

المجال الأول:

كتب في علوم الحديث التي جمعت تلك القواعد التي كانت متفرقة في كتب من سبقهم من علماء القرنين الثاني والثالث مثل: الرسالة للشافعي و(مقدمة صحيح مسلم) وكتابه (التمييز) وكتب معرفة الرجال والعلل[1].

المجال الثاني:

المستخرجات[2]: وهي جمع مستخرج، وهو أن يأتي المصنف إلى كتاب مثل صحيح البخاري أو صحيح مسلم مثلاً، فيخرّج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق المؤلف، فيجتمع إسناد المستخرِج مع المؤلف في شيخه أو مَن فوقه[3].

---

(١) من أشهر الكتب المتعلقة بهذا العلم:

١- كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للقاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرّامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) وهو أول من ألف وجمع في علوم مصطلح الحديث.

٢- كتاب معرفة علوم الحديث لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ).

(٢) ومن أشهرها في تلك الفترة:

١- مستخرج الإسماعيلي على صحيح البخاري لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني (ت٣٧١هـ).

٢- مستخرج الحافظ أبي أحمد محمد بن أحمد بن الحسن الغطريفي (ت ٣٧٧هـ) على البخاري.

٣- مستخرج الحافظ أبي عبد الله محمد بن العباس بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي ذهل (ت٣٧٨هـ).

٤- مستخرج الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفراييني (ت٣١٦هـ) وغيرها.

انظر: تدوين السنة النبوية نشأتها وتدوينها...: (ص ١٥٧-١٥٨).

(٣) انظر: شرح التبصرة والتذكرة للعراقي: (١/٥٦-٥٧).

ثم تتابع التدوين في القرن الخامس الهجري وكان من أهم المصنفات في تلك الفترة: كتب الجمع بين الصحيحين(1)، والمستدركات(2)، والمستخرجات(3)، وكتب في السنن(4)، وكتب في الرجال(5) وغيرها.

---

(1) ومن أشهرها:
١- الجمع بين الصحيحين للحافظ أبي مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (ت٤٠١هـ).
٢- الجمع بين الصحيحين لإسماعيل بن أحمد المعروف بابن الفرات (ت٤١٤هـ).
٣- الجمع بين الصحيحين لأبي بكر أحمد بن محمد بن غالب البرقاني (٤٢٥هـ).
٤- الجمع بين الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن نصر الحميدي الأندلسي (ت٤٨٨هـ) وغيرهم. انظر: تدوين السنة النبوية نشأتها وتدوينها: (ص١٥٩).

(2) ومن أشهرها:
١- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبدالله النيسابوري (ت٤٠٥).
٢- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الأنصاري الهروي (ت ٤٣٤هـ).

(3) ومن أشهرها:
١- مستخرج الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى الأصبهاني المعروف بابن مردويه (ت٤١٦هـ).
٢- مستخرج الحافظ أحمد بن عبدالله المعروف بأبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ).
٣- مستخرج أبي محمد الحسن بن أبي طالب البغدادي المعروف بالخلال (ت ٤٣٩هـ).

(4) ومن أشهرها:
١- سنن أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري المعروف باللالكائي (ت ٤١٨هـ)
٢- سنن البيهقي للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) وهو من أشهر المصنفات التي كتبت في السنن في تلك الفترة وغيرها.

(5) ومن أشهرها في تلك الفترة من القرن الرابع حتى القرن الخامس:
١- ما كتبه أبو محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي (ت٤٩٨هـ) "المختلف والمؤتلف في الأسماء"، وله أيضاً كتابان، أحدهما في مشتبه الأسماء، والآخر في مشتبه الأنساب.
٢- كتاب المؤتلف تكملة المختلف للعلامة الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) جمع بين كتاب الدارقطني وكتاب عبد الغني الأزدي السابق.
=

وبعد القرن الخامس الهجري سلك العلماء في مجال خدمة السنة المطهرة وعلومها مسالك شتى في إضافاتهم، ويبرز ذلك من خلال الأعمال التالية:

أما القرن السادس الهجري فقد برز فيه أئمة مجتهدون وحركة علمية قوية[1].

وأما القرن السابع الهجري فقد ساروا علي نفس سلفهم في التوثيق والتصنيف[2].

=

٣- كتاب الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب لأبي نصر على بن الوزير هبة الله بن علي المعروف بابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ).

(١) من أشهر ما دُوّن في تلك الفترة:

١- كتاب مصابيح السنة للحافظ الحسين بن علي بن مسعود أبو محمد الفراء البغوي (ت٥١٦هـ) وله أيضاً: "كتاب شرح السنة".

٢- التجريد للصحاح والسنن، لأبي الحسن رزين بن معاوية الأندلسي المالكي (ت ٥٣٥هـ) وهو أصل كتاب جامع الأصول لابن الأثير.

٣- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) وله أيضاً: الإكمال في شرح صحيح مسلم والإلماع على معرفة أصول الرواية وتقييد السماع وغيرها.

كما كتب في هذا العصر في موضوعات سوف يأتي ذكرها في عناية السلف بالأحاديث الموضوعة والتحذير منها.

(٢) من أشهر ما دون في تلك الفترة:

١- جامع الأصول في أحاديث الرسول للإمام المبارك بن محمد أبو السعادات مجد الدين المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ) وله: النهاية في غريب الحديث والأثر. وغيرها.

٢- الأحاديث الجياد المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما، للحافظ محمد بن عبد الواحد أبو عبدالله ضياء المقدسي (ت ٦٤٣هـ).

٣- علوم الحديث، المشهورة بمقدمة ابن الصلاح للحافظ عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو بن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ) وله كتاب باسم صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط. وغيرهما.

٤- مختصر صحيح مسلم للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين أبو محمد المنذري (ت٦٥٦هـ).

=

وأما القرن الثامن الهجري فقد امتاز بالتدقيق والتحقيق والتوثيق[1].

وأما القرن التاسع الهجري فكان حافلاً بأئمة في التحقيق ساروا علـى نهج من سبقهم[2].

=

٥- المنهاج في شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف الدين أبي زكريا النووي (ت٦٧٦هـ) وله أيضاً: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، والأذكار من كلام سيد الأبرار.

٦- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد، وله الإلمام بأحاديث الأحكام، وغيرهما.

(١) ومن أشهر ما دون في تلك الفترة:

١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت٧٤٢هـ)، وله كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف.

٢- جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، للحافظ إسماعيل بن عمر عماد الدين أبي الفداء المعروف بابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وله: تفسير القرآن العظيم، والتكميل في أسماء الثقات والضعفاء والمجاهيل، واختصار علوم الحديث. وغيرها.

٣- تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، وله أيضاً: سير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وتلخيص مستدرك الحاكم، والعبر في خبر من غبر، والموقظة في علوم الحديث، وتذكرة الحفاظ.

(٢) ومن أشهر ما دون في تلك الفترة:

١- تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للحافظ عبد الرحيم بن الحسين أبي الفضل زين الدين العراقي (ت ٨٠٦هـ)، وله التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح، والألفية في مصطلح الحديث.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، وله أيضاً: تغليق التعليق، جمع فيه معلقات البخاري ووصلها من طرق أخرى، وتهذيب التهذيب، اختصر كتاب تهذيب الكمال للمزي، وإتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ولسان الميزان، وتقريب التهذيب، وغيرها.

=

ثانيًا: اهتمام السلف بالإسناد:

يعتبر الإسناد في رواية الحديث النبوى من العلوم التي اختصت بها الأمة الإسلامية بين سائر الأمم، لتميز الصادق والكاذب، وقد أدى ذلك إلى حفظ سنته ﷺ من أن يصل إليها تحريف المحرفين أو إدخال فيها ما ليس منها "ولقد هيأ الله للسنة رجالاً أطهارًا أبرارًا صالحين، بذلوا النفس والنفيس، من أجل صيانة سنة نبيهم ﷺ، والمحافظة عليها، فوضع أئمة الحديث شروطًا لقبول الرواة ومروياتهم، فوضعوا لذلك القواعد والموازين التي على أساسها يقبلون الرواة ومروياتهم -وهذه القواعد من أدق وأرقى ما عرفته البشرية- ولقد بدأ وضع هذه القواعد في فترة مبكرة، حيث بدأ ذلك في زمن الصحابة ﷺ، فلم يقبل العلماء من كل أحد ما حدث به، بل شرطوا لذلك أن يكون الإسناد متصلاً بين من يحدث وبين النبي ﷺ، كما شرطوا أن يكون كل راو في الإسناد ثقة، وبعد أن يثبت لديهم أن الإسناد متصل، وأن الرواة ثقات، فإنهم يتجهون إلى نقد المتن، وهل لهذا المتن معارض أقوى منه أم لا؟ فإذا سلم المتن من الشذوذ، والعلة القادحة، صار الحديث مقبولاً، معمولاً به، كما هو معلوم في علوم الحديث"(١).

قال ابن حزم: "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل كلها... وأما مع الإرسال والإعضال فمن هذا النوع كثير من نقل اليهود بل هو أعلى ما عندهم، إلا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا فيه من محمد ﷺ... وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط، على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه.

ثم قال: "وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين، فكثير في نقل اليهود والنصارى"(٢).

=

٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، وله موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، وغيرها.

(١) اهتمام المحدثين بالسنة المطهرة: (ص٩٣).

(٢) الفصل، ابن حزم: (٢/٢١٩-٢٢٣) بتصرف، وانظر: تدريب الراوي: (٢/١٥٩).

وقد كان اهتمام السلف الصالح بهذا العلم من وقت مبكر حيث استعملوا رحمهم الله الإسناد في نقل أحاديث النبي ﷺ في النصف الأول من القرن الأول الهجري، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف(١).

وعن بن سيرين قال: كانوا لا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وإلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم(٢).

وعنه أيضاً أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم(٣).

وعن أحمد بن حنبل قال: سمعت يحي بن سعيد يقول: الإسناد من الدين(٤).

وعن شعبه قال: إنما نعلم صحة الحديث بصحة الإسناد(٥).

وعن الأوزاعي أنه قال: ما ذهب العلم إلا ذهب الإسناد(٦).

وقال ابن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء(٧).

وقال الإمام مالك بن أنس: "إن العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يحدث: قال فلان: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين. وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ، فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن علي بيت المال لكان أمينًا؛ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب، فكنا نزدحم

---

(١) رواه مسلم في المقدمة: (١/١٣).

(٢) رواه مسلم في المقدمة: (١/١٥).

(٣) رواه مسلم في المقدمة: (١/١٤).

(٤) الجرح والتعديل: (٢/١٦)، وانظر: مقدمة صحيح مسلم: (١/١٥).

(٥) شرح علل الترمذي لابن رجب: (١/١٢٤).

(٦) التمهيد: (١/٥٧).

(٧) الجرح والتعديل: (٢/١٦)، ومقدمة صحيح مسلم: (١/١٥).

علي بابه[(١)].

ومن هذا المنطلق اهتم السلف بمسألة الجرح[(٢)] والتعديل[(٣)] وقد تقدم جملة من التصانيف المتعلقة بهما.

ثالثًا: من أصول أهل السنة والجماعة: أنه لا يقدم على قول النبي ﷺ أحد كائنًا من كان لعصمة قوله ﷺ.

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة: عدم إثبات العصمة لأحد من البشر كائناً من كان، إلا الأنبياء والرسل فيما يبلّغون عن الله تعالى؛ فإنهم معصومون من الخطأ والسهو في تبليغ الدين، أما من عداهم من العلماء والأئمة مهما كان فضلهم وعلمهم فإنهم غير معصومين من الخطأ والسهو، فتجري عليهم العوارض البشرية من غفلة وخطأ ونسيان.

قال الإمام مالك: ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ[(٤)].

وقال الإمام الشافعي: إذا صحّ الحديث فهو مذهبي[(٥)].

وقال أيضاً: إذا خالف قولي قولَ رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله واضربوا بقولي عرْض الحائط[(٦)].

وقال رحمه الله: أجمع المسلمون على أنّ من استبانتْ له سنة رسول الله ﷺ لم يكن

---

(١) التمهيد: (١/٦٧).

(٢) قال ابن الأثير: "الجرح وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به". انظر: جامع الأصول: (١/١٢١).

(٣) قال ابن الأثير: "التعديل وصف متى التحق بالراوي والشاهد اعتبر قولهما وأخذ به". انظر: جامع الأصول: (١/١٢٦).

(٤) المفصل في علوم الحديث: (٢/٩).

(٥) خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام: (١/٣٥٣) برقم: (١٠٧٢).

(٦) الوافي بالوفيات: (١/١٧٣).

له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان[1].

قال أبو حنيفة: لا يحل لمن يفتي من كتبي حتى يعلم من أين قلت[2].

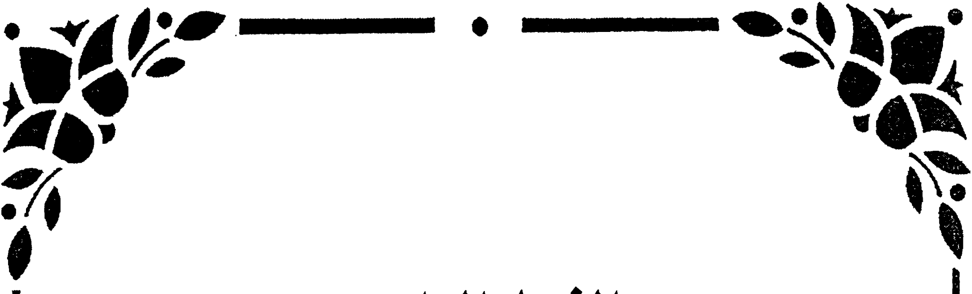
وقال ابن تيمية: معارضة أقوال الأنبياء بأراء الرجال وتقديم ذلك عليها هو فعل المكذبين للرسل بل هو جماع كل كفر[3].

وما ذاك إلا لأن السلف رحمهم الله تعالى يعتقدون عصمته ﷺ في أقواله وألفاظه أن ما ينطق به ﷺ ما هو إلاّ وحيٌ يوحى.

(١) المفصل في علوم الحديث: (٦/٢).

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: (ص١٤٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل: (٢٠٤/٥).



الفصل الرابع

المسائل العقدية المتعلقة بأذنه وسمعه ﷺ

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: طرق سماعه ﷺ الوحي.

المبحث الثاني: الرد على الزنادقة القائلين كيف يكون صوت مسموع لسامع في محل لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحواس والإدراك.

المبحث الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ ﴾ وهو وصف لأذن النبي ﷺ بأنها أذن تسمع الخير.

المبحث الرابع: هل يتأذى بما يقع عند قبره من رفع الأصوات ونحوها.

المبحث الخامس: سماعه ﷺ ما لا يسمع غيره.

المبحث السادس: حدود سمعه ونهايته وأنه لا يسمع كل شيء.



المبحث الأول

طرق سماعه ﷺ الوحي

لقد نال النبي ﷺ شرف سماع الوحي بجميع طرقه التي ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[1].

الطريق الأول لسماع الوحي:

هو ما كان وحيًا من الله مباشرة بما يقذفه في قلب الموحى إليه.

ويقع على صورتين:

الصورة الأول: ما كان يقظة.

كما في حديث يعلى بن أمية ؓ قال: وددت أني قد رأيت رسول الله ﷺ وقد أنزل عليه الوحي؟ فقال عمر: تعال، أيسرّك أن تنظر إلى النبي ﷺ وقد أنزل الله عليه الوحي؟ قلت: نعم. فرفع طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط. وأحسبه قال: كغطيط البَكر...[2].

الصورة الثانية: ما كان منامًا.

مثاله: ما روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوحي، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج: (٢/٦٣٤) برقم: (١٦٩٧)، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة...: (٢/٨٣٦) برقم: (١١٨٠).

فلق الصبح[١].

وكذا حديث معاذ ﷺ وفيه قال ﷺ: (... **فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة، فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب...**) الحديث[٢].

الطريق الثاني لسماعه الوحي:

مخاطبة الله له عليه الصلاة والسلام من وراء حجاب بلا واسطة.

وهذا قد وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج عند فرضية الصلوات الخمس[٣].

الطريق الثالث لسماعه الوحي:

ما كان بواسطة الملك وهو جبريل.

ومثال ذلك: ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (**إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**)[٤].

وقد يأتيه مثل صلصلة الجرس، كما في حديث الحارث بن هشام ﷺ لما سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشدّه علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال**)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (٤/١) برقم: (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (١٣٩/١) برقم: (١٦٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٤٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٣٧٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٤٨٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: (٤/١) برقم: (٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي: (١٨١٦/٤) برقم: (٢٣٣٣).

وقد يأتيه جبريل عليه السلام بصورة رجل فيخاطبه ويعي عنه ما جاء به من وحي سواء كان ذلك بحضرة أصحابه أو لا.

وذلك كما في حديث الحارث ابن هشام السابق وفيه: (... **وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول**)[1].

وكذلك الحديث المشهور من قصة جبريل عليه السلام في تعليم الصحابة أمور الدين[2].

---

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٩٦).

المبحث الثاني

الرد على الزنادقة القائلين: كيف يكون صوت مسموع لسامع في محل لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحواس والإدراك

الجواب عن هذا المبحث:

أقول: لما تفطن ابن تيمية رحمه الله لموقف الصابئة والفلاسفة ونحوهم حيث آمنوا ببعض صفات الرسالة دون بعض آخذ يحاججهم بالعقل فيما يعلمونه من أنفسهم من أن قوى بني آدم تختلف من جهة الإدراك من شخص لآخر، فإذا ثبت ذلك عندكم فإن اختصاص الأنبياء بالإدراك عند مقارنتهم بغيرهم أبين.

فقال رحمه الله تعالى -في رد شبهتهم في إنكار الوحي: "ما المانع من أن يخرق سمع أحدهم وبصره حتى يسمع ويرى من الأمور الموجودة في الخارج ما لا يراه غيره؟ كما قال ﷺ: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد)[1]. فهذا إحساس بالظاهر أو بالباطن لما هو في الخارج، وكذلك العلوم الكلية البديهية قد علمتم أنها ليس لها حد في بني آدم، فمن أين لكم أن بعض النفوس يكون لها من العلوم البديهية ما يختص بها وحدها أو بها وبأمثالها ما لا يكون من البديهيات عندكم؟.

وإذا كان هذا ممكناً وعامة أهل الأرض على أنه واقع لغير الأنبياء -دع الأنبياء-، فمثل هذه العلوم ليس في منطقكم طريق إليها؛ إذ ليست من المشهورات ولا الجدليات ولا موادها عندكم يقينية، وأنتم لا تعلمون نفيها، وجمهور أهل الأرض من الأولين والآخرين على إثباتها، فإن كذبتم بها كنتم -مع الكفر والتكذيب بالحق وخسارة الدنيا والآخرة- تاركين لمنطقكم أيضاً، وخارجين عما أوجبتموه على أنفسكم: أنكم لا تقولون إلا بموجب القياس، إذ ليس لكم بهذا النفي قياس ولا حجة تذكر"[2].

---

(١) سبق تخريجه: (ص ٤٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى: (٩/١٦-١٧).

المبحث الثالث

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾(١) وهو وصف لأذن النبي ﷺ بأنها أذن تسمع الخير

هذا المبحث فيه دلالة على عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ، حيث دفع الله عنه أذى المنافقين بنقيض ما رموه به عليه الصلاة والسلام، حيث وصفوه بأنه أُذن يسمع مقالة كل أحد، وأنه يُصدّق كل ما يقال له دون تمييز بين صادق وكاذب، ومعنى ﴿أُذُنٌ ﴾ أي: سمّاع لما يقال له(٢).

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣).

فبين الله تعالى مادحًا أذن نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا يسمع إلا الخير ولا يسمع الشر، فلا يسمع من القول إلا أحسنه ويصدق قول المؤمنين الصادقين(٤).

وفي هذا إشارة لما خُصَّ به ﷺ من فضل، وهو علامة من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام، وردّ على من قال من الكفار: إن الذي جاء به هو أساطير الأولين وأباطيلهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١١ /٥٣٧)، وتفسير الدر المنثور: (٤٢٢/٧).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: (٥٣٤/١١).

المبحث الرابع

هل يتأذى بما يقع عند قبره من رفع الأصوات ونحوها؟

الذي دل عليه الدليل أن حرمته ﷺ ميّتًا كحرمته حيًّا، فقد أوجب الله تعالى على المؤمنين عدم إيذائه برفع الأصوات فوق صوته فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[1].

كما وعد الممتثلين من المؤمنين بما أوجب عليهم بالمغفرة والأجر العظيم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[2]،

مما يدل على أن هذه الحرمة تُستصحب له حال موته وعند قبره ما رواه البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما، أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟[3].

قال ابن حجر: "قوله: لو كنتما، يدل على أنه كان تقدم نهيه عن ذلك، وفيه المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفى مثله، قوله: لأوجعتكما، زاد الإسماعيلي: جلداً.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد: (١/١٧٩) برقم: (٤٥٨).

ومن هذه الجهة يتبين كون هذا الحديث له حكم الرفع، لأن عمر لا يتوعدهما بالجلد إلا على مخالفة أمر توقيفي"[1].

وأما هل يتأذى بما يقع عند قبره من رفع الأصوات ونحوها؟

فأقول: إن أمور البرزخ أمور غيبية لا سبيل لمعرفتها إلا بالنص، ولا نص، فالواجب التوقف فيما لا علم لنا به.

---

(١) فتح الباري: (٥٦١/١).

المبحث الخامس

سماعه ﷺ في حياته ما لا يسمع غيره

جاءت بعض النصوص تدل على سماعه عليه الصلاة والسلام ما لا يسمعه غيره، وفيها خصوصية له فيما أراد الله إسماعه إياه، وعلامة من علامات نبوته ﷺ ومن هذه النصوص ما يلي:

ما رواه أبو ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات ...**)[1].

وكذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: (**إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير**)، ثم قال: (**بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**)، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: (**لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا، أو إلى أن ييبسا**)[2].

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: (**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**). فقال: رجل أنا. قال: (**فمتى مات هؤلاء؟**). قال: ماتوا في الإشراك. فقال: (**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن**

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٠٨).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٣٧).

يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه). ثم أقبل علينا بوجهه فقال: (**تعوذوا بالله من عذاب النار**). قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: (**تعوذوا بالله من عذاب القبر**). قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: (**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطـــن**). قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: (**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**). قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[1].

(١) سبق تخريجه (ص ٢٦٩).

المبحث السادس

حدود سمعه ونهايته وأنه لا يسمع كل شيء

إن سماعه ﷺ ما خفي عن غيره ليس على إطلاقه بأنه يسمع كل شيء وفي أي مكان بَعُد أو قَرُب، بل جاءت السيرة النبوية والأحاديث الشريفة دالة على عدم الإطلاق في ذلك وأنه ﷺ لا يسمع كل شيء إلا ما أسمعه الله إياه، وأن لسمعه حدودًا تقتضيها بشريته ﷺ، ومن ذلك:

١- إرساله عليه الصلاة والسلام بعض أصحابه ليأتوا بأخبار أعدائه:

فعن جابر ﷺ: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: **(من يأتينا بخبر القوم؟)**، فقال الزبير: أنا، ثم قال: **(من يأتينا بخبر القوم؟)**، فقال الزبير: أنا، ثم قال: **(من يأتينا بخبر القوم؟)**، فقال الزبير: أنا، ثم قال: **(إن لكل نبي حواريًا وإن حواريي: الزبير)**[1].

وفي حديث حذيفة ﷺ قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: **(ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة)**. فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: **(ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة)**. فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: **(ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة)**. فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: **(قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم)**. فلم أجد بدًّا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: **(اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي)**. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يَصْلِي ظهره بالنار فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ:

---

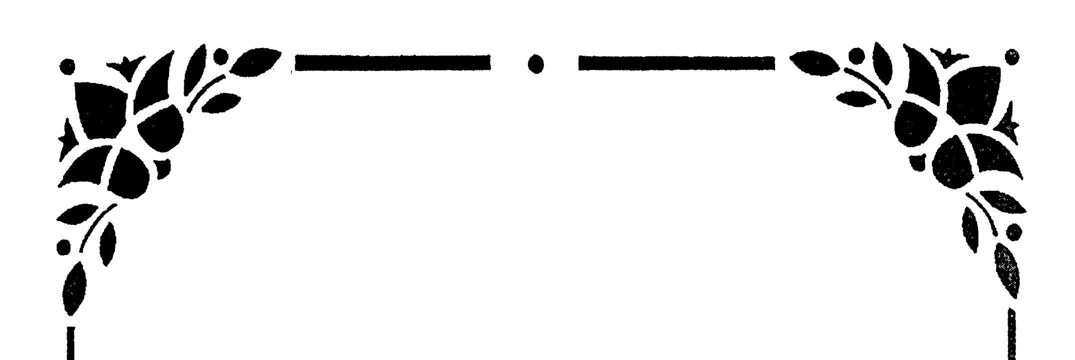
(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب: (٤/١٥٠٩) برقم: (٣٨٨٧).

(**ولا تذعرهم علي**). ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت، قررت، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائمًا حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: (**قم يا نومان**)[1].

٢- دلت النصوص الشرعية على أن النبي ﷺ لم يسمع أقوال المنافقين ابتداء حتى أخبره الله تعالى بها، وهذا من أوضح الدلائل على أن سمعه ﷺ له حدود متعلقة ببشريته ﷺ.

٣- كما أنه ﷺ لو كان يسمع كل شيء لما اغتم بحادثة الإفك حتى نزل القرآن وذهب غمه، ولأمكنه سماع مجرياتها كلها وأحداثها.

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب: (٣/١٤١٤) برقم: (١٧٨٨).



الفصل الخامس

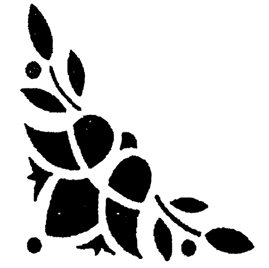
المسائل المتعلقة بوجهه الكريم ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حسن وجهه وضيائه، ودلالة صفة وجهه على نفي الكذب عنه.

المبحث الثاني: كسر رباعيته وشج جبينه ودخول حلقه المغفر في وجنته ﷺ ودلالته على بشريته.

المبحث الثالث: الجمع بين ما ورد من إعطاء الله النبي ﷺ الحسن كله وبما جاء أن أهل الجنة يدخلون على صورة يوسف عليه السلام.





المبحث الأول

حسن وجهه وضيائه ودلالة صفة وجهه على نفي الكذب عنه

في الصحيحين من حديث الْبَرَاء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا...[1].

قوله: أحسن الناس وجهًا فيه إشارة إلى الحسن الحسي[2].

وعن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول: كان رسول اللّهِ ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته ... فقال رجل: وجهه مثل السيف؟ قال: لا، بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً ...[3].

وسئل البراء: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر[4].

قوله: (أكان؟) الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار. قوله: (مثل السيف)، يحتمل أنه أراد: مثل السيف في الطول، قال البراء: لا، بل مثل القمر: في التدوير، ويحتمل أنه أراد مثل السيف في اللمعان والصقال، فقال البراء: لا، بل مثل القمر الذي فوق السيف في ذلك، لأن القمر يشمل التدوير واللمعان، بل التشبيه به أبلغ لأن التشبيه بالقمر لوجه الممدوح شائع ذائع، وكذا بالشمس[5].

وتقدم حديث جابر بن سمرة: أن رجلاً قال له: أكان وجه رسول الله، ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديراً[6].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٥٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٥٧١).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٥٩).

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٥٩).

(٥) انظر: عمدة القاري: (٦/١٠٨)، وفتح الباري: (٦/٥٧٣).

(٦) تقدم تخريجه (ص ١٥٩).

وقد أشار بقوله: مستديراً، إلى أنه جمع التدوير مع كونه مثل الشمس والقمر في الإشراق واللمعان والصقال، فكأنه نبه في حديثه أنه جمع الحسن والاستدارة، وهذا الحديث يؤيد الاحتمالين المذكورين[١].

وهذا كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن غزوة تبوك قال: فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث[٣].

"قال الطيبي: شبَّه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ وفيه عكس التشبيه للمبالغة، قال: ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مقرًّا ومكانًا للشمس"[٤].

وعن أبي إسحاق الهمداني[٥] عن امرأة من همدان -سماها-، قالت: "حججت مع النبي ﷺ مرات على بعير له يطوف بالكعبة، بيده محجن، عليه بردان أحمران، تكاد تمس منكبه إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه إليه فيقبله.

قال أبو إسحاق: فقلت لها: شبهيه، قالت: كالقمر ليلة البدر، لم أر قبله ولا بعده مثله"[٦].

وعن الحسن بن علي، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي، وكان وصّافًا، عن حلية

---

(١) انظر: عمدة القاري: (١٦/١٠٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٦٠).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٦٠).

(٤) نقله ابن حجر في فتح الباري: (٦/٥٧٣).

(٥) هو عمرو بن عبد الله الهمداني أبو إسحاق السبيعي، اختلط بأخرة، ومات سنة ١٢٩هـ، وقيل قبل ذلك.

انظر: تذكرة الحفاظ: (١/١١٤)، وطبقات القراء لابن الجزري: (٢/٦٠٢)، وتهذيب الكمال: (٦/٤٢)، وتقريب التهذيب: (ص٢٦٠).

(٦) تقدم تخريجه (ص ١٦١).

النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخمًا مفخّمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر...[1].

وأما دلالة صفة وجهه على نفي الكذب عنه فقد جاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت وجهَ رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: **(أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام)**[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

أن نظرة واحدة في وجهه دالة على صدقه، وهذا من أعظم الدلائل على نبوته...

وفي هذا يقول: عبد الله بن رواحة[3] رضي الله عنه:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ   كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ[4]

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٦١).

(٢) أخرجه أحمد: (٥/٤٥١) برقم: (٢٣٨٣٥)، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٤/٦٥٢) برقم: (٢٤٨٥)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل: (١/٤٢٣) برقم: (١٣٣٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٣/١٤) برقم: (٤٢٨٣) وغيرهم، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة: (٢/٦٨) برقم: (٥٦٩).

(٣) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد: صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدي غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. واستشهد في وقعة مؤتة.

انظر: سير أعلام النبلاء: (١/٢٣٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد: (٣/٥٢٥).

(٤) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة: (ص٢٢٤)، والروض الأنف في شرح غريب السير: (٢/٤٦).

المبحث الثاني
كَسْرُ رَباعيته وشَجَّ جبينه ودخول حلقة المغفر في وجنته ﷺ ودلالته على بشريته

عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رَباعيته وهشمت البيضة[1] على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ كُسرت رَباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: (**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله**). فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه

(١) البيضة هي: ما يلبس في الرأس من آلات السلاح، وهي الخوذة. انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١١٤/٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨. والحديث رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد: (١٤١٧/٢) برقم: (١٧٩١)، وعلقه البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ مجزوماً به.

فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اشتدّ غضب الله على من قتله النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سبيل الله، اشتدّ غضب الله على قوم دمّوا وجه نبيّ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2].

"قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر، ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات، وتلبيس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم"[3].

فجرح وجهه عليه الصلاة والسلام، ودخول حلقة المغفر في وجنتيه، وخروج الدم، وطريقة معالجته، دلالة على بشريته ﷺ، وتمكن الأعداء منه فيما دون القتل باب من أبواب الرفعة في الأجر والثواب، ولتعرف الأمة وغيرهم ما أصابه عليه الصلاة والسلام في تبليغ رسالة ربه سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾: (١٢٨٢/٣) برقم: (٣٢٩٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد: (١٤١٧/٣) برقم: (١٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد: (١٤٩٦/٤) برقم: (٣٨٤٦).

(٣) شرح النووي: (٢٤٨/٦).

المبحث الثالث

الجمع بين ما ورد من إعطاء الله النبيَّ ﷺ الحُسْنَ كله وبما جاء أن أهل الجنة يدخلون على صورة يوسف عليه السلام

المسألة الأولى:

إن هذه المسألة متعلقة بالصورة التي يدخل بها المؤمنون الجنة، فالذي عليه النصوص الثابتة من حيث العموم: أن أهل الجنة يدخلون على صورة أبيهم آدم عليه السلام، وذلك لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن**)[1].

وفي رواية عنه أيضاً: (**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة**[2] **الألنجوج عود الطيب، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة**

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٢).

(٢) المَجامر: جَمْع مِجْمَر ومُجْمَر، فالمِجْمَر بكسر الميم هو الذي يوضع فيه النار للبخور. والمُجْمَر بالضَّم: الذي يتبخر به، ومعنى الحديث: أي أن يُبخرونهم بالأَلُوَّة وهو العُود. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١/٢٩٣).

أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء)[1].

قال العيني: "فكل من يدخل الجنة على صورة آدم أي كل من يرزقه الله تعالى دخول الجنة يدخلها وهو على صورة آدم في الحسن والجمال ولا يدخل على صورته التي كان عليها من السواد إن كان من أهل الدنيا السود، ولا يدخل أيضاً على صورته التي كان عليها بوصف من العاهات والنقائص"[2].

"على صورة أبيهم آدم، وقال في الأول: على صورة القمر، والتوفيق بينهما بأن يقال: الكل على صورة آدم في الطول والخلقة، وبعضهم في الحسن كصورة القمر نورًا وإشراقًا، وقوله: في السماء، أي: في العلو والارتفاع، ويسمى كل ما علاك سماء"[3].

المسألة الثانية:

جاء حديثان يدلان على أن دخول أهل الجنة الجنة يكون على صورة يوسف عليه السلام:

الحديث الأول: ما رواه ابن أبي الدنيا قال: حدثنا القاسم بن هاشم، ثنا صفوان بن صالح، قال: حدثني رواد بن الجراح العسقلاني، ثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **(يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم عليه السلام، ستون ذراعاً بذراع الملك،على حسن يوسف، على ميلاد عيسى، ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد ﷺ، جرد مرد**[4] **مُكحلون)**[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم...: (١٢١٠/٣) برقم: (٣١٤٩)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة...: (٢١٧٩/٤) برقم: (٢٨٣٤).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (١٢٧/٢٣)

(٣) المصدر نفسه: (١٢٨/٢٣)

(٤) الأجرد الذي ليس على بدنه شعر... والمراد بالحديث: أي لا شعر على أبدانهم ولا لحاهم. انظر: النهاية في غريب الحديث: (٧٢٧/١)، وفيض القدير: (٨٥/٣).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في صفة أهل الجنة: (ص ٢٢٤) برقم: (٢١٠).

وهذا الحديث ضعيف وذلك لما يلي:

أولاً: اختلف في سماع هارون بن رئاب من أنس بن مالك:

قال صاحب كتاب جامع التحصيل: "هارون بن رئاب، روى عن أنس رضي الله عنه فقيل: إن في ذلك مرسل، ذكره في التهذيب"[١].

وقال الألباني رحمه الله تعالى: ".... فإن هارون بن رئاب قد اختلف في سماعه من أنس، فإذا لم يثبت سماعه منه ترجح الإعضال، لأن أنساً متأخر الوفاة كما هو معروف، فإذا لم يسمع منه، فلأن لا يصح له السماع من غيره أولى"[٢].

ثانياً: في السند راوٍ ضعَّفه كثير من أهل العلم يقال له: رواد بن الجراح أبو عصام العسقلاني:

١- قال البخاري: كان قد اختلط، لا يكاد يقوم حديثه ليس له كثير حديث قائم.
٢- وقال أبو حاتم: تغير حفظه في آخر عمره، وكان محله الصدق.
٣- وقال النسائي: ليس بالقوي، روى غير حديث منكر، وكان قد اختلط.
٤- وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه الناس عليه، وكان شيخًا صالحًا، وفي حديث الصالحين بعض النكرة، إلا أنه يكتب حديثه.
٥- وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويخالف.
٦- وقال يعقوب بن سفيان ضعيف الحديث، وقال الدارقطني: متروك[٣].

الحديث الثاني: عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يحشر ما بين السقط إلى الشيخ الفاني يوم القيامة في خلق آدم، وقلب أيوب، وحسن يوسف، مردًا مكحلين**)، قلنا: يا نبي الله، فكيف بالكافر؟ قال: (**يعظم للنار حتى يصير**

---

(١) جامع التحصيل: (ص٢٩٢).

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة: (٥/٢٠٣).

(٣) انظر: تهذيب التهذيب: (٣/٢٥٠).

غلظ جلده أربعين ذراعًا، وقريضة الناب من أسنانه مثل أحد)[1].

وهذا الحديث جاء من ثلاثة طرق:

الطريق الأول: من طريق يزيد بن سنان أبي فروة الرهاوي، قال: حدثني أبو يحيى الكلاعي عن المقدام، به.

وهذا الإسناد ضعيف بسبب يزيد بن سنان:

١- قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ضعيف.

٢- وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء .

٣- وقال ابن المديني: ضعيف الحديث.

٤- وقال النسائي: ضعيف متروك الحديث. وقال مرة: ليس بثقة.

٥- وقال ابن أبي داود: لم يرو شعبة عنه غير حديث واحد وفي حديثه لين.

٦- قال الدارقطني: ضعيف.

٧- وقال أبو زرعة: ليس بقوي.

٨- وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه[2].

الطريق الثاني: عن إسحاق بن إبراهيم بن زبريق الحمصي، ثنا عمرو بن الحارث،عن عبدالله بن سالم عن محمد بن الوليد بن عامر، أن المقدام بن معدي كرب: حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: **(ما من أحد يموت، سقطًا ولا هرمًا -وإنما الناس فيما بين ذلك- إلا بعث ابن ثلاثين سنة، فمن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم، وصورة يوسف، وقلب أيوب، ومن كان من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال)**[3].

---

(١) أخرجه البغوي في معجم الصحابة: (١٤٨/٥) برقم: (٢١٢٦)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢١٥/١٥) برقم: (١٧٠٥٤)، وأبو نعيم الأصفهاني في صفة الجنة: (٣٢١/١) برقم: (٢٦٨)، والبيهقي في البعث والنشور: (٢٣١/١) برقم: (٤١٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمسق": (١٩٣/٦٠).

(٢) انظر: تهذيب التهذيب: (٢٩٤/١١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٢١٥/١٥) برقم: (١٧٠٥٣)، وفي مسند الشاميين: =

وهذا السند ضعيف لأمرين:

الأمر الأول: فيه عمرو بن الحارث الحمصي، قال الذهبي: تفرد بالرواية عنه إسحاق بن إبراهيم زبريق، ومولاة له اسمها: علوة، فهو غير معروف العدالة.

وابن زبريق ضعيف(1).

الأمر الثاني: فيه إسحاق والد عمرو -وهو إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، بن زبريق-؛ ضعفه الذهبي، وقال الحافظ: "صدوق يهم كثيراً، وأطلق محمد بن عوف أنه يكذب"(2).

الطريق الثالث: ما رواه أبو نعيم في "صفة الجنة" قال: حدثنا أبو محمد بن ماسي، ثنا أحمد بن أبي عوف، ثنا عيسى بن مساور، ثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليم ابن عامر، عن المقدام بن معدي كرب به...(3).

قال الألباني رحمه الله تعالى: "فالإسناد صحيح لولا عنعنة الوليد بن مسلم"(4).

ومما تقدم يظهر أن أفراد هذه الأسانيد ضعيفة، ولكنها قد تقوى بمجموع الشواهد والطرق، ولذلك حسنه المنذري(5) وصححه الألباني(6).

المسألة الثالثة: مسألة إعطاء النبي ﷺ الحسن كله.

فهذه المسألة لم أقف على نص صريح يدل عليها، وهذا لا يمنع من حسنه وجماله عليه الصلاة والسلام، وقد تقدم ما ورد من أحاديث وروايات تدل على حسنه وبهائه عليه الصلاة والسلام.

(٣/٨٢) برقم: (١٧٣٩)، والبيهقي في البعث والنشور: (١/٢٣٢) برقم: (٤١١).

(١) انظر: ميزان الإعتدال: (٣/٣٥١)، والسلسلة الصحيحة: (٦/٤٥).

(٢) انظر: تقريب التهذيب: (ص ٣٣٠)، والسلسلة الضعيفة: (١١/٨٢).

(٣) صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني: (١/٣٢١) برقم: (٢٦٨).

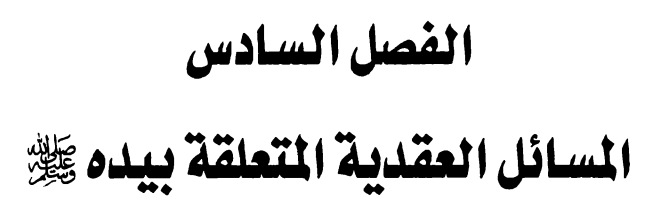
(٤) السلسلة الصحيحة: (٦/٤٥).

(٥) انظر: الترغيب والترهيب: (٤/٢٧٤).

(٦) انظر: السلسلة الصحيحة: (٦/٤٧) برقم: (٢٥١٣).

المسألة الرابعة: لو صحت روايات دخول أهل الجنة على صورة يوسف عليه الصلاة والسلام، فإنها لا تعارض ما أعطي النبي ﷺ من الحسن والبهاء، بل تعد من اختصاصه وفضله ورفعة درجته عند الله تعالى، فإن ما ناله النبي ﷺ من البهاء والحسن والجمال يعتبر مما خصه الله به، لا يشاركه فيه أحد، وهذا لا غرابة فيه فقد خصه الله بمنازل لم تكن لغيره، فقد قال ﷺ: (**سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**)[1]. وهذا منه، والله تعالى أعلم.

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٣٨).



الفصل السادس

المسائل العقدية المتعلقة بيده ﷺ

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: مبايعته ﷺ بيده عن الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

المبحث الثاني: بسط يده ﷺ عن عثمان في بيعة الرضوان، ودلالة ذلك على فضل عثمان رضي الله عنه.

المبحث الثالث: خروج الماء من بين أصابع يده ﷺ.

المبحث الرابع: خنقه ﷺ للعفريت الذي أراد أن يربطه بسارية من سواري المسجد.

المبحث الخامس: الاستشفاء بالمسح بيده ﷺ.

المبحث السادس: وصف يده الكريمة ﷺ بالعطاء والإنفاق.

المبحث السابع: لا يخط ولا يكتب بيده، ودلالة ذلك العقدية.

المبحث الثامن: رفع يديه وسبابته ﷺ عند الدعاء إشارة إلى علو الله تعالى.

المبحث التاسع: القبض والبسط في حديث ابن عمر.

المبحث العاشر: إشاراته بيده ودلالالتها العقدية.

المبحث الأول

مبايعته ﷺ بيده عن الله في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1]

للناس في دلالة هذه الآية الكريمة وموقفهم كما في ردود أئمة أهل السنة والجماعة على المخالفين أربعة أقوال:[2]

القول الأول: أن مبايعته ﷺ إشارة لعلو فضله وفضل أصحابه رضوان الله عليهم، وتقرير إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف، وفيها دليل على علو الله تعالى، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة[3].

القول الثاني: استدل بهذه الآية الكريمة نفاة الصفات[4] على نفي صفتي اليد لله تعالى

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٥/٩٧-٩٨)، وانظر أيضاً: (٢/٣٣٠)، (٢/٣٧٥).

(٣) انظر: الفقه الأبسط: (ص٥٦)، والإبانة عن أصول الديانة: (١/١٢٥).

(٤) قلت: ولهؤلاء النفاة درجات في النفي:

١- الجهمية: الذين ينفون الأسماء والصفات جميعاً ويوافقهم على هذا المذهب كثير من الفلاسفة والباطنية وغيرهم الذين يصفونه بالسلوب والإضافات.

٢- المعتزلة: الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات، ولكن إثباتهم للأسماء لا يفيدهم شيئاً لأنهم يقولون إنها أعلام محضة لا تدل على صفات أو القول: عليم بلا علم وقدير بلا قدرة.

٣- الأشاعرة والماتريدية الذين يثبتون الأسماء وبعض الصفات، ويتأولون بعضها على اختلاف بينهم ويفوضون معانيها.

٤- بعض الغلاة الذين قالوا: إن أثبتنا الصفات شبهناه بالموجودات، وإن نفيناها شبهناه بالمعدومات، ولذا فالأولى سلب النقيضين عنه فيقال: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، وبعضهم =

وعلوه على خلقه[1].

القول الثالث: استدل الجبرية[2] بهذه الآية الكريمة على أن أفعال العباد كلها فعل الله[3].

القول الرابع: القائلون بأن المبايع للصحابة هو الله تعالى، وليس النبي ﷺ، على مذهب أهل الحلول والاتحاد من غلاة الصوفية وغيرهم[4].

مناقشة هذه الأقوال:

أولاً: اختلف في تفسير هذه الآية على قولين[5]:

القول الأول: يد الله فوق أيديهم عند البيعة، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ.

والقول الثاني: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله

=

يقول: لا موجود وليس بموجود ولا معدوم ولا ليس بعدوم وهكذا، وهؤلاء غلاة القرامطة والباطنيّة الملاحدة".

انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة : (١٠٣١/٣) ، وانظر: مجموع الفتاوى: (١١٣/٥-١١٧).

(١) كتاب المواقف - الإيجي: (١٥٣/٣)، وانظر: الإبانة للأشعري: (ص٩٥)، والتمهيد للباقلاني: (ص٢٩٥)، والعقيدة النظامية: (ص٣٤).

(٢) الجبرية قسمان:

القسم الأول: الجبرية المحضة: وهم القائلون: إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله، ليس للعبد فيها إرادة ولا مشيئة ولا اختيار، بل هم المجبورون عليها

والقسم الثاني: أثبتوا قدرةً وتأثيرًا للعبد لا حقيقة لها في إيجاد الفعل. سموه: الكسب. انظر: الفرق بين الفرق: (ص٢١١)، وشرح المواقف للزنجاني: (٢٣٧/٩).

وذهبت المعتزلة إلى نقيض قولهم: فقالوا: إن أفعال العباد هم خالقوها، وليست مخلوقة لله تعالى. انظر: المغني في أبواب التوحيد: (٤٨/٥-٥١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٩٠/٢ و٣٣٠).

(٤) المصدر نفسه ونفس الصفحات.

(٥) انظر: تفسير الطبري: (٢٥٤/٢١).

ﷺ على نصرته على العدو...»[١].

ويندرج تحت هذا القول أقوال عدة:

منها: أن المراد التشديد في أمر البيعة وعدم النكث.

وكلا القولين بمفهوم أهل السنة والجماعة وسلف الأمة لا إشكال فيهما، وذلك أن الأول فسر بدلالة المطابقة، والثاني بدلالة اللزوم أوالتضمن، وكل هذه الدلائل معتبرة في الشرع ولغة العرب التي أنزل بها القرآن الكريم[٢].

على هذا فإن أهل السنة والجماعة يثبتون حقيقة الصفة بما يليق بالله تعالى[٣] ولازمها ومضمونها، وأما المتكلمون فيثبتون تأويلاً يدل على لازمها أو مضمونها، ولكن ينفون حقيقتها الذي دل اللفظ عليها بالمطابقة، أي أنهم ينفون الصفة التي دل عليها ظاهر اللفظ بشبهة أن إثبات الظاهر يستلزم التشبه والتجسيم[٤].

وقد خالف المتكلمون في هذه المسألة فنفوا صفة اليد الثابتة لله تعالى الواردة بهذه الآية وغيرها وأولوها عن ظاهرها، وقالوا: هي بمعنى القدرة والقوة والملك والعلم والرزق والبسط وغير ذلك من تأويلاتهم[٥].

والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وذلك لدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

قال الإمام أبو بكر بن خزيمة رحمه الله: "والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في

---

(١) المصدر نفسه: (٢١/٢٥٤).

(٢) انظر: اتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي: (١/١١٥).

(٣) انظر: التوحيد لابن خزيمة: (ص٥٦)، وانظر: مقالات الإسلاميين: (١/٣٤٥)، والإبانة للأشعري: (ص٤١)، ولوامع الأنوار البهية: (١/٢٣١).

(٤) انظر: أصول الدين للبغدادي: (ص١١٠)، وشرح المواقف: (ص١٧٦)، وشرح العقيدة الطحاوية: (ص٤٦٣).

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادي: (ص١١٠)، والإرشاد للجويني: (ص١٥٥)، وشرح الأصول الخمسة: (ص٢٢٨)، والعدل والتوحيد: (ص٢٦٢).

محكم تنزيله أنه خلق آدم بيديه.

قال عز وجل لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1].

وقال جل وعلا تكذيبًا لليهود حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[2] فكذبهم في مقالتهم وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4].

والبيان أن يد الله هي العليا كما أخبرنا الله في محكم تنزيله ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[5].

وأخبر النبي ﷺ أيضاً أن يد الله هي العليا أي فوق يد المعطي والمعطى جميعًا.

والآيات في هذا المعنى كثيرة[6].

وأما السنة:

١- فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**)[7].

٢- حديث الشفاعة، وفيه: (... **فيأتونه فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر؛**

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٧، وانظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة: (١/١١٥) بتصرف يسير.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٦) انظر: المصدر نفسه: (١/١١٨).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة: (٢١١٣/٤) برقم: (٢٧٥٩).

خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه...)[1].

٣- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: (**إن الله عز وجَل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك...)**[2].

٤- حديث: (**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة... وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع)**[3].

٥- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: (**يأخذ الجبار عز وجل سماواته وأرضيه بيديه)**[4].

وقد قال الإمام الآجري رحمه الله: "يقال للجهمي الذي ينكر أن الله خلق آدم بيده: كفرت بالقرآن، ورددت السنة، وخالفت الأمة..."[5].

وقال قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رداً على المؤولة: «إن لفظ (اليدين) بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأنَّ من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[6] ولفظ الجمع في الواحد، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾[7] ولفظ الجمع في الاثنين، كقوله: ﴿فَقَدۡ

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار: (٥/٢٣٩٨) برقم: (٦١٨٣)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً: (٤/٢١٧٦) برقم: (٢٨٢٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾: (٦/٢٦٩٧) برقم: (٦٩٧٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾: (٦/٢٦٩٧) برقم: (٦٩٧٧)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار: (٤/٢١٤٨) برقم: (٢٧٨٨).

(٥) الشريعة للآجري: (٢/٣٢٦).

(٦) سورة العصر، الآية: ٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[١]، أمَّا استعمال لفظ الواحد في الاثنين، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عدد، وهي نصوص في معناها، لا يتجوز بها، ولا يجوز أن يقال: عندي رجل، ويعني: رجلين! ولا: عندي رجلان، ويعني به الجنس! لأن اسم الواحد يدل على الجنس والجنس فيه شياع، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس، والجنس يحصل بحصول الواحد، فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٢] لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد...»[٣].

وقال ابن القيم: " كتأويل اليدين في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤] بالنعمة، ولا ريب أن العرب تقول: لفلان عندي يد، وقال عروة بن مسعود للصدّيق: لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك[٥]. ولكن وقوع اليد في هذا التركيب الذي أضاف سبحانه فيه الفعل إلى نفسه ثم تعدى الفعل إلى اليد بالباء التي هي نظير: كتبت بالقلم وهي اليد وجعل ذلك خاصة خص بها صفيه آدم دون البشر، كما خص المسيح بأنه نفخ فيه من روحه وخص موسى بأنه كلمه بلا واسطة، فهذا مما يحيل تأويل اليد في النص بالنعمة، وإن كانت في تركيب آخر تصلح لذلك، فلا يلزم من صلاحية اللفظ لمعنى ما في تركيب صلاحيته له في كل تركيب"[٦].

كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٧].

لا يستلزم المماسة ليد الله تعالى؛ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين، لأن يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥ .

(٣) مجموع الفتاوى: (٦/٣٦٥).

(٤) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: (٩/٢٥٦) برقم: (٢٥٢٩).

(٦) الصواعق المرسلة: (١/١٩٣).

(٧) سورة الفتح، الآية: ١٠.

يده فوق أيديهم، وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا، مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا"(١).

ثانيًا: وأما المستدلون بهذه الآية الكريمة على أن أفعال العباد كلها فعل الله فقبل مناقشة هذا الاستدلال وبيان بطلانه يجب تحديد موضع النزاع، فموضع النزاع يتعلق بالعبد: هل له قدرة ومشيئة في أفعاله وهل هو فاعل لفعله حقيقة؟(٢).

وتقدم ذكر أقوال المخالفين في هذه المسألة، والمذهب الحق هو: أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وهي فعل لهم على الحقيقة، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وعليه إجماعهم، حيث أخذوا بجميع نصوص المذهبين، فأثبتوا فعلاً لله تعالى، وفعلاً للمخلوق لا يخرج عن مشيئة الله وقدرته.

ولتوضيح مذهب أهل السنة والجماعة يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: "قول القائل: هذا فعل هذا، وفعل هذا: لفظ فيه إجمال، فإنه تارة يراد بالفعل نفس الفعل، وتارة يراد به مسمى المصدر، فيقول: فعلت هذا أفعله فعلاً، وعملت هذا أعمله عملاً، فإذا أريد بالعمل نفس الفعل الذي هو مسمى المصدر كصلاة الإنسان وصيامه ونحو ذلك، فالعمل هنا هو المعمول، وقد اتحد هنا مسمى المصدر والفعل، وإذا أريد بذلك ما يحصل بعمله كنساجة الثوب وبناء الدار ونحو ذلك، فالعمل هنا غير المعمول، قال تعالى: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍ ﴾(٣) فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن، ومن هذا الباب: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(٤) أي والله خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها... والمقصود أن لفظ "الفعل" و"العمل" و"الصنع"

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: (ص ٧٤).

(٢) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة...: (ص ٣٠١).

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

أنواع وذلك كلفظ البناء والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر، وعلى المفعول وكذلك لفظ "التلاوة" و"القراءة" و"الكلام" و"القول" يقع على نفس مسمى المصدر، وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام، فيراد بالتلاوة والقراءة نفس القرآن المقروء المتلو، كما يراد بها مسمى المصدر.

والمقصود هنا أن القائل إذا قال: هذه التصرفات فعل الله أو فعل العبد، فإن أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين، وبصريح العقل، ولكن من قال: هي فعل الله وأراد به أنها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات فهذا حق"[1].

- ثم بين رحمه الله الفرق بين أهل السنة ومن خالفهم في هذه المسألة فقال: "وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا، فيقولون: هذه مخلوقة لله مفعولة لله ليست هي نفس فعله، وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً مفعولة له إذا أريد بالفعل المفعول، فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين الفعل والمفعول قال: إنها فعل الله تعالى وليس لمسمى فعل الله عنده معنيان، وحينئذ فلا تكون فعلاً للعبد ولا مفعولة له بطريق الأولى، وبعض هؤلاء قال: هي فعل للرب وللعبد فأثبت مفعولاً بين فاعلين وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون إلا بمعنى مفعوله، مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول، فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسألة على الطائفتين وحاروا فيها.

وأما من قال: خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته، قال: إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات، و لم يقل: إنها نفس فعل الرب وخلقه، بل قال: إنها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة، فإنه يقال: الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له كما يفعلها العبد وتقوم به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره، كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح والأشكال والمقادير والحركات وغير ذلك، فإذا كان قد خلق لون الإنسان لم يكن هو المتلون به، وإذا خلق رائحةً منتنة

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٢١/٨).

أو طعماً مرّاً أو صورةً قبيحةً ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والأفعال القبيحة، ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه، وجالبة لألمه وعذابه، وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به، لا على الخالق الذي خلقها فعلاً لغيره"[1].

ثالثًا: وأما استدلال الجبرية ومن وافقهم بهذه الآية على مذهبهم.

فالجواب: أن يقال: إن قولكم باطل من وجوه:

الوجه الأول: أثبتت الآية الكريمة فعلاً للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾[2] فكاف الخطاب في الآية أثبتت فعلاً للنبي ﷺ.

الوجه الثاني: يستلزم أنه لا فرق عندهم بين أفعال المؤمنين والكفار والبهائم وحركات الجمادات؛ فإن مرادهم أن كل ما سوى الله فهو فعله أي مفعوله، وعلى قول هؤلاء فلا فرق بين فعل الرسول وغيره[3].

الوجه الثالث: من جعل مبايعة الرسول مبايعة لله لأجل أن الله خالق كل شيء نظرًا منه إلى القيومية الشاملة لكل مخلوق لزمه أن يكون من بايع الكفار والفساق مبايعًا لله لأن الله خالق كل شيء، فيكون هؤلاء قد جعلوا مبايعة خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه كمبايعة فرعون وأمثاله من المشركين، وهذا يقع فيه كثير ممن يلحظ القيومية الشاملة العامة المتناولة لكل مخلوق، وهؤلاء من أكفر الخلق ويجعلون هذا منافيًا للأمر والنهي، وهم من جنس الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[4][5].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٨/١٢٢-١٢٣).

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/١٣٧).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٥) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/٣١٩).

الوجه الرابع: أن تفضيل الرسول ﷺ من جهة كون الله تعالى أرسله مبلغًا لأمره ونهيه مبينًا لما يحبه ويرضاه وما يبغضه ويسخطه، فما أمر به الرسول ﷺ فالله أمر به، وما نهى عنه فالله نهى عنه، ومن بايعه وعاهده وعاقده على أن يطيعه في الجهاد إذا أمره به وأن لا يفر، أو على أن يقاتل حتى يموت، كما بايعه المسلمون تحت الشجرة فهم معاهدون الله تعالى معاقدون له على طاعته فيما أطاعوا فيه الرسول ﷺ وكذلك الذين بايعوه قبل ذلك ليلة العقبة لما بايعه الأنصار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[1][2].

فسمعهم وطاعتهم لما أمرهم ومعاهدتهم على ذلك هو سمع وطاعة لله تعالى ومعاهدة له، وعهد الله إلى خلقه وهو أمره ونهيه الذي بلغته رسله والتخصيص والتفضيل يظهر في الوفاء به ومتابعة الرسل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[3] أي: أوفوا بأمري أوف بوعدكم الذي وعدتكم على الوفاء به، فإن المبايعة والمعاهدة تتضمن المعاوضة من الجانبين، فهم إذا أوفوا بما عاهدوا الله عليه من الطاعة وَفَى الله تعالى بما عاهد عليه من الأجر والثواب، كما قالت الأنصار للنبي ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ولأصحابك. فقال: (**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أبناءكم ونساءكم، ولأصحابي أن تواسوهم**) قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: لكم الجنة. قالوا: امدد يدك، فوالله لا نقيلك ولا نستقيلك[4].

فهم لما عاهدوه على هذا ليطيعوه فيه قد عاهدوا ربه عز وجل الذي أمرهم بذلك، والله تعالى هو الذي يوفي بعهدهم فيدخلهم الجنة، وفي الحديث الصحيح عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: (**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧.

(٢) المصدر نفسه: (١/٣٢٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره: (١١/٣٥).

أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها حين يصبح موقنًا بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها حين يمسي موقنًا بها فمات من ليلته دخل الجنة)[1]"[2].

والمقصود هنا الكلام على قول هذا الرجل الذي ضاهى المشركين الحلولية من النصارى وغالية الشيعة وجهال الصوفية حيث قال: إن الله تعالى ينزل المقربين منزلة نفسه تارة، وينزل نفسه منزلتهم في الأفعال والأوصاف تارة فإن هذا كلام مخالف لدين المسلمين وسنبين جهله وخطأه فيما تأوله على ذلك من القرآن والحديث، فنقول:

أما قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] فليس فيها أن نفس الفعل القائم بالرسول ومخاطبته لهم ومد يده لمبايعتهم هو نفس فعل الله ومخاطبته ومبايعته، بل فيها أن من بايع الرسول فقد بايع الله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[4] وكما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني)**[5]"[6].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة: (٥/٢٣٢٣) برقم: (٥٩٤٧).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/٣٢٠).

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٥) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/٣١٦).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام: (٣/١٠٨٠) برقم: (٢٧٩٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء: (٣/١٤٦٦) برقم: (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ثم إن الآية يمتنع أن يراد بها الحلول، فإنه قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] ويد النبي ﷺ كانت مع أيديهم لا فوقها، فلم تكن يده يد الله ولأنه قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] و لم يقل: فإنك تؤتيه، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[3] و لم يقل: إنك أنت علمت ما في قلوبهم ولا أنزلت السكينة عليهم[4].

وقال ابن تيمية أيضاً: "ومعلوم أن يد النبي ﷺ كانت مع أيديهم كانوا يصافحونه ويصفقون على يده في البيعة، فعلم أن ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ليست هي يد النبي ﷺ ولكن الرسول عبد الله ورسوله، فبايعهم عن الله وعاهدهم وعاقدهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم. ألا ترى أن كل من وكل شخصًا يعقد مع الوكيل كان ذلك عقدًا مع الموكل؟ ومن وكل نائبًا له في معاهدة قوم فعاهدهم عن مستنيبه كانوا معاهدين لمستنيبه؟ ومن وكل رجلاً في إنكاح أو تزويج كان الموكل هو الزوج الذي وقع له العقد؟ وقد قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[5] ولهذا قال في تمام الآية: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[6]"[7].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٤) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة: (١/٣٦٧).

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٦) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٧) مجموع الفتاوى: (٢/٣٣٤).

المبحث الثاني
بسط يده ﷺ عن عثمان في بيعة الرضوان، ودلالة ذلك على فضل عثمان رضي الله عنه

روى البخاري وغيره أنه لما كان يوم بيعة الرضوان تأخر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان قد بعثه النبي ﷺ مفاوضًا لقريش، وشيع بمقتله رضي الله عنه وبسبب ذلك بايع النبي ﷺ أصحابه البيعة المشهورة ببيعة الرضوان، وفيها أن النبي ﷺ بسط بيده اليمنى وقال: (**هذه يد عثمان**) فضرب بها على يده فقال (**هذه لعثمان**)[1].

وفي هذه المبايعة دليل على فضل هذا الصحابي الجليل وثالث الخلفاء الراشدين، ورد على أهل الزيغ والضلال الطاعنين بفضله من الخوارج والرافضة ومن سار على شاكلتهم من العقلانيين.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان...: (١٣٥٢/٣) برقم: (٣٤٩٥).

المبحث الثالث

خروج الماء من بين أصابع يده ﷺ

وقد وقع من هذا شيء كثير من النبي ﷺ، نذكر طرفاً منه.

فمن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ، فجهش الناس نحوه فقال: **(ما لكم)**؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مئة[1].

وعن أنس بن مالك، ﷺ، أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنّا نعدُّ الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلَّ الماء، فقال: **(اطلبوا فضلة من ماء)** فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: **(حيَّ على الطَّهور المبارك، والبركة من الله)** فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنّا نسمع تسبيح

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (٣/١٣١٠) برقم: (٣٣٨٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام...: (٣/١٤٨٤) برقم: (١٨٥٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (٣/١٣٠٩) برقم: (٣٣٨٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ: (٤/١٧٨٣) برقم: (٢٢٧٩).

الطعام وهو يأكل[١].

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء، فأتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء، فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، قال أنس: فحزرت من توضأ ما بين السبعين إلى الثمانين[٢].

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: " قال عياض: هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة، وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته"[٣].

وقال أيضاً: "وقد وقع نبع الماء من بين أصابعه في عدة مواطن"[٤].

قال القرطبي: "قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي"[٥].

وقال القرطبي أيضا: "ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه، وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم، انتهى.

وظاهر كلامه أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع ويؤيده قوله في

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: (٣/١٣١٢) برقم: (٣٣٨٦).

(٢) هو رواية من حديث أنس المتقدم آنفاً.

(٣) فتح الباري: (٦/٥٨٤-٥٨٥).

(٤) المصدر نفسه: (٥/٣٣٧).

(٥) المصدر نفسه: (٦/٥٨٥).

حديث جابر الآتي: فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه.

وأوضح منه ما وقع في حديث ابن عباس عند الطبراني: فجاءوا بشن فوضع رسول الله ﷺ يده عليه ثم فرق أصابعه فنبع الماء من أصابع رسول الله ﷺ، مثل عصا موسى فإن الماء تفجر من نفس العصا، فتمسكه به يقتضي أن الماء تفجر من بين أصابعه، ويحتمل أن يكون المراد أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر، وكفه ﷺ في الماء، فرآه الرائي نابعًا من بين أصابعه، والأول أبلغ في المعجزة، وليس في الأخبار ما يرده وهو أولى"[1].

وفي هذه المعجزة التي منّها الله على نبيه محمد ﷺ فيها عدة مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الآيات والأعلام:

اختلفت المذاهب المنتسبة للإسلام في تعريف المعجزة على أقوال:

القول الأول: مذهب أهل السنة والجماعة ولهم في تعريفها نوعان:

النوع الأول: هي الأمر الخارق للعادة، لكن كثيرٌ من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل "المعجزة" للنبي و"الكرامة" للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة[2].

النوع الثاني: تسميتها: آيات وبراهين، وفي هذا يقول ابن تيمية: " والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار: معجزات، وتسمى: دلائل النبوة، وأعلام النبوة، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان"[3].

واستدل على ذلك ببعض النصوص القرآنية، منها:

قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ

(١) المصدر نفسه: (٦/٥٨٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١١/٣١٢).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤١٢).

كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[1].

وقال الله تعالى: في حق محمد ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾[2].

وقال أيضًا: "وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾"[5].

القول الثاني: مذهب المعتزلة أنها فعل خارق للعادة.

ولكن هذا التعريف فيه إجمال وعموم، يدخل فيها كل أمر خارق للعادة سواء من نبي أو من ولي أو من الشياطين أو من السحرة أو الكهنة.

واضطربوا في تحديد المعجزة اضطراباً أدى بهم إلى إنكار أمورٍ ثابتةٍ بالشرع والحس وغيره، فأنكروا بهذا كرمات الأولياء وخوارق السحرة لئلا يلتبس عندهم النبي بغيره.

القول الثالث: مذهب الأشاعرة:

عرفها الباقلاني: بأنها "أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء، وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك"[6].

وقال الجويني: "هي أفعال الله تعالى، الخارقة للعادة المستمرة الظاهرة، على حسب

---

(١) سورة القصص، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

(٥) سورة طه، الآية: ٢٢، وانظر: الجواب الصحيح: (٥/٤١٤).

(٦) الإنصاف. للباقلاني: (ص٥٤).

دعوى النبوة"(١).

وقال التفتازاني: " هي أمر خارق للعادة، مقرون التحدي، وعدم المعارضة..."(٢).

ومناقشة هذه التعاريف ومدلولاتها يأتي فيما يلي:

أولاً: المقصود بالخارق للعادة، لفظ العادة إذا أطلق فالأصل فيه: سنن الله المعتادة المنتظمة وفق تدبير الله عز وجل في كونه، فلكل خلق لله تعالى عادة أجراها لا تتبدل ولا تتغير.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان عادة الله تعالى في خلقه: "فإنّه قد علم عادته سبحانه في طلوع الشمس، والقمر، والكواكب، والشهور، والأعوام، وعادته في خلق الإنسان، وغيره من المخلوقات، وعادته فيما عرفه الناس؛ من المطاعم، والمشارب، والأغذية، والأدوية، ولغات الأمم"(٣).

المسألة الثانية: أن هذه المعجزة المتعلقة بخروج الماء من يده الشريفة يدل دلالة واضحة لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بعدم اشتراط التحدي لإظهار معجزات الرسل، خلافًا لمن اشترط في المعجزة والآية على صدق النبي: وجود التحدي، من الأشاعرة(٤).

فهذه المعجزة لم يشترط لها النبي ﷺ التحدي.

المسألة الثالثة: خروج الماء من بين أصابعه الشريفة وري الصحابة منه بعد العطش ووضوؤهم منه يدل أن هذه المعجزة شيء محسوس ومشاهد، وفي هذا رد على الفلاسفة الذين يعتبرون ما يحدث للأنبياء من معجزات إنما هو من قبيل قوى نفسية يتصرف بها

---

(١) لمع الأدلة. للجويني: (ص١١٠). والإرشاد للجويني أيضًا: (ص ٣١٧).

(٢) شرح المقاصد. للتفتازاني: (٥/١١).

(٣) النبوات. لابن تيمية: (٢/٩٥٨-٩٥٩).

(٤) انظر: الفقه الأكبر: (ص٧٤)، والمواقف في علم الكلام للإيجي: (ص٣٧٠) ط، علام الكتب، لوامع الأنوار البهية: (٢/٣٩٢) ط مكتبة أسامة، والإرشاد للجويني: (ص٣٠٢) ط الخانجي، والتعريفات: (ص١٦١) للجرجاني.

النبي في هيولي العلم، لا حقيقة له في الخارج، وهو أيضاً رد على العقلانيين الذين يؤولون هذه المعجزة[1].

وبين ذلك ابن تيمية في رده على الفلاسفة ومن تبعهم في إنكارهم المعجزات.

فقال رحمه الله تعالى[2]:

"والمقصود هنا أن نبين أنهم ينفون الشيء بلا علم والنافي عليه الدليل، كما على المثبت الدليل، فهم ليس معهم في كون هذه الآيات حادثة عن القوى النفسانية إلا مجرد التجويز والإمكان ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[3]، وأيضًا فلا دلالة لهم على إمكان كون النفوس تؤثر في مثل هذا أصلاً إلا مجرد قياس بعيد لا يقتضي ذلك.

فهذا أول الوجوه أن يقال: أنتم لا دليل لكم بكون هذه الآثار من قوى النفوس.

الوجه الثاني: أن يقال: من هذه الآثار أمور كثيرة تعترفون أنتم بأنه يمتنع كونها من آثار النفوس.

الوجه الثالث: أن يقال: الخوارق ثلاثة أنواع، منها ما هو من جنس الغَنَاء عن الحاجات البشرية، ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر، ومنها ما هو من جنس المقدورات الخارجة عن قدرة البشر، ولهذا قال نوح عليه السلام وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾[4] وقال الله تعالى لخاتم الرسل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[5] فالغناء من جنس الاستغناء عن الأكل والشرب مدة، والعلم من جنس الإخبار عن الغيوب، والقدرة من جنس الأفعال الشاقة

---

(١) انظر: الصفدية: (ص٧ و١٤٣)، والنبوات: (ص٢١٠).

(٢) انظر: الصفدية: (ص١٨٠- ١٨٤) بتصرف يسير.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٤) سورة هود، الآية: ٣١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

بدنه والتصرف في العناصر بالاستحالة والزلزلة ونحو ذلك، فهم إنما ذكروا سبب مثل هذا أما سبب انقلاب العصا حيّة، وخروج الناقة من الأرض، وأمثال ذلك، فهم معترفون بأنه غير ممكن ولا يمكنهم إحالة سببه على قوى النفس.

الوجه الرابع: أن يقال: النوع الذي يقولون عنه أنه لقوى النفس يؤثر تأثيرًا لا يدّعون أن تأثيره يبلغ إلى أن ينزل ماء الطوفان الذي غرق أهل الأرض ولا أن يرسل الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا التي أهلكت عادًا، ولا أن تقتلع قرى قوم لوط وتقلبها حتى هلك كل من فيها وأُتبعوا بحجارة تتبع الشارد منهم... ونحو ذلك من معجزات"[(١)].

المسالة الرابعة: التفريق بين ما يحدث للأنبياء من آيات وبين ما يحدث لغيرهم من خوارق العادة:

وهذه المسألة للناس فيها قولان:

القول الأول: وجوب التفريق بين ما يحدث للأنبياء من آيات، وبين ما يحدث للسحرة والكهنة من خوارق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

القول الثاني: عدم التفريق بينهم، يقول: إن ما يحدث للأنبياء من خوارق هو من جنس ما يحدث للسحرة.

قال الشهرستاني: "لا ننكر أن يظهر خارق للعادة على يد ساحر"[(٢)].

قال الباقلاني: "ما يظهر عند فعل الساحر من جنس بعض معجزات الرسل"[(٣)].

والصحيح هو المذهب الأول:

قال ابن تيمية: "إن ما يدل على النبوة هو آيةٌ على النبوة، وبرهانٌ عليها. فلا بُدّ أن يكون مختصّاً بها، لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم؛ فإنّ الدليل هو مستلزمٌ لمدلوله، لا يجب أن يكون أعمّ وجوداً منه، بل إما أن يكون مساوياً له في العموم والخصوص، أو

---

(١) انظر: الصفدية: (ص١٨٠-١٨٤).

(٢) نهاية الإقدام للشهرستاني: (ص٤٣٤).

(٣) البيان للباقلاني: (ص ٩٤).

يكون أخصّ منه. وحينئذٍ فآية النبيّ لا تكون لغير الأنبياء. لكن إذا كانت معتادة لكلّ نبيّ، أو لكثيرٍ من الأنبياء، لم يقدح هذا فيها، فلا يضرّها أن تكون معتادة للأنبياء[1].

وبين رحمه الله تعالى في موضع آخر الفرق بين جنس آيات الأنبياء وخوارق غيرهم فقال: "جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر، بل وعن مقدور جنس الحيوان.

وأمّا خوارق مخالفيهم؛ كالسحرة، والكُهّان؛ فإنّها من جنس أفعال الحيوان؛ من الإنس، وغيره من الحيوان، والجنّ؛ مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره؛ فهذا أمرٌ مقدورٌ، معروفٌ للنّاس بالسّحر، وغير السّحر؛ وكذلك ركوب المكنسة، أو الخابية، أو غير ذلك؛ حتّى تطير به، وطيرانه في الهواء من بلد إلى بلد؛ هذا فعلٌ مقدورٌ للحيوان؛ فإنّ الطير يفعل ذلك، والجنّ تفعل ذلك. وقد أخبر الله أنّ العفريت قال لسليمان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[2] وهذا تصرّف في أعراض الحيّ؛ فإنّ الموت والمرض والحركة أعراضٌ، والحيوان يقبل في العادة مثل هذه الأعراض، ليس في هذا قلب جنس إلى جنس، ولا في هذا ما يختصّ الربّ بالقدرة عليه، ولا ما يختصّ به الملائكة.

وكذلك إحضار ما يُحضر من طعامٍ، أو نفقة، أو ثياب، أو غير ذلك من الغيب. وهذا إنّما هو نقل مالٍ من مكانٍ إلى مكانٍ. وهذا تفعله الإنس والجنّ، لكن الجنّ تفعله، والنّاس لا يُبصرون ذلك. وهذا بخلاف كون الماء القليل نفسه يفيض حتى يصير كثيراً، بأن ينبع من بين الأصابع من غير زيادة يُزادها. فهذا لا يقدر عليه إنسيّ ولا جنّي"[3].

وقال أيضًا: "فما اختصّ به النبيّ من العلم خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ، وما اختصّ به من المقدورات خارجٌ عن قدرة الإنس والجنّ"[4].

وقال: "لا بُدّ في آيات الأنبياء من أن تكون مع كونها خارقةً للعادة أمراً غيرَ معتاد لغير الأنبياء، بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذي أرسل الأنبياء، ليس مما يقدر عليه غير

(١) النبوات لابن تيمية (١/١٦٣).

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٩.

(٣) النبوات لابن تيمية: (١/١٤٤-١٤٥).

(٤) المصدر نفسه: (١/١٥٠).

الأنبياء، لا بحيلة، ولا عزيمة، ولا استعانة بشياطين، ولا غير ذلك"[1].

المسألة الخامسة: مكانة المعجزة في دلالة النبوة:

القول الأول: أهل السنة والجماعة: يقولون: أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات.

القول الثاني هو قول أكثر المتكلمين: حصر دلالة النبوة في المعجزة.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: "يجب أن يعلم أن صدق مدعي النبوة لم يثبت بمجرد دعواه، وإنما يثبت بالمعجزات"[2].

ويقول إمام الحرمين الجويني: "فصل: لا دليل على صدق النبي غير المعجزة"[3].

وقال: التفتازاني: "طريق إثبات النبوة على الإطلاق على المنكرين هو المعجزة لا غير"[4].

والصحيح هو ماذهب إليه أهل السنة والجماعة، وذلك لما يلي:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذه الطريقة: "هي من أتم الطرق عند أهل الكلام والنظر حيث يقررون نبوة الأنبياء بالمعجزات، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء، لكن كثير من هؤلاء بل كل من بنى إيمانه عليها يظن أن لا نعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، ثم لهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرق متنوعة وفي بعضها من التنازع والاضطراب ما سننبه عليه، والتزم كثير من هؤلاء إنكار خرق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر ونحو ذلك، وللنظار هنا طرق متعددة، منهم من لا يجعل المعجزة دليلاً، بل يجعل الدليل استواء ما يدعو إليه وصحته وسلامته من التناقض كما يقول طائفة من النظار، ومنهم من يوجب تصديقه بدون هذا وهذا، ومنهم من يجعل المعجزة دليلاً ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة وهذا أصح الطرق،

---

(١) المصدر نفسه: (١/١٩٥).

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. للباقلاني: (ص ٥٨).

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين. للجويني: (ص٣٣١).

(٤) شرح المقاصد. للتفتازاني: (٥/١٩).

ومن لم يجعل طريقها إلا المعجزة اضطر لهذه الأمور التي فيها تكذيب لحق أو تصديق لباطل"[1].

قال شارح العقيدة الطحاوية: "الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر: تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثيرًا منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة ... ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات"[2].

بين شارح الطحاوية رحمه الله تعالى أنه توجد دلائل على نبوتهم غير المعجزة من وجوه متعددة: منها:

- أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم.

- ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه -كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم- عرف صدق الرسل.

- ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاءوا به من المصلحة والرحمة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم -ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق[3].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية: (١/١٢٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر: (ص ١٠٩) طبعة وزارة الأوقاف.

(٣) المصدر نفسه: (ص ١١٥).

المبحث الرابع

خنقه ﷺ للعفريت وإرادته أن يربطه بسارية من سواري المسجد

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (**إن عفريتًا من الجن تفلّت علي البارحة، أو كلمة نحوها – ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ﴾**[1])[2].

وفي هذا الحديث دلالة على عصمة الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، كما فيه دلالة لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من وجود الجن، وقد تقدم بيانه.

وفيه دلالة على فضل النبي ﷺ.

قال ابن تيمية:"والذي أوتيه ﷺ أعظم مما أوتيه سليمان؛ فإنه استعمل الجن والإنس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض يرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبدًا رسولاً على أن يكون نبيًّا ملكًا، فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الأبرار أصحاب اليمين..."[3].

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٩٥).

(٣) مجموع الفتاوى: (٨٩/١٣).

المبحث الخامس

الاستشفاء بالمسح بيده ﷺ

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: (**أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**). فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذتُ بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال: (**اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى**). قالت: فذهبت أنظر فإذا هو قد قَضى"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي[2].

وعن قيس بن طلق عن أبيه ﷺ: أنه لدغته عقرب عند النبي ﷺ فرقاه النبي ﷺ ومسح بيده[3].

وفي هذا الاستشفاء بيده عليه الصلاة والسلام دلالة من دلائل نبوته، وقيل: "مسحه الوجع بيده في الرقية تفاؤلاً لذهاب الوجع لمسحه بالرقي". والله أعلم[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ: (٥/٢١٦٨) برقم: (٥٤١١)، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: (٤/١٧٢١) برقم: (٢١٩١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته: (٤/١٦١٤) برقم: (٤١٧٥)، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض: (٤/١٧٢١) برقم: (٢١٩٢).

(٣) أخرجه أحمد: (٤/٢٣) برقم: (١٦٣٤١)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: (٤/٤٦١) برقم: (٨٢٨١) وصححه، وقال الذهبي: "صحيح".

(٤) شرح البخاري لابن بطال: (١٨/٤٠).

المبحث السادس

وصف يده الكريمة ﷺ بالعطاء والإنفاق

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا[1].

وعن موسى بن أنس عن أبيه ﷺ قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطى عطاءً لا يخشى الفاقة[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل -عليه السلام- يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل -عليه السلام- كان أجود بالخير من الريح المرسلة[3].

وعن ابن شهاب قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء: (٥/٢٢٤٤) برقم: (٥٦٨٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا: (٤/١٨٠٥) برقم: (٢٣١١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا: (٤/١٨٠٦) برقم: (٢٣١٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان: (٢/٦٧٢) برقم: (١٨٠٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير: (٤/١٨٠٣) برقم: (٢٣٠٨).

يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ[(١)].

وعن جبير بن مطعم ﷺ أنه بينما يسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مَقفله من حنين، فعلقه الناس يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: (**أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاه نَعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جبانًا**)[(٢)].

وعن سهل عن أبيه ﷺ أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، - فقال: أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة، قال: نعم،- قالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسَّنها فلان، فقال: اكسنيها، ما أحسنها، قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته وعلمت أنه لا يرد، قال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه[(٣)].

وعن أنس ﷺ قال: أُتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال: (**انثروه في المسجد**)، وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة و لم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحدًا إلا أعطاه، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، فقال له رسول الله ﷺ: (**خذ**)

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا: (١٨٠٦/٤) برقم: (٢٣١٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الشجاعة في الحرب والجبن: (١٠٣٨/٣) برقم: (٢٦٦٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه: (٤٢٩/١) برقم: (١٢١٨).

فحثا في ثوبه ثم ذهب يقلّه[1] فلم يستطع، فقال: يا رسول الله أؤمر بعضهم يرفعه إلي، قال: (لا). قال: فارفعه أنت علي، قال: (لا) فنثر منه، ثم ذهب يقله، فقال: يا رسول الله أؤمر بعضهم يرفعه علي. قال: (لا). قال: فارفعه أنت علي، قال: (لا). فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبًا من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم[2].

وفي هذه الأحاديث دلالة على كمال إيمانه عليه الصلاة والسلام وكمال توكله ومعرفته بهبات ربه وسعة خزائن فضله.

قال ابن رجب: "دل هذا على أن المصطفى ﷺ أجود الآدميين على الإطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم"[3].

---

(١) يقال: أَقَلَّ الشيء يُقِلّه واسْتَقَلّه يَسْتَقِلُّه: إذا رَفعه وحَمَله. انظر: النهاية في غريب الحيدث لابن الأثير: (٤/١٠٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المساجد، باب القسمة وتعليق القنو في المسجد: (١/١٦٢) برقم: (٤١١).

(٣) فيض القدير: (٣/١٣٤).

المبحث السابع

لا يخط ولا يكتب بيده، ودلالة ذلك العقدية

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان نبي الله ﷺ أمياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتب[٢].

قال القرطبي: " قوله تعالى: ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾ هو منسوب إلى الأمة الأمية، التي هي على أصل ولادتها، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها"[٣].

وقال الشوكاني: "﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾ وهو محمد عليه الصلاة والسلام، فخرجت اليهود والنصارى وسائر الملل. و﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: إما نسبة إلى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب، وهم العرب، أو نسبة إلى الأم. والمعنى أنه باق على حالته التي ولد عليها لا يكتب ولا

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٥٧-١٥٩.

(٢) تفسير الطبري: (٤/٢١).

(٣) تفسير القرطبي (٢٩٨/٧).

يقرأ المكتوب"(١).

قال ابن عاشور: "لأن محمدًا ﷺ اشتهر بوصف النبي الأمي، فصار هـذا المركب كاللقب له، فلذلك لا يغير عن شهرته، وكذلك هو حيثما ورد ذكره في القرآن"(٢).

"والأمي: الذي لا يعرف الكتابة والقراءة، قيل: هو منسوب إلى الأم أي: هو أشبه بأمه منه بأبيه، لأن النساء في العرب ما كن يعرفن القراءة والكتابة"(٣).

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان نبيكم ﷺ أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾(٤).

ورجح الطبري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٥) رجح أن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب.

وأرى أنه قيل للأمي أمي نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه، لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه"(٦).

الأميّ: الذي لا يقرأ في كتاب ولا يكتب، نُسب إلى الأم؛ لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن في كتاب، أو لأنه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها، أو نسب إلى الأُمة، إذ هي ساذجة قبل أن تعرف المعارف(٧).

قال الرازي: "فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرءون، والنبي عليه الصلاة

---

(١) فتح القدير للشوكاني: (٢/٢٥٢).

(٢) التحرير والتنوير: (٩/١٣٣).

(٣) التحرير والتنوير: (٩/١٣٣).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٦/٤٧٠).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٨.

(٦) تفسير الطبري ت شاكر: (٢/٢٥٩).

(٧) انظر: البحر المحيط في التفسير: (١/٤٣٥) بتصرف يسير.

والسلام كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أميّاً"[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

عن ابن مسعود ﷺ في قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يقرأ ولا يكتب[3].

وعن مجاهد: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ قال: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابًا فنزلت هذه الآية[4].

قال الشوكاني: "﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ الضمير في قبله راجع إلى القرآن لأنه المراد بقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[5] أي: ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتاباً ولا تقدر على ذلك؛ لأنك أمّي لا تقرأ ولا تكتب ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ أي: ولا تكتبه؛ لأنك لا تقدر على الكتابة [6].

قال أبو حيان: "أي من قبل نزوله عليك، مِنْ كِتاب، أي كتابًا، و(من) زائدة؛ لأنها في متعلق النفي، ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ ﴾: أي: لا تقرأ ولا تكتب، ﴿بِيَمِينِكَ ﴾ وهي: الجارحة التي يكتب بها، وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة، لما ذكر إنزال الكتاب عليه، متضمنًا من البلاغة والفصاحة والإخبار عن الأمم السابقة والأمور المغيبة ما أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله. أخذ يحقق كونه نازلاً من عند اللّه، بأنه ظهر عن رجل أمي، لا يقرأ ولا يكتب، ولا يخالط أهل العلم، وظهور هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه، وأكثر المسلمين على أن رسول اللّه ﷺ لم يكتب قط، ولم يقرأ

---

(١) تفسير الرازي "مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير": (١٥/٣٨٠).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: (٧/٦٧)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٦/٤٧٠).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم: (٩/٣٠٧١).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢.

(٦) فتح القدير للشوكاني: (٤/٢٣٩).

بالنظر في كتاب"(١).

قال الماوردي في تفسير الآية السابقة: "الثاني: أنه كان أهل الكتاب يجدونه في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتاباً، فنزل ذلك فيهم ليدلهم على صحة نبوته"(٢).

وقد جاءت السنة النبوية دالة على أنه لا يكتب ولا يخط بيده، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: (**إنا أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا**)(٣).

وففي صحيح البخاري جاء في حديث صلح الحديبية: "... فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: (**اكتب: باسمك اللهم**) ثم قال: (**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**)، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: (**والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله...**)(٤).

وقد جاءت روايات أخرى تعين هذا الكاتب أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه(٥).

وذلك ما رواه مسلم من حديث البراء رضي الله عنه وأرضاه، وفيه: "... قال لعلي: (**اكتب الشرط بيننا، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**). فقال له

---

(١) البحر المحيط في التفسير: (٣٦١/٨).

(٢) تفسير الماوردي "النكت والعيون": (٢٨٧/٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٠٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة: (٩٧٤/٢) برقم: (٢٥٨١).

(٥) انظر: البدائع: (١٤٠/٧)، والمغني: (١١٦/٨)، والمهذب: (٢١٩/٢)، ونيل الأوطار: (١٦٨/٧).

المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فأمر عليًّا أن يمحاها، فقال: على: لا والله لا أمحاها. فقال رسول الله ﷺ: (**أرني مكانها**). فأراه مكانها، فمحاها وكتب (**ابن عبد الله**)[1].

وفي رواية عنه: ... فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله ...[2].

ولا تشكل هذه الرواية التي قد يفهم منها أنه ﷺ خط بيده وكتب كما نُقل عن البعض بجواز هذا الظاهر عليه، وأنه كتب بيده، منهم السمناني[3]. وأبو ذر[4] والباجي[5]".[6].

قال ابن حجر: "القصة واحدة والكاتب فيها علي، وقد صرح في حديث المسور بأن عليًّا هو الذي كتب، فيحمل على أن النكتة في قوله: فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان: (٩٥٩/٢) برقم: (٢٥٥١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية: (١٤٩/٣) برقم: (١٧٨٣).

(٢) وهي رواية البخاري: (١٥٥١/٤) برقم: (٤٠٠٥).

(٣) هو العلامة قاضي الموصل أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني الحنفي، من فقهاء المحدثين، لازم ابن الباقلاني حتى برع في علم الأصول، قال الخطيب: كان صدوقاً فاضلاً.
انظر: سير أعلام النبلاء: (٦٥١/١٧)، والبداية والنهاية: (٢٢٩/١١).

(٤) هو عبد بن أحمد بن محمد الهروي، أبو ذر: حافظ للحديث، من علماء المالكية، أصله من هراة. قام برحلة واسعة وجاور بمكة أكثر من ٣٠ سنة ومات بها. له تصانيف، منها، "مسانيد الموطأ"، و"فضائل مالك بن أنس" و"بيعة العقبة" مات سنة ٤٣٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: ٥٥٤/١٧)، والتقييد لمعرفة رواة الأسانيد: (٣٩١/١).

(٥) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من ر الحديث توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة.
انظر: فيات الأعيان: (٤٠٩/٢)، وسير أعلام النبلاء: (٥٣٥/١٨).

(٦) انظر: تفسير القرطبي: (٣٥٢/١٣).

لبيان أن قوله: أرني إياها أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك: فكتب، فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها لعلي فكتب، وبهذا جزم ابن التين وأطلق: كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير كقوله:كتب إلى قيصر، وكتب إلى كسرى، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم، وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالمًا بالكتابة ويخرج عن كونه أميًّا فإن كثيرًا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات، ويحسن وضعها بيده وخصوصًا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًّا ككثير من الملوك"[1].

قال القرطبي: "وإنما الآية ألا يكتب، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضًا. وإنما معنى: كتب وأخذ القلم، أي أمر من يكتب به من كُتابه، وكان من كتبة الوحي بين يديه ﷺ ستة وعشرون كاتبًا"[2].

وأما الدلالة العقدية في كونه عليه الصلاة والسلام لا يكتب ولا يخط بيده فهي من أعظم الدلائل على نبوته.

"قال النحاس: وذلك دليل على نبوّته؛ لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أهل كتاب، فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3] أي: لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا: لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة أو من الكتب المدوّنة في أخبار الأمم، فلما كنت أميّاً لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبداً، بل إنكار من أنكر وكفر من كفر مجرّد عناد وجحود بلا شبهة، وسماهم: مبطلين، لأن ارتياهم على تقدير أنه ﷺ يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور نزاهته ووضوح معجزاته"[4].

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (٥٠٤/٧).

(٢) تفسير القرطبي: (٣٥٣/١٣).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٤) فتح القدير للشوكاني: (٢٣٩/٤).

قال الشوكاني رحمه الله تعالى:

وفي قوله: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[1] قال: كان الله أنزل شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم وعلمه لهم، وجعله لهم آية، فقال لهم: إن آية نبوّته أن يخرج حين يخرج ولا يعلم كتاباً ولا يخطه بيمينه"[2].

"قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى: "ومن دلائل نبوته ﷺ أنه كان رجلاً أميّاً لا يخط كتابًا بيده، ولا يقرؤه، ولد في قوم أميين، ونشأ بين ظهرانيهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار المتقدمين، وليس فيهم منجم يتعاطى علم الكوائن، ولا مهندس يعرف التقدير، ولا فيلسوف بصير بالطبائع، ولا متكلم يهتدي لرسوم الجدل ووجوه المحاجة والمناظرة"[3].

وهذه المسألة المتعلقة بكونه لا يكتب ولا يخط بيده قد جعلها أهل السنة والجماعة من دلائل نبوته وإعجاز ما جاء به.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٢) فتح القدير للشوكاني: (٤/٢٤١).

(٣) الاعتقاد على مذهب السلف: (ص١٤٧).

المبحث الثامن

رفع يديه وسبابته ﷺ عند الدعاء إشارة إلى علو الله تعالى

عن أنس رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلك الكراع وهلك الشاء، فادع الله أن يسقينا، فمد يديه ودعا[1].

ولفظ الحديث: عن أنس رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال: غيره -فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه، فقال: اللهم حوالينا، ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة[2]، وسال وادي قناة[3] شهرًا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدّث بالجود[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الخطبة: (٣١٥/١) برقم: (٨٩٠)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء: (٦١٢/٢) برقم: (٨٩٧).

(٢) أي: حتى صار الغيم والسحاب محيطًا بآفاق المدينة، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (٨٣٢/١).

(٣) هو واد من أودية المدينة عليه حرثٌ ومال وزع، انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: (١٩٢/٤).

(٤) هو رواية من الحديث السابق، ورواية البخاري برقم: (٨٦١). الجوبة: الفجوة، وكل منفتق =

وعن أنس ﷺ في قصة القراء الذين قُتلوا ببئر معونة قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة، رفع يديه يدعو عليهم، يعني على الذين قَتلوهم[1].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: (**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**). فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه. وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك... الحديث[2].

وفي حديث جابر عند مسلم وغيره في خطبة الوداع: " فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس (**اللهم اشهد، اللهم اشهد**...)[3].

قال صاحب كتاب معارج القبول: "فكتب السنة مملوءة بهذا النوع، وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة، وذلك معلوم بالفطر، فكل

= يتسع فهو جوبة. انظر: لسان العرب لابن منظور: (١/٢٨٦-٢٨٧)، القاموس المحيط للفيروزآبادي: (ص ٥١).

(١) رواه أحمد: (٣/١٣٧)، والطبراني في (المعجم الكبير): (٤/٥١) (٣٦٠٦)، والبيهقي: (٢/٢١١). قال النووي في "المجموع": (٣/٥٠٨): "إسناده صحيح أو حسن". وقال ابن الملقن في "تحفة المحتاج": (١/٣٠٧): "إسناده جيد". وقال العراقي في "تخريج الإحياء": (١/٢٤٠): "إسناده جيد". وعزاه البوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة": (٧/١٢٠) لأحمد بن منيع وقال: "ورواته ثقات"، وقال الألباني في أصل صفة الصلاة: (٩٥٧): "إسناده صحيح".

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم: (٣/١٣٨٣) برقم: (١٧٦٣).

(٣) تقدم تخريجه: (ص ٤٧٢).

من حَزَبَه[1] أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل"[2].

المسألة الأولى:

إن هذه الأحاديث دالة على ما ذهب إليه إجماع سلف الأمة من إثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه[3].

وقد خالف في هذه المسألة بعض الطوائف على أقوال:

القول الأول: قول المعطلة الجهمية النفاه وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا محايث له؛ فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم[4].

القول الثاني: أهل الحلول الذين يقولون: إنه بذاته في كلِّ مكانٍ، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة، فيقولون: وجود المخلوقات وجودُ الخالق، كما هو مذهب ابن عربي صاحب "الفصوص" وابن سبعين ونحوهما. وهذا القول: "يغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم"[5].

القول الثالث: من يقول: إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان، وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف[6].

وقبل ذكر القول الراجح يجدر ذكر معاني الفوقية والعلو لله تعالى بالنسبة للذات والقدر والقهر.

قال صاحب كتاب إتحاف السائل: "فوقية القهر وعلو القهر معناها: أنه سبحانه وتعالى لا يُغلب ولا يُرام جنابه؛ بل هو سبحانه وتعالى هو الذي يقهر من عداه، يملي

(١) أي نزل به مُهمٌّ أو أصابه غمٌّ. انظر: غريب الحديث لابن الأثير: (١/٣٧٧).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول: (١/١٦٩).

(٣) انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية: (٨/١٢٠-١٢١).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية: (٨/١٢١).

(٦) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية: (٨/١٢١).

ويستدرج ويقهر، ويأخذ على غـرة، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1] فهو سبحانه وتعالى عال علو القهر، وهو فوق خلقه فوقية قهر وجبروت وعظمة للمولى -جل جلاله-.

وأما علو القدر وفوقية القدر: فهذا المعنى هو الذي يُثْبِتُهُ المبتدعة من العلو فلا ينازعون في علو القهر والقدر والشّرف.

ويقولون: معنى: الله فوق خلقه: كقول القائل: المَلِك فوق شَعْبِه، أو الأمير فوق رعيته؛ يعني من جهة قدره، وكقولهم: العالِم فوق عامة الناس، من جهة القدر، وكقول القائل: الذّهب فوق الحديد؛ يعني من جهة المنزلة والقدر"[2].

وأما علو الذات الذي وقع الخلاف فيه وأثبته أهل السنة والجماعة ونفاه المتكلمون فالمراد به عند أهل السنة والجماعة: أن الله فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة[3].

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

وَلَهُ العُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا ... ذَاتًا وَقَهْرًا مَعْ عُلُوِّ الشَّانِ

لَكِنْ نُفَاةُ عُلُوِّهِ سَلَبُوهُ إِكْـ ... ـمَالَ العُلُوِّ فَصَارَ ذَا نُقْصَانِ

حَاشَاهُ مِنْ إِفْكِ النُّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ ... فَلَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الرَّبَّانِي[4]

وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[5] أي: وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء وذل لعظمته

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٢) انظر: شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ: (٤٨١/١-٤٨٢).

(٣) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم: (٣٠/١).

(٤) الكافية الشافية: (ص١٠٤).

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

وكبريائه كل شيء وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.[1]

وهذا العلو قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل:

أما الكتاب فآيات كثيرة، منها:

التصريح باستوائه فوق عرشه، والعرش هو أعلى المخلوقات فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

وكذلك التصريح بالفوقية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾[4] وفي قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[5].

والتصريح بالعروج إليه، قال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[6].

والتصريح بالصعود إليه. كقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[7].

والتصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾[8] وقوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[9].

---

(١) معارج القبول: (١/١٤٤).

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠ .

(٦) سورة المعارج، الآية: ٤.

(٧) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ٥٥ .

ومنها: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتًا وقدرًا وشرفًا، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[2] والآيات في هذا كثيرة.

وأما السنة ففيما تقدم دلالة واضحة في رفعه عليه الصلاة والسلام في الدعاء وإشارته بسبابته إلى العلو.

يقول شارح الطحاوية: "الإشارة إليه حسًّا إلى العلو، كما أشار إليه مَنْ هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر لما كان بالمجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: (**أنتم مسئولون عني، فماذا أنتم قائلون؟**) قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعًا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: (**اللهم اشهد**)[3]. فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: اللهم اشهد، ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين، وحذلقة المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين"[4].

وأما رفعه ليديه: فقد دلت السنة القولية عليه بقوله ﷺ: (**إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً**)[5].

كذلك تصريحه ﷺ للجارية: بلفظ "الأين" ففي حديث معاوية بن الحكم ﷺ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٧٢).

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق الأرناؤوط (٣٨٥/٢).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء: (٧٨/٢) برقم: (١٤٨٨)، والترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: (٥٥٦/٥) برقم: (٣٥٥٦)، وابن حبان: (١٦٠/٣) برقم: (٨٧٦) من حديث سلمان الفارسي ﷺ. وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

قال ﷺ لها: (أين الله؟) قالت: في السماء.

قال: (من أنا؟) قالت: أنت رسول الله. قال: (**أعتقها فإنها مؤمنة**)[1].

وأما الإجماع على علو لله تعالى وفوقيته على خلقه فقد نقله أكثر من واحد بلا مخالف من سلف الأمة.

وأما الدلالة العقلية فمن وجوه:

"**أحدها**: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودَين، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائنًا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجًا عن ذاته، والأول باطل: أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانيًا: فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والثاني يقتضي كون العلم واقعًا خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية، لأنه غير معقول: فيكون موجودًا إما داخله وإما خارجه. والأول باطل فتعين الثاني، فلزمت المباينة"[2].

وأما الفطرة فإن الخلق جميعًا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى. وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل،

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة: (٣٨١/١) برقم: (٥٣٧).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق الأرناؤوط: (٣٨٩/٢).

وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمذاني، حيرني! أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده، من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلبًا ضــرورًيا يتوجــه إلى الله ويطلبه في العلو[1].

(١) انظر: العرش للذهبي: (١٥٣/١) والمنتقى من منهاج الاعتدال: (ص ١١٨).

المبحث التاسع

القبض والبسط في حديث ابن عمر

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله -ويقبض أصابعه ويبسطها- أنا الملك**) حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟[1].

وفي رواية: (**يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده، وقبض يديه، فجعل يقبضهما ويبسطهما ثم يقول: أنا الجبار، فأين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**) قال: ويميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر تحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: ساقط هو برسول الله ﷺ[2].

وهذه الإشارة منه عليه الصلاة والسلام تدل على تحقيق إثبات صفة اليد والقبض.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "في الحديث الصحيح أنه قال: يقبض الله سماواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم جعل رسول الله يقبض يده ويبسطها تحقيقًا لإثبات اليد وإثبات صفة القبض"[3].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٧٢/٢) والسياق له-، وابن أبي عاصم في "السنة": (٥٤٦/٢٤٠/١)، وابن خزيمة أيضاً، وتقدم لفظ مسلم (ص ٥٧٨).

(٣) الصواعق المرسلة: (٣٩٧/١).

وبين رحمه الله تعالى أن قبضه وبسطه لا يدل على التشبيه:

فقال رحمه الله تعالى: "ولما أخبرهم رسول الله ﷺ جعل يقبض يديه ويبسطها تحقيقاً للصفة لا تشبيهاً لها"[1].

(١) مختصر الصواعق المرسلة: (٣/٩٤٨).

المبحث العاشر

إشاراته بيده ودلالاتها العقدية

أولاً: إشارته إلى المدينة.

فعن أنس بن مالك، ﷺ، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعًا وبدا له أحد قال: (**هذا جبل يحبنا ونحبه**) ثم أشار بيده إلى المدينة، قال: (**اللهم إني أحرّم ما بين لابتيها كتحريم إبراهيم مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا**)[1].

وقد دلت إشارته عليه الصلاة والسلام إلى مسائل عقدية منها:

١- فضل المدينة وتعظيم حرمها، وقد جاء هذا الفضل في أحاديث كثيرة أفرد لها البخاري في صحيحه كتابًا لفضائل المدينة، وكذا مسلم في صحيحه قد أورد في آخر كتاب الحج العديد من الأحاديث الواردة في شأن المدينة، وكذا الحال عند أصحاب السنن والمسانيد.

منها:

عن سفيان بن أبي زهير ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.**

وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو: (١٠٥٨/٣) برقم: (٢٧٣٢).

لهم لو كانوا يعلمون)[1].

وعن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها**) وقال: (**المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة**)[2].

وعن أبي هريرة ؓ أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: (**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه**) قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر[3].

وعنه أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: (**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**)[4].

وعن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**)[5].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة: (٢/٦٦٣) برقم: (١٧٧٦)، ومسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار: (٢/١٠٠٨) برقم: (١٣٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة: (٢/٩٩٢) برقم: (١٣٦٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة: (٢/١٠٠٠) برقم: (١٣٧٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة: (٢/٦٦٣) برقم: (١٧٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً...: (١/١٣١) برقم: (١٤٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة: (٢/٦٦٤) برقم: (١٧٧٨).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

٢- أن البركة المتعلقة بمدها وصاعها هي بركة غير متعدية، المقصود منها الزيادة والنماء لما يحصل به من زيادة في معايش الناس وزروعهم.

قال النووي: "الظاهر من هذا كله أن البركة في نفس المكيل في المدينة، بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها"(١).

قال ابن حجر: "وهذا أمر محسوس عند من سكنها"(٢).

ثانياً: إشارته إلى اليمن والمشرق ومواطن الفتن.

فعن عقبة بن عمرو أبي مسعود ﷺ قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: (**الإيمان يمان هاهنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر**)(٣).

وفي رواية عنه أن النبي ﷺ قال: (**من هاهنا جاءت الفتن -نحو المشرق-، والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر، عند أصول أذناب الإبل والبقر في ربيعة ومضر**)(٤).

وفي حديث سهل بن حنيف ﷺ أنه سمع النبي ﷺ -يذكر الخوارج فقال: سمعته-: وأشار بيده نحو المشرق: (**قوم يقرءون القرآن بألسنتهم، لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**)(٥).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٩ /١١٣).

(٢) فتح الباري: (٤/٩٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال: (٣/١٢٠٢) برقم: (٣١٢٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه: (١/٧١) برقم: (٥١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال: (٣/١٢٨٩) برقم: (٣٣٠٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه: (١/٧١) برقم: (٥١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج: (٦/٢٥٤١) =

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: (**الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان**). قالها مرتين أو ثلاثًا. وقال عبيد الله بن سعيد في روايته: قام رسول الله ﷺ عند باب عائشة[(١)].

هذه الأحاديث اشتملت على جمل من المسائل وهي:

أولاً: إشارته ﷺ نحو اليمن وقوله ﷺ: (**الإيمان يمان**) اختلف بالمراد بهذه الإشارة على أقوال:

القول الأول: أن المراد أن مبدأ الإيمان من مكة لأن مكة من تهامة وتهامة، من اليمن[(٢)].

القول الثاني: المراد: مكة والمدينة؛ لأن هذا الكلام صدر وهو ﷺ بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية[(٣)].

القول الثالث: أن المراد بذلك: الأنصار؛ لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره[(٤)].

القول الرابع: وصف الذين جاؤوا بقوة الإيمان وكماله، ولا مفهوم له، ثم المراد

= برقم: (٦٥٣٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة: (٧٥٠/٢) برقم: (١٠٦٨).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نسب إليهن من البيوت: (١١٣٠/٣) برقم: (٢٩٣٧)، ومسلم، كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان: (٢٢٢٩/٤) برقم: (٢٩٠٥).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٩٩/٨).

(٣) المصدر نفسه نفس الصفحة.

(٤) انظر: شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: (٣٠٩/٥)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٣٨٥٥/٩)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٧٢/١٦) وفتح الباري لابن حجر: (٩٩/٨).

الموجودون حينئذ منهم، لا كل أهل اليمن في كل زمان[1].

القول الخامس: يمان يشمل من يُنسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان[2].

القول السادس: قيل: سبب الثناء على أهل اليمن: إسراعهم إلى الإيمان وحسن قبولهم للبشرى حين لم يقبلها بنو تميم[3].

القول السابع: أن المراد به ظاهره وحمله على الحقيقة لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به نسب ذلك الشيء إليه إشعارًا بتمييزه به وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان، وليس في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله: (**إن الإيمان ليأرز إلى الحجاز**)، ويروى: (**الإيمان في أهل الحجاز**) لأن المراد بذلك الموجود منهم حينئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان فإن اللفظ لا يقتضيه[4].

ثانياً: إشارته نحو المشرق والمراد بها ودلالتها العقدية:

قبل ذكر الدلائل العقدية لهذه الإشارة أبين ما هو المقصود بأهل المشرق وهل دلالة وجود الفتن في موطن دلالة على ذم ذلك الموطن وأهله.

قال ابن حجر: "وفي ذلك إشارة إلى شدة كفر المجوس؛ لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة، وكانوا في غاية القسوة والتكبر والتجبر حتى مَزَّقَ مَلِكُهُمْ كِتاب النبي ﷺ"[5].

وقال: "كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر، فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٨/٩٩).

(٢) انظر: المصدر نفسه: (٨/٩٩).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٨/٩٩).

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (١٦/٧٢)

(٥) فتح الباري: (٦/٣٥٢).

تلك الناحية، فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة"[(1)].

وقال ابن بطال: "كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر عليه السلام أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذلك كانت الفتنة الكبرى التي كانت مفتاح فساد ذات البين وهى مقتل عثمان ﷺ، وكانت سبب وقعة الجمل وصفين، ثم ظهور الخوارج في أرض نجد والعراق وما وراءها من المشرق، ومعلوم أن البدع إنما ابتدأت من المشرق، وإن كان الذين اقتتلوا بالجمل وصفين بينهم كثير من أهل الشام والحجاز، فإن الفتنة وقعت في ناحية المشرق، وكان ذلك سببًا إلى افتراق كلمة المسلمين وفساد نيات كثير منهم إلي يوم القيامة، وكان رسول الله يحذر من ذلك ويعلمه قبل وقوعه، وذلك دليل على نبوّته"[(2)].

قال النووي: "والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما قال في الحديث الآخر: (**رأس الكفر نحو المشرق**) وكان ذلك في عهده ﷺ حين قال ذلك، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق. وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة، ومثار الكفرة الترك الغاشمة العاتية الشديدة البأس"[(3)].

وقال الحافظ في الفتح عند شرح قوله ﷺ: (**هل ترون ما أرى؟**) قالوا: لا. قال: (**فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر**) الواقع في كتاب الفتن: "وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان ﷺ كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه. ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم، وأول ما

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (٤٧/١٣).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال: (٤٤/١٠).

(٣) شرح صحيح مسلم: (٣٤/٢).

نشأ ذلك في العراق وهي من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي: (**إن الفتنة من قبل المشرق**)"[1].

وأما القوم الذين أخبر عن خروجهم، فهم: الخوارج.

واتفق جميع شراح البخاري على أن القوم الذي أخبر النبي ﷺ بخروجهم في هذه الأحاديث هم الخوارج وهذا من دلائل نبوته؛ لأنه وقع كما أخبر، وكان ابتداء ظهورهم من الكوفة الواقعة في جهة المشرق من المدينة. وقد ذكر الحافظ أنهم هم الخوارج وكان ابتداء خروجهم من العراق وهي جهة المشرق. وصرحوا بأنهم خرجوا على علي ﷺ واعتزلوا جيشه حين رضي بتحكيم عمرو بن العاص وغيره من الصحابة، سخطة لهذا التحكيم، وهم ثمانية آلاف ونزلوا الحروراء، وهي قرية كبيرة قرب الكوفة على نحو ميلين منها، وبعد ذلك جعلوا البصرة مركزهم[2].

ومن تلك الجهة خرج بالإضافة إلى الخوارج: الشيعةُ والقدريةُ والجهميَّةُ كان خروجُهم من تلك الجهة، ومجيء التتارُ للقضاء على الخلافة العباسية وسقوط بغداد كان من المشرق، وفي آخر الزمان خروج الدجال من تلك الجهة، فإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق [3].

كما إن ومجرد وقوع الفتنة في موضع لا يستلزم ذم كل من يسكنه. والحديث لا يقتضي أن كل من يولد في المشرق أو يسكن فيه يكون مذموماً.

قال السهسواني: "ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها، وأكابر أهل الحديث وفقهاء الأمة وأهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق، وإمام السنة أحمد بن حنبل، وشيخ الطريقة الجنيد بن محمد، وعلم الزهاد الحسن وابن سيرين وأبو حنيفة وأصحابه، وسفيان الثوري وأصحابه، وإسحاق ابن إبراهيم بن راهويه ومحمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج وأبو داود وأصحاب السنن وأصحاب الدواوين الإسلامية كلهم

---

(١) فتح الباري: (١٣/١٦).

(٢) انظر: الفتح: (١٢/٢٨٤).

(٣) انظر: فتح الباري: (١٣/٤٧).

عراقيو الدار مولداً أو سكنى، والليث بن سعد ومحمد بن إدريس وأشهب، ومن قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر، وجملة من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين بعدهم، ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا، وقد داول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد، كما داولها بين الناس والعباد، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس وأهل الكتابين، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجداً هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام، ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين"[2].

وأما المسائل العقدية المتعلقة بتلك الأحاديث:

المسألة الأولى:

إخباره بهؤلاء الخوارج وموطن خروجهم، وفي هذا دلالة على نبوته وإعلامه بأمور من الغيب قد وقعت لأمته بعد موته عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثانية:

زعم بعض الحاقدين على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أن المراد بإشارته ﷺ نحو المشرق وظهور الفتن أن المراد بذلك نجد اليمامة تلبيسًا على الناس في الصد عن الدعوة السلفية، واستدلوا على مزعمهم هذا بقوله ﷺ في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (**اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا**)، قال: قالوا: وفي نجدنا قال: قال: (**اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا**) قال: قالوا: وفي نجدنا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٢) نقله عبد اللطيف آل الشيخ في مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام: (٣٦٧/٢)، وانظر: رسالة أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان: (ص ٤٣)، ودعاوى المناوئين: (ص ١٨٦)، وأصل الكلام في "صيانة الإنسان": (ص ٥٠٧).

قال: قال: (**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**)[1].

الجواب عن هذه الشبهة:

قال الخطابي: "نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة. انتهى. وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي: إن نجداً من ناحية العراق فإنه توهم أن نجداً موضع مخصوص، وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً، والمنخفض غوراً"[2].

قال السَّهسواني: "قال بعض المحققين: والجواب أن يقال هذا كذب على رسول الله ﷺ، لم يصف أهل نجد وأهل اليمامة بهذا، ولا دخل في وصفه من يؤمن بالله ورسوله منهم ولا من غيرهم، بل الموصوف بإجماع المسلمين: الحرورية الخارجون على علي الذين قاتلهم علي من أهل الكوفة والبصرة وما يليها، وفيهم من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب، ودارهم ومسكنهم بالعراق، ولا يختلف في هذا، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر، ولذلك نسبوا إليه وقيل أهل النهروان، وحروراء بلدة هناك نسبوا إليها فقيل: الحرورية، اه ملخصاً. وبعض الألفاظ في بعض الطرق دالة على تلك الخصوصية كما وقع في رواية البخاري عن أبي سعيد: (**يخرجون على حين فرقة من الناس**) قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن عليّاً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد: (**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق**)[3][4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب ما قيل في الزلازل والآيات: (٣٥١/١) برقم: (٩٩٠).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة: (٤٦/١٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك: (٢٢٨/٥) برقم: ٥٨١١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: (٧٤٢/٢) برقم: (١٠٦٤).

(٤) صيانة الإنسان للسهسواني: (ص ٥٠٧).

بل جاء عن الصحابة ما يدل على أن المشار إليه إنما هي العراق.

فعن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: يا أهل العراق ما أسألَكم عن الصغيرة، وأركبَكم للكبيرة، سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الفتنة تجيء من هاهنا، وأومأ بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرنا الشيطان**)[1].

وأضعف من هذه الشبهة ما يزعمه الروافض من أن المشار إليه من مواطن الفتن هو بيت عائشة رضي الله عنها وأرضاها[2].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، وجنوده: (١١٩٥/٣) برقم: (٣١٠٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان: (٢٢٢٩/٤) برقم: (٢٩٠٥).

(٢) ذكر عبد الحسين (!!) الشيعي في "المراجعات": (ص ٢٥٤) هذا الحديث ضمن طعونات لهعامله الله بما يستحق- لعائشة، وأوهم القراء أن إشارته ﷺ إنما هي لمسكن عائشة، قال في معرض كلامه عنها رضي الله عنها-: "هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، حيث جابت في حرب أمير المؤمنين -يريد: عليّاً ﷺ- الأمصار، وقادت في انتزاع ملكه وإلغاء دولته ذلك العسكر الجرار!" فهذا الكلام يوهم أن عائشة هي الفتنة، وبرأها الله من ذلك، كما برأها من المنافقين من قبل.

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة": (٦٥٧/٥) برقم: (٢٤٩٤) ما نصه: "والجواب: أن هذا هو صنيع اليهود الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، فإن قوله في الرواية الأولى: "فأشار نحو مسكن عائشة"، قد فهمه الشيعي كما لو كان النص بلفظ: "فأشار إلى مسكن عائشة"! فقوله: "نحو" دون "إلى" نص قاطع في إبطال مقصوده الباطل، ولا سيما أن أكثر الروايات صرحت بأنه أشار إلى المشرق، وفي بعضها: العراق، والواقع التاريخي يشهد لذلك.

وأما رواية عكرمة فهي شاذة، ولو قيل بصحتها، فهي مختصرة جدّاً اختصاراً مخلاًّ، استغله الشيعي استغلالاً مرّاً، كما يدل عليه مجموع روايات الحديث، فالمعنى: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها-، فصلى الفجر، ثم قام خطيباً إلى جنب المنبر (وفي رواية: عند باب عائشة)، فاستقبل مطلع الشمس، فأشار بيده، نحو المشرق (وفي رواية للبخاري: نحو مسكن عائشة)، وفي أخرى لأحمد: يشير بيده يؤم العراق. فإذا أمعن المنصف المتجرد عن الهوى في هذا المجموع قطع ببطلان ما رمى إليه الشيعي من الطعن في السيدة عائشة رضي الله عنها-،
=

وهذا إفك مفترى وكذب على الله ورسوله ﷺ وقدح في نبوته وضلال مبين، فإن النبي ﷺ لما أشار إلى جهة الفتن سمى مواطن وسمى قبائل وذكر أوصافهم، فإذا كان الخوارج يمرقون من الدين بسبب تكفيرهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وكان أول ظهورهم: أرض العراق من حروراء، فإن الروافض يشركونهم في الموطن وفي تكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ بل زادوا عليهم بالانتقاص من أزواج رسول الله ﷺ، وأمهات المؤمنين، وتحريف كتاب الله تعالى، ورد سنة نبيه ﷺ، والكذب على آل بيت النبي ﷺ الأطهار، فكان بخروج الروافض من جهة المشرق تصديقًا لتنبئ النبي ﷺ.

رابعًا: إشارته لأبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه:

فعن سهل بن سعد ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة، وجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي بالناس فأقيم؟ فقال: نعم، فصلى أبو بكر، فحاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فرأى رسول الله ﷺ، وأشار إليه رسول الله ﷺ أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى فلما انصرف قال: (**يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟**) فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ...[1].

وهذا الإشارة منه عليه الصلاة والسلام فيها دلالة على فضل أبي بكر الصديق ﷺ

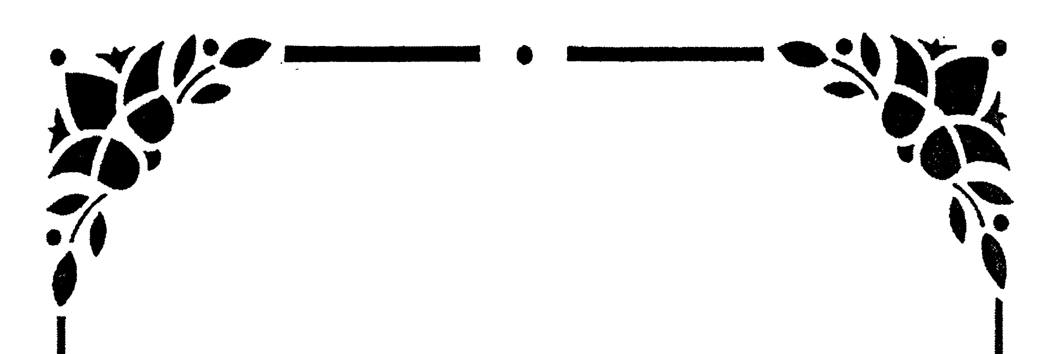
=

عامله الله بما يستحق".

وانظر: السلسلة الضعيفة: (١٠/٧١٤-٧١٥) برقم: (٤٩٦٩)، والعراق في أحاديث وآثار الفتن، مشهور سلمان: (ص ١٦).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول: (١/٢٤٢) برقم: (٦٥٢)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم...: (١/٣١٦) برقم: (٤٢١).

وأرضاه، ودلالة على تقديم خلافته للمسلمين، فإنه باستخلافه للنبي ﷺ في الصلاة زمن حياته ﷺ وإشارته له بالإتمام في أمور الدين فمن باب أولى استخلافه للنبي ﷺ للمسلمين في أمور دنياهم، وفيه دلالة على تواضع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.



الفصل السابع

المسائل العقدية المتعلقة بظهره ﷺ

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ودلالته العقدية.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بخاتم النبوة الذي على ظهره.





المبحث الأول

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1] ودلالته العقدية

عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[2]. قال: ذنبك.

وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾. قال: أثقل ظهرك.

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[3]، كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له[4].

واختلف المفسرون في هذه الآية على أقوال عدة:

قيل: ما كان فيه من أمر الجاهلية، وحفظه من مشاركته معهم، فلم يلحقه شيء منه[5].

وقيل: ثقل تألمه مما كان عليه قومه، ولم يستطع تغييره، وشفقته ﷺ بهم، أي: كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أي: أسفًا عليهم[6].

وقال أبو حيان: "كناية عن عصمته من الذنوب، وتطهيره من الأدناس"[7].

---

(١) سورة الشرح، الآية: ٣.

(٢) سورة الشرح، الآية: ٢.

(٣) سورة الشرح، الآيات: ١-٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري، ط هجر: (٢٤/٤٩٣).

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٨/٥٧٥).

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٧) تفسير البحر المحيط: (١٠/٥٠٠).

وقال ابن جرير: "وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها"[1].

وقال ابن كثير: "هو بمعنى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[2].

قال صاحب أضواء البيان:

"فكلام أبي حيان يدل على العصمة، وكلام ابن جرير يدل على شيء في الجاهلية، وكلام ابن كثير مجمل"[3].

وفي هذا دلالة على كرامة النبي ﷺ على ربه وعلو منـزلته وتفضله، ودلالة على بشريته واختصاصه بأن غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه.

(١) انظر: تفسير الطبري، ت شاكر: (٢٤/٤٩٣).

(٢) تفسير ابن كثير، ط السلامة: (٨/٤٣٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٨/٥٧٥).

المبحث الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بخاتم النبوة الذي على ظهره

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: ... رأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده[1]. وفي رواية عنه أيضاً: "رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام"[2].

وفي حديث عبد الله بن سرجس ﷺ: قال: ثم درت خلفه -أي: النبي ﷺ فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعًا عليه خيلان كأمثال الثآليل[3].

وفي حديث السائب بن يزيد: ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة[4].

وقد تقدم معنا أن هذا الخاتم هو أحد علامات النبي ﷺ في الكتب المقدسة عند أهل الكتاب وفي وجوده على ظهره ﷺ دلالة على نبوته[5].

قال القاضي البيضاوي: "خاتم النبوة أثر كان بين كتفيه، نُعت به في الكتب المتقدمة،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المناقب، باب شيبه ﷺ: (١٨٢٣/٤) برقم: (٢٣٤٤).

(٢) هي رواية من نفس الحديث السابق.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب المناقب، باب شيبة ﷺ: (١٨٢٣/٤) برقم: (٢٣٤٦)، وناغض الكتف: طرف العظم العريض، الذي في أعلى طرفه، والخيلان: جمع خال، وهو الشامة. وانظر: لسان العرب: (٢٣٩/٧) و(٢٢٩/١١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبوة: (١٣٠١/٣) برقم: (٣٣٤٨)، ومسلم، كتاب المناقب، باب إثبات خاتم النبوة...: (١٨٢٣/٤) برقم: (٢٣٤٥).

وزر الحجلة: هو بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى، وقيل: الحجلة: الطائر، وزر الحجلة يعني بيضه. انظر: هامش صحيح مسلم: (١٨٢٣/٤).

(٥) انظر: (ص ٢٢٦).

وكان علامة يعلم بها أنه النبي الموعود المبشر به في تلك الكتب، وصيانة لنبوته عن تطرق التكذيب والقدح، كالشيء المستوثق عليه بالختم"[1].

بمعنى أنه ختم على النبوة لحفظها وحفظ ما فيها تنبيهًا على أن النبوة مصونة عما جاء بعده ﷺ، كما أن الختم على الكتاب يصونه ويمنع الناظرين عما فيه، أو للدلالة على تمامها كما يوضع الختم على الشيء بعد تمامه، أو استيثاقها وتقريرها[2].

قال الألباني: "أي كان الخاتم في ظهره الشريف قطعة لحم ظاهرة"[3].

صفة الخاتم

جاء في حديث جابر بن سمرة: كأنه بيضة حمامة.

وفي حديث: عبد الله بن سرجس: نظرت إلى خاتم النبوة جمعًا عليه خيلان.

وعند ابن حبان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: مثل البندقة من اللحم[4].

وعند الترمذي: كبضعة ناشزة من اللحم[5].

وعند قاسم بن ثابت من حديث قرة بن إياس: مثل السلعة[6].

قال القرطبي: "اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة وإذا كبر جمع اليد، والله أعلم"[7].

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٤٤٨/٢) وتحفة الأحوذي: (٨٧/١٠)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٧٨/٣).

(٢) انظر: جمع الوسائل في شرح الشمائل: (٥٦/١).

(٣) انظر: الشمائل المحمدية للترمذي، ط إحياء التراث: (ص ٣٢).

(٤) صحيح ابن حبان: (٢١٠/١٤) برقم: (٦٣٠٢).

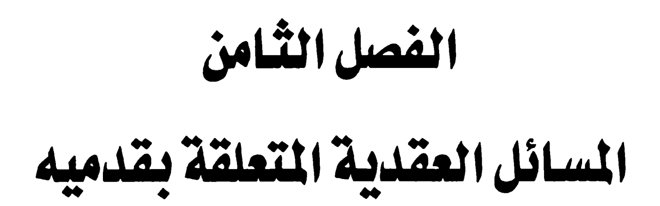
(٥) الشمائل المحمدية: (ص ٤٥) برقم: (٢٢).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٥٦٣/٦)، وشرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: (٢٤/٦)، وفيض القدير: (٧٣/٥).

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر: (٥٦٣/٦).

قال ابن حجر: "وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، أو مكتوب عليها: محمد رسول الله أو: سر فأنت المنصور، أو نحو ذلك فلم يثبت منها شيء... ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان، فإنه غفل حيث صحح ذلك"[1].

(١) فتح الباري لابن حجر: (٥٦٣/٦).



الفصل الثامن

المسائل العقدية المتعلقة بقدميه

وفيــه مبحث واحد:

المبحث الأول: قيامه ﷺ حتى تتفطر قدماه ودلالته العقدية.





المبحث الأول

قيامه ﷺ حتى تتفطر قدماه ودلالته العقدية

عن عائشة، رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: (**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**)[1].

وفي هذا دلالة على بشريته ﷺ وكمال عبوديته لربه، وقد تقدم بيانه.

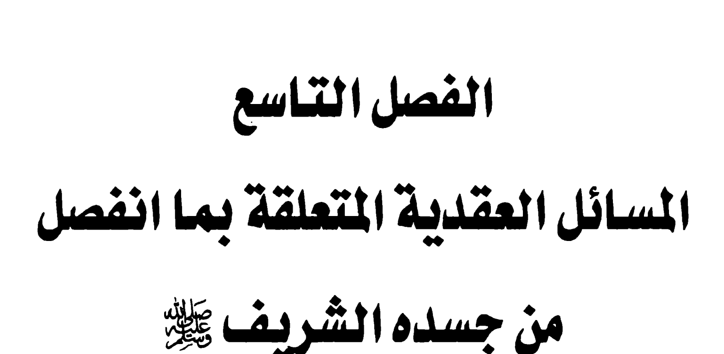
وفي هذا الفعل منه ﷺ رد على الغلاة القائلين بإسقاط التكليف عن العبد.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولكن كثير منهم لا يطلقون السلب العام، ويخرجون عن ربقة العبودية مطلقًا، بل يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم، أو حِلّ بعض المحرمات لهم، منهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود، وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان في حال مشاهدة وحضور، وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناء عنها بما هو فيه من التوجه والحضور، ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه لأن الكعبة تطوف به، أو لغير هذا من الحالات الشيطانية، ومنهم من يستحل الفطر في رمضان لغير عذر شرعي، زعمًا منه استغناؤه عن الصيام، ومنهم من يستحل الخمر زعما منه أنها تحرم على العامة الذين إذا شربوها تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة العقلاء، ويزعمون أنها تحرم على العامة الذين ليس لهم أعمال صالحة، فأما أهل النفوس الزكية والأعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة"[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (١١/٤٠٣).



وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بشعره عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك ببصاقه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بعرقه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع: المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بدمه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: الكلام في طهارة ما انفصل منه عليه الصلاة والسلام.

المبحث الأول

المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بشَعره عليه الصلاة والسلام

عن ثابت عن أنس ﷺ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل[1].

وعنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: (**خذ**) وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس[2].

وفي هذا النوع من التبرك المتعلق بما انفصل من جسده الشريف عليه الصلاة والسلام بالقول بأن هذا النوع من التبرك هو خاص بالنبي ﷺ لا يقاس عليه غيره من الأولياء والصالحين، ومن أوضح الأدلة على هذا: أن الصحابة الكرام ﷺ لم يقيسوا على النبي ﷺ غيره من أصحابه أو من أهل بيته، وعلى هذا إجماعهم.

وذكر الشاطبي رحمه الله: "أن الصحابة ﷺ بعد موته عليه السلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ﷺ فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنهما وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان، ثم عليّ، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركًا تبرك

(١) أخرجه مسلم، كتاب المناقب، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به: (١٨١٢/٤) برقم: (٢٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان: (٧٥/١) برقم: (١٦٩)، ومسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق...: (٩٤٧/٢) برقم: (١٣٠٥).

به على أحد تلك الوجوه أو نحوها بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ فهو إذًا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء"[1].

وقال أيضاً: "وهو إطباقهم على الترك -أي التبرك- إذ لو كان اعتقادهم التشريع لعمل به بعضهم بعده أو عملوا به ولو في بعض الأحوال، إما وقوفًا مع أصل المشروعية، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع"[2].

وأكد الإمام ابن رجب رحمه الله على عدم قياس النبي ﷺ بغيره من أصحابه فقال: "وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ولا يفعله التابعون مع الصحابة، مع علو قدرهم"[3].

وخالف بعض العلماء كالنووي وابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى في هذا، وقالوا بجواز التبرك بذوات الصالحين قياساً بتبرك الصحابة بالنبي ﷺ[4]. وأورد بعضهم[5] شبهة بما روي عن الربيع بن سليمان[6] أنه قال: قال لي الشافعي بمصر: خذ كتابي هذا فامض به وسلّمه إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأتني بالجواب. فَشَخَصَ الربيع إلى بغداد ومعه الكتاب فصادف أحمد بن حنبل فصلى معه الفجر، فلما انفتل من المحراب سلّم إليه الكتاب وقال له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر. فقال له أحمد: نظرتَ فيه؟ فقال: لا. فكسر أبو عبد الله الختم، فقرأ الكتاب، فتغرغرت عيناه بالدموع. فقال له الربيع بن

---

(١) الاعتصام للشاطبي : (٢/٨-٩).

(٢) المصدر نفسه: (٢/٩).

(٣) الحِكَم الجَدِيرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: (**بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة**) لابن رجب: (ص٥٥).

(٤) انظر: شرح النووي: (٧/٣)، وفتح الباري: (٣/١٢٩-١٣٢).

(٥) انظر: الموسوعة اليوسفية: (ص١٦٧).

(٦) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، بالولاء، المصري، أبو محمد: صاحب الامام الشافعي، وناقل علمه، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، توفي سنة (٢٧٠هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء: (١٢/٥٨٧)، والأعلام للزركلي: (٣/١٣).

سليمان: أي شيء فيه يا أبا عبد الله؟ فقال: يذكر أنه رأى النبي ﷺ في النوم، فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام، وقل له: إنك ستمتحن، وتدعى إلى خلق القرآن، فلا تجبهم، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة. فقال له الربيع: البشارة يا أبا عبدالله. فخلع عليه قميصه الذي يلي جلده، فأخذه الربيع وخرج إلى مصر، وسلّم جواب الكتاب إلى الشافعي فقال له: أيشٍ دفع إليك؟ فقال: القميص الذي يلي جلده. فقال له الشافعي: ليس نفجعك به، ولكن بُلَّه وادفع إلي الماء حتى أتبرك به[1].

والصحيح والعلم عند الله تعالى: أن التبرك المتعلق بما انفصل من الجسد خاص بالنبي ﷺ والأنبياء من قبله ولا يقاس عليهم غيرهم من الصالحين، وذلك لما يلي:

١- أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ، لا في حياته ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وأفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ فيمن شهد بالجنة، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين وأهل الأسوة، فلا يجوز أن يقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأمة، وللنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره[2].

٢- أن القصة ضعيفة، قال الذهبي في ترجمة الربيع بن سليمان: "ولم يكن صاحب رحلة، فأما ما يروى أن الشافعي بعثه إلى بغداد بكتابه إلى أحمد بن حنبل فغير صحيح"ا.هـ.

ولم يترجم الخطيب البغدادي للربيع في تاريخ بغداد، فدل على أنه لم يدخلها، ثم إن في أسانيدها ضعفاً وانقطاعاً ومجاهيل[3].

---

(١) أورد القصة ابن عساكر في تاريخ دمشق: (٧/٢٧٠، ٢٧١)، وابن الجوزي في المناقب: (ص٥٥١-٥٥٣)، وابن كثير في البداية والنهاية: (١٠/٣٣١).

(٢) انظر: فتح المجيد: (ص١٤٣).

(٣) انظر: المقدمات العشر في نقض أصول صوفية العصر: (ص٨٨).

٣- أن الشافعي لقي من هو أكبر من الإمام أحمد وأفضل و لم يتبرك به، كالإمام مالك رحمه الله وهو شيخه، وكذا سفيان بن عيينة رحمه الله[1].

٤- أن في المنع من ذلك سدًّا لذريعة الشرك كما لا يخفى؛ لأن جواز التبرك بآثار الصالحين يفضي إلى الغلو فيهم والشرك بهم[2].

(١) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه: (ص٣٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن باز: (٧/٤٢٤).

المبحث الثاني

المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك ببصاقه عليه الصلاة والسلام

ففي صحيح البخاري أن عروة بن مسعود ﷺ قال عن أصحاب رسول الله ﷺ: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده[1].

وقد تقدمت المسائل العقدية المتعلقة بهذا المبحث في المبحث الأول.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: (٢/٩٧٤) برقم: (٢٥٨١).

المبحث الثالث

المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بعَرَقه عليه الصلاة والسلام

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه. قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأُتيت، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك. قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: (**ما تصنعين يا أم سليم؟**). فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال: (**أصبت**)[1]. وفيه إقرار وموافقة منه ﷺ.

وقد تقدمت المسائل العقدية المتعلقة بهذا المبحث في المبحث الأول.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال عندهم: (٢٣١٦/٥) برقم: (٥٩٢٥)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به: (١٨١٥/٤) برقم: (٢٣٣٢) وهذا لفظ مسلم.

المبحث الرابع

المسائل العقدية المتعلقة بالتبرك بدمه عليه الصلاة والسلام

عن عامر بن عبد الله بن الزبير يحدث أن أباه حدثه أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد، فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلى الدم فحسوته، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: (**ما صنعت يا عبد الله؟**) قال: جعلته في مكان ظننت أنه خاف على الناس. قال: (**فلعلك شربته؟**) قلت: نعم، قال: (**ومن أمرك أن تشرب الدم؟ ويل لك من الناس وويل للناس منك**)[1].

وهذا الفعل من الصحابي رضي الله عنه وأرضاه إنما كان اجتهاداً منه وبغير إذنه عليه الصلاة والسلام، وأمرٌ قد وقع لا يمكن تداركه، ولهذا لم يكن ديدن الصحابة ذلك. والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: (١/٤١٤)، والبزار في مسنده: (٦/١٦٩)، والحاكم في المستدرك: (٣/٦٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/٦٧)، ولكن بلفظ: (**ما تلقى أمتك منك!**)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (٢٨/١٦٣)، قال الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير": (١/٣٠): "وفي إسناده الهنيد بن القاسم، ولا بأس به، لكنه ليس بالمشهور بالعلم" انتهى وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء": (٣/٣٦٦): "ما علمت في هنيد بن القاسم جرحة" انتهى.

المبحث الخامس

الكلام في طهارة ما انفصل منه عليه الصلاة والسلام

عن أميمة عن أمها أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان، ثم وضع تحت سريره، فبال، فوضع تحت سريره، فجاء فأراده، فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها: بركة كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: (**أين البول الذي كان في هذا القدح؟**) قالت: شربته يا رسول الله[1].

وفي رواية قال لها النبي ﷺ: (**لقد احتظرت من النار بحظار**)[2].

وعن أم أيمن، قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت، فبال فيها، فقمت من الليل، وأنا عطشانة، فشربت ما فيها وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ، قال: (**يا أم أيمن، قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة**). قلت: قد والله شربت ما فيها. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: (**أما إنك لا تتجعين بطنك أبداً**)[3].

وفي رواية عن أميمة، قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه، ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه، فلم يجده فسأل، فقال: (**أين القدح؟**)، قالوا: شربته برة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة، فقال النبي ﷺ: (**لقد احتظرت من النار**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٢٠٥/٢٤) برقم: (٥٢٧)، وأصله عند أبي داود: (٧/١) برقم: (٢٤)، والنسائي: (٣١/١) برقم: (٣٢).

(٢) المعجم الكبير للطبراني: (٢٤/ ١٨٩) برقم: (٤٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني في "الكبير": (٨٩/٢٥) برقم: (٢٣٠). وهذا السند ضعفه الهيثمي في "مجمع الزوائد": (٢٧١/٨) بأبي مالك النخعي. واسمه: عبد الملك بن حسين، متفق على ضعفه.

بحظار)[1].

هذا المبحث فيه مسائل:

المسألة الأولى: تتعلق بالحكم على أسانيد هذه القصة فمن أسانيدها ما هو ضعيف، ومنها ما هو مختلف في صحته وضعفه، كالحديث الأخير[2].

المسألة الثانية: حكم بول النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتنازعوا في بوله وغائطه، فجمهور المسلمين من الأولين والآخرين على أن ذلك نجس، ولهذا صح عنه أنه كان يستنجي ويستجمر ولا يقال: هذا تنقص له عليه الصلاة والسلام"[3].

المسألة الثانية: إن حال الصحابة رضوان الله عليهم وما نقل إلينا يثبت أنهم لم يكونوا يساوون بين التبرك بالشعر والبول، ولهذا يقول ابن تيمية: "فقد ثبت أن النبي ﷺ أعطى شعره لما حلق رأسه للمسلمين، وكان ﷺ يستنجي ويستجمر. فمن سوى بين الشعر والبول والعذرة فقد أخطأ خطأً بيّنًا"[4].

المسألة الرابعة: أن هذا الفعل من الصحابية رضي الله عنها على ثبوت صحته إنما كان بدون علم النبي ﷺ، وبدون إذنه، إنما هو أمرٌ قد وقع لا يمكن تداركه ولهذا ناسب أن يدعو لها. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم: (٦/١٢١) برقم: (٣٣٤٢).

(٢) البيهقي: (١/٩٩). وقد صححه بعض أهل العلم وقد ضعفه آخرون. انظر: البدر المنير لابن الملقن: (١/٤٨٥).

(٣) الرد على البكري: (ص ٣٠٦).

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (١/٢٦٨).

الخاتمة

وأختم هذا البحث بما توصلت إليه من نتائج أهمها ما يلي:

- دلالة النصوص الشرعية على بشريته ﷺ وعجز الغلاة عن الاستدلال بما ذهبوا إليه من غلو في حقه ﷺ.
- بطلان ما يسمى عند الغلاة بالحقيقة المحمدية وبيان أن أصولها راجعة إلى مصادر غير إسلامية.
- إن معظم أسمائه عليه الصلاة والسلام إنما هي أوصاف اشتقت منها أسماء.
- التوسل نوعان: نوع مشروع وردت به النصوص الشرعية، ونوع لا أصل له محدث في دين الله تعالى، مثل التوسل بذاته ﷺ أو بصفة من صفاته كقول القائل : اللهم إني أتوسل إليك برسولك أو بنبيك أو بمحمد، أو صفته كقوله: "اللهم إني أتوسل إليك بجود نبيك ﷺ أو كرم نبيك ﷺ، أو الإقسام بذاته أو صفة من صفاته، وهذان المثالان لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يفعلونه لا في حياته ولا بعد مماته عليه الصلاة والسلام، لا عند قبره ولا غير قبره.
- إن الغلاة ألحقوا بالتوسل قسماً لا علاقة له بالتوسل سموه توسلاً وهو في الحقيقة استغاثة بالنبي ﷺ وهي حق لله تعالى وحده لا يجوز صرفها لغيره كائناً من كان.
- المتأمل لسيرة النبي ﷺ يجد الكثير من الدلائل على تثبيت الله عز وجل لقلب نبيه ﷺ ويظهر هذا جليّاً من مواقفه في الشدائد والنوازل فكان أكمل الخلق يقينًا وأكملهم صبراً وطمأنينة.
- لقد وهب الله تعالى نبيه ﷺ سلامةً في عقله وحسناً وبهاءً وخلقاً كريماً في ذاته الشريفة مما أوجب له أبلغ الأثر في قبول دعوته وعدم النفرة منه.

- عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ حملته على فعل الخير والانزجار عن الشر في سائر ما يفعله ومنعه من الخطأ في تبليغ رسالته وعصمته من إبليس وأوليائه من أن يلحقوا به مكروهاً.
- ثبوت أحاديث رؤية النبي ﷺ لربه الرؤيا المنامية ولا يجوز الاعتقاد بأن نفسه هو الله تعالى لأن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً.
- من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام وأنه خاتم النبيين: وجود المبشرات في كتب أهل الكتاب التي تشير وتبشر الأمم باسمه عليه الصلاة والسلام وصفاته الخلقية وموطنه الذي يظهر فيه.
- من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام: عجز الشيطان أن يتمثل بصورته ﷺ.
- الإيمان بمعجزاته ﷺ المتعلقة بجسده من أصول الإيمان بالله تعالى وبرسله، وإنكارها إنكار لقدرة الله تعالى وتكذيب لرسول الله ﷺ.
- إن حياته ﷺ البرزخية حياة لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ولا تقاس على حياته في الدنيا، وعلى هذا العمل عند أئمة السلف رحمهم الله تعالى.
- دلائل إثبات عدم الظل له ﷺ هي دلائل ضعيفة لا يصح نسبتها للنبي ﷺ وهي بأحواله وسيرته عليه الصلاة والسلام، وعدمها لا ينقص من قدره ﷺ، فقد زكاه ربه وأعلى شأنه وقدره عنده، ولا يحتاج النبي ﷺ إلى ذكر فضائله بالأحاديث الكاذبة التي لا أصل لها.
- لم يثبت بالنصوص الشرعية وصف ذات النبي ﷺ بالمقدسة، ولم يدل عليه شيء من أقوال السلف فيما وقفت عليه، وقد جاء في كتب الشمائل وصفه بالقدوس وبعضهم أضاف لهذا الوصف المطهر إشارة إلى أن حقيقة الوصف التطهير من الذنوب والخطايا كما في قوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢].
- إن التقديس الباطل للنبي ﷺ هو جعله بمنـــزلة الله تعالى أو عدل له وهو أن يُسأل

ويصرف له ما يصرف لله تعالى.

- إن الأصول المقررة في دين الإسلام بدلالة الكتاب والسنة أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ولا ما في الضمائر ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرّاً ولا رشداً، إلا ما شاء الله تعالى.
- إن من الأصول المقررة من دين الإسلام بدلالة الكتاب والسنة هو أن الله هو المتفرد بكشف الضر ودفعه وجلب النفع، فمن دعا غيره سبحانه وتعالى فقد جعله شريكاً مع الله تعالى.
- الكمال المطلق الذي لا غاية فوقه في الذات والصفات ولا يلحقه نقص بأي وجه من الوجوه لا يكون إلا لله تعالى لا يشاركه فيه أحد كائناً من كان.
- إن الغلاة لا يفرقون بين الكمال المطلق الذي هو حق للخالق وبين الكمال النسبي أو الإضافي الذي يكون للمخلوق، فأعطوا النبي ﷺ ما هو من خصائص الخالق فضَلّوا وأضلوا.
- سؤال النبي ﷺ تثبيت قلبه دلالة على قدرة الله تعالى، فإنه لا يخرج عن قدرته شيء لا من الأفعال ولا من الأقوال فيقدر على أن يجعل المؤمن كافراً أو الكافر مؤمناً، وفي سؤاله أيضاً : إثبات صفه من صفات الله تعالى سبحانه وتعالى بأنه مقلب القلوب وهو فعل من أفعاله ووصف له.
- في سؤال النبي ﷺ تثبيت قلبه دليل على جواز التوسل بصفة من صفات الله تعالى.
- إن أبواب الاعتقاد متعلقة بالقلب، فإذا صلح صلح الجسد كله، فهو موضع الإيمان الأصلي وملك الأعضاء وهو محل نظر الله تعالى.
- في سؤال النبي ﷺ الله تثبيت قلبه دليل على التلازم بين الإيمان والعمل وهو إجماع أهل السنة والجماعة أنه لا إيمان إلا بعمل ولما سأل الله تعالى تثبيت قلبه على شيء معروفٍ شرعاً وهو الدين دل أن الإيمان ليس مجرد التصديق فقط وفيه رد على المرجئة.
- عبادة النبي ﷺ القلبية من إخلاص ومحبة وخشية ورجاء لله تعالى هي رد على الغلاة

والمعطلين النفاة.

- استخراج حظ الشيطان من قلبه ﷺ دليل على عصمته من وساوس الشيطان ونقاء قلبه وسلامته من أمراض القلوب.
- جميع الصور التي دلت على حزنه ﷺ هي صور محمودة لا من جهة الحزن ذاته، ولكن من جهة موجب الحزن الذي هو الشفقة والحرص الشديد على دخول جميع الخلق في دين الله تعالى.
- بلاغته عليه الصلاة والسلام وأنه أوتي جوامع الكلم فلم ينطق بقول ﷺ يعارض العقل الصريح وفيها دليل على بطلان قول المتكلمين القائلين بتقديم العقل على النص الشرعي.
- حاشا أن يكون الذي أوتي جوامع الكلم وبلغ البلاغ المبين أن يكون ظاهر كلامه التشبيه أو أنه غير مراد مما رمى به الضلاّلُ وأهلُ الهوى قولَ رسول الله ﷺ.
- جاءت السنة النبوية والأحاديث الشريفة أن سماعه ﷺ ما خفي عن غيره ليس على إطلاقه بأن يسمع كل شيء وفي أي مكان بعُد أو قَرُب بل لا يسمع إلا ما أسمعه الله تعالى، وأن لسماعه حدوداً تقتضيها بشريته عليه الصلاة والسلام.
- لم يثبت أن النبي ﷺ رأى ربه بعين رأسه ليلة الإسراء والمعراج، والخلاف في هذه المسألة قديم، ولا يعد خروجاً عن عقيدة السلف.
- الخبر أن النبي ﷺ كان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء موضوع لا يصح نسبته لرسول الله ﷺ، ولكن جاء نص صريح بأن النبي ﷺ كان يرى أصحابه وهو في الصلاة من وراء ظهره وهو محتمل رؤيتهم في هذا الموضع في الظلمة لعموم النص الوارد في ذلك. والله تعالى أعلم.
- الإجماع قائم على أن من زعم أن النبي ﷺ كتم شيئاً مما أُمر بإبلاغه فإنه كافر وذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.
- الإيمان بوجود الملائكة والجن وأن المنكرين لها لا دليل لهم وإنما هي شبهات وأوهام،

فإن عدم العلم بالشيء لا يدل على العدم.

- كسر رباعيته وشج جبينه ﷺ دليل على بشريته وعلو منـــزلته عند ربه تعالى.
- مبايعة النبي ﷺ إشارة لعلو فضله وفضل أصحابه رضوان الله عليهم، وتقرير إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف، وعلى علو الله سبحانه وتعالى.
- في مبايعة النبي ﷺ عن عثمان ﷺ دليل على فضل عثمان ﷺ ثالث الخلفاء الراشدين.
- خروج الماء من بين أصابع النبي ﷺ معجزة لم يُسمع بمثلها للأنبياء عليهم السلام قبله ﷺ، وهو أبلغ من معجزة خروج الماء من الحجارة في قصة موسى عليه السلام مع قومه.
- لا يشترط في المعجزة التحدي على إظهارها من المعارضين للرسل.
- عصمة الله لنبيه ﷺ من الشياطين وأذاهم.
- وصفت يده الكريمة عليه الصلاة والسلم بالعطاء والإنفاق.
- من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولد في قوم أميين ونشأ بين ظهرانيهم في بلد ليس فيها عالم يعرف أخبار الأوليين أو فيلسوف أو نحو ذلك.
- في رفع يده عليه الصلاة والسلام عند الدعاء إشارة لعلو الله تعالى، ورد على نفاة العلو.
- قبض النبي ﷺ عند ذكر فعل من أفعال الله تعالى يدل على تحقيق إثبات صفة اليد والقبض لا على التشبيه والمماثلة.
- إشارته ﷺ للمدينة بيان فضلها وتعظيم حرمها.
- إشارته ﷺ نحو اليمن فيها دليل على فضل أهل اليمن، أي من استجاب له عليه الصلاة والسلام.
- إشارته ﷺ للمشرق وقوله ﷺ: **(رأس الكفر نحو المشرق)** هو دلالة من دلائل نبوته

ﷺ حيث خرج من تلك الجهة أول الفتن على الأمة في مقتل عثمان ﷺ، وكذا وقعة الجمل، وصفين، وظهور الخوارج، حيث كان ابتداء ظهورهم من الكوفة حيث كانت أول فرقة خرجت في الإسلام خرجواً على علي ﷺ.وخرج من تلك الجهة بالإضافة للخوارج: الشيعة والقدرية والجهمية، ومجيء التتار للقضاء على الخلافة الإسلامية كان من المشرق وخروج الدجال آخر الزمان يكون من تلك الجهة.

- لا يلزم من خروج الفتنة من تلك الجهة ذم جميع ساكنيها، فقد خرج من تلك الجهة أئمة وعلماء وفقهاء وأهل جرح وتعديل كان أكثرهم من أهل العراق.
- اختصاصه عليه الصلاة والسلام بأن غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه دليل على فضله وعلو منـــزلته عند ربه سبحانه وتعالى.
- من دلائل نبوته ﷺ -كما في الكتب السابقة-: وجود الخاتم بين كتفيه إشارة إلى أنه خاتم النبيين.
- قيامه ﷺ حتى تفطرت قدماه دليل على كمال عبادته لربه ﷺ ورد على الغلاة الذين يزعمون إمكان إسقاط التكاليف عن العبد.
- جواز التبرك بما انفصل من ذاته ﷺ بما ورد وثبت عن أصحابه أهم كانوا يفعلونه من جواز التبرك بشعره ودمه وعرقه ونحو ذلك، وأن ذلك خاص به ﷺ، ولا دليل لمن نقل هذه الخصوصية لغير النبي ﷺ من العلماء والصلحاء.

هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفهارس العامة

فهرس المصادر والمراجع

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفـراء البغـدادي الحنبلي، تحقيق محمد حمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد أبي إسحاق السيد بن محمود بن إسماعيل، مكتبة الرشد الرياض.
- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤م، الطبعة الأولى، تحقيق زهير بن ناصر الناصر.
- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
- أخبار الحلاج، دار الطليعة الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، تحقيق موفق فوزي.
- أخبار مكة، للفاكهي، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، تحقيق: جاسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- إرشاد الساري على صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني، دار الفكر.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٩هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير، تحقيق محمد البنا وزملاؤه، مطبعة دار الشعب.
- أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت.
- أصول مذهب الشيعة، لناصر بن عبد الله القفاري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

- إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفـــي، دراســـة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامـــة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـــ-١٩٨٩م.
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـــ-٢٠٠٢م.
- إعجاز القرآن، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالمـــاوردي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي.
- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي الأشعري، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـــ.
- الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة بن محمد بن جبريل، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربيـــة الـــسعودية، الطبعـــة الأولى، ١٤٢٣هـــ-٢٠٠٢م.
- الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك المعروف بابن أبي عاصم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـــ.
- الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـــ.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية.
- الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـــ.
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبـــد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـــ-١٩٩٩م.
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الله بن يوسف الجويني، مكتبة الخـــانجي، القاهرة، ١٣٦٩هـــ.

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الملك بن يوسف بن محمـــد الجـــويني، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـــ.
- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جامعة الإمام محمد بن ســـعود، المدينـــة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـــ.
- الاستمداد على أجيال الارتداد، أحمد رضا البريلوي، طبعة حجرية، الهند.
- الاستيعاب في معزفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الـــبر، دار الجيـــل، بيروت، ١٤١٢هـــ، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة الـــسوادي للتوزيع -القاهرة- تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل الطبعـــة الأولى، ١٤١٢هـــ.
- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمـــي الـــشاطبي، بـــيروت، دار المعرفـــة، ١٤٠٥هـــ.
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، دار الفكر.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القـــرطبي، نشر حسام الدين المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، لطف الله بن عبد العظيم خوجه، دار الهدى النبـــوي — دار الفضيلة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـــ-٢٠٠٩م.
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، عبـــدالرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني، المطبعة السلفية ومكتبتها، عـــالم الكتـــب - بـــيروت، ١٤٠٦هـــ-١٩٨٦م.
- البحر الزخار (مسند البزار)، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القـــرآن، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـــ.
- البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف — بيروت، لبنان.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبـــد الله بـــن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية.

- البردة للبوصيري مع شرح الشيخ إبراهيم الباجوري، مكتبة الآداب، القاهرة.
- البريلوية عقائد وتاريخ، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- البعث والنشور، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- التاريخ الكبير للإمام البخاري، المكتبة الإسلامية، مصورة عن الطبعة الهندية.
- التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، دار الفكر.
- التبيان في أيمان القرآن، تأليف الإمام أبي عبد الله بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١ ١٤٢٩هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- التدمرية، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي، تحقيق محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- الترغيب والترهيب للمنذري، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- التصوف المقارن، محمد غلاب، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
- التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- التعريفات، للشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، طبعة دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- التقييد، لابن نقطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- التكفير وضوابطه، إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار غراس، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ.
- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم الباقلاني، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، للعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تحقيق وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- التوسل أنواعه وأحكامه، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- التوصل إلى حقيقة التوسل - المشروع والممنوع، أبو غزوان، محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الثقات، ابن حبان البستي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) للترمذي تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) للترمذي، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ. وبهامشها أحكام الشيخ الألباني على الأحاديث.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد نصر الله الحنفي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية - الرياض - الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، لعبد المجيد بن محمد الخاني، دار ثاراس للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة)، زين الـدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق عبد القـادر الأرنـاؤوط، دار المـأمون - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الخصائص النبوية، المسماة فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب في خصائص الحبيـب، محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، مكتبة جدة.
- الدر الملتقط في تبيين الغلط، الحسن بن محمد الصغاني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيـق مركـز هجـر للبحوث، القاهرة- ١٤٢٤هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، ١٩٩٣م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجـدي، الطبعـة الخامسة، ١٤١٣هـ.
- الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري ، ط. دار البشائر الإسلامية، الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد، تحقيق بدر بن عبد الله البـدر، دار ابن الأثير - الكويت - الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.
- الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق خليل المنـصور، دار الكتب العلمية — بيروت -لبنان - ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر.، القاهرة، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.
- الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيـع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، لأبي عبد الرحمن السهيلي، الناشر مكتبة ابن تيميـة، القاهرة- ١٤١٠هـ.
- الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مكتبة المنار، الأردن- الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

- السنة لابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤١٩هـ.
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلميـــة، بـــيروت- الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- السنن الكبرى، البيهقي، دار الفكر.
- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد بن محمد عبد السلام خضر القشيري الحوامدي، دار إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، ترجمة محمد عبد العظيم علي، تحقيق عبـــدالمتعال محمد الجبري، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- السيرة النبوية، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجرى، تحقيق عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي اليحصبي السبتي المالكي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبـــو عيـــسى، تحقيق سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- الصحاح (تاج اللّغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م.
- الصفدية، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الصفدية، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي، مكتبة ابن تيمية.
- الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان النجدي، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة: لابن القيم، تحقيق علي بن محمد الدخيل، الرياض، دار العاصمة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- الصوفية في نظر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري-القاهرة،
- الصوفية معتقداً ومسلكاً، صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الضعفاء الصغير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الضعفاء والمتروكون، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي.
- الضعفاء والمتروكين، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الوعي، تحقيق محمود إبراهيم زايد - حلب - الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
- العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت - الكويت - الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى.

- العلل ومعرفة الرجال لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: وصـــي الله عبـــاس، المكتـــب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـــ.
- العمدة في إعراب البردة قصيدة البوصيري، تحقيق عبد الله أحمد جاجة، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـــ.
- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانيـــة، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم.
- الفتاوى الحديثية، أحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي، دار الفكر - بيروت.
- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة -بيروت- الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـــ.
- الفتوحات المكية، محمد بن عربي الحاتمي الطائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـــ.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت- الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- الفروق في اللغة، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن محمد بن حـــزم الظـــاهري، مكتبـــة الخانجي، القاهرة.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن محمد بن حـــزم الظـــاهري، مكتبـــة الخانجي، القاهرة.
- الفصول في سيرة الرسول ﷺ، إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي، محي الـــدين مستو ، مكتبة علوم القرآن، مكتبة دار التراث - دمشق، المدينة المنورة - الطبعة الثالثـــة، ١٤٠٣هـــ.
- الفقه الأكبر، لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، مكتبة الفرقان - الإمارات العربيـــة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـــ - ١٩٩٩م.
- الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـــ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٧هـــ.
- القرآن ونقض مطاعن الرهبان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، الطبعـــة الأولى، ١٤٢٨هـــ-٢٠٠٧ م.

- القناعة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري، تحقيق عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـــ.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، ترتيب وتخريج سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخليل وخالد بن على بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع.
- الكافي للكليني، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـــ.
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، دار الفكر، الطبعة الثالثة،١٤٠٩ه.
- الكتاب: الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية، تقي الدين أبـــو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمـــشقي، الرئاســـة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض = المطبعة السلفية القاهرة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.
- الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بـــيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هــ- ٢٠٠٢م.
- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيوب بن موســـى الحـــسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـــ.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلميـــة — بـــيروت - لبنان- الطبعة الأولى، ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م.
- المؤتلف والمختلف في أسماء نقلة الحديث وأسماء آبائهم وأجدادهم، عبد الغني بـــن ســـعيد الأزدي، مثنى محمد حميد الشمري - قيس عبد إسماعيل التميمي، أشرف عليـــه وراجعـــه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـــ-٢٠٠٧م.
- المحدث الفاصل، للرامهرمزي، دار الفكر، ١٤٠٤هـــ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لعلي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق مصطفى السقا ومـــراد كامل وعبد الستار أحمد فراج وحسين نصار، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربيـــة، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـــ.
- المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت.
- المدخل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحـــاج، دار التراث.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة - بيروت، وبهامشه تلخيص المستدرك للذهبي.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـــ.
- المستدرك للحاكم، دار المعرفة.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقـــري الفيـــومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- المصنف، ابن أبي شيبة،تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـــ.
- المعتمد في أصول الدين، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، دار المشرق، بيروت، لبنان.
- معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، لمحمد العدلوني الإدريسي، دار الثقافة، الطبعة الأولى.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.
- المعلم بفوائد مسلم، محمد بن علي المازري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، العراقي، دار طبرية، الرياض، ١٤١٥هـــ.
- المغني في أبواب التوحيد، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، وزارة الأوقاف والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـــ.
- المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ.
- المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، أحمد الصديق الغماري، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـــ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القـــرطبي، دار ابن كثير، دمشق.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العـــربي -بـــيروت- الطبعـــة الأولى، ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب.
- المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوســـف الفيروزآبـــادي الشيرازي، وبهامشه "النظم المستعذب في شرح غريب المهذب" لمحمد بن أحمد الركـــابي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٦هـــ.
- المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بـــيروت، الطبعة الأولى.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إعداد وحدة الدراسات والبحوث، بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، دار الندوة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـــ.
- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- الموطأ للإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضـــواء السلف الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م.
- النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربيـــة السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م.
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطنـــاحي، دار إحياء الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـــ.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدِّين أبي الصفاء خليل بن أيبك الصفدي، دار إحيـــاء التـــراث، بيروت، ١٤٢٠هـــ.
- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثـــري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإســـلامية والأوقـــاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـــ.

- الوصية الجامعة لخير الدنيا والآخرة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب (مطبوع مع شرح محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، المسمى: فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، طُبع بإذن من: وزارة الإعلام بجدة.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله الشيرازي البيضاوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٨٢هـ.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- بغية الوعاة، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان للذهبي، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر، الرياض.
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتاب العربي، بيروت.

- تحفة الأشراف للمزِّي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانيـة، ١٤٠٣هـ.
- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بـن أحمـد الشافعي المصري، تحقيق عبد الله بن سعاف اللحياني، دار حراء - مكة المكرمة، الطبعـة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للعلامة إبراهيم الباجوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان، دمـشق، الطبعـة الأولى، ١٣٩١هـ.
- تدوين السنة النبوية، نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، محمد بن مطـر الزهراني، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٣٣هـ.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- تصور الإنسان الكامل من عالم الأساطير إلى عصر الجينوم، عصمت نمار، دار الهداية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤.
- تعريف الخلف بمنهج السلف، إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكاني، دار ابـن الجـوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- تفسير السمرقندي، دار الفكر، بيروت.
- تفسير السمعاني، محمد بن منصور الـسمعاني، دار الـوطن، الريـاض، الطبعـة الأولى، ١٤١٨هـ.
- تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمـشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعـة الثانيـة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، مكتبة نزار مصطفى البـاز، مكـة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- تفسير القرطبي للإمام القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٣٥١ه.
-.تفسير المنار، محمد رشيد رضا، القاهرة، دار المنار، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣ هـ.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، محمد أحمد لوح، دار ابن عفان — دار ابـــن القـــيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيـــق محمـــد عوامة، دار الرشيد - سوريا - الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- تقييد العلم للخطيب البغدادي، الخطيب البغدادي، دار إحياء الـــسنة النبويـــة، ١٩٧٤م، الطبعة الثانية، تحقيق يوسف العش.
- تلخيص كتاب الاستغاثة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الـــرحمن ابـــن الجوزي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق، محمد أحمد عبد القادر الشنقيطي المدني، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية.
- تنـــزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق الكناني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل الـــسيوطي، المكتبـــة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بـــن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإســـلامي - بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤســـسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لمجد الدين أبي البركات مبارك بن محمد ابن الأثـــير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كـــثير بـــن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعـــلان، الطبعـــة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب -بيروت- الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- جامع المسائل لابن تيمية، تقي الدين أبو العَبَاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق د عبد الملك بن عبد الله دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ومكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، تحقيق سمير الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لنعمان خير الدين الألوسي، تقديم علي السيد صبحي المدني، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- جمع الوسائل في شرح الشمائل، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته.
- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف الأفغاني، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف الأفغاني، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، عبد الرحيم بن صحايل السلمي، دار المعلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

- حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص، رانيا رجب شعبان، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- حياة محمد، محمد حسين هيكل، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع القاهرة
- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، حققه وخرج أحاديثه حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- در الغمام الرقيق برسائل أحمد بن صديق، جمع عبد الله التليدي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- درء تعارض العقل مع النقل، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ.
- دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى.
- دلائل النبوة، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ديوان ابن الفارض، المكتبة الأدبية - بيروت - ١٨٦١م، تحقيق مجلس معارف ولاية بيروت.
- ديوان ابن الفارض، المكتبة الأدبية، بيروت، لبنان، ١٨٦١م.
- ديوان أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ديوان الأعشى، مكتبة الآداب، الإسكندرية، ١٩٥٠م.
- ديوان امرئ القيس، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- ديوان بشار بن برد، جمع ابن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية، ٢٠٠٧م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، اعتنى به: حمدو طماس.
- ذكر أخبار أصبهان، أبو نعيم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- رؤية الله، علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، مكتبة القرآن - القاهرة، تحقيق مبروك إسماعيل مبروك.
- رؤية النبي ﷺ لربه، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- رؤية النبي ﷺ لربه، محمد بن خليفة بن علي التميمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني محمد ناصر الدين، الرياض، مكتبة المعارف.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة المعارف، الرياض.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، مكتبة المثنى، بغداد.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، بيت الأفكار الدولية، وبهامشها أحكام الشيخ الألباني على الأحاديث، ١٤٢٠هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

- سنن أبي داود، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ وبهامشها أحكام الشيخ الألباني على الأحاديث.
- سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المغني الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٤٠٦هـ.
- سنن النسائي، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ، وبهامشها أحكام الشيخ الألباني على الأحاديث.
- سنن سعيد بن منصور، تحقيق د. سعد الحميد، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرناءوط وغيره، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط.الثامنة، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.
- سيرة ابن إسحاق، معهد الدراسات والأبحاث.
- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،
- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، مكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.
- شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- شرح السنّة، للإمام البغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفرَّاء، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.
- شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، تحقيق عادل بن محمد مرسي رفاعي، مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الـــشافعي، دار المعارف النعمانية، باكستان- ١٤٠١هـــ.
- شرح المقاصد للتفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهـــروي الخراســـاني، المكتبة الرائدة.
- شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي بـــدر الدين العيني، تحقيق أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعـــة الأولى، ١٤٢٠هـــ.
- صحيح ابن خزيمة: تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، المكتب الإســـلامي، الطبعـــة الأولى، ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق مـــصطفى ديـــب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـــ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإســـلامي، بـــيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـــ.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـــ.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيـــة، الطبعـــة الأولى، ١٣٧٤هـــ.
- صفة الجنة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا.
- صلة تاريخ الطبري، عريب بن سعد القرطبي، منشورات مؤسسة الأعلمـــي للمطبوعـــات بيروت - لبنان.
- طبقات الأولياء، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـــ- ١٩٩٤م.
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بـــيروت، الطبعـــة الأولى، ١٤٠٣هـــ.
- طبقات الصوفية، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي السلمي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م.

- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
- طبقات المفسّرين، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، مكتبة وهبه، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
- طبقات خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
- طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سليمان الجمحي، دار المدني.
- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق عبد القادر محمد علي ، دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- عالم الجن والشياطين، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- علل الحديث، ابن أبي حاتم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
- عمدة القاري شرح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني، تحقيق كوثر البرني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن -جدة- بيروت.
- غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي،تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري، تحقيق: ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، الطبعة الأولى.
- مسند إسحاق بن راهويه، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة.
- مسند الشاميين للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- مصادر التلقي عند الصوفية، هارون بشير أحمد، دار الراية.
- مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل.
- معارج القبول، لحافظ أحمد حكمي، تخريج عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق البغدادي، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.
- معجم المؤلّفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- مغاني الأخيار، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفي بدر الدين العيني، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحيـاء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق هلموت ريتر.
- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الـدين الـسيوطي، تحقيق سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان للنشر والتوزيع، الطبعـة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، عبد اللطيف بـن عبـد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، دار الهداية للطبع والنشر والترجمة.
- منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة القدرية لابن تيمية، تحقيق محمـد رشـاد سـالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٦هـ.
- منية السول في تفضيل الرسول، العز بن عبد السلام، تحقيق صلاح الـدين المنجـد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمـي، تحقيـق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد علي التهانوي، تحقيق الدكتور علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.
- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، أبو سهل محمد بـن عبـد الـرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مـراكش - المغرب، الطبعة الأولى.
- موسوعة مواقف السلف، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية بالقاهرة، مكتبة النبلاء بمراكش، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، مكتبـة الرشـد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية — بيروت- الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- نزهة الألباب في الألقاب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشـد، الريـاض، الطبعـة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- نهاية الإرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافـة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

- فصوص الحكم، محيي الدين محمد بن عربي الطائي الحاتمي، تحقيق أبو العـــلا عفيفـــي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥هـــ.
- فقه السيرة لمحمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـــ.
- فقه السيرة، لمحمد الغزالي، خرّج أحاديث الكتاب محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتـــب الحديثة، مصر، الطبعة السابعة، ١٩٧٦م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان - عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م.
- قاعدة في المحبة، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـــ.
- كتاب الأصنام، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتـــب المصرية - القاهرة - الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق مهـــدي المخزومـــي / إبراهيم السامرائي.
- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمـــي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـــ.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألـــسنة النـــاس، العجلـــوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـــ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الـــوطن، الريـــاض، ١٤١٨هـــ-١٩٩٧م.
- كشف شبهات الصوفية، شحاتة محمد صقر، مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر).
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـــ-٢٠٠٤م.

- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لعبد الملك الجويني، تحقيق الدكتورة فوقيـة حسين محمود، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٥هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ.
- مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، عبد العزيز بن فيصل الراجحي، مكتبـة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع عبد الرحمن بن قاسم وولـد محمد، وزارة الشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ.
- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعـه: محمد بن سعد الشويعر، طبع الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشـاني، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- محمد ﷺ الإنسان الكامل، محمد بن علوي المالكي، دار الشروق، الطبعـة الثانيـة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، ت: محمد حامد الفقـي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، تحقيق عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة -بيروت- ١٤٢٩هـ.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، دار المعرفة - بيروت.

- ديوان الحلاج، الحسين بن منصور الحلاج، دار الحديد، التاريخ، ١٩٩٨م.
- الرسالة اللدنية، القصور العوالي، تحقيق، محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي بالقاهرة.
- روح الإسلام، لسيد أمير علي، تعريب عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.
- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمـــار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون،ترجمة محمد عبد العظيم علي، تحقيق عبـــدالمتعال محمد الجبري،دار الدعوة، للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد — السعودية، الريـــاض، الطبعـــة الثانيـــة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلميـــة، ١٤١٠هـــــ. الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ يوسف بـــن إسماعيـــل النبـــهاني، دار الكتـــب العلمية،بيروت — لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق،الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين، وهو شرح الأربعين العجلونية، محمد جمال الـــدين القاسمي الدمشقي، عاصم بهجة البيطار، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن — الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة- الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- كتاب الأنوار ومصباح السرور والأفكار وذكر نور محمد المصطفى المختار، دار المعـــارف الأردنية، أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري، الطبعة الأولى.
- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت.

- اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣١-٢٠١٠م.
- اللمع للطوسي، شركة القديس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
- مجمع البحرين في شرح الفصين، لمحي الدين ابن غزالي، الشارح الشريف ناصر بن الحسين الحسيني الكيلاني، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن قدامه المقدسي - تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده النحوي اللغوي الأندلسي، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر، عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري.
- مسائل الإيمان، محمد بن الحسين بن محمد الفراء أبو يعلى القاضي، دار العاصمة - الرياض- ١٩٨٩م.
- مصابيح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- معجم مصطلحات التصوف الفلسفي، محمد الدلوني الإدريسي، دار الثقافة، الطبعة الأولى.
- منهاج الراغبين النسبي ومعرج الواصلين إلى الحلمي القدوسي، محمد نور، المطبعة العلمية، ١٨٩٤م.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الأولى، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث، العلمية والإفتاء.
- نظريات الإسلاميين في الكلمة، أبو العلا عفيفي، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرعية ، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م.
- النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية، محمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني -دار الجيل- بيروت.

- نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح فردجيوم، مكتبة الثقافة الدينية.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للإمام محمد بن علي الشوكاني، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
- هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار الثقافة، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- الإبريز، عبد العزيز الدباغ، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق بهجة يوسف أحمد أبو الطيب، مؤسسة الرسالة -بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر - ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- الاستدلال بالسنة النبوية عند الشيعة في ميزان التقدم العلمي، عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية،أصلها رسالة علمية تقدم بها المؤلف،لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الأمريكية المفتوحة.
- الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار الشروق، القاهرة.
- اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكشاني، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٣٩٧هـ.
- إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي، دار التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- أفضل الصلوات على سيد السادات، يوسف بن إسماعيل النبهاني، طبع برخصة مجلس معارف ولاية بيروت، المطبعة الأدبية، ١٣٠٩هـ.
- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، عبد الكريم إبراهيم الجيلي، تحقيق محمد عزت، المكتبة التوفيقية.
- الإنسان الكامل، محاورات في الفلسفة الصوفية، محمد غازي عرابي، دار قتيبة، تاريخ النشر، ١٩٨٧م.

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانيـــة، ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م.
- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميـــة، مكتبـــة الرياض - الحديثة، الرياض.
- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، والحيل والكهانة والسحر والنازنجات، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني،المكتبة الشرقية –بيروت، ١٩٥٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية.
- التذكرة التيمورية، معجم الفوائد ونوادر المسائل، أحمد تيمور باشا ، مطابع دار الكتـــاب العربي بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م.
- ترصيع الجواهر المكية في تزكية الأخلاق المرضية، عبد العزيز الرافعـــي، الطبعـــة العـــامرة الشرقية، ١٨٨١م.
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، تفسير سورة الفرقان، القرآن في مواجهة المادية، محمـــد البهي، مكتبة وهبة ١٤- شارع الجمهورية - القاهرة.
- تهذيب طبقات الشعراني ، هنية محي الـــدين الطعمـــي، دار الروضـــة، الطبعـــة الأولى، ١٤٣٠هـــ.
- جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني، دار المعرفة، ١٤٢٤هـــ.
- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة الأولى، ١٢٧١هـــ.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، الطبعة الأولى، تحقيق رمزي منير بعلبكي.
- الحياة الروحية في الإسلام، محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- دراسات في التصوف والفلسفة الإسلامية، صالح الرقيب – محمود الـــشوبكي، الجامعـــة الإسلامية غزة،الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـــ-٢٠٠٦م.
- الدرر السنية من شروط أحكام وأوراد الطريقة التجانية ، محمد سعد بن عبد الله الرباطي، مطبعة حجازي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـــ.
- دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام في ضوء الكتاب السنة، أحمد محمود أحمد شـــيمي – دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان - الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـــ-٢٠٠٢م.
- ديوان البرعي، عبد الرحيم أحمد علي البرعي، دار الحاوي، ٢٠٠٧م.

فهرس الموضوعات